

مقدمة

بين الأمس والغد

من طبائع الأيام التحول من حال الى حال؛ ففي كل يوم طلوع جديد لم يكن معروفا. او افول معروف كان لم يكن في يوم ما جديدا. فما يالاه الاجداد حتى يكون جزءا من حياتهم قد يكون عند الاحفاد منكورا. وما يكون منكورا عند جيل قد يكون عند جيل آخر مألوفا. وهذا ما يراه الانسان في نفسه. فيكون في كهولته غيره في شببته فكرا وذوقا ورغبة في شيء او رغبة عنه؛ وهي اطوار جبلت عليها هذه الحياة. سنة الله في الكون ولن تجد لسنة الله تبديلا.

والتحول في الحياة الاجتماعية في غالب الأزمنة؛ يعهد منه ان يتتابع ببطء؛ حتى لا يكاد يفتن له الا الامميون؛ حتى جاء هذا العصر؛ عصر الذرة والصواريخ، فاذا بها تكاد تتحول من حال الى حال في طرفة عين. خصوصا في بعض الاقطار كقطرنا هذا الذي هجم عليه هذا العصر المسرع هجوما مباغتاً؛ فاذا به بين عشية وضحاها كأنما انقلب راسا على عقب.

أمس

اننا اليوم في (المغرب) لفي عهد يعده من يعيشون قبله؛ ثم يمتد بهم العمر الى ان يعيشوا فيه عهدا غريبا عجيبا. فقد شاهدنا كل شيء الى تحول سريع. فقد كنا نحيا في بيئة لا تكاد تمت اليها هذه البيئة الجديدة بأي لون. كنا في دين وفي عادات وفي هيئات وفي افكار وفي مقاييس وفي اوضاع. ثم هانحن اولا مندفعون الى ما يعاكس كل ما الفناه على خط مستقيم.

أسس كان الدين ومثله العليا. والتخلق به. والتحاكم اليه. والحرص على علومه. واحترام حملته. هو المعروف المجمع عليه لا يختلف فيه اثنان لأن ذلك راسخ في النفوس؛ وتواترت عليه القرون؛ منذ عرف المغرب الاسلام في القرن الاول الهجري الى أن ادركنا نحن ذلك في أوائل القرن الرابع عشر.

أما كانت الحضارة الشرقية هي المعروفة وحدها عندنا بأذواقها وآدابها وألوانها وهندوتها واتساع ساحتها. وهي التي استطاعت أن تلتهم حضارة فارس وبيرانطة. ثم تبلورت في دمشق وبغداد والقاهرة والقيروان وقرطبة. ثم كان مغربنا هذا من ارث هذه الحضارة كنوز كاد يحافظ عليها وحده منذ أن انهارت الاندلس. واستولى التركيون على الشرق الأدنى كله ما عدا هذا القطر السعيد. الذي لم يعرف الا الاستقلال منذ عرف الاسلام الى الآن. فكان يعرف مقدار كنوزه هذه ويعتز بكل ما فيها من ألوان وافكار وفلسفة وعلوم وآداب ومعمار.

أما كانت عندنا تقاليد محترمة في اللباس وفي اختيار النائيث وفي حياة الجلوس وفي اقامة الحفلات وفي مزاولة الاعمال. فتكونت لنا حياة اجتماعية توافقنا لانها كانت متسلسلة عن الاجداد. لا يحس فيها بأنها تتغير في كل جيل، وان كانت في الحقيقة لا بد أن يكون فيها تغير ما في كل جيل - فكانت لها موازين خاصة مألوفة. اليها يتحاكم ذوو الاذواق والافكار عند الاختلاف. فيتخذ حكمها مسمطا. وقانونها مرتكز في أعماق النفوس لا مسطر في الطروس. تلاءمت فيه مقتضيات حياتنا وديننا وعادات مجتمعنا تلاؤما تاما. دين العربية ولغة الدين. وعادات تكونت تحت نظرهما في قطر استرج فيه العرب والبربر تمازج الماء القراح بالراح.

هكذا كنا أما نعيش عيشة راضية نقر بها عيننا ونرضى عنها كل الرضاء لا نرى بها بدلا. بل لا نظن أن هناك من يحيا حياة طيبة مثل حياتنا التي نحياها في أمسا الحلو اللذيذ؛ يوم كنا في عزلة عن العالم. في قفطنا هذا المحاط من جميع جهاته بسدود طبيعية. فمن الجنوب بالصحراء الكبرى، ومن الغرب والشمال بالبحر الواسع الذي لا نكاد نملك فيه ولو سفينة واحدة لركوبه. ومن الشرق بالجزائر التي سدت أيضا دوننا منذ أن استعمرها الفرنسيون من عقود من السنين. فهذا هو محيطنا الذي لا نعرف سواه قد الفناء وسعدنا فيه سعادة من ينشأ في محل خاص في عمره كله. فلا ينصور أن هناك حياة أخرى غير ما هو فيه.

اليوم

وفي هذا اليوم دهم علينا الاستعمار بخيله ورجله. بلونه وفكره. بسياسته ومكره. بحضارته المشعة. بعلومه الحيوية المادية. بنظامه العجيب؛ بمعامله المنتجة السريعة؛ بكل شيء يمت الى الحياة الواقعية. فوقع لنا كما وقع لاصحاب الكهف يوم رجعوا الى الحياة، فوجدوا كل ما يعرفونه قد تغير تغيرا تاما. وحين كان المغرب لقنا حاذقا سريع التطور. مندفعا الى كل ما يروقه. اقبل بنهم شديد على التهام كل ما في هذه الحضارة الغربية العجيبة. التي تغير على جميع نواحي الحياة. فتحدث من التغير ما يحرق التقاليد والافكار وكل ما يمت الى العادات. فاذا بالمغرب يتحول في عهد قصير رالي مغرب آخر يغير كل ما كان معروفا منه في الامس. فاذا بأمثالنا نحن الذين كنا نعيش في شرح شبابنا في المغرب المستقل قبل 1330 هـ قد كدنا نكون غرباء في طور شيخوختنا في المغرب المستقل من جديد 1375 هـ. فقد حرصنا أن لا ننكر الا ما يستحق أن ينكر. وان نحمد كل ما يمكن أن يحمد واجتهدنا أن نساير العصر. وان نتفهمه فلا ننكر أخذ ما لا بد من أخذه من أساليب الحضارة ونظمها وعلومها - لأن الحكمة ضالة المؤمن يلتقطها انى وجدها - ولكننا مع ذلك نشاهد اسرافا في التحول السريع الذي لم يراع فيه - حسب انظارنا نحن المسنين - حكمة ما بين التفریط والافراط؛ فنحاول أن نجتمع بين محاسن أمس واليوم. ناصبين ميزان القسط. فاذا بنا تكاد نعيش الآن على هامش الحياة العادية التي اندفع اليها هؤلاء الذين يملكون ناصية الحياة الاجتماعية بعد الاستقلال. واعظم ما نهتم له شيان: احدهما التفریط في المثل العليا التي لا ترسخ في الشعوب الا بعد جهود قرون؛ ومتى اجتثت من اي شعب بمثل هذه الاندفاعات العمياء فان أبناء ذلك الشعب سرعان ما ينحرفون عن الصراط المستقيم في الحياة. وثانيهما التفریط في المحافظة على اللغة العربية وآدابها التي هي شعار المغرب وكنزه الموروث المحافظ عليه كلفة رسمية حتى يوم عهت تركيا لغتها في جميع انحاء بلاد العرب منذ أوائل القرن العاشر الهجري. وليت شعري لما ذا كنا نحرص على الاستقلال ان لم تكن أهدافنا المحافظة على مثلنا العليا المجموعة في اسس ديننا الحنيف؛ والمحافظة على هذه اللغة التي استمات المغاربة كلهم عربهم وبربرهم في جعلها هي اللغة الوحيدة في البلاد.

ومعلوم ما للمغراويين والمرابطين والموحدين والمرينيين من تمجيد هذه اللغة وهي دول بربرية صميعة وذلك هو موضوع العجب. وأما ان يحافظ الادارسة والسعديون والعلويون عليها فان ذلك امر طبيعي.

لأن الجالسين منهم على العرش عرب الحاج. هكذا أصبحنا نرى كثيرا من
تراثنا يضيع بكل سرعة. ثم لا يطمع أن يتراجع إليه الاخلاف الا بعد
زمان نطلب الله أن لا يطول .

الفصل

نحن نؤمن انه سيأتي يوم يثور فيه اولادنا او احفادنا ثورة عنيفة
ضد كل ما لا يمت الى غير ما لأبائهم من النافع المحمود. ثم يحاولون مراجعة
تاريخهم ليستقوا منه كل ما في امكانهم استدراكه. فلهؤلاء يجب على من
وفقه الله من أبناء اليوم أن يسعى في ايجاد المواد الخام لهم في كل ناحية
من النواحي التي تندر بين أعيننا اليوم. وما ذلك الا بايجاد مراجع للتاريخ
يسجل فيها عن امس كل ما يمكن من الاخبار والعادات والاعمال والمحافظة
على المثل العليا. بل يسجل فيه كل ما كان ولو الخرافات؛ او ما يشبه
الخرافات، فإن نهم من سياطون في الغد سيطلبهم كل ما يقدم اليه كيفما
كان؛ ليستنتج منه ما يريد ان يعرفه عن ماضي اجداده. وهذا احد مغايز
هذا الكتاب الذي بين يدي القارىء .

فكرة جمع الكتاب

كنت مرة زرت الزاوية الدلائية من ايت اسحق في سفح الاطلس
الكبير. فصرت ابحت هل اجد هناك اثرا من آثار أولئك العلماء الادباء
العظام؟ فلم أقع على أى أثر . فأغمضت عيني برهة فصرت استحضر كل ما
كنت قرأته من الكتب التي تحدثت عن هذه الزاوية. وعن اعمال رجالاتها.
فاذ ذاك عرفت ان الخلود لامثال هؤلاء لا يكون الا بالتسجيل بالاقلام
فاختمرت هذه الفكرة في نفسي عن ناحية سوس الذي اعرف فيها من امثال
الزاوية الدلائية عشرات عشرات كادوزو تيمكيدشت وأكشتيم وطاطة
وتانلت والمعدر وتادرات واسرير وتاكوشيت وتيفيراسين وأغبالو ماسة
وتامانارت وأفا وتازموت واكرار وتاغاتين والمحجوب وامثالها. فمنها ما اندثر
قبلنا. ثم لا نجد عنها الا مثل الوشم على ظاهر كف العجوز وذقنها. ومنها
ما لا يزال فيها رفق. يعرف منه ماضيها المجيد. فكنت أتمنى وأنا اذذاك في
مراكش في موالاة الدروس أن يخلقون حولي لو اجد فراغا لما يخرق في نفسي
حتى اؤدي هذه المهمة التي كانت عندي اذ ذاك كفكرة حديثة بسبب الاخ
البونعماني ابى هذه الفكرة. ثم جاء النفي مختتم 1355هـ. الى مسقط راسي

حيث الزمت القبوع والانحياس والبعد عن المجتمعات. فامتشقت القلم
فانخلدته انيسا في اليوم الثاني لتزولي في (الغ). وحين لم اجد من اخالف
الا من في زاويتنا قنعت بتسجيل ما يتيسر من بعض اذكيائهم. وفي عشية
يوم كنت مع اخي احمد رحمه الله؛ فقال لي وقد رأي مكبا على تسجيل
كل ما اسمع مما جمع في كتاب (من افواه الرجال) ولا انظم ما اسوقه فيه
ولا اختار؛ ماذا تصنع الآن؟ فان كنت لا بد كاتباً؛ فهيا لنا كتابا عن
(الغ) وعن كل من مر فيه من العلماء والادباء والحوادث. ليكون لنا ككتاب
آل زاوية تيمكيدشت الذي الفه العربي المشرقى الفاسي؛ فكانت هذه الكلمة
من الاخ هي البذرة الاولى من هذا الكتاب. ثم نظمته تنظيما يكاد يستوفي
كل اعمال زوايا سوس ومدارسها مع الانام باخبار بعض رؤسائها والحروب
بينهم. وجمع رجالات الاسر العلمية تفصيلا. وقد رتب الكتاب على خمسة
اقسام. فاشتريت اننى كلما ذكرت رجلا ممن كانوا على شرط الكتاب ان
اذكر كل ما حوالية من رجالات اسرته من العلماء ومن تلاميذه ومن اساتذته
وبهذا استطعت ان احشر في الكتاب كمية عظيمة من زوايا العلم بسوس
وبعض ديار الرياسة. فطال الكتاب بذلك حتى كانت مجلداته تنقسم الى
هذه الاجزاء

3 في الالفين العلماء والرؤساء .

5 في اساتذتهم كالجشتيمين والادوزيين والتيمكيدشتين وآل ماء
العنين والمزواريين والتامانارتيين والاقاريضيين.

3 في تلامذة مدرستهم كاليزيديين والساليين والحفسيكيين والتادراتيين
والناصرين والوهداويين الاساويين .

6 في الاخذين عن زاويتهم كالاكراريين والمحجوبيين والكرسيقيين
والمعديريين والركنين والتاتليين .

3 في اصداقائهم السوسيين منهم رؤساء كالجرارين والتامانارتيين
والقائد المدني والقائد التاجم وغيرهم. وبهذا صار الكتاب عن سوس
موسوعة فيها تسجيل كل ما امكن من اخبار بعض العلماء وبعض الصوفية؛
وبعض الرؤساء. وانما قلت البعض لان هناك كتابا خاصا بعظماء سوس.
وأخر في رؤسائهم. والمقصود ان اسجل أكثر ما يمكن لي تسجيله للغد
بهذه الكتب عن هذه الناحية من المغرب .

هذا وقد يجد القارىء من أبناء اليوم مما اكتبه ما يعده من سقط
المتاع ومما لا ينبغي أن يهتم به مما يعده عند نفسه في ذوقه من الخرافات

ولكن لا ينبغي انى مؤرخ؛ وقلم المؤرخ الجماعة كعدسة المصور تلتقط كل ما امامها حتى ما تغدق به الاعين. فكما تلتقط الاشعاعات الساطعة تلتقط الظلال القائمة فان لم يكن قلم من يجمع للتاريخ كذلك، فانه قلم التلميح والمسخ للحقائق. لان واجب المؤرخ ان ينقل قارئه بوساطة براعته الى الذى يتحدث عنه حتى كأنه يشاهد عيانا. واما ان يهذب او يشذب ويهذف ويضيف حتى يضل القارئ عن الحقائق فذلك هو الزور بعينه ولهذا احرص انا فى التراجم ان اذكر كل شىء مدحا وقدحا وان كنت اعمل فكرى واختار وارجح. لان هذه ايضا من وظائف المؤرخ. ولا خير فى مؤرخ جماع فقط من غير ان يظهر اثر فكره فيما يكتب .

وبعد فما اذا اجعل امام القارئ بعض ما سودته عن سوس فى هذا الكتاب الذى هو احد تلك الكتب. وسيجد فيه احيانا تكرارا فى التحدث عن شىء واحد فى مختلف التراجم. والمقصود ايجاد الصور المختلفة باختلاف الروايات لحادثة واحدة. ليستطيع من سيدرس الحادثة غذا ان يستوعب كل ما حواليا. فينظم الكلام فى صعيد واحد. وانا لا ازعم فى هذا الكتاب الا انه مجموعة مهيأة لمن سيستقى منها غذا ما يريد. ولذلك احرص على ذكر العادات وطرائف الاخبار. والنكات الادبية. والقوافى وان لم تكن بمستساعة عند الاذواق العالية فى الادب؛ كما لا ادعى انى بلغت الغاية او اتبعت المنهج العلمى فى الدقة. واما ادعى انى حرصت على امانة النقل عن المصادر - وغالبها من افواه رجال الاسر - واجتهدت على ان اتبع الترتيب المنطقى ان حاولت الاستنتاج. باذلا جهدى ما استطعت - لان المقصود اولا وآخرا ان يرى القارئ مشاهدة ما يقوم به جانب من جوانب المغرب. يضم طائفة من ابناء امازيغ الشلحين البندويين. فى نشر اللغة العربية وعلومها وآدابها وقد اولعوا بذلك ولوعا غريبا. فقاموا باعظم دور فى ذلك بجهودهم الخاصة من غير ان تعينهم الدولة.

ومن مفاخر المغرب ان هذا العمل بنفسه او اكثر منه كان فى بوادى درعة وفى تافيلالت وفى دكالة وفى الريف. ولكن اين من يجمع لنا مما هنالك مثل هذا الجمع. وان لم يكن جمعا واسعا كما ينبغى. ولا مستوعبا كما كان يجب .

ثم اننى ابن زاوية وابن بيئة امس. مؤمن بالروحيات الصادقة. فاقبل خرق العادة ان صبح ان ذلك واقع. ولذلك يعذرني من ليس له هذا الايمان ان وجد فى بعض التراجم من الكتاب مثل ذلك فله دينه ولى دينى .

نحن بما عندنا وانت بما عندك راضى والراى مختلف

فليعلم المطالع لهذا الكتاب باجزائه العشرين انه سيخوض فيها اخبار الفقهاء والادباء والرؤساء والصوفية وكل ما يعن من احوال الابدانية وسيكون كالدخول الى السوق التى تجمع كل شىء. فليأخذ ما يعجبه وليعرض عما لا يعجبه. فان ما لا يعده الا شيئا تافها؛ ان كان لا يدوق حلاوته. قد يكون ازاء قارئ آخر لا يعجبه هو الا ذلك. فالكتاب كما يقولون كالمائدة الطافحة بانواع الاطعمة، ياكل كل واحد منها ما يشتهيه فمن ليس باديب لا يرتاح للادب. ومن ليس بفقير لا يرتاح لحوال الفقهاء. ومن ليس بصوفى يستنكر حتى ما هو حق من احوال الصوفية. نعم ان من يكون مؤرخا يريد ان يستنتج يفرح بكل شىء ولو الخرافات فضلا عن الحقائق .

وأخيرا

فقد وضعت امس كتاب (سوس العالة) امام القارئ. وهو كالنافذة لهذا الكتاب واخوانه من الكتب الاخرى. وهالك الآن (الجزء الاول) من هذا الكتاب الثانى الذى ستعد من اجزائه الى العشرين ان شاء الله. فالحق ييسر بفضلته؛ فان لم يخرج القارئ بكل ما يريد من الكتاب عن (سوس) فانه على الاقل يخرج بفائدة كانت عنده قبل الكتاب من المجهولات. نطلب الله ان ياتى بمن يستتم ما ينقص فى الموضوع . او يصحح الاغلاط . وما ذلك على شياطينا الذى نراه يشارك اليوم فى هذا الميدان ببعيد .

م خ س



غالب الاعلام في لغة الشلحة لا ينطق بها كما هي عند اهلها الا مضبوطة مشكولة وحين كان ذلك الآن كالمعتذر في مطابعتنا العربية المغربية سلكت الطريقة التي تعناد في أخوات الشلحة من اللغات العجمية : فأجعل الالف مكان الفتحة والواو مكان الضمة والياء مكان الكسرة : وكل حرف ليس أمامه الف او واو او ياء فانه مسكن : فمثلا : تجدد (تمنرت) في اقلام الكاتبيين السوسيين فلا تهتدي الى قراءتها ، ولكن ان كتبتها هكذا (تامانارت) فانك تفتح التاء والميم والنون وتسكن الراء : فاذا بك نطقت بها نطقا صحيحا : وكذلك (اينديكل) و(ازاريف) و(اكجكال) و(تيغمي) و(ااقا) و(تامادولت) و(تيفنوت) و(تاكانزا) و(ايسي) و(تالبرجت) و(تيفرميت) و(تاكوت) و(ايلينغ) و(السخ) فالفرق بينهما ان الاول مكسور اللام والثاني مسكنها : وبهذه الطريقة يستغنى عن شكل الفاظ شلحية لا حصر لها : فلم يبق لنا الا معرفة الحرف المشدد من غيره ؛ فلم أقع الى الآن على ما ينبه به على التشديد الا الشكل : فمثلا (تيمكيدشت) فجميع الحروف يظهر ضبطها مما تقدم : فلم يبق الا الكاف المشددة : وكذلك (تاغاجيجت) فالجيم الاولى مشددة : وكذلك (أكادير وايو) فان الواو والياء مشددتان : كما يبقى لنا ايضا ما يتعلق بالتفخيم والترقيق في الحرف ؛ والكاف المعقودة التي تكون بين القاف والكاف وهي كثيرة في الشلحة ؛ مثل (اكلو) (اكروسييف) و(ايكوسالن) و(تاكنييت) فان هذين وهما ما يتعلق بالتفخيم والترقيق . وما يتعلق بالكاف المعقودة امرهما خفيف في نظري الآن فحينئذ يتلخص لنا ان الذي يكون لنا حجر عثرة في مطابعتنا التي لم تزود بالحروف المشكولة هو الحرف المشدد وحده ؛ وسنجهده ان نبين ذلك آخر كل جزء فنرتب الاعلام التي فيها الحرف المشدد على حروف المعجم باعتبار اول الكلمة والله الموفق

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ

وصلى الله وسلم على سيدنا محمد وآله

الحمد لله الذى علم بالقلم، علم الانسان ما لم يعلم؛ فتح العيون؛
وأرشف الأذان؛ وهدى النجدين؛ وانطق اللسان باللغات؛ وخص كتابه
الكريم بأفصح اللغات لغة العرب خير لغة أخرجت للناس؛ بعد ما هذبها
السن العرب العرباء؛ ثم شذبتها حكمة القرآن بالمثل العليا. فاستحقت
أن تكون كلغة عامة لجميع من يعتنقون الاسلام من أقصى المشرق الى أقصى
المغرب. فالحمد لله الذى هدانا لهذا حتى صرنا - نحن أبناء الخ العجم - نلوق
حلاوتها؛ ونذكر طلاوتها؛ ونستشف آدابها؛ ونخوض امواج قوافيها، حتى
لنعد انفسنا من أبناء يعرب وان لم تكن إلا أبناء (امازيغ). فالانسان بلوكة
وبما يستحليه عند التعبير؛ لا بما رضعه من ثدى أمهاته، واللسان بما تنفتح
له به المعانى الحلوة؛ لا بما يتهدج به من لغة يرثها لا تعد من نبع ولا
غرب (1)؛ فاللغة العربية عندنا - معشر الالفين - هي لغتنا حقا التى نعتز
بها. لان بها مراسلتنا ومخاطبتنا حين نريد أن نرتفع بانفسنا عن مستوى
جيراننا، وأبناء جلدتنا من الحرييليين والوفقاويين والمجاطين والساموكيين؛
وتلك نعمة أنعم الله بها علينا بفضل وكرمه؛ حتى اننا لنرى انفسنا من
ورثة الادب العربى؛ فنغار ان مسه ماس بفهاهة؛ ونلود عن حماه ان احسنا
بمن يريد أن يمسه باهانة؛ فنحن عرب أبحاح؛ من حرشة الضباب،
والمستطبيين للشبح والقيصوم؛ وان لم تكن اصولنا الا من هؤلاء الذين
يجاوروننا من أبناء السلاجين الاماجد.

(I) النبع: كفلس والغرب: كالفرح من شجر البادية تصنع منها
السهم. قال أبو تمام:
تخرصا واحاديثا ملفقة ليست بنبع اذاعدت ولاغرب

والصلاة والسلام على من بعثه الله من خير ارض وان لم يكن
الا صحراء قاحلة! فكان للانسانية جمعاء قبل ان يكون مخصوصا في مبادله
الحق للعرب الخالص! رفع راية الحرية والمساواة والاخاء! فأوى الى ظلالها
كل الذين هداهم الله فاستظلوا بذلك الراية من فلبين فالندونيسية الى هذا
القطر المغربي الذي نكون نحن - ابناء الخ - في اقصى ذنبه الذي هو ذنب
الطاووس - فيما نرى - ورضى الله عن الصحابة وتابعيهم الذين شرفوا
وعربوا بهذه الراية المباركة، حتى ركزوها وراءنا في الصحراء الكبرى
اركبزا! لم لم تقدر اربعة عشر قرنا ان تززعها عن محلها! لان ما مراكزه
في القلوب لا يمكن ان يتزعزع بالاعاصير، فحيا الله تلك الهمم الشماء
التي تفتح القلوب باللسان العربي وبكتابه الكريم! قبل ان تفتح البلاد!
وهل عرف العالم فاتحا مثل العرب كما يقول غوستاف لوبون؟

اما بعد فقد اولعت منذ عرفت قبيل من دبيري! وميزت يميني من
شمال. بالتاريخ والادب! وبمطالعة كتبهما فلا اظل ولا ابيت منذ كحلنتي
العربية بالهداه، واذاقتني حلاوة معانيها الطلية فاشتنتي بخمرتها! الا بين
كتاب ابتدئه وآخر اختتمته! منذ بكرت الى مطالعة كتاب (الف ليلة وليلة)
في فجر حياتي! اذ كان اول كتاب طالعتة وانا ابن نحو عشر سنين!
فاخذت بحكاياته التي تدل على ما لمدينة العرب في بغداد ومصر وما اليهما
من اناقة ولطف وحسن ذوق! ورفاهية عيش، ثم لما زدت قدما! طالعت مثل:
المستطرف وحياة الحيوان للدميري وابن خلكان! ومروج الذهب! ونفح
الطيب! وفلاذ العقيان، والاستقصاء! ونزهة الحادي! والصفوة - وهي
الكتب التي طالعتها في حياتي الاولى في الخ وما الى الخ من افران واغشان -
ثم لما كملت تراب الارض بقدم الهجرة (1) ووجدت خزائن تطفح بالكتب
الكبرى! اقبلت بنهم الذي لا يشبع على التهام كل ما تقع عليه عيني كيما
كان الكتاب! ما دام يمت الى الادب والتاريخ، فلا ارد اي كتاب سنع! ولسان
حالي ينشد قول ابن المعتز:

قلبي وثاب الى ذا وذا ليس يرى شيئا فياباه
يهيم بالحسن كما ينبغي ويرحم القبح فيهواه

ثم لما حلت بفاس اتى الوادي فطم على القرى (2)؛ فبدلت اخلاقا
غير التي عهدت من نفسي قبل! وانا في مراکش واحواز مراکش، فقد تلقحت

(1) لا يدرك المرء في اوطانه شرفا حتى يكيل تراب الارض بالقدم

(2) مثل عربي، القرى كغنى: مسيل الماء من الوادي؛ وطم الماء على الشيء:

اذا تعمده.

في جو فاس بما لو لم اللعج به لما كانت لي فكرة، ولا تحركت بي هممة!
ولا نزعنت بي نفس عزوف تقول بملء فيها:

لي هممة عالية فلة طموحها ليس له منتهى
لو ملكت كل الثرى لاعتلت الى امتلاك سدره المنتهى

تكونت لي في فاس فكرة دينية فرقت بها ما بين الخرافات الموهمة،
وبين الروحانيات الربانية! كما نبئت متى غيرة وطنية نسيت بها نفسي
ومصالحى الشخصية! فاعدت نفسي فداء لدينى ولوطنى ولامتى التي هي
امة العرب والاسلام جمعاء وانا بين هاتين: الفكرة والفيرة اسبح في آداب
حية طلع بها هذا العصر الجديد! فصرت اقرا من نثر المنفلوطي وفريد وجدي
ومحمد عبده واضرابهم، ومن شعر شوقي وحافظ ومطران وامثالهم ما عرفت
به ان الذي كنت اسبح فيه منذ صغرى ليس الا ضحاحا كدرا! لا يبرد جسدا!
ولا يفتأ غلة! ولا يقضى على لهفة.

ثم لما ابنت من فاس. وقد الممت بالرباط. حيث احتقيت ايضا علوما
وفهوما وانظارا وبحوثا! لم اقع عليها الا في الرباط وفي مشايخ الرباط.
حللت بالحمراء وقد اقيت فيها مراساتي، وانسوى ان اقضى الواجب على
لدينى ولوطنى ولشعبي! ما بين تلميذ يهذب! وبين درس ارشاد يلقي! وانا
في جانب ذلك اناغى اليراع فيما عسى ان يرفع من شأن هذه الامة! من احياء
ما اندثر من آثار ماضيها، ومن المحافظة على العربية الفصحى التي اراها
اذ ذاك في انهيار! ففي هذه الميادين الثلاثة قضيت ازمانا! تكشف عن اعمال
كان فضل الله على فيها عظيما! ومن بينها اشتغالي بجمع مؤلف حول (العصر
الذهبي لمراكش) يوم كانت عاصمة المرابطين والموحدين، اعدت له من المراجع
ما لو تم بها لكان - فيما كنت أقدر - صنو (عصر المأمون) حجما واسلوبا
وافادة وروعة، لاننى وجدت من ذلك مكان القول ذا سعة! ولكن جاء النفي
بقلة! فذهبت تلك المراجع مع ما كتب من الاصل الى سلة المهملات.

ها انا ذا الآن انفى الى الخ! الى مسقط راسي! حيث امنع من ان اتصل
بالناس! فوجدتني فجأة امام بيثة كنت نسيته، فخطبت من هناك بهاء
القصيدة التي الممت فيها ببعض لعب الولدان الالفين! وبذكريات اول
شبابي! اتمطق بها الآن بكل حلاوة!

اليكم - بنى امى - ائيب ركائبى فياليت شعري هل انا خير آلب (1)
فقد غبت احقابا طويلا وذا انا اعود كان لم اغد - قط - بنقاب

(1) الهمم! تقصيرا الهمز الثانية بالهاء تسهيفا على ما عرف من القاعدة
اذا اجتمعت همزتان.

صدقت الى ان كان ميل اليك
كان لم يكن الغ بلادى التي بها
كان لم يكن اصل ومنبت نبتى
كان لم تكن لى ارضها خير مرتقى
وروض وصال قد تمتعت برهة
اذ الدهر بشر والحياة مسرة
ويوم الصبا يوم ضحك كانما
نهاري حبور ثم ان زرت مضجعى
فليل هنا والنهار سعادة
تناغى الآمال من كل وجهة ،
فامى واختى لا تريدان غير ما
اشير فيوتى لى بكل الذى اشأ
فاحسبى بالامر والنهى اننى ؛
نظارحتى نفسى الهنى فأظلم فى
فلم ادر الا ان انال المراد كى
فاسدر فى ميدان لهوى وانسى
اجول كما اشهى واجرى كما اشأ
الاعب اترابى فنغدو الى المسا
نظل على فر وكر كانما ؛
عل قصبات شقت جنباتها
نجيل اذا جلنا بها فى اكفنا
فنصمد والنقع المثار مطنب
فنجرى ولا تدرى المجل بيننا ؛
نحاول تنظيمنا وسرعان ما ترى ان
والفضل يوم عندنا يوم نفتدى ،

ورجعى هذا اليوم احدى العجائب (1)
سموت به فوق الذرى والمناكب
ومجمع اخوانى ومغنى اصاحبى
سربت صغيرا بين شتى المسارب
بأزهاره بين اللمى والنوائب
وروض الامانى مستهل المعاسب
تغازل صبا سافرات الكواكب
فاطيب بحلم مستلذ المشارب
وعيشى طليق الوجه عذب المشارب
مناغاة ام الطفل مهما تلاعب
أريد جناه من جميع المراغب
وان كان مجناه مناط الكواكب
امير على اهلى وكل صواحبى
خمانها اجنى ثمار رغائبى
اساجل اقرانى بكل الملاعب ؛
اخال - ذكاء قد علت كل ثاقب (2)
واسحب ذيل سحب سكران شارب
وما ان درينا كيف مس المتاعب
تلاطم ميدان الوغى بالكتائب
ولكنها من تحتنا كالشواذب (3)
عصيا نرى منهن امضى القواضب
كما اعترضت فى الجوسود السحاب (4)
واى نظام بين خيل الملاعب ؟
ستارا كوهى العقد فوق الترائب
حفاة بجرى المذكيات السراحب (5)

- (1) صدق عن الشيء: مال عنه .
- (2) السادر: الذى لا يهتم ولا يباى بما صنع؛ والفعل سدر كفرح، وذكاء بضم الدال ممنوع من الصرف ولكنه مصروف هنا ضرورة: الشمس
- (3) الفرس الشارب: الضامر. والصبيان يشقون من أخريات قصباتهم التى يركبون عليها لتثير الغبار كالخيل عند اجرائها .
- (4) طنب بالمكان: اقام فيه .
- (5) المذاكى من الخيل: التى اتى عليها بعد قروحها سنة او سنتان؛ وفرس سرحوب: طويلة.

وقد انصرفت ربح التظام بيننا
وصرح بين القرينين لشارب
وفرغ فى الميدان «الد» وصوت
وقد جالت الاحجار فوق كانها
وقد زجلت اصدا سرعتها كما
وقد علت الاصوات منا ومنهم
وقد حمل الاذمار حملتهم وقد
ونابت ايادينا عن «الد» واختها
يلز قرين قرنه حين يتسدى
يغالب كل قرنه فمجنل
اذا بعضنا صرعى . وبعض ازاءهم
فيجتمهم الخصمان حيناً فينتحى
فياتمر الجمعان ان يجعلوا الذى
فتراب بالصلح القلوب اذا بهم؛
كان لم تلتطخ بالدماء رؤوسهم
كان لم يدقوا بينهم عطر منشم

واقبلت الصبيان من كل جانب
فدارت رضى الهيجاء بين المقائب (1)
«تربا» وخاض الحرب كل محارب (2)
عصائب طير صدمات عصائب
تصل قفا عطشى سرت للمشارب (3)
فكل يعانى ان يرى جسد غالب
تلاحم صفانا بشوس محارب (4)
وضقنا عن اعمال القنا والقواضب
تماسكنا فوق القرى والجوانب (5)
على الارض او جلد امام المغالب
وقوف. وبعض ماسكو بالتلابب (6)
ذوؤ الراى منا نحو صلح مقارب
مضى مثل امس غابر العهد ذاهب؛
عناق كان لم يلتقوا فى المعاطب ؛
فسالت على اعناقهم والمناكب
باحجار «الد» الجائيات اللواهب (7)

- (1) القرينان: قرية آل سليمان. وقرية الزاوية العليا. والمقنب بكسر الميم من الجيش. قطعة من الفرسان الى ثلاثمائة .
- (2) الد بكسر الهمزة وسكون اللام وكسر الدال؛ وتربا - بكسر التاء والزاي؛ ثم باء مفتوحة مشدودة: نوعان من المقاليع يصنعان من الحلقاء وترمى بهما الاحجار، وبهما يقع التضارب بين الصبيان .
- (3) الزجل. محرك من زجل كفرح: الصوت. قال الشاعر يصف قطعة غادرت ولدها وقد استولى عليها الظما. فكان لها صليل أى صوت.
- (4) غدت من عليه بعد ما تم ظمئها . تصل وعن قيض بزياء مجهل
- (5) الذمر بالكسر: الشجاع؛ والاشوس: الناظر بمؤخر العين تكبرا او غضبا؛ والمحارب جمع محارب؛ المبالغة فى الذى يحارب؛ واسقاط الياء فى مثل المحارب قياسى؛ فتقول: المحارب .
- (6) القرى بالفتح: الظهر. ولزه: ربطه بشيء آخر قال:
وابن الميون اذا ما لز فى قرن . لم يستطع صولة البزل القناعيس
- (7) اصله التلابيب. ولبيه: اخذه بشيابه من فوق صدره.
- (7) عطر منشم: يفسر بالعطر الذى يجعل فى الاكفان: كانت امرأة عربية تسمى منشم تبيعه؛ وهو تعبير جاهل. ومن معلقة زهير :
تداركثما عيسا وذبيان بعد ما . تفانوا ودقوا بينهم عطر منشم

لروح جميعا بالوثام الادبنا ،
الى لعبة اخرى فنتفتح بابها
فحينما الى (الاسداء) نمضي وتارة
وطورا الى (شلوكة) افضل لعبة
واونة نغدو الى الاختبا فان

وان لم تكن في اهلنا بالاقارب
جديدا بشوق الصب نحو الحبايب
لنحو «ضما» نشنى زمام الركائب (1)
لنا حيث يدعى القرص كفا للاعب (2)
نفش نفزع في المخايب بغائب (3)

* * *

كذلك نمضي يومنا مرحا فلا
فلا نتقى بردا ولا نتقى حفا
ولا نتقى الاكمام والحجر لا و - لا
نجد بقمص كالزهود وننتشى
فان غمغم الاهلون فالامهات في ؛
يمطن الاذى بالبشر ثم يسئل من
ونصبح ايضا عود بدء وهكذا

نصيغ لجوع لافح النار ناصب
ولا نتقى ليلا بطي الكواكب (4)
(اقلمون) في جمع الثرى للاعب (5)
بدكن كاسمال الشكالى السلائب (6)
مناغانتنا او ضمنا للترائب ؛
نصار اليرنا بين سود الدوائب (7)
قضيئنا عويمات بغير مراقب ،

(1) استندى الصبيان واسدوا: اذا كانوا يلعبون بالجوز: ونحن جعلناه
المعب بالحصي: وهي المسماة: (اكثرون) وضما معلوم: صنعوا الشطرنج.
(2) شلوكة بفتح الشين وضم اللام المشددة: لعبة بالحصا يقرص على
ظهر كف من غلب فيها .

(3) والمقصود بلعبة الاختباء ما يسمى بالشلحة (توتكلا) بسكون التاء
وفتح الواو المشددة وسكون التاء الاخرى وسكون الكاف المعقودة وفتح
اللام المشددة. ومعناه طابت العصيدة: وهي لعبة يختبئ فيها الصبيان؛
فيفتش عنهم أحدهم؛ وقد يباغته احدا المختبئين فيفرعه؛ وهو الضاغب، ولهذه
اللفظة الغربية تسمى هذه القصيدة عند بعض الادباء بالضاغبية. ولعل
لعبة (الغميضا) تشبه لعبة الاختباء. وسيرى القارىء وصف هذه اللعبة فيما
يأتى .

(4) ينظر فيه الى قول الشاعر:

كلينى لهم يا أميمة ناصب وليل أقاسيه بطي الكواكب

(5) اقلمون بفتح الهمزة والقاف وسكون اللام هو ما يسمى بالقب
للحبة والبرنوس: ما يجعل فوق الرأس منهما .

(6) السلائب والشكالى بمعنى واحد. والدكنة معروفة في الالوان. والاسمال
الشياب الخلقة .

(7) اليرنا: الحناء. ودهن الراس بالحناء الملتوت للصبية عادة الغية.
وهو احمر اللون كالنصار: الذهب .

وليس لدينا من اخافهم سوى ا
اذا ماسمنا الهمس من صوبهم فلا
مساورة من مشبل وسط خيسه
ميسوس المحيا قمبرير كائما
فلم يدر الا البطح فالهشم ان تعل
او اللكم والركل المفض اذا ونت
لسر الرشاكى نستدر ليونة
فلولاه كان العصر عصر الصبا لنا
ولكنه ادى الشفاف صلابه ؛
فتبصرنا تحت الدقون كانما
فرضنا على رغم الانوف ومن يجعل
فمر بنا عام فعام فبدلت
فطاف بنا عقل جديد فحلقت
بدت من سماوات المعارف برقة
راينا المعالي كلها في مرادها ؛
فهادرت الفا والشبيبة غضة ،
اربع العلا بالنص فى كل فدقد
اعرض حر الوجه نحو سمومه ؛
فجبت الجبال الشامخات؛ وخضخت
فغيمت بالحمراء حينما وسابقت
وطورا ارانى فى الرباط وقد طمت
فافرغت فى هاتى وتلك وتلكم

ليوث اطلبوا من صدور الكتاب
تسل عن قلوب فى الصاوغ ذوائب
اخف علينا من ملاقة طالب (1)
تجهمت السعلاة فى وجه هارب
عصاه بنا كالنمر بين الثعالب ؛
يداه بعيل من حبال ازغاب (2)
لو ان الصغور الصم درت لحالب
الذ زمان لم يمس بشائب
مؤيدة بالقرص من كل جانب
يحاول ضار خنقنا بالمخالب
بقواته سوى جميع المصاعب (3)
ضرائب منا سدج بضرائب (4)
امانى اخرى لاغتنام مارب
اثرنا لها - نرتاد قود النجائب
فطرنا اليها بالنفوس الرواغب
ووجهى وغصنى مثل ابيض قاضب
تفل به الخريت شتى المشاعب (5)
فيكسوه من اثواب سود غرابب (6)
سراب البطاح الفيح هوج ركاليب
من ابناء فاس آونات سلاهي (7)
على غيوث الهامعات السواكب
جهود مجد فى التفوق راعب ؛

(1) اسم الطالب يطلق فى الخ على استاذ التعليم فى المسجد. والمساورة:
المواظبة. والاسد المشبل: الذى له اشبال والخيس بالكسر: عرين الاسد.
(2) العيل: الغليظ. وحبل ازغاب: اختلط بياضه بسواده. وكثيرا ما
يهرم حبل الطالب القاسى من حلفاء ومن شعر ليكون أمتن .

(3) ريش الفرس: اذا وطىء للركوب. ورضنا بكسر الراء.

(4) الضرائب: الاخلاق.

(5) المشاعب: المذاهب. والدليل الخريت: العارف بالطرق. والنص: نوع
من السير السريع. واراغ الشيء: طلبه .

(6) غرابب: اسد غرابيب: ومن القرآن غرابيب سود؛ والكلمة للانباغ.

(7) الافراسي السلاهي: العلويات .

ويشغل الوحيد الدرس في كل محل
فاجتم فوق الركبتين كأنني
أقيد عن ذاك الشوارد تارة
فيوردني الأشياخ بحرا غططما
ويجلسون ابصارى بفكر كأنه
فأبصرت نورا مشرقا متلثا
فأبت بحمد الله في حالة - اذا؛
عرفت قبيل من دبيري بها ومن
وصومت ان اقضى الحياة جميعها
لعلني ان المرء حيث توقفت ؛
وان نفيس العمر خير ذخيرة ،
فملت الى درس المعارف معرضا
فالمرء همى كله حول نشرها
بمراكش الحمراء حيث الغريب لا-
كان كان عن جداته وصحابه ؛
ينال من التبجيل ذكرا كأنه
ويصفون الثواب التجلات فوقه
ويولر بالشئ النفيس لديهم
فمن ثره منهم تر البشر نيرا
كان قطوب الوجه لا يعرفونه

دور بدر خالص المواظب ،
ربيثة قوم جائم في المراقب (1)
والقى لذا طورا ببحث مجاذب ؛
اغوص به حتى تقشى ذوائبي
صباح تجل من سجوف الغياهب (2)
تنظم منه جزءها يد ثاقب (3)
تنقصتها أثنت عليها حقائبي (4)
درى حالتيه لا يحرق في المذاهب
وانى بعيد عن دنايا المشاغب (5)
به النفس في آرائه والمذاهب
تصان عن اطماع الحياة النواهب؛
عن العرض الفاني المر العواقب (6)
أصيره غايات كل مطالبى
يحس بان قد حل بين الاجانب
واثرابه في مهده غير عازب ؛
زهور نمت بين الصبا والمذانب (7)
الى أن ترى رجلاه فوق المناكب
ويشكر أن يقبله من يد واهب
عليه. كأنوار النجوم الثواقب
فلست ترى من بينهم اى قاطب

اذا أوقدوا نارا وشبوا وقودها
يجاولنى في حطرى. ثم ان الغب؛
امن بعد ذا يا اهل (الخ) الامان؛
فها انذا في اليوم غادرت قطرهم
فهل اجد المألوف منهم لديكم،
لانى انخت العيش يومى بالفكم
وقد انكرت عيناى منه وانكرت؛
فقد غيرت منى ومن جنباته
فقد عهدت منى رباه غليما ؛
فعاد اليها اليوم كهل تعرفت ؛
كان خطاه في المسير خطا الذى
ربوض بمشواه فليس بناهض
كان عاد فى الرهبان يقفو قفاهم
كذلك انا انكرت (الخ) وارضها
نكبتها حتى تنكر جوها
ارى جوها فى بهرة الصحو باهتا
اذلكم (بردى) الذى كان حقة
وهذا (أمقسو) شامغا فكانه

فما هي للعاشى سوى نار غالب (1)
فليس الثناء الرطب عنى بغائب
نسيت بهم اهل وكل أقاربى ؟
ودارت بينى دائرات الدواب
فاحببني لم اغد عنهم بعازب ؟
والقى انا ايضا زمسان الملاعب
رباه سبالي واستطالة شاربى ؛
نوايب تترى تاليات نوايب ؛
نشيطة سريع الخطو امح لالعاب
جوانبه مستابسات المصائب
تمشى بكبل فى شفير السرايب (2)
لغير ديون تقتضى فى المحارب (3)
ايبعد عن كل الورى غير راهب ؟
وحال رباهما والبطاح الاجاب
على واعلام الصوى والمذاهب (4)
كان جملته قاتمات الغياهب (5)
اذا احتفل النوار مغنى الكواعب (6)
مدارج منها يرتقى للمسحائب (7)

(1) المراقبة المحل الذى يراقب منه العدو ومثله. والربيثة: الطليعة للجيش
أو للفرقة .

(2) السجف: الستار .

(3) تلميح لقول ابن الطمحان :

احصاء لهم احسابهم ووجوههم

(4) تلميح لقول الشاعر :

يسرون بالدهنا خفا عيابهم

(5) يعنى بالمشاغب: مشاغب التجارة كما يرى عند بعض السوسيين.

(6) انما عبر هذا البيت عن أن كثيرين من السوسيين انما يتغربون اليوم

فى العرض الفانى لا فى المعارف. وامر الشئ ومر. اذا كان مرا غير حلو

(7) المذانب: الجداول .

(1) فيه تلميح لقول الفرزدق فى جده غالب من قطعة:

اذا آنسوا نارا يقولون ليثها وقد خصرت ايديهم نار غالب

(2) هذا يشبه قول مسلم بن الوليد:

اذا ما علت منا ذؤابة شارب تمشتت به مشى المقيد فى الوحل

(3) يعنى الصلوات .

(4) الصورة: ما يجعل من الاحجار فى الفيافى لتعلم به الطرق؛ وفى

الحديث: ان للاسلام صوا ومنارا كمنار الطريق .

(5) ضوء باهت: ضعيف. والكلمة ينتقدها الالغيون؛ فانهم لم يجدوا

لها هذا المعنى فى القاموس .

(6) بردى بفتح فسكون فداى بعدها الف مقصورة: الناحية الشمالية

من بسيط الخ .

(7) أمقسو بفتح الهمزة والميم وسكو زالقاف وضم السين: اعلى جبل

من جبال الخ الشمال الشرقى .

وهذه (تكنزا) فوقها الحصن مشرفا
فأين (قهي) والعنصر العذب ارشدوا
لا تقع من تلك المشارب غلتسي
معالم كانت في زمان طفولتي؛
وعهدى بها مسكية الترب. والصبا
إذا وجهها في اليوم أجرد كالح
فلكه السخ يوم ذاك فأنها ،
أجر بها شرح الشباب واننى
وأما أنا في اليوم فالطرف شاهد
فمن كان في سنى يرى مثل ماأرى
وشاهد ما شاهدت من رد رؤوس
فأجدر به ألا يهز فؤاده
فما أبعد الكهل الكئيب عن الهوى
ففى همه المشبوب أشغل شاغل
إذا نهر الهم الفؤاد فهل ترى
أشغل إلا بى لا أبالك فى الهوى
فلا كان حمر تطبيه سوائف ،
وا ولم يحل دون القريض الجريض ما

كندوة فجعل اشرفت فوق غارب (1)
أحكم وقودوه لتلك المتاعب (2)
فعهدى بها من قبل أحلى مشارب
مسارح ابصارى ومجلى ملاعبى ؛
شذا. ونثر الدر بين المحاصب (3)
تصرصر فيها معصرات الجنائب؛
حداثق رقت بالحقول المعاشب
خلى رضى البسال بين اصحابى
بحاضر حالى مستشف فائسى
وطاف به ما طاف بى من غرائب
مكلمة بالمجد تحت العراقب
جاذر ان عنت بزى الاعارب (4)
وعن ذكريات قبل عنه ذواهب
له عن مناغة الدمى فى المشارب
له لفقة للرائعات الرعائب؟ (5)
وقد سيم ما قد سيم من كل جانب؟
وان لسعت اصداغها بالعقارب (6)
كفت يراعى عن قواف صواخب

بنى الخ هذا صنوكم وعشيركم؛
فقد جاءكم من بعد عشرين حجة؛
فان تنكروا منه وينكر لديكم
فعما قليل يقرن الدهر بيننا
عليكم جميعا من اخ حل بينكم

يؤوب. أيفدو بينكم خير آتب
غريب المبادى والحجا والجلابب
خلائق فالأغضاء أوجب واجب
فليس لزوم الطبع ضربة لازب
حلول السها بين النجوم الثواقب

(1) وتكنزا من جهتها جبل فوقه حصن جنوبى الخ وهى بفتح التاء والكاف
وسكون النون وفتح الزاى
(2) قهي بكسرتين والعنصر بفتح العين والصاد: بيران امام دارنا.
ومشعب الماء: مجراه.

(3) فيه تلميح لما قاله الشاعر سيمى الطاهر الافرانى فى ارض الخ
أرض تراها عبير. وانسيم شذا والماء راح. وكالياقوت حصباء
(4) تلميح لقول المتنبي:

من الجاذر فى زى الاعارب حمر الحلى والمطايا والجلابيب
(5) جارية رعبوب: بيضاء حسنة رطبة حلوة
(6) اطلباء: استماله؛ اطلبى يطفى؛ افعل يفتعل.

سلام كما طابت شمائل منكم وفاحت لديكم طيبات المنال،
بمكم يا آل الخ فالتسم جميعا اودائى وغر اقاربى ؛

خاطبت الالفين بهذا النوع من الشعر العربى القح. لانهم لغويون
الحاج يستحضرون كل ما ربما يعده غيرهم غريبا يحتاج الى مراجعة
القواميس قبل فهمه؛ وكان مقصودى فتح الباب بينى وبينهم؛ وإزالة كل
الحجب التى تكاثفت فى العشرين سنة التى فارقتهم فيها من عام: 1336 هـ.
الى عام: 1356. ثم سرعان ما ما زجت القوم؛ فانتالوا على بقائدهم؛ فاجبت
كل واحد قافية بقافية حتى تكون من ذلك ومن تسجيل احاديث وذكريات
كتاب يطول الى ان كان فى ثلاثة اجزاء، وهو كتاب (الالفيات)؛ فلما شاهدت
ما شاهدت خطر فى نفسى ان اكتب حول تاريخ الخ؛ لاسجل ما يمكن من
اثاره الادبية؛ واخلد ما يسبح من حياة عظمائه الذين اسسوا لمجده؛ وغرسوا
فيه باعمالهم ما غرسوا؛ وقد كنت اخذت عن اخى البهانة الاديب سيمى
الحسن بن احمد البونعمانى نبذة من تاريخ جزولة، اثر جولة جالها هناك
حوالى عام: 1351 هـ. فثارت منى نكرة جزولية؛ ينبت مثلها من كل بشر
نحو مسقط راسه؛ ولذلك لما وجدت الآن الفراغ فى هذا المنفى؛ ووجدت
بعض المواد؛ اقبلت على جمع كل ما اتصل به من وفيات علماء، وقوافى
ادباء؛ ورسائل المخاطبات؛ فلما رايت ذلك متشعب الطرق؛ غي متساو فى
الكفات، صرت أميز بعضه من بعض. فجعلت للادباء السوسيين كتابا خاصا.
وهو (الترعات) وللرؤساء السوسيين آخر وهو (رؤساء سوس فى العهود
الاخيرة) وللعلماء السوسيين ديوانا آخر؛ وهو (سوس العائلة) الذى من
تمامه كتاب (رجال العلم العربى فى سوس)؛ وفى أثناء ذلك اجدنى مقصرا
فى كل ما اكتب لنوع شتى؛ فقلت فى بنات صدرى: «لما ذا لا اخص اهل
هذه القرية الادباء وهذا البسيط الذى يضمها بين قراء الاخرى بكتاب
خاص؛ يسهب فى كل ما أعرفه عن (الخ) وذلك بايعاء بعض اهلينا؛ فلم
تكد هذه الفكرة تخطر لى حتى نفذتها، فاكتب عن شيوخ هناك مسنين كل
ما يصلح ان يدخل فى كتاب؛ فاجمع التراجم؛ وأقيد الاوابد؛ وانظم احاديث
مجالس الخ الادبية؛ والوقائع وحوادث حياتهم، فاستطعت - بفضل الله -
ان أقر عين الاخ البونعمانى الذى هو ابو كل أفكارى فى هذا الموضوع؛ وقد
رايت استيفاء لكل ما اتصل به من آثار القية او سوسية ان اسمى الكتاب:

« المعسول »

«فى الالفين واساتذتهم وتلامذتهم واصدقائهم السوسيين»

فاشترطت ان اسمع فى ترجمة كل استاذ او تلميذ، حتى لاذكر كل علماء

اسرته، وكل من اخذوا عنه، ولا قصد - يعلم الله - الا ان افتح الباب
لذكر كل من اعرف عنه شيئا من الاسر التي تمت الى الغ بالاستاذية؛
او بالتلميذية او بالصدافة؛ لان الكتاب مائدة أدبية تاريخية؛ لا يوصد
دونها باب؛ ولا يكون دونها حجاب.

فهالك ايها القارىء تاريخ قرية متواضعة خدمت العلم والدين والارشاد؛
لعلك تقمه الى التواريخ التي كتبت في هذا العهد: عن (الصويرة) بقلمى
اخينا سيدى محمد المراكشى والسيد الركاكى الرباطى، وعن (مراكش) بيد
شيخنا القاضى سيدى عباس وعن قبيلة (زيان) وما اليها بقلم الاديب الكبير
سيدى احمد الزيانى القاضى. وعن (درعة) بقلم ابن الحبيب الدرعى. وعن
(دمنا) ببراغى القائد السيد عمر بن المدنى الاكلاوى؛ والفقيه المرحوم مولاي
عل الدمناني. وعن (آسفى) بجهود البعثة المغفور له الكانونى. وعن قبيلة
(عبدة) بقلم الفقيه السيد الصبيحى السلاوى. وعن (الرباط) و(سلا) باقلام
الرحومين محمد بن على دنية؛ وبوجندار؛ ومحمد بن على السلاوى. وعن
(مكناش) بيد شيخنا ياقوتة الشرفاء مولاي عبد الرحمن بن زيدان. وعن
(فاس) بهمة شيخنا محمد بن جعفر؛ وعن (تطوان) براحة اخينا الاديب
محمد داود الذى بد كل هؤلاء بكتابه الذى لا نظير له، استيفاء وتهذيبا
وارتيا. وعن (طنجة) بقلم السيد محمد سكيرج.

عل ان كتاب (الغ) المتواضع الذى لا يقترب الا من وشل؛ وليس موضوعه
الا بادية قاحلة؛ وادباء بدويين؛ واخبارا شخصية اقليمية؛ ليستحيى ان
يغلف ازاء هذه المؤلفات العظمى؛ استحياء قزم وقف ازاء عماليق من ابنا
بنى عبد المدان (1)؛ ولكنه حين افاد عن تلك الجهة ما لا يفيسده غيره؛
فبحسبه ذلك قيمة بين اخوانه من هذه المؤلفات.

قيل لابن الرومى: لم لا تشبه كتشبيهاات ابن المعتز؛ وانت اشعر منه؛
فقال: انشدوني مما استعجزتموني عن مثله؛ فانشدوا له فى وصف الهلال
قوله:

انظر اليه كزورق من فضة قد اثقلته حمولة من عنبر
وقوله فى وصف زهرة آذريون:

كان آذريونها والشمس فيه كالية
مداهن من ذهب فيها بقايا غالية

(1) قال حسان:

وقد كنا نقول اذا راينا لدى جسم يروق وذى بيان
لأنك ايها المعطى بياننا وحسنا من بنى عبد المدان

فصاحوا وهولاء بالله لا يكلف الله نفسا الا وسعها؛ انما وصف ما عاون
بهمته وما ذا اصف الله؛ ولكن الظروا اذا وصلت ما اعرف اين يقع قولى
من الناس؛ فانشد:

ما انس لا انس خبازا مررت به يدحو الرفاقة وشك الملح بالبصر
ما بين رؤيتها فى كفه كرة وبين رؤيتها قورا كالقمر
الا بمقدار ما تنادح دائرة فى صفحة الماء يلقي فيه بالحجر

وبعد: فهذا جنائى فى هذا المنفى اقدمه للمقارىء لقمة سائغة؛ واعتذر
له ان وجد بين أثناء الكتاب عدم الوحدة فى التعبير؛ لان الكتاب كان يجمع
من الزمان شتى. فيستلحق فيه كل طرف او ترجمة او تنمة ترجمة كيفما
يسير؛ فحينما بلغة ساذجة تسحب ذيول الفهاهة؛ وحينما يحاول ان تكسى
المعبرة ملاءة مذهبة يرضى عنها الذوق؛ وحينما تغلب فيه فكرة الادباء؛
وحينما فكرة الصوفية الاصفياء؛ وحينما اكون من هؤلاء العصريين الذين
لا تدور اعينهم الا فى مجالات المعتادة؛ وحينما يجد هؤلاء ما يعدوننى به من
المخرفين البله؛ وانا بين كل هذا لا تعمل؛ ولا اتكلف توحيد التعبير؛ لاننى
هكذا خلقت؛ نشأت فى زاوية؛ ودرجت بين الطلبة؛ ثم عاشرت حينما ابنا
العصر، فلا بد ان اناثر بكل ناحية اتصل بها؛ ثم تكونت منى مجموعة تضم
كل ما اقتبسته من هذه البيئات.

فالله اسأل؛ ان يوفقنى للعمل الصالح؛ وان يختار لى كل ما فيه
رضاء؛ فقد قادتنى الاقدار للكتابة حول هذه القرية؛ بعد ما كنت عزمتم
على ان اكتب حول (مراكش فى عصرها الذهبى) (فالله يعلم وانتم
لا تعلمون) ولو خيرت لاخترت.

وصف (إلغ) الجغرافى

بسيط إلغ البعيد عن تزئيت شرقا بـ 84 كلم. يكاد يكون مستديرا؛
يحيط به الجبال من جميع جهاته الاربع؛ فمن الشمال يمتد الى الشمال
الشرقى بجبل أمقسو العالى القمة؛ وهو آخر ما يرى قرص الشمس عند
وجوبها؛ ثم يمتد الجبل من شعب اكنى اديان، فجبل توكال. فالجبل
العظيم الممتد فى كل الشمال الى (آيت وفسا) وهو جبل (الايفشانين)
الذى فى سفحه (ايجنى لتاكزين) - شعب العصر - ثم يحوط البسيط
غربا جبل له قمة مسنونة عليه مشهد صالح يسمى ابا بكر. من بعد ان

أمر بصرك بمكان المدرسة الواقعة. فمستوى يوم الخميس إذا (صخرة
لعزى) ثم يسير الجبل جنوبا إلى ثنية (تيزكى نحموعيس) حيث يطلق
الألفيون إلى مجاط؛ وراء قرية (تافكاغت) إلى الشعب الذي يطلق فيه من
يذهب إلى (أكادير إيزرى) ثم يحيط البسيط من جنوبه جبل آخر غير
عال إلا في ناحية (تاكازا). حيث بنى الحصن القديم؛ وهو الذي تسمى
به القرية تحته (دوكادير) - تحت الحصن - ثم إلى محل الخلوة؛ ثم يمر
الجبل بثنية (أكنى واليان)؛ ثم إلى (أكنى أدقى) إلى أن يتصل البصر بجهة
قرية (أكجكال) إلى (تافيلتاست)؛ ثم من سمت هذه القرية يبتدىء جبل
آخر غير عال. فيمر بمعدن النحاس؛ ثم بـ (أكادير وايو)، ثم يستمر إلى
جوار قرية (إيزربى). حيث مدفن الشيخ سيدى عيسى بن صالح.

هذه حدود بسيط الخ من جهاته الأربع. وأما حالة هذا البسيط
فإنه أجرد بقلع مسطح. لا تكاد العين تجد فيه إلا كدى صغيرة، وأعلاها
كدية أسياك؛ ولم يكن في أوساط البسيط الآن ماء لا من عيون ولا من
آبار إلا ما كان من بعض قرى في أطرافه؛ فهناك عين جارية في قبل قرية
(ناحواوت) تسمى العناصر؛ وقد تجرى المياه في بعض الأعوام الممطرة من
آبار؛ فتسيل في الجداول، لكنها سرعان ما تفيض متى قلت الأمطار. وفي
قرية (أغرابو) بآيت وافقا وفي أكلى وفي قرية (دوكادير) آبار على هذه
الويرة؛ منها بئر أمغار. والكثير هو الآبار المنتشرة في جوانب البسيط
حيث تتكون حولها القرى؛ فتستغل الآبار استغلالا عاديا في سقى الحقول
وفي بعض أشجار قليلة من اللوز والزيت والتين، وقلما ترى العين غير
هذه الأشجار على قلتها، وإن كانت الأرض تصلح للزيتين صلاحية ممتازة
كما يقول أرباب الفن؛ ويوجد بعض كروم وليمون ورماني وخوخ ومشمش؛
ولكنها قليلة جدا؛ بل لا توجد إلا في بعض بساتين خاصة؛ وأما البقول
والخضر التي يعتنى بها، فاللفت والجزر والبصل والفول والبادنجان
والفلل الحار؛ والقرع بأنواعه. فهذه هي التي تزرع بها الحقول حول
الآبار؛ ثم يبيسون ما يفضل عن معيشتهم من اللفت والجزر والفول؛ كما
يخزنون البصل والقرع؛ هذا ما يفلحونه ويسقونه.

وأما ما يحرقون في البور فالشعير وحده، لأن منه معيشتهم؛ وقلما
يحرق بعض أغنيائهم من أصع من القمح أو من العدس أو من الحمص؛
ويكاد بسيط الخ الغربى والجنوبى يحرق كله؛ ولا يفلت منه إلا القليل الذي
لا يصلح للحرق؛ إن كان محجرا غير منقى؛ ولا تكاد تجد منه وقت الكلا
مرعى واسع، ولذلك ينتجع الألفيون بمواشيهم منتجات (أسافن)؛ وهو
خلا، يباب متسع الفيح في الجنوب من بسيط الخ؛ إذا خصب يكون كثرا

للمواشى الألفية؛ إلا أن (بروى) في شمال الخ الذي لا يحرق كثيرا يكون
من المراعى للقريين منه؛ ولكنه لا يكون كاسافن.

وأرض الخ لا تخصب كثيرا؛ حتى أنها قلما تفي صاع محروثة في
الأخصاب إلا بنحو عشر إلى اثنتى عشرة، ولهذا يتعذر الاتساع في المعيشة
بالخ؛ إلا لمن له مستمد من خارج الخ، ويروى عن بعض حكمائهم: إن كل
بلدة تسعى على أهلها، إلا الخ فإن أهلها هم الذين يسمعون عليها. وعن
آخر: إن الخ لا يطبق أن يمد الساكن فيه إلا بوجبة الغداء فقط؛ هذا إن دام
فيه الخصب - وقلما يدوم - وأما الهجورى (1) فمن تامانارت؛ يعنى بالتمر.
وأما العشاء فمن ماسة؛ يعنى بذرة ماسة التي تجعل منها العصيدة؛ كما
هى العادة الألفية غالبا من أن العشاء يكون بالعصيدة، ولكون الجذب والافلال
هو الغالب على من فى الخ؛ ترى أهل الخ يجدون ويجهلون فى كسب
المعيشة؛ ويقتصدون غاية الاقتصاد؛ ثم لا ترى واحدا منهم خاليا من أى
شغل من أشغاله؛ حتى إذا جلس إليك، أو كان أمام المسجد ينتظر إقامة
الصلاة بعد أن يتوضأ. يشتغل بإبرام جبل؛ أو إصلاح دلو أو وطبة؛
أو بخرز نعله؛ أو بخياطة ثوبه أو رفوه أو ترقيعه؛ وهكذا أدركناهم،
ولا أزال استحضر أحد المسنين من أعمامنا يقول: إننا أهل الخ قسمنا
أيام السنة على أشغالنا؛ ففضل لنا يوم واحد فجعلناه للآتيان بالدباغ من
جبل (أمقسو). ورحم الله العلامة محمد بن العربى الإدوزى الذى قال:
لا يقدر على الجمع بين الدين والدنيا إلا أهل الخ؛ لما آتسه منهم من الأكباب
والاشتغال الدائم، مع اهتمامهم بالدين.

ثم إن لالخ ذكرا من قديم؛ فقد قرأت فى كتاب يسمى ديوان مولاي
أحمد الذهبى (2) جمع فى مختتم القرن العاشر؛ إن الذهبى نزل فى الخ
وهناك قام بضيافته الحربيليون والأغشانيون والوافقاويون؛ ولعل محلا
يوجد الآن فى وسط هذا البسيط يضاف إلى السلطان - أغرم أكليد -
كان منزل الذهبى إذ ذاك؛ ثم علمت أيضا أن الملك مولاي الرشيد مر بالخ
فى سنة 1081 هـ. بعد تخريبه لايلىخ؛ كما علمت أيضا أن جيشا اسماعيليا
يقوده القائد الكبير عبد الكريم من القواد الاسماعيليين نزل فى الخ أيضا عام
1124 هـ. وأذ ذاك اعتقل رؤساء قرية (ايكلى).

وأما سكان (الخ) فإنهم منسوبون إلى القبائل التى تجاور هذا البسيط؛

(1) الهجورى بفتح الهاء؛ ما يوكل بين الغداء والعشاء.

(2) لشركاه فى كتاب (أيلخ قديما وحديثا).

مروية ان لكل واحد طرفا من (الخ) امتدت اليه من محلتها، ففى الشمال
 قبيلة (ايغشان) الحربلية فان لها بعض القرى الالفية: ايكلى؛ آيت الحسن
 اعل؛ اكلى اديان؛ توكال، وارض هذه القرى محسوبة من قبيلة ايغشان؛
 وفى غرب بسيط الخ؛ قرى اغرابو؛ دو تمثروت، تافكاغت؛ فهذه تعد من
 قبيلة آيت واقفا؛ وفى شرقيه قرية اكجكال تعد من قبيلة ساموكن؛ واما قرى
 اكادير وايو - تونين - ازار او عيسى - ازربى؛ فهى من قبيلة امانوز،
 ولم يبق الا القرى التى فى الجنوب؛ فانها للمرابطين الالفين اولاد الشيخ
 سيدى عبد الله بن سعيد. ووراء حدود هذا البسيط من الجنوب الغربى؛
 قرى اخوان هؤلاء المرابطين فى (اكادير ايزرى).

قرى (الخ) كلها

لنلق نظرة على كل هذه القرى البسطية ولنبدأ بالجنوب ثم الشرق ثم
 الشمال ثم الغرب، فالتى فى الجنوب او كالجنوب:

- ١ - تافكاغت من ايت واقفا
- ٢ - الزاوية من دو كادير من المرابطين آل عبد الله بن سعيد
- ٣ - آل سليمان من دو كادير منهم ايضا. ويقطن معهم بعض الحربليين
 الذين هم اصلاء فى القرية
- ٤ - تيبوت القاسمية من المرابطين وحدهم
- ٥ - تيبوت الواوكرضائية؛ من المرابطين وحدهم. وقد اشتروا من آل
 واوكرضا تلك الارض. وهم من الساموكنيين وربما قطن بعضهم هناك
- ٦ - ناحواوات تميل الى وسط البسيط من المرابطين وحدهم
- ٧ - تافراوت كذلك ازاء التى قبلها من المرابطين وحدهم
- ٨ - انويدر كذلك ازاء التى قبلها من المرابطين وحدهم

والقرى التى فى شرق البسيط هى:

- ٩ - اكجكال من قبيلة ساموكن لا يقطنها مرابطى واحد
- ١٠ - اكادير وايو من قبيلة امانوز ليس فيها مرابطى واحد
- ١١ - تونين من امانوز ليس فيها ايضا مرابطى واحد
- ١٢ - ازار او عيسى من المانوزيين ايضا، ليس فيها مرابطى واحد
- ١٣ - ايزربى من المانوزيين بل هناك رئاستهم حديثا
- ١٤ - اغيل وامان من المانوزيين ايضا

والقرى التى فى الشمال او كالشمال هى:

- ١٥ - آيت الحسن او على من الاغشانيين

- ١٦ - ايكلى من الاغشانيين ايضا حيث كانت رئاستهم قديما
- ١٧ - اكلى اديان من الاغشانيين حيث رئاستهم حديثا (ثم انقطعت اليوم)
- ١٨ - توكال من الاغشانيين

واما القرى التى فى الغرب فهى:

- ١٩ - دو تمثروت من الوافقايين
- ٢٠ - اغرابو من الوافقايين حيث رئاستهم حديثا (ثم انقطعت اليوم)
- ٢١ - تالزكى بين سوق الخميس وتافكاغت

هذه احدى وعشرون قرية بسيطة؛ بينها قرى المرابطين فى قبيلة
 آل عبد الله بن سعيد التى كانت مغمورة بين جيرانها الى العهد الاخير لفقير
 اهلها ولكون الاقوياء من جيرانهم يستضعفونهم حتى من عليهم بهذه الشهرة على
 لسان العلم والادب والدين والارشاد: من يمن على الذين يستضعفون فى الارض
 ويجعلهم ائمة ويجعلهم الوارثين؛ ولولا هذه الخصال لما كانت تلك القبيلة وتلك
 الارض الجرداء تستحق حتى الخط بالقلم وحين كانت وطننا وفيها مسقط
 رؤوسنا نجد فى انفسنا ما يجده كل البشر فى مثل موقفنا:

بلاد الفناها على كل حالة وقد يؤلف الشئ الذى ليس بالحسن
 كما تؤلف الدار التى لم يطب بها

هواء ولا ماء ولكنها وطن

بسيط اجرد قفر نزاحم به تفكها - بهذا الكتاب - اهل دمشق ولبنان
 واصحاب النيل والرافدين. وهذا ما قدر لنا. وقديما قيل - من قر عينا
 بعيشه نفعه -

بعض العادات الالفية

ان لكل بيئة عادات قد توافق عادات غيرها وقد تخالفها والغالب ان
 عادات المتجاورين تتشابه؛ ولذلك يعلم ان غالب ما ذكره عن الالفين من العادات
 لا ينفردون بها عن جيرانهم الا ما قل ونذر؛ والعادات تدخل كل ناحية
 من نواحي الحياة حتى الدين نفسه لا يرتكز الا بعاداته؛ ولذلك نجد كثيرين
 من المتدينين انما اعتادوا التدين كالصلاة والصيام وآداب السلام واعتياد
 القول الجميل؛ والاخلاق الفاضلة، والا فهم قد يتكشفون عما فى حنايا
 صدورهم. فاذا بهم لم يمازج الدين ولا بشاشته قلوبهم وهذا ظاهر بين
 عند كل من يزن بتميز ولا تنطلى عليه البواطن بزخاف الظواهر ولا
 بتمويهات الالسن (ولا ينبئك مثل خبير).

نحن هنا لا ننظر الا للمواقع المعتاد من غير ان نزن بميزان الشرع ولذلك
 نحكى ما كان للتاريخ والمعبرة وان كان بعضه من البدع او من الخرافات

أو مما لا يرعى الألفيون أن يعرف عنهم ، لأن التاريخ كالمراة تبين كل ما يقابلها كيفما كان .

عاشوراء

اعتاد الألفيون أن يعتمد بعضهم في عشية التأسوعاء إلى الغناء الذي تتركه السيول ضفاف مسيلات الماء فيأخذون منه وهو يضم ما يضم من أبعاد وأعواد صفار فيبغضون به الديار في صبيحة عيد عاشوراء دفعا لتأثير الجن وقد رايت عجوزا تفعل هذا أول ما نفيت إلى الخ؛ فكان ذلك هو السبب حتى صرت أبحث عن مثل هذه العادات، وكذلك يعتمد في سحر عاشوراء إلى استقاء الماء من الآبار؛ ظنا من الساقين أن الآبار تستمد من بئر زمزم في ذلك الوقت ومن ذلك اليوم فيرش بذلك الماء جميع زوايا الديار تبركا خصوصا أهراء الزرع وحظائر المواشي .

وفي ليلة عاشوراء يخرج رعاة الشباب زمرا زمرا إلى بعيد من قرينتهم فينادون - فيما زعموا - على الذئب أن يبعد عن غنمهم فيبنون هناك أحجارا في محلات ثم يرجع الجميع وهم يغنون غناء معلوما محفوظا متوارثا إلى أن يصلوا القرية فيبيتون على لعب أحواش وفي صبيحة عاشوراء يبكر جميع الناس رجالا ونساء إلى زيارة المقابر . من غير اختلاط يترحمون على أهاليهم ويتصدقون والغالب أن يصبح الرجال وغالب النساء صائمين بل ترى الفقهاء والمتسكين يحرصون على الاثنى عشرة خصلة التي ذكرها العلماء من خصائص عاشوراء من صوم وصدقة وزيارة عالم وصلة رحم ومسح رأس يتيم وصلاة ركعتين وتوسعة النفقة واغتسال وعبادة مريض واكتحال وقلم أظفار وقراءة سورة الاخلاص الفا واهل الحديث يعلنون أنه لا يصح من هذه الا الصوم والا التوسعة على العيال الذي ورد في حديث حسن وقد رايت أحد عمدة الألفيين من اهل العلم يوصي بغسل ثيابه ذلك اليوم وكذلك يجتمع اهل القرى على توزيع بقرة ونحوها يفرقونها على الديار ويؤجلون في ثمنها بضمائم ومن كانت لهم غنم لها راع فإن مفرس ذنب كبش عيد الاضحى الذي جعل قديدا يعطى في يوم عاشوراء للراعي وهو يأكله في ذلك اليوم (١) وهم يحرصون على ان يستدير شيء من قديد الاضحى على دور السنة في ديارهم تبركا به

١ - وهذا مما تشارك فيه الحواضر الخ، فان ذنب الاضحى يخبأ عندهم ايضا قديدا إلى ان يוכל يوم عاشوراء . الا ان اهل الرباط وفاس يأكلونه أنفسهم . واما الألفيون فانهم يؤثرون به الرعاة . لان الرعاة أولى به . لكنهم يلاقون المشقة فيه بالرعى

هذا ولا يستغل بهذه الموائد في عاشوراء الا الرعاة والمجانز واما العقلاء فانهم لا يتناولون إلى تلك الميادين - وحاشاهم - فانهم لا يزالون ضد هذه البدع .

ليلة المولد

في الخ زاوية للفقراء ومدرسة للعلماء وكلتاها تعمر في ليلة المولد النبوي، فالزاوية بالاذكار ورب المدرسة يملا مجلسه بالامداح النبوية وقد اعتاد العلماء والطلبة الذين يجاورون الخ أن يحضروا في تلك الليلة التي تنل فيها بالتغنى على السنة المنشدین قصائد البوصيري من الهمزية والبردة وبانت سعاد ثم تقال قصائد نبوية على السنة اصحاب القريض من الحاضرين فمن هناك منبع كثير من قصائد شيخنا سيدي الطاهر بن محمد، فيلقبها بنفسه ان حضر؛ وان لم يحضر يرسلها من افران فتلقى هناك في حضرة شيخه سيدي علي بن عبد الله؛ فهناك مطلع قصيدة من هذه القصائد النبوية الطاهرية :

بحر الخفاء وصرح الوجد وبدا الذي ما خلته يبدو
ومطلع اخرى همزية :

راى برقًا بكاطمة مساء فامطر مزن مقلته دماء
ومطلع اخرى وازن بها البردة :

بطيب ما نقلت عن جيرة العلم ربح الصبا يشتفى قلبي من الالم
واخرى وازن بها (بانت سعاد) :

دع عنك لومي فما التعذال مقبول (بانت سعاد قلبي اليوم متبول)
واخرى مطلعها :

سرى طيف سلمى فسل ما اثارا اثار دموعا واوردى اوارا
واخرى مطلعها :

بارق الرقمتين جد اثلافا فجفوني القرعى ابت ان تلاقي
واخرى مطلعها :

اذا العبرت الارعاء من الهاشم بوارق غيث من رباء ال هاشم (١)

الى آخر ما هنالك من القصائد المولدية الطاهرية: وغيرها، وهي عشرات سقراها في ترجمته ان شاء الله

(١) شام البرق : اذا لمح . والال : السراب . وبهذا يفهم الشطر الاول من البيت .

ومن العادات المولدية، ان بعض العجائز من المتحجيات اللاتي لا يحضرن في ملعب احواش تتنحى وحدها الى زاوية من زوايا حجرتها حيث تعلق ثيابها على عود معروف - ويسمى عندهم احمال - فتقف ازاءه فتقص رقصا متواصلا - وهي تقنى بامداح الرسول فرحا ببليلة مولده، تفعل ذلك احتسابا وتيمنا بالرسول صلى الله عليه وسلم ، واذا طلعت الشمس في عيد المولد ترى بعض الناس يرقصون لها ويقولون ما يدل على ان الشمس انما استمدت انوارها من نوره صلى الله عليه وسلم

العرس

حتى اريد ان يخطب انسان بنتا، فانه يبعث احد اهله او اصحابه ليخطب ويهدون من المجابهة والوقاحة ان يخطب الانسان لنفسه ، كما يرون مثل ذلك في ان يعرض انسان بنته على آخر من غير ان يخطبها، يذهب الخاطب بشيء ما يقدمه بين يدي نجواه : قوالب من سكر او كبشا حيا او مسلوخا او سطل سمن مع خبز. ثم اذا قبل المخطوب اليه فانه يمل شروطه والغالب ان تكون لعمال كل من في دار اهل السيدة : وحليا خاصا يبينون نوعه من الاسورة والخواتم والاخراس والقلائد واللبان والسياب - ومن الغنم او البقر عند بعضهم ثم يتواعدون يوم العقد ، فيرسل الزوج من ينوب عنه ويختاره من ذوى اللباقة ومعرفة الاثمان، ومن اهل الوقاحة الذين لا يستحيون ويذهب معه بعض نساء اهل الزوج واهل الوجاهة والمختارون من اصحابه، فيتكون هذا الوفد الذي يسمى - اسلان - ويذهبون بالسكر واللحم والخبز ، فاذا طعموا في دار اهل الزوجة قدموا ما اتوا به مما هو شرط فاذا حازه اهل الزوج، يستخرجون كل ما اعدوا للزوجة مع ما اتى به الزوج كالشرط او يهدى للزوجة او قدمه اهلها لها، فيقدم ذلك كله وهو مكوم امام الحاضرين شيئا فشيئا فيقدر لكل شيء من الثياب والحلي وما اليهما الثمن الخاص ، فاذا ذلك تكون المعركة فيغالي في اثمان هذه اهل الزوجة ويماكسهم اهل الزوج وربما ادت هذه المماسكة الى تفريق الجمع بلا عقد، ولكن ذلك قليل جدا لان المجلس لا يخلو ممن ترضى حكومتهم بعد المماسكة. ولهذه المماسكة يعتنى الزوج باختيار وكيله؛ ثم يكون العقد فيتلقي فقيه المسجد الرضا من الفريقين ، والصدائق من الدراهم هو شيء معلوم في كل قبيلة قبيلة في تلك النواحي . ولذلك لا يذكر في الشروط المذكورة وانما يكتب عند العقد وفي المجلس يحوز وكيل الزوج كل ما توصل به من اهل الزوجة حتى يدفعه للزوج . هذا والالعاب اذذاك تقام على العادة خارج الدار رجلا ونساء، ثم ان غالب الالفين يزفون العرائس نهادا من دارها الى دار زوجها، او من قريته الى قريتها على البغال . واذا ذلك تخرج العجائز

اللاتي يعلون العروس باغاليهن ويركب وراء العروس على البغلة ولد يحيا والداه ثم لا ينزل حتى يعطى شيئا من الدراهم ويسمى الغالمية وكذلك يقع لها حين تخرج من دارها فان اخاها او واحدا من اهلها يقف امام باب دارها فلا يتركها تخرج حتى يفرم زوجها شيئا؛ ومثل هذا يكرر امام دار الزوج فان العجائز الجاليات لا يدخلن حتى يعطين ايضا دراهم يسمونها بتلخمت = نسبة الى الخاتم - ويقف الزوج فوق السطح ويطل على باب الدار فيلقى على العروس نثرا من الزبيب واللوز والتمر ، فينتهب ذلك . وقد كان الشيخ الوالد سن القرية آل سليمان اهله الاخفاء في اعراسهم عرسا يخلو من كثير من هذه العوائد حتى ان العروس تجلي تحت الظلام وفي صبيحة الجلوسة يذهب بالعروس الى قرب بئر لتسقى الماء فيجعل الماء في اناء نحاس يكون من حيلة ما تاتي به من عند اهلها فيتجاذب الاناء المملوء بالماء بين اهل الزوج واهل الزوجة فمن غلبوا سقوا صاحبهم او صاحبتهم ويرون ان من سقى اولاً من الزوج او الزوجة لا يزال يغلب صاحبه . هذا والالعاب تقام في دار الزوج حتى يعلم الناس والعامة ان ياتي مع الزوجة من كل اقاربها كل من دب ودرج . وبعدها بعرس الفقيه سيدي المدني لما تزوج من الايفشانيين جاءوا بنحو ثلاثمائة وهكذا كل من يقصد النكاح باهل الزوج . وقد يتعنت احياناً اهل الزوجة فيما يرون ان يطعموا حتى يقدم لهم اهل الزوج مكتلا مملوءا بالخلي ليعلموا ان بنتهم حلت في دار غنى وثروة ثم لا يكون ذلك الا ان تراه العين ثم يرجع الى مكانه ثم بعد اسبوع تزور العروس اهلها . ومتى ولدت الزوجة ولادتها الاولى ياتي اهلها - ولا بد - اما بشور او كبش . ومتى بلغ الولد الاول ان يمشى فاول نعل يخطيها حذاء ياتيه من اخواله . وعند حلق راسه بادى ذى بدء لا يحلقه الا اخواله . مع شرط ان يهبوه شيئا ما .

العقيقة

لرى النساء ان النفساء نالت من العنت ما نالت به غفران كل ذنوبها فيعرضن على ان يزرنها في الثلاثة الايام الاولى وتذهب كل واحدة بدقيق وعليه بيض ولا يصنع لهن الا العصيدة ثم قبل يوم العقيقة ترسل الوالدة من استدعى النساء للحضور في العقيقة كما يستدعى الزوج ايضا الرجال وفي صبيحة يوم العقيقة تقوم عجوز من عجائز الاسرة تلف امامها الصبية ليجمعوا افعالا من الاعواد الصغار لتخبز بها (توفديلت) - وهي خبزة كبيرة يغطي مخبزها فوقها تحتها وفوقها - وطالما فعلت بنا عجائزنا ذلك فنفرح له ثم اذا ذبح الكبش يعمد الى الكبش فتشوى على الجمر فيقطع منها لكل من في الدار ولحرص النساء على ان لا يفلل من الاكل منها احد ويقلن ان ذلك يسبب

محبية الولد . وفي وسط النهار تجتمع النساء على حفلة عسيدة اولا ثم تقدم كل واحدة منهن ليأبى للمولود ودراهم زيادة على ما يوتى به من السكر واللحم والسمن من عند الاسر اللاتي تتعاطين بينهن ذلك ثم تجتمع الحاضرات لتنظم قلادة المولود فتمنح كل حاضرة من قلادتها اما لبانة او عقيقة او قرشا - خصوصا القروش المربعة التومرية. واراها كثيرا في قلائد الصبيان الالفين - ثم اذا نظمت القلادة يذهب بها الى مخزن الزرع فتجر عليه تفاؤلا ان يكون المولود ذا رزق حسن ويستدعى الطلبة في العقيقة كما يستدعون في الاعراس وفي يوم من ايام رمضان لقراءة ختمة من القرآن والطلبة دائما في الغ عزلون على حدة تعظيما لهم ورفعاً لشأنهم على العوام

الحداقة

متى ختم التلميذ القرآن تزوق لوحته بابيات شعرية مهلهلة تستدير باواخر البقرة - آمن الرسول الى آخرها - ويذهب مع التلميذ كل طلبة القرية وهو في لباس جميل، يدورون به في القرية ويوزيرونه مشهدا يتبرك به ثم يكتب كل واحد من الطلبة في اللوحة كلمة من حزب الرحمن ثم تقام حفلة يحضرها الطلبة عند ابي التلميذ فيختمون القرآن على العادة. وهذه الحفلة لا تتجاوز يوما واحدا كالعرس نفسه. لان الالفين مقتصدون لفقر بلادهم .

وقد اعتادوا ان ياتي التلاميذ في كل اسبوع من كل يوم اربعة بيضة الى الاستاذ وان يوتى اليه بالبسيس والتمر او باحدهما كلما افتتح التلميذ حزبا من الاحزاب ويسمى ذلك (تاعريفت)

العواشر

متى اعلن استاذ المسجد لتلاميذه العواشر فانهم يحملون لوحة مزوقة بايات من القرآن ويغلفونها بزيف احمر او ارقط فيجعلونها فوق قصبة فيحملها احدهم فيدورون امام الديار بقفة كبيرة يضعون فيها الزرع الذي يعطى لهم من الديار والنساء يتبركن باللوحة والتلاميذ يرفعون اصواتهم بنشيد خاص لهذا الموقف فيه تمجيد القرآن وحملته .

الحسان

يجتمع اهل المخبون والجيران. واهل القرية في مكان؛ حتى اذا حضر الطعام؛ تنهى الطلبة، فقرأوا ختمة من القرآن؛ ثم يلتئم الحفل؛ فيوتى

بالصبي، فيختن وسط كل الحاضرين وهم يصلون على النبي صلى الله عليه وسلم وه لي ابراهيم خليل الرحمن! في الشودة خاصة لذلك!

الحصاد والدراس وما إليهما

ادركنا الالفين اعتادوا ان يتعاونوا على اشغالهم - كالعادة في كل تلك النواحي - بل ينظمون كل اشغالهم العامة بنظام خاص؛ وقد جعلوا غرامة معلومة لكل من تعدى ذلك النظام؛ فلا يمكن ان يذهب اى انسان اجنى اللوز من حقله الا متى اذن في ذلك الاذن العام؛ وكذلك يحافظ على الحقول والمزارع، فلا يزال الحراس الذين يجعلون لذلك في تيقظ وجولان؛ فما وقعوا على بهيمة وغلت الى حقل او الى مزرعة الا غرموا صاحبها - وتلك الغرامات هي اجرتهم - حتى الحصاد والدراس لا يفتتحان الا متى اعلن ذلك بالنداء فوق المسجد؛ ومن تاخر في الحصاد لكثرة مزروعاته؛ ينداعى اليه الناس فيعينونه؛ وعليه الاطعام؛ ثم لا يفتتح الدراس حتى يتم الحصاد، وتنظم كيفية الدراس بالتتابع؛ فالיום لفلان ثم لفلان؛ والدراس يكون بالبهائم المجتمعة من كل اهل القرية. او ممن يلتئمون على ذلك؛ وكل من سخطت عليه القرية؛ فانه ينبذ من هذا النظام؛ ومتى كان الدراس في بيدر احدهم، فانه يدبج كبشا ويطعم الناس؛ ولذلك لا تزال عندهم ايام الدراس ايام الحفلات؛ وللالفين همة معلومة مذكورة في اشغالهم؛ فاستحضر ان بيدرنا الذي كان يستخلص منه اذ ذاك - ونحن صغار - وهو عشرة آلاف عبرة؛ يدرس في يوم واحد لكثرة البغال التي تجمع وليس المدرس، ثم ان هذا النظام لم تزل عراه تنتفض شيئا فشيئا الى الآن؛ وقد حكى لي الفقير احطيو كيف كانت صرامة النظام واحترام الحقول في سقى قريتنا؛ دو كادير؛ منذ عقلة من نحو 1280 هـ. فذكر العجب العجيب الذي ادركنا نحن بعضه .

الجناز

ان مما اختصت به الخ ان لا نياحة في جنازهم؛ حين تخرج من الدار فكل ما هناك بكاء النساء والصبيان داخلا. حتى ان الخارجين لا يسمعون بكاء الداخلات المفجوعات؛ وطالما حضرنا امثال هذه المواقف، فلا نجس الا لوعة في الصدور؛ او دموعا تترقق مغالبة في العيون؛ مع تجلد المصابين؛ والبيت يغسل على السنة ويكفن ثم يحمل في الشبكة، ولا يعرفون الآلة الهدايا التي ذكرها صاحب (بانت سعاد) (1)؛ ثم يصل عليه عند القبر؛ وتقرأ

(1) كل ابن النبي وان طالت سلامته يوما على آله حدياء محمول

سورة يس عند الألبار، ثم يلقن الميت أمثل الحاضرين؛ ثم يستحضر الطلبة في اليوم الثالث والمساكين؛ فيختسم القرآن ويطعم الحاضرون؛ والبيت الذي يتولى فيه لا يزال يبخر ويحترق إلى أن تضعف ذكرى الميت؛ ولتعمد التكل المحدة أن لا تلبس إلا الثياب التي لا تلفت الأبصار، ولا تكتحل ولكنها لا تترك الفسل والاعتسال ولا تقرب الصابون في غسل ثيابها؛ فيما قيل لي؛ أن هناك إلا الاثنان .

الحرف والصنائع

مما يتعجب منه المطلع في كل نواحي المغرب، أنه يجد في كل جهة من الحرف والصنائع ما تدعو إليه الحاجة الحيوية؛ فلو كنت الآن بصدد كل ما عرفه في سوس؛ من الصنائع التقليدية التي أدركناها لتعجب القاري من حداثة في كل أنواعها التي من بينها صناعة السلاح من البنادق على الطراز القديم؛ ومن السيوف والسكاكين بأنواعها؛ وهي صناعة سمالية، ومن الصياغة العجيبة؛ حتى أن الحل السوسي له ميزة خاصة؛ وأما صناعة الصابون والجلود من الأكياس والجرب والقرب والوسائد وهي - صناعة ممتازة - فإنها متبثة في جزولة وخصوصا في آل حامد، وكذلك صناعة السروج؛ بله الأكف؛ ولهذا الموضوع ذيول؛ لعلنا نؤدي له حقه مرة أخرى. نعم أن الذي يهمنا الآن هو الحرف والصنائع الالغية؛ وهي قليلة غير متسعة، لأن أعمال الالغيين إنما تدور حول الآلة الكريمة؛ كلوا وارعوا انعامكم. فقد كان الأستاذ سيدي محمد بن عبد الله يقول: أن هذه آيتنا نحن الالغيين .

الحداثة

توجد الحداثة في قرية (دو كادير) في أيدي أناس سود يتوارثونها من قرون؛ وهم عدة أسر؛ وكذلك في قرية (ايكل) من القرى الايفسانية؛ كانت فيهم أيضا تالدة. والعادة أن الحداثة كاستاذ المسجد؛ يعطيه من يستخدمونه في اصلاح مجاريهم أو في صنع حدائدها وما إلى ذلك أجرته على رأس السنة من البيدر حين يجمع كل واحد محصول فلاحته؛ ومن أسماء الحداثين الالغيين من يسمى : بعل ؛ وآخر أوشنا لقبان لهما . وقد درجا الآن وتركوا اولادهم؛ وقد اغتنم بعض الالغيين الادباء هذين اللقبين فوري بهما في هذين البيتين :

وكم عانس بكر تخطت زواجها

إلى أن غدت ثقل وثشنا لدى الأهل

إذا أصبحت نادت إلا ليت لي نوى

من (اشنا) لديهم والرواح إلى (بعل)

وحدادو (ايكل) أمهر وأكثر القانا؛ بل هناك صناعة المجامير، التي تتخذ - حديثا - من البراميل؛ تذكر فتشكر؛ وتخطت (تفراوت) لغفتها وطلاتها ورخصها إلى الحواضر لرواجها .

التجارة

أما تجارة المحاريت مقابض والمعاول والمساحي؛ فقد يحسنها غالب الناس، كالفقيه محمد بن المودن الذي مات أخيرا في قرية (دو كادير)؛ والفقيه بلقاسم السوقي الوافقوى؛ وأما التجارة المتقنة في الابواب والشوافد والاخونة والموائد؛ فإنها في قرية (ايكل) وهي الآن في اولاد موماد فإنهم من اخلق من هناك في صنائع متعددة؛ واعظمها التجارة البارة التي تصارع تجارة الحضريين، وهم الآن المذكورين في كل دائرة (تافراوت) لا في الخ وحده .

الدباغة والحذاء

اشتهرت قرية (تأحواوات) بالدباغة؛ ومن أشهر الدباغين هناك الفقير بلقاسم بن احمد؛ في داره مدبغة يقصد لذلك؛ وهي حرفته؛ على أن هذه الحرفة يحرس كل الالغيين أن يزاولوها، فلا تكاد تجد أي واحد لا يحرس أن يبيع جلد اضحيته بنفسه ليتخذ منه دلوا أو جرابا أو وطبا؛ أو خمرة لصلاته أو ليتخذ منه كل ما يتوقف عليه في داره؛ وقد رايت فيما قبل أن ما يدبغون به يستوردونه من جبل (أمقسو) اذاءهم ويسمى عندهم (ايركل) . وفي جبل أمقسو اجمة لا بأس باتساعها. وقد حماها اليوم رئيس الفلبات .

وما قلناه في الدباغة نقول مثله في صناعة الاحذية، فإنها وإن عمت مراولتها فهناك أناس اختصوا بهذه الحرفة؛ كمحمد بن مسعود التيوتي؛ ومحمد بن محمد من آل بلقاسم بن محمد التيوتي أيضا؛ وكلما يتفرغان هما وامثالهما إلا لهذه الحرفة؛ ولاهل (تاكازا) التي تطل على الخ صناعة الاحذية الخاصة بالنساء، ولها لسان طويل يغطي بعض الساق؛ اشبه السراويل بالاحذية الفرنجية؛ والمشهور محمد بن قاسم ثم اولاده في (تاكازا)

الأكاف

الأكاف جلس البطل أو الحمار؛ وقد اشتهر بها من قرية (دو كادير)

الفكر للصوفى الخيرا وابن العربى وابن هموم فى قرية (تافراوت) (١)
وهذه الصناعة شريفة عندهم مطلوبة؛ يحترم اهلها لاحتياج كل ذى بغل
او حمار اليها؛ ولها ثمن حتى ان الاكاف قد يصل ثمنه الى الف ريال
واكثر الآن ١٣٥٨ هـ.

الحبال والشباك

لكل واحد من الالفين يد صناع فى قتل ما يحتاج اليه من الحبال
البسيطة؛ حتى الشيخان سيدى الحاج على وسيدى على بن عبد الله.
— وهما ما هما — يبرمان بايديهما ما يتوقف عليه العمل. حين يقفان على
اعمال الحرث والحصاد؛ وعلى خياطة الاحمال عند الاسفار؛ الا ان اتقان
تلك الحرفة وبراها وفتلها هى من صناعة الوافقويين، فلهم خلق فى
صنع انواع الحبال الرقيقة والغليظة والجواليق والزنايل، وفى صنع
الشباك من الحلفاء او من الفدام ان اتى بالفدام من محله (تامانارت)؛ ومما
يصنعونه من الحلفاء احذية تلبس فى اوقات الشتاء فى الطين. وقد قال بعض
الالفين من قطعة قيلت ارتجالا يداعب بها بعض الوافقويين :

خلق الله للحريز اكفا	واكفا لصناعة الحلفاء
حرفة الالفين قتل حبال	وشباك ودبغهم للدلاء
غير ان المرابطين منهم اتبحوا	عن سعود لمنصب العلماء
فبنو وافقا لفتلة حبل	والسعيدى لفتلة البلفاء

نساجتة الصوف

اشتهرت الالفيات باتقان نسج الصوف شهرة تامة؛ حتى ان جيران
الغ وكل من يلم بالغ يوصون بان ينسجن لهم ما يريدون بالاجرة؛ وقلما
تجد دارا تخلو من مناويل النسج. ولهن عوائد خاصة حول النسج؛ كيوم
خاص لا يفتتح فيه النسج؛ فمتى فعلت فاعلة غير ذلك فان المنسوج
تعيبه مصيبة؛ ويحكى ان بعض العلماء السنيين انكر عليهن هذه الخرافة،
فاذا بتور اصطدم والمنسوج فتهتك. فقال لهن: ان علمكن ايها النساء اصح؛
ولكون نسج الصوف فى الغ هو حرفة الدار؛ تجد غالب اللباس منه؛
وهناك بعض العجائز لا يتقوتن الا من النسج، كالفقيرة الصالحة فاطمة

(١) هذا اسم قرية فى بيسط الغ. وهناك (تافراوت) مركز المقاطعة فى
قبيلة املى.

(تافراوت) وامثالها؛ وقد كان الالفون يحرسون الى الآن ان يكون لكل
واحد منهم غنم ليلبس من صوفها؛ وينتفع بثمن ما يبيعه منها؛ واما ان يذبح
منها. فيكاد يكون حراما؛ الا فى بعض الفترات من عند بعض كرمائهم
لا تخرق اجماعا، ولا تنلم قاعدة؛ فلم يعتادوا الا التسمية للمواشى سنة عن
سنة؛ حتى ياتى بعض الاعوام المجدة فيسنتون فتذهب مواشيهم مواتا؛
ثم يستجدونها ايضا. متى وجدوا لذلك سبيلا؛ وقد بت مرة انا وصبية
من اهلنا فى مرتبع الغ (ايسافن) وباتت حوالينا من اغنام الالفين ماتت
بعضها لمن هم اقاربنا؛ ثم لم ناكل اللحم الا بشرائى لخروف من عند بعض
اصحابنا منهم، فلم يجعل فى اذهانهم ان هذا بغل عظيم؛ مع ان لى عندهم
ما يزعمونه من الاجلال؛ وابن هذا ممن كنا نبئت فى قبائلهم فى الحوز؛
اوليس من يحضرون منهم ينشدون ما انشده الاعرابى :

واذا تأمل شخص ضيف مقبل متسريل برداء عيش اغبر
اوما الى الكوماء هذا طارق نحرتنى الاعداء ان لم تنحري

لكننى فى الحقيقة اعذر القوم. فانهم فى بلد مقفر. لا يمكن ان يعيشوا
فيه الا بالتقدير الشديد؛ والكرازة التامة — وقد كدت اكون كذلك الآن —
ومن دخل ظفار حمر (١)

لا تعذل المشتاق فى أشواقه

حتى يكون حشاك فى احشائه

الخياطة

علم الطلبة باتقان الخياطة فى جميع نواحي سوس؛ حتى ان الطلبة
السوسيين الذين يشارطون فى الحوز وما وراءه؛ يتخذهم من يشارطونهم
كخياطين رسميين فى القرية. لا عسى ان يتوقف عليه احد من اهل القرية؛
فينتفع بالاجرة الاستاذ زيادة على اجرة المشاركة؛ والطلبة الالفون فى عرض
جماعتهم هذه فى هذه الحرفة. ولذلك ترى الكثيرين من الذين يجيدون
الخياطة فى اثواب الصوف من السلاحم والجباب هم من الطلبة؛ بله ثياب
الكتان. فهذا سيدى محمد بن الحسن التياستنى؛ والسيد على الاحطويوى
من اهل قرية (دوكادير) اشتهرا كمنظائرهما فى اتقان هذه الحرفة؛ يقصدان
بها من الالفين وغيرهم؛ وقلما تغلو قرية من امثالهما.

(١) ظفار كندام؛ مدينة لحمير باليمن. معناه: من دخل هذه المدينة
تكلم بلغة حمير. وهو مثل مبنى على حكاية.

إذا كان هناك كثيرون يحسنون الخياطة للجديد بكل أنواع الخياطة؛ فإن رفو القديم خصوصا ما يقع في وسط المنسوجات الصوفية من خروق؛ يحتاج الى حلق خاص؛ ولذلك يقل من يتعاطاه، ويسمى: (تاغزديست) وكثيرا ما تعجب من ذلك الرفو إذا اتقن؛ فإنه يكاد يكون كالاصل (وقد رايت مثل هذا من عند مصري رفا لي ثوبا في المدينة المنورة في حجتنا 1365 هـ. فلم اكده اتبين ما بين الخيوط الاصلية والجديدة؛ كأنه لم يتخرق) ولم ار في المغرب في رفو الصوف مثل ما رايت عند الالفين؛ ولعل قلة الثياب عندهم والحرص على استدامة القديم حتى يعود كطيلسان ابن حرب (1) هو الذي يحملهم على اتقان هذا الرفو المعجيب، وهذا الترفيع مألوف عندهم حتى عند غير المدققين؛ حتى في الاحذية فانها ترفع حتى ينمحي الجلد الاصيل احيانا؛ وكل ما يعاب في بيئة قد يعد مألوقا في بيئة اخرى.

الحرافة

لهذه الحرفة رواج عند الالفين؛ لان من عزمهم ومن ولوعهم بالتكسب ان يصنع كل واحد في داره عشرات او مئات من الاواني قدورا ومغابز ومعاصد وقصاعا وطواجن واكوابا وكل ما يحتاج اليه، فيستهلكون في دورهم على دور السنة ما يستهلكون؛ والباقي يذهبون به الى (تامانارت) وقت التمر فيبيعونه بالتمر؛ ولكن صناع هذه الحرفة الحاذقين انما يستوردون من (أفلاوكنس) من بعيلة؛ وقلما يتقنها الالفيون.

الحجامة

لم اعرف الآن من الحجامين الالفين الا الحاج الناجم من المرابطين من قرية دو كادير؛ والا السيدة بنت الفقير علي بن يوسف التوكالي، ذلك للرجال. وهذه للنساء؛ وقد ينتجان بصنعتهما القبائل المجاورة؛ وهناك حجام آخر سموكني قطن الزاوية العليا يسمى ابن سي مبارك؛ ولكنه لم يشتهر كثيرا، كما ان هناك حجاما آخر من دو كادير غير انه جلا عن الخ؛ يسكن (تامانارت) او في (تينوف) وهو عبد بن المحفوظ؛ ولكنه الآن ليس من الالفين.

(1) في هذا الطيلسان قطع شعرية لشاعر، وتوجد في كتاب (زهر الآداب) المحصري.

انثدا ترى ان لالخ الفليلة المسكينة طرفا من كل ما يحتاج اليه في الحياة من الله اللطيف الرحيم عليها به؛ فنزيدك الآن ان التعدين ايضا من جملة تلك المن فان في كدية ازا قرية اكجكال؛ معدن النحاس متوارلا، فيها غيران تمتد تحت الارض بطول الازمنة، كان اهل هذه القرية يعملون فيها هم او من اذنوا لهم؛ فقد كان المعدنون يستخرجون منذ اجيال النحاس من المعدن ثم يبيعونه خاما الى مدينة (نازالاغت) في نحو القرن السابع وما قبله؛ او الى تارودانت المشهورة بصناعة النحاس. وقد الم المؤرخ عبد الواحد المراكشي باخبار هذه الصناعة في عصره بسوس توفي نحو: 624 هـ.

لهذا المعدن حديث في ايام الاحتلال؛ حين عزم المحتلون ان يزبوا من ايدي اصحابه؛ وقد اثاروا عليهم جيرانهم المانوزيين، ولكن اصحابه الاكجكاليين دافعوا بحججهم وبرسوم ملكياتهم؛ فاستطاعوا ان ينتزعوا معدنهم من شركة استعمارية كانت بدأت بالفعل في العمل. وما هو ذا الآن المعدن ينتظر شركة الغية تستورد الآلات الفنية لتقوم بالعمل بالجد الموافق للعصر. (ثم بعد الاستقلال عمدت الحكومة الوطنية الى العمل فيه، من غير ان يوخد رأى مالكيه الاصليين) مع ان ذلك يخالف القوانين.

العلم والتدين و الاخلاق العامة

معلوم ان للسوسيين عامة من روح التدين؛ ومن مراعاة اخلاق الفيلة ما لهم؛ وخصوصا منهم الجزوليين، حيث كثرة المدارس والزاويا وبيوتات العلم؛ ولكانة الخ. من جزولة كان لها ما لها، منذ نزل هناك المرابطون ابنا الشيخ عبد الله بن سعيد؛ فقد وقفت على وثيقة كتبت حوالي عام 1090 هـ. يوصف فيها هؤلاء المرابطون باوصاف محمودة مغبوبة. شهد لهم بتلك الاوصاف فيها ثمانية عشر عالما من جيران الخ - ويجدها القاري في ترجمة الشيخ امامه - ثم لما بنيت المدرسة الالفية. ثم الزاوية الزاهية، ظهرت الخ بمظهر آخر خفقت به الالوية؛ وسالت اليها ومنها الركبان؛ فمن رائد للمعارف؛ فيروى حتى يضرب بعطن؛ ومن مستجل لمرآته بالتصوف، فاذا به تشرق سريره بالانوار. وقد كانت في الخ مدرستان قبل؛ احدهما في (ايزربي) ولكنها لا تذكر قط؛ الا باسم المدرسة؛ ولم تود اي عمل في ميدان التخريج، ولانيهما المدرسة الواقفية التي كانت منذ اسست بايدي السادة الكرسيين آل العالم؛ قد تفسى حينما بنويرة من العلوم؛ ثم تنطفي احيانا؛ ثم لم تود عملا يستحق ان يبنى لها خاودا. ولكن المدرسة المرابطية

لم تكن المؤسسة عام 1207 هـ، حتى صار المتخرجون منها تطفح بهم الطرقات وتتموج في سوس أولا ثم في الحمراء بالرميلة، ثم في تطوان بابراهيم الالفى؛ ثم في ابن كزير بابراهيم بن احمد وابن ناصر؛ ثم بعد ذلك ذهبت فروع التخريج بمن تخرجوا من الرميطة. ومن بين ايدي ابراهيم كل مذهب؛ وما يوم حليلة بسر، وقد قال القاضي سيدي موسى الروداني ما معناه: «لأنعلم اليوم من يؤدون في سوس للعربية والادب الواجب الا الالفيين». هذا مما لم الالفيين في العلم الذي يلد العمل؛ وهو التدين؛ فيغلب على كل الفى ملازمة الصلاة في الصف؛ والحرص على صلاة الجماعة في السفر؛ وهم مشهورون بذلك؛ ومساجدهم عامرة فيها مجتمعاتهم العادية، ولم يسراف الضعف الى هذه الناحية منهم الا بعد الاحتلال؛ ثم هم مع ذلك لا يزال تارك الصلاة منهم قليلا؛ ويعد في كل قرية من لا يباليون بالصلاة؛ والعادة ان يقدم للضيف الر ما يطرق الوضوء؛ ثم مصاحبته الى المسجد في كل صلاة، ونساؤهم كذلك يغلب عليهن الصلاح؛ وقلما تجد من لا تصلي منهن؛ وياتهن بالسمع من فوق سطح المسجد؛ وعهدى بمساكننا في (دو كادير) تقام فيها الصلوات في خمسة محلات: زاويتنا من الاسفل. ثم مسجد آل سليمان، ثم مسجد الحرييليين. ثم مسجد الزاوية العليا؛ ثم مسجد المدرسة في سفح الجبل وتسمع الاذانات في كل وقت؛ ويقوم المؤذنون في الاسحار بأذكارهم من قبل الفجر؛ وعادة الالفيين التبكير في أشغالهم، فكل سفر يبكر اليه من قبل الفجر، وحين لم تكن الصلاة فقط المظهر الخاص للتدين؛ فان لهم في اخلاقهم وفي امانتهم وفي مثلهم العليا مظهرا اسمى واعلى؛ فيقل الكذب والنفاق والخيانة والعهارة؛ بل كان هذا كله أقل القليل في الجيل القديم؛ ولم تشع هذه الاخلاق الفاسدة الا بعد الاحتلال الذي جر كل وبال على المغرب؛ وقد كان شيوخ الخ حرصوا على قطع الالعاب التي تفسد الاخلاق ولكن حدث بعدهم ما حدث، ولله في خلقه شؤون؛ والالفى على كل حال نجده غالبا متفقا في ديانتهم يعرف الحلال من الحرام؛ وان حادثك تسمع الحكمة - وان لم يكن الا عاميا - لمصاحبتهم للعلماء.

واما اخلاق القوم من الشجاعة فلا اكذب على الله وعلى التاريخ؛ فانهم مستضعفون بين المجاطيين والبعيليين والحرييليين والمناوزيين ممن لا يردون الماء الا عشية (1) ولا تقضى حاجة واحد منهم ولا يتوصل بحقه الا بخفارة مجاطي او بعيل او حرييل؛ وما ذلك الا لانهم ليسوا من ذوي السلاح؛ ولا من ذوي عصبية تناصر اخاها ظالما او مظلوما، خصوصا نحن المرابطيين؛

(1) قال بعضهم في قوم مستضعفين من قطعة :

ولا يردون الماء الا عشية اذا صدر الورد عن كل منهل

فاننا لكاة كل قوى ومرعى لكل سائح؛ فلذلك كان لكل اسيرة مجاطيها او بعيليتها؛ يذود عن حماها ويرد لها حقوقها، وهكذا كان الحال من قرون الى ان جاء الاحتلال؛ فاستوى الماء والخشب؛ فامكن للمرابطيين ان يكونوا قبيلة القبائل، فتستطيع ان تتخلص ممن كانوا يخلدون كل اسيرة بالولة فتفهم الاحتلال من هذه الجهة - ومصائب قوم عند قوم فوائد - .

هذا وقد عرف الالفيون بانه لا عرف عندهم يذكر؛ ان هناك الا الشرح فيه يحكمون؛ واليه يتحاكمون؛ وعاداتهم قبل الاحتلال ان من له دعوى يرفعها مع خصمه الى بعض الفقهاء تحكيما؛ يشهدان بذلك على انفسهما، ثم ان لم يقبل المحكوم عليه الحكم ترفع الدعوى الى فقيه آخر يسمونه المفتى، كالاستئناف؛ وبذلك تقطع جبهة قول كل خطيب (1).

واما ما يرجع الى الكرم فان قصد منه ان يتلقى الضيف الذي لا بد منه بما تيسر بلا تكليف؛ فان الالفيين يكادون يكونون كلهم كرماء؛ وان قصد ما يعهد من الاحتفال بالاضيف من ذبح الكباش وقل الدجاج؛ وبسط جفان كالجوابي. وقدور راسيات؛ فان بلادهم المقفر الاجرد لا يطبق ذلك ولو ارادوه، ولذلك ترى من امكن لهم مثل ذلك لا يقصرون؛ كاهل الحاج ابراهيم الايفشاني؛ وكالفقيين ابني عبد الله؛ وكالشيخ الالفى، ثم بعدهم الرؤساء من ايت وافقا وايزوبى وسيدي المدني واخينا سيدي محمد؛ على ان الخ نالت مكانة مكيمة يوم المقاومة؛ فقد ظل الفقيه سيدي علي بن عبد الله في طليعة القبائل التي تقاوم الاحتلال من عام: 1330 هـ. فكان هو الامام المرشد الواعظ الحافظ للهمم الى ان توفي عام: 1357 هـ. ثم خلفه في ذلك شيخنا سيدي الطاهر الافراني الذي ما فارق قط الصف الاول في المقاومة فهذه بعض اوصاف الالفين (وما قلت الا بالذى علمت سعد).

اطمعت الالفين ووجبات اكلمهم

راى القارىء من وصف الخ المتقدم افكار ذلك البسيط؛ فلا اشجار ثمر، ولا مزارع مخصصة اخصابا يورث الثروة؛ ولا تجارة متسعة تفعم بارباحها الجيوب؛ فهل يمكن ان تكون معيشة من يقطنون في هذا القفر اليباب، الا ما عسى ان يتبلغ به؛ من كسكسو مقتول من دقيق الشعير؛ او عصيدة ملتوة من دقيق الذرة - ان اتى بها من افران او ماسة او

(1) اجتمع قوم من العرب ليصالحوا بين ذوي دم فيخطبون فيهم لذلك، فاذا بامرأة وردت عليهم تسمى جهيزة (بالشيخ الجيم) فاعلمتهم بان صاحب الدم قتل صاحبه، فليل؛ قطعت جهيزة قول كل خطيب، فكان ذلك مثلا.

لأما نارات = أو من جريش الشعير؛ وقد ادركننا حوال عام 1323 هـ. ان غالب
الافيين لا يعرفون ان يصنعوا الحريرة صباحا؛ فضلا عن القهوة والحليب؛
ولا ان يخبزوا الا اذا دعت الضرورة؛ فليس هناك في الطعام العام الا
الكسكس المسنمة في القصاع بالخضر كاللفت والجزر والقرع والبصل
والبادلجان، وهذا هو الغداء توجد ربات البيوت مع الضحى؛ الا في وقت
الحرث فانه يوجد :

من قبل ان ترشف شمس الضحى ريق الغواوى من ثغور الاقحاح

(كما يقول ابن رشيقي) لان الفلاح ذكرا او انثى يريد ان يبكر الى حرثه؛
وعند الزوال يكون التمر هو الهجورى - ما يوكل بين الغداء والعشاء -
وعند الغروب التعشى بالعصيدة ان كان في البيت لبن؛ والا فالكسكس؛
هذه هي المعيشة المطردة؛ وقلما يخرج عن ذلك الا بضع ديار، وهي دار
ال صالح اغنياء القرية؛ والا رؤساء ايفشان ان كان عندهم اضياف (1)
والا فمئتهم مثل غيرهم في المعيشة المعتادة؛ واما دارنا؛ فان الوالد وان
كان متسعا الا انه لتصفوه حريص على عدم الرفاهية فيها شى عادة البلد،
فلا لحم الا فينة بعد فينة بحيث لا يغير ذلك الا فيما يقدمه لبعض الاضياف
الذين يحتفل لهم وحدهم لا لابنائهم ولا لمن في زاويته من المنقطعين؛ هذا
ما فتحنا عليه اعيننا. ثم بعد الاحتلال صارت المعيشة تتغير؛ فيدخل الاتى
في المعيشة شيئا فشيئا. حتى عم البيوت بيتا بيتا؛ وكذلك اللحم صار
يزور جميع الديار فينة بعد فينة؛ وربما في كل اسبوع، بعد ان كان غالب
الاسر لا ترى اللحم الا في عيد الاضحى. او اذا وزع اهل القرية بذيبة
يجتمعون عليها في مثل عاشوراء. او كانت حفلة من الحفلات التي تقام
سنويا على المشاهد المحترمة؛ ولم تكن نعلم في صغرنا من يدوم اللحم في
دارهم الا دار الرئيس الايفشاني القديم؛ وتضاهيها دار الفقيه علي بن عبد
الله؛ ثم تتلوها دارنا احيانا ان حضر والدنا وكثيرا ما يغيب؛ والا فتبقى
شهرًا او اكثر لا نلوق مرقه. والشعير هو عماد المعيشة؛ ولا يعرف
القمح بعض الاضياف الا في بعض الديار حتى ان هناك حكايات مضحكة تقع
وتحكى كالتواذر؛ اودعنا منها في كتاب: (قطائف اللطائف). واما الفاكهة
فلا يعرف هناك كثيرا الا ما يستورد من اكناري من ايفشان ومجاط، فيدور
به البدلون امام الديار؛ وقد الطف بعض الادباء في قوله بديهة يوما؛

(1) با تالاديب البونعماني سنة 1351 هـ عند الرئيس أحمد الايفشاني
لتعشى عنده العشاء المعتاد بالعصيدة واللبن. ولو كان احتفل لتنكب
العصيدة لثل هذا الاديب. لان الايفشاني اذ ذاك لا يرضى أن يقدمها لثل
هذا الاديب، لو احتفل به وعرف قدره.

وقد رأى بعض الناس يريد ان يشتري لهاها لالفي

فكه مصاحبك الالفي ما الفت لهام من (اكناري) شالك قاس
لا تتخلفه بتلاح فشهو له في غير ما يشتهي اكثر الناس
يعيش في فطرة البادي الذي مرلت يدا من مسك محراث الى الفاس
فواكه البدو اشهى ما استساغ فذع تلك التفاح للمصري والفاسي
لذائد البدو في الاذواق اطيب من سواها منظرا وطيب انفاس
فالذرة المر، في عاداته ومتى تجوزت فظلام قاتم عاسي

والخبز عند الافيين انواع، اشهرها عند من ادركناهم؛ الخبزة الكبيرة
التي تجعل في الخبز. ثم تغطي بغطاء الخبز؛ فيوقد فوقها وتحتها؛ وتسمى
(توفديلت) وبها تفقد النساء من اسرة الى اسرة؛ وبها يتزود المسافر فتبقى
معه اياما الى اسبوع؛ ومن انواع الخبز الرقاق، وخبزة الكانون؛ تاصق
بجانب الموقد بداخله؛ بعد ان يلتظي بالنار الحامية؛ ثم تطيب الخبزة بالجمر.
وقد تطور هذا الى ان استحال الى ما يسمونه (المجبوذ). لان العجين يجعل
شيئا فشيئا في الكانون بعد ما يحمر بالنار فيجبد؛ وهو افضل ما يوكل
في الخ؛ وخبز الكانون عندهم حديث؛ لان المعروف القديم؛ هو خبز الفران
الذي يهيأ للاعراس وللضيوف الكثرين؛ وكثيرا ما تصنع الهلة للرعاة،
وللعصيدة اخ يسمى عندهم (بوفى) وهو مطعم الرعاة في مراتعهم؛ وقد
يصنعونه من الحليب الملتوت بالدقيق. وهو الذي ذكر في بيتين ينسبان
ليوسى؛ وهما :

أرى الحب يستولى على القلب بغية
كمثل هجوم الغيث في الصيف إغداً (في)
ومن كان هكذا فلست ارى له
دواء سوى أكل العصيدة أو (بفي)

هذا وقد عرفت معيشة القمح اليوم في الخ؛ فترى السعيد وخبز
الحواري مما يقدم للاضياف، وكذلك حدثت الاواني المتنوعة. ولا تكاد
الآن تدخل دارا حتى تلمح الجديد من كل شى.

فهكذا دبت الحضارة الى الخ بمطاعمها وبفرشها من الزرابي والخشايا
والكساء الحسنه؛ وبالتليفونات والسيارات؛ والانفاق بسعة؛ لكن هذا كله
لا يتمتع به الا من يستوردون من البيضا الاموال بالعمل او التجارة؛ حتى
البنات بدات تتغير شيئا فشيئا، وقد كان الاخ سيدى محمد اول من اتخذ

(1) اغدا الى = عشاء : الهجر

السيارة بالغ عام 1933 هـ. ويسوقها بنفسه. وهو اول من بنى رياضاً.
 واول من كانت له ابهة حضورية؛ وكذلك ماشاء الرئيس على الايفشاني
 وبلقاسم المانوزى وهو اغناهم؛ ثم يتلوهم الشيخ ابراهيم الوافقاني؛
 والتاجر سيدى عبلا بن اليزيد. والباب مفتوح الآن على مصراعيه للمدنية؛
 فمن يزور الخ الآن قد يستحل ما يراه من اثاث واوان ومطاعم، ويجد فى
 بضعة ديار اخونة مبسوطة تحتوى على الحنيد. وخبز السهيد؛ والطواجين
 المزعفرة؛ والدجاج المحمرة؛ فضلا عن السفنج الذى يستدير بسكرجات
 السمن والعسل واملو - طحين اللوز - زيادة على القصاع المكلفة لحناء
 المدفقة مرقا؛ وقد سنح ان نذكر هنا بعض تنظيم المائدة؛ فان المعتاد عند
 الالغيين ان يقدموا اولا زبديات العسل واملو والسمن مع السفنج؛ ثم
 يشى بالشواء ثم بالدجاج ثم بالطواجين ثم بالكسكسو؛ ثم يثلى بشراب
 الالغى، وقد صارت الكوامخ تدخل المائدة ايضا بدورها شيئا فشيئا؛ وهكذا
 للدمت بضع ديار غنية الغية الى ميدان الرفاهية فى المطاعم .

وبعد هذا فلا باس ان نسوق هنا بعض ادبيات الغية حول بعض
 مطاعمهم نذكرها تفكها لا على انها من الغرر. فالتكلف فى بعضها غير خاف
 عن ذوى الاذواق السليمة .

منها ما قاله بعضهم فى البسيس - واللفظة عربية فصحي - وهو
 طعمه تستلذ عند العجائز؛ فيها يجازى معلم التلاميذ ان افتتح التلميذ حزبا
 جديدا؛ وربما استكثروا من لقمه يوم الختمة؛ فقد عقلت ان والدى صنع
 يوم ختمتى ثمانين لقمة قدمت فى قصعة عود؛ فيتناول كل من فى زاويتنا من الفقراء
 لقمة لقمة، والباسيس يصنع من السمن والعسل الملتوتين بالدقيق؛ مطبوخا
 بالبيض؛ او من دقيق الزرع المقل؛ وهو الذ. ولذته قيل يوما فى مساجلة
 مع المرحوم سيدى موسى بن الطيب ابن العم :

بسيسك يا زهراء (١) خير بسيس	تطيب به فى المصغ كل نفوس
صناع يد لتته لتنا فكان من	اخير ما قد ذاقه كل سوسى
فمن ذاق منه لقمة خال انه	يمس سهاء من مكان جلوس
فما الظلم من ثغر الحبيب معانقا	ازاء بسيس مثل ذا بنفيس

وقيل فى املو :

املوا علينا من حديث (املو)	ان حديث (املو) لا يمل
تهزجه بالعسل المصفى	مع سفنج فى الخوان صفى

(٢) زوجة محمد بلقاسم والد الفقيه سيدى بلقاسم الذى تاتى ترجمته
 فى الفصل الثالث .

لاخذ من هذا وذلك الحدة طيبة نالى بكل لذة
 ومن الى الخ ولم يتلغ ؛ من هذه الاكلة لم يستمتع
 وما البساطيل بهذا الباب اذاها الا من السراب
 ولشيخنا سيدى الطاهر الافرانى يمازح رفيقه الاديب سيدى العربى
 الساموكنى؛ وهما على مائدة الحاج ابراهيم الايفشاني الالغى:

ان الموائد انت من نجعناها	والزرد حرب انت من فرسانها (١)
لله درك فارسا يفرى بسيد	ف السن لحم الشاء عن اخسانها (٢)
ويك فى قعر الطواجن ظفره	اسرى الدجاج تقاد فى ارسانها (٣)
واذا كررت على الطبالى كرة،	اهرقت رشا من دما كيسانها (٤)
وتزج فى بحر المكايل غائضا	فلك السفنج فتشتى بحسانها (٥)
وتعوم فى جمع من السادات فى	نعم همت كالسحب فى نيسانها
حادث بواكفها يدا بحر الندى	فد العلا طرا سنا انسانها
خير الاحبة احمد وابوه من	شاد المكارم فى ذرى غسانها (٦)
فرد مكارم مجده اعيت على	اعشى البلاغة او على حسانها
لا زال فى شاو المكارم جاريا	طلق العنان الى مدى احسانها

وفى سنة 1356 هـ. اكلت مع الفقيه ابن العم سيدى بلقاسم السليماني،
 عصيدة من الذرة البيضاء تعلوها حفرة تطفح زبدة ذائبة؛ وقد امعنا فيها
 بلبن طيب حلو سائغ؛ فكان ذلك هو الحادى حتى قيلت هذه القصيدة التى
 نسوقها على ما فيها لانها امس بالمقام؛ والقصيدة اعتنى بها فشرحت نحو
 ثلاثة شروح الغية .

وقبل ان نسوق القصيدة نقول: ان العادة فى العصيدة فى الخ
 ان تصنع من جريش الذرة البيضاء؛ ويصب عليها حالة انضاجها الحليب،

- (١) الزرد المقصود به معناه العامى الذى هو الزردة المعلومة حفلة
 الطعام ؛ لا معناه العربى الفصيح
- (٢) اخسان بكسر فحاء مسكنة ؛ لفظه شلحية معناها : العظام
- (٣) الارسان جمع رسن : الازمة التى تقاد بها الخيل ونحوها
- (٤) الطبالى جمع طبلاة؛ وهى كلمة دخيلة وتطلق فى الخ على
 الصينية ؛ وفى الرباط على الخوان ؛ والكاس تجمع على اكؤس وكؤس ؛ وأما
 الكيسان فلم تقب لها على أصل
- (٥) المكايل جمع مكيلة؛ ويقصد بها فى الخ الزبديات والسكرجات
 يجعل فيها السمن ونحوه
- (٦) يقصد بغسان قبيلة ايفشان؛ يحاول الالغيون بذلك تغليب الكلمة
 وذلك غير جيد ؛ لئلا يقع الالتباس فى المستقبل

لم يطبخ طبخا جيدا بعد ما تلت بالمعصد - وهو عود تلت به العصيدة في مطبخها - لنا محكما حتى تغلق؛ ثم تغرف الى الجفنة؛ وتسمن فيها ويحفر في اعلاها حوض مستدير يملأ بالزبدة الدائبة حتى يطفح؛ ويوتى باللبن اللبن. واجود الالبان ما لا رائحة فيه من وطب، ولا مذاق بالماء ولا حموضة؛ ثم يستدار بالجفنة؛ فياكل كل من جهته بكل ادب لقمة لقمة حتى اذا كان امام كل واحد حفرة؛ او حفر فيها من اول وهلة حفرة؛ يصب فيها من اللبن ثم يلكه باصبعه؛ وهو يغرف من الزبدة قليلا الى ملتوته، وقد يغافل من معه ان ارتفعت الكلفة بين الاكلين؛ فيبثق من حوض الزبدة باصبعه؛ فترشح اليه الزبدة؛ ومتى لت امامه وصار كالحريرة، يتناول منه بيده؛ ولا تعرف الملاقع في مأكلك الخ؛ وهكذا دواليك. حتى يكتفى من الاكل اكتفاء غير النهمين الشرهين؛ وللقوم ادب عال في الاكالة؛ هذا هو المعروف، واما هذا الذي وصف في القصيدة فانه مقصود للاحماض ولاريحية الادب :

لمن جفنة قد اقبلت تتالق
مسمنة حتى كان سنامها
وقد فطمت منها الخياشيم نكهة
اهذا اريج المسك ام نفح روضه
نعم انها من غير شك عصيدة
وعهدى بانفى ليس يغلط شمه
الم ترها كالتغر اشنب باسمها
تميس بلون الثلج ابيض ناصعا
لها قمة في وسطها حوض زبدة

فيا ليت شعري من تحط امامه
ويخبط فيها باليدين كأنما

- (١) اشماريخ ج شمراخ : بالكسر رؤوس الجبال ؛ وتسلق الجبل
طلع عليه ؛ وتسلق الجدار ؛
(٢) الخياشيم : ج . خيشوم : ثقبه الانف ؛ وفغم العطرأنفه ملاء .
(٣) الغرثان : الجائع ؛
(٤) الشطر الاخير من قصيدة الاعشى المشهورة؛ واوله :
(نفس الذم عن آل المحرق جفنة) . وفهق الشراب في الكأس - اذا
سال - من جوانبه لكثرة الامتلاء ؛
(٥) الايضاع والاعناق : الجري وسرعة السير ؛
(٦) الدجنة : الظلمة ؛ الاولق : الجن ؛

يشمن عليها غارة مشمعة
فيالى على تلك العصيدة كلها

* * *

فيا فرحى انى السعيد فانها
فيا طالما اجرى احاديثها وكم
فانى لمنهوم اليها وللحشا
لها هي ذى عندي فيا بطز اشرن
فلى نهمتي جاشت اوارا تحرقا
افى كل يوم فرصة مثل هذه

* * *

دلغت اليها والعيون كأنها
حللت لها طوقى وزحزحت معطى
فاعسل حتى مرفقى فربما
وهل فاز فى اشغاله غير حازم
وهل فاز باللذات الا الذى اذا
فانفض نفض المعجلين فلم يمل
وهل يذكر الانسان امثالها سوى

(١) الغارة المشمعة : المنتشرة على الاعداء ؛ وارهقت الانسان عن
هواه : اعجلته عنه .

(٢) الحديقة الغناء : المزدهرة ؛ والارض الجرداء : لا نبات فيها ؛ والسملق
الهام : الصفصف لا نبات فيه ولا اشجار .

(٣) التعريض والترقيق : اذا كنت تكنى عن الشيء ولا تصرح به ؛
ومنه المثل : « اعن الصبوح ترقق »

(٤) المقصود بالسييل : ملتوت العصيدة باللبن .

(٥) الجراز : السيف القاطع ؛ وهو بضم الجيم .

(٦) دلف الشيخ فى مشيئه : مشى مشية القيد .

(٧) خلق الصانع الاديم : اذا قدر كيف يقطعه ؛ وفراء قطعه ؛ وفى
المنزل ما كل من خلق يفرى اى ما كل من قدر الاشياء يتبها كما قدرها

(٨) الهولة : هزيمة هزيمة ؛ والاشارة بذلك الى الجفنة .

واما اذا الارهاق عن فرمها
وادلى الى القعب يطلع رالبا
وللمحض فيه نضرة وتلالو
وما ائرت فيه الوطاب ولادنا
ولا مخضته العانسات وقد بدا
وتعلوه امثال القباب سميكة
فاخذ منه حسوة بعد حسوة
وما القصد الا ان ابل مصارني
وان تغتدى بدء الفتوح لحملة

لغطي الشجاع الدرع اذ يتدلق (١)
كفرب مليء ماؤه يتدلق (٢)
كعصب على متنيه لمع ورونق
الى اريه المبيض ارعن يمدق (٣)
لشامات زبد من عليه تفرق (٤)
زجاجية لماعة تتالق (٥)
كما يحتسى الفجل الذي يترمق (٦)
والا فهمى ما اليها احق (٧)
تغرب فيها غارتى وتشرق

* * *

ومن فاز في بدء فاجدر به اذا
فاعلن باسم الله ان حانت الوغى
فاحلر في حرف العصيدة حفرة
واجعل فيها يمنة ثم يسرة
فاملأها محضا فاجدحها كماء

تقدم ان يحظى بفوز يحقق
ومن كان محفوقا به ليس يزلق
موسعة كالحوض او هو اضيق
سدودا صحاحا عاليات توثق
يهيئ طينا مشمعل محذق (٨)

(١) تدلق السيل : اندفع :

(٢) القعب بالفتح : القدح الضخم ؛ وكثيرا ما يطلق على قدح اللبن ؛
قال : تلك المكارم لا قبعان من لبن شيبا بماء فعادا بعد أبوالا ؛
والغرب بالفتح : الدلو الكبيرة ؛ وهو مذكر .

(٣) الوطاب بالفتح : جلد اللبن الذي يخض فيه ؛ والارى العسل ؛
والارعن : الاحمق ومدق اللبن بالماء : مزجه به .

(٤) العانس لكثرة استخدام أهلها لها تنقن المخض وجمع الزبدة من
المخوض ؛ فلا تبقى من الزبدة شيئا ؛ بخلاف من لا تحذق ذلك

(٥) المقصود الفقايع التي تعلو اللبن اثر ما يصب في القعب .

(٦) ترمق الجمل الماء : يشربه قليلا قليلا ؛ وكذلك يقلل في اللبن

(٧) الضمير في اليها الى الجفنة :

(٨) جدح السويق : لته ؛ ومنه المثل (جدح جوين من سويق غيره)
والمشمعل : الخفيف الطريف ؛ والمحذق : الذي تخرج في حذق عمل حتى اتقنه

المحض فيها خططيات بهمة
وانى في امثال هذا ليسانل
فاجدح ما في حفرتي جدح عازم
الى ان يرى والزبد يكسوه زرقة
اذن يبتدى التجديف والكف ترتقى
وقد رصصت فيها الانامل كلها
امططها حتى اوسعها وهل
فنائى وتمضى كالدلاء تواليها
وللشدق صوت كلما صب وسطه
اذا ارتفعت مدت ذنابي كأنما
فاجدح ايضا ثم اجدح ثالثا
فابقى ولا هكذا واناملى
وما فتئت جدحا وحملا كأنها
الى ان اخوض الحوض ثم اجوزه
ويطلى ينادى هل هناك بقيعة
وهل من مزيد فالعصيدة هذه
فكان جوابي في سيول كأنها
ورائب قعبي فينة بعد فينة
وقد وسعت تلك المجالات فاغتدت
ففلتاح قبل الجدح والمحض مانج
كبحر شديد مزبد قد تفرقت
وانسى اوالى حملة بعد حملة

لنكاد لدهيا جفنتى تشفق
جهود مجد في المهمات يصدق
وسبابتي في جانبي الخوض يثيق (١)
كما بان طرف واسع الجفن الزرق
وتهوى كخطف البرق في الجو يهرق
فعادت كسطل ليس فيها تشفق (٢)
يبلغك السؤل الاناء المفيق ؟
وللسيل في وسط اللهاة تدفق
كما يجد المخنوق روحا فيصعق
تمدد ذيل حين يوضع ابلق (٣)
بسرعة خفق القلب ايان يفرق (٤)
بمنحدر حينا وحينا تسلق
عقاريت تزجي حملها وتخذق
ولى بعد اغذاذ امام ومغلق (٥)
فما من معى منى بذلك ضيق ؟
الد واحلى من رحيق يروق ؟
سيول الروابي والسحاب تدفق
يصب كما حل المزادة اخرق (٦)
بسائط لكن ليس فيهن مودق
وبعض لقيمات عليه تفرق
زوارق شتى فوقه وهى تفرق
كما يغتدى في الزحف جيش مفرق

(١) يثيق النهر : كسر شطه لينثيق الماء :

(٢) السطل عربية فصيحة ؛ وهو الاناء الصغير للماء ؛ ويستعمل الآن
في كل اناء ماء يحمل باليد ؛ وهو مجاز مرسل :

(٣) الذنابي : الذنب نفسه ؛ والابلق : الفرس .

(٤) فرق يفرق كفرج يفرج : خاف :

(٥) والمقصود بالحوض : حوض الزبدة ؛ والاغذاذ والاعناق : الجرى :

(٦) الاخرق : من لا يعرف كيف يصنع الاشياء ولا كيف يعالجها ؛

فاذا اراد ان يحمل مزادة الماء املت فاما فيندفع الماء :

فلسف هاتيك الجبال جميعها
الى ان ارى الفتح المبين وانسى
ولم يبق الا جولة وحدها لسكى
فالحس كفى ثم اغسلها وقد
فاعلم حمدا خالصا من طويستي
فان يطعم الغالوذج الحلو فتية
فانى بحمد الله عندي عصيدة
فقد برئت من كل زور ولم يطف
فجات بما لم يات فيما اتى به الـ
ادام لنا الله العصيدة ما غدت
وما سالت الارياق ان عن ذكرها

وتعلى صياصياها ويفتح مفلق (١)
على شبع والجوع خزيان يرمى
يلهم ما يبقى هنالك ملحق (٢)
رسا بى على سيف الاماني زورق (٣)
لمن كان يعطيني النعيم ويرزق
وبسطيلة جماعة ما يعرق (٤)
من الذرة الغراء اولى واوفق
على وجهها الوضاء طاه يزوق (٥)
سمقع فيما قاله والمخلق (٦)
مصارين بطن الجائع تنقق (٧)
وطاف حوالها ثناء مخلق

* * *

المشروبات الالغية

اذا كان الحضرى يجد بين يدي ترفه وبين يدي غناه من المشروبات
المنوعة ما يجد؛ من شراب اللوز والبرتقال واللوز والمشروبات العصرية
فان ابن الخ المسكين لا يجد الا العذب الزلال الذي يستقيه من الآبار بدلوه؛
ثم ان اراد تبريده فانه يعلق الدلو او السقاء في ممر الهواء فاذا به اعذب
وابرد من ماء الحواضر المثلج؛ وما رأى كمن سمع؛ خصوصا ان كانت
فيه رائحة القطران، وقد احسن من قال في ماء الخ في مطلع قطعة :
ألا ليت لي من ماء الخ موقعا من الخمر قد سموه ماء على غلط

(١) الصياصى : الحصون .

(٢) الملحق : الاصبغ التي يلحق بها ما تبقى في الاناء؛ على عادة البادين
الى الآن .

(٣) سيف البحر : شاطئه .

(٣) سيف البحر : شاطئه .

(٤) تحتوى البسطيلة على أطراف الدجاج والبيض والحلويات والسكر
وامثالها :

(٥) البسطيلة يزوق وجهها بالسكر والتوابل :

(٦) للمقعن الكندي من قصيدته المشهورة حين يذكر أسباب الديون
التي عليه : وفي جفنة لا يغلط الباب دونها مكللة لحما مدفقة تردا
وأما ما قيل في المخلق فقد تقدم البيت الذي قاله الاعشى في قصيدته :

نقى الدم عن آل المخلق حفنة كجابية الشيخ العراقي تفهق
(٧) نقق : صوت : كنفق الضفادع .

وقد كان العلامة سيدى محمد بن مسعود يقول ان الله عوض الخ
الفقيرة الجرداء عن الفواكه هذا الماء الحلو العذب الزلال السلسيل .

لعم ان مشروب الخ الخاص هو الاتى الذي يعرفه كل احدا وقد دارت
قواف كثيرة حوله في مناسبات؛ فمن ذلك قصيدة للشاعر الكبير ابن الخ
البحر سيدى الطاهر يوم تسابق السوسيون في وصف الاتى المشعرا
بغصائد كثيرة (١) فقال هو :

هذا وانى قد رايت رجزا
قد دار بين سيدين احرا
كلاهما لدى الصيصال بازل
هما هلالا هالة الاكراد
سيدنا محمد ابن احمد
وكفوء سيدنا عثماننا
تجاريا في حكم امر حدثا
فعليه الاول عيبا قادحا :
فبان لي ان اجري الفكرة في :
فاعلم بان صنعة التشجير قد
اما الطبايع المستقيمة فلا
الها نسخم البرادا
والكاس قد شرط اهل الطرف
لذا نال الناس في ماعونه
وربما اذا غلا اسهك من
وشرط طيب الكاس طيب الارج
اسدا لنافس ذوو المفاخر :
فما زوال الهيم والتقطيب
لذاك ايضا يستحيل طعمه :
فهذه قطعا ثلاث حجج :
وكلاهما حسية طبيعية :
قال فنى الطرف ابو نواس
في وصف خمر «لم يشنها الطاهى

موشحا محبرا مطرورا
خصل المدى في الفضل لا يورا
متى سطاغنا له منازل
سلالتنا الخيرة الابرار
من صار في قلب الحسود كمدا
من قد حكى نظامه الجمنا
من صنع تشجير الاتى عبا
فيه ورده الاخير مادحا
فصل القضية بقول منصف
أحدثها ذوو المجانة فقد
ترضى بان تفعلها او تفلا
وربما تفسده الفساد
فيها النقاء وصفاء الطرف
وبذلوا النفيس في شؤله
حوت رماء البحر صفا فتننا
فضده اذن تمام العرج
في العود والمراش والمباخر
الا به رأى مبهج وطيب
كما استحال لونه وشمه :
بينة مثل الصباح الابلاج
وبعدها رابعة سمعية
وهو كما قيل امام الكاس
بالطبخ» فافهم لا تكن بالساهى

(١) يوجد بعضها بعين تراجم الاكراديين في الفصل الثاني من القسم
الرابع كما يوجد بعضها في ترجمة ابن العربي الاوزى في القسم الثالث
وانى ترجمة العلامة ابن محمد الالهي قصيدة في ذلك .

فهو كما سمعت سمي الطبخا
ان قلت ان قوله في الحمر
فالقصد ان الطبخ شين الكاس
فصح ان صنعة التشجير
لا هم الا ان يخاف البرد
او اقتضاه سبب فلا حرج
لكن على السداد دون نفخ
فالبرد ايضا يفسد الشرايا
نص عليه جلة اكياس

* * *

ثينا فهلا تبين الشيخا
قلت ومثلها الاتي فادر
بالنص والاجماع والقياس
قدي بعين الانس يا سميري
جدا على البراد اذ يشتد
اذن على ما كان فيه من عوج
بقدر ما يسخن دون طبخ
ويغلق الشهوة بابا بابا
وكلهم في زكته اياس

المعاد في اول السنة الفلاحية

من انواع الاطعمة الالفية : نوع يسمى (اوركيمن) يصنع من حبوب
الدرة والقمح والبقول والعنيس واللفت اليابس مع الاكرعة التي تجمع لذلك
من قبل؛ يطبخ الجميع في قدر طبخا جيدا طوال النهار؛ ويتحين صنع هذا
الطعام في ليلة اول السنة ويوتر ان اصل جمع هذه الحبوب اثر من آثار
نزول نوح من السفينة؛ فقد طلب ممن ركبوا معه ما تبقى مما تزودوا به؛
فاتي كل واحد بما عنده فطبخ الجميع طبخا واحدا؛ والالفيات يطبخه تيمنا
ودرا للعين والجن؛ ولذلك يعتمد بعضهن الى اراقة بعض مرق هذا المطبوخ
على بعض زوايا الدار؛ وازاء اسراب المياه من الساحات داخل المنزل وما هي
بالعادة الوحيدة التي تصنع ليلة اول السنة؛ فأتذكر ان الناس يعرضون
على ان لا يبيت اى واحد خارج منزله مسافرا؛ ويرى بعضهم ان من لم يبيت
في داره تلك الليلة لا يزال مفارقا لداره طول السنة .

الالبسة

الذي أدركنا عليه الناس عام 1323 هـ. انهم يلبسون قمص الصوف
وسراويل الصوف - ويسمونهم التبان - وعمائم الصوف، وذلك لباسهم
صيفا وشتا؛ لا يعرفون اذ ذاك الكتان الا نادرا وذوو المروءة منهم يديرون
على اعاليتهم شملة من صوف؛ او رداء تاما لمن كانوا ملحوظين كالرؤساء
والعلماء وائمة المساجد؛ وفي الشتاء يلبسون الخفيف - وهي لغة فصحي -
ويستورد من (ازانييف) مكان في الاطلس الكبير الموالى سوس، وقد لبست
انا - ما شاء الله - خفيفة غليظة حمراء وراها مما يقابل مقعدة الانسان؛

وللناس اذ ذاك غالبا السلاهم من الصوف المنسوج بالغ المعروف بجودته
ولم تدرك عند الناس لا حبة ولا سراويل الكتان ولا قمصه وعمائمه الا نادرا
لم سرعان ما القلب الزمان فظهرت قمصان الكتان وسراويله وعمائمه
لم جيبه؛ ولكن وشكان ما اختلف ذلك ايضا في ابان الحرب الثانية فراجع
الناس معتادهم القديم الى ان انقضت وطفحت الاسواق بالكتان فعاد الناس
اليه فهو الآن 1364 هـ. الملبوس المعتاد .

واما النساء فان لهن عاداتهن الدائمة؛ من رداء الصوف تجمع المرأة
اعاليه بمصنوع من الفضة مثلث على تديبها؛ واحد على جانب والاخر على
الجانب الاخر؛ ثم يجمعن الاسافل عليهن اما بحزام او بادخال بعض في
البعض الآخر، وهذا الرداء يسمى (تفكوت) ان كان من الصوف؛ او الملحفة
ان كان من الكتان الاسود او الازار ان كان من الكتان الابيض؛ واما الفطاء؛
فان كان من الصوف فاسمه (تحيكت) او من الكتان فيسمى (ادال) والغالب
الى الآن 1364 هـ. ان لا تلبس النساء الا الصوف؛ الا المترفات؛ فانهن يلبسن
الكتان قمصا وملاحف وازرا حتى السراويل التي ما كن يعرفنه قد دبست
اليهن لبستها وشيكاء، والفرجيات وجبات الساركة البيضاء او القهويصة
والسلاهم المنسوجة من المنسوج الرفيع الرومي او البزوي قد صار اكل
الآن يأخذ مكانه بين البسة الرجال الكبراء والتجار بعد ما دبست الحضارة
الى الخ وديها .

السراويل

ما كان يعرف الا الحصر التي تستورد من قرية (أمتضي) ومتى كان
هناك حبل او زربية على قلة ذلك؛ فان بقاءها في الطي اكثر من بقائها
على شورة تحت الناس؛ ولم يكن الناس يفرشون على عهد صغرنا الا الهياض
على الكباش المدبوغة بصوفها - ثم لم تنتشر الزرابي الا في عهد آبائنا
في دار قليلة في الخ؛ ولا يزال ذلك قليلا الى الآن واقل القليل جدا
المساجد والمخاد، ولا اعلم الآن دارا للاضياف استجمعت الفرش المعتادة
في العواضر من المضارب والزرابي والمخاد الا نحو دارين؛ على ان ذلك
لا يد ان يزداد بتزايد اتساع الحضارة .

المعتمد في المساجد

المسجد هو النادي العام لاهل القرية؛ ولا يتخلف عنه الا من لا خير
فيه؛ ولاستناد المسجد احترام؛ وهو الامام والوزن - غالبا - وقاري، الحزب،

ولا هجوري ولا لهلة (١) في الخ وقد أدركنا أن استناد المسجد هو مولى القرية أن لم يكن فيها عالم ومعلمها المنارة ومقاعد الانكحة والمصلح بين المتخاصمين *

المعتاد في المدرسة الألفية

كان سيدي محمد بن عبد الله المؤسس لمدرسة الخ عام: ١٢٩٧ هـ * مجددا فأسس في الخ القراءة الجديدة، فحين ينخرط التلميذ في المدرسة بعد أن يحفظ القرآن يتدرج من الجرومية فالجمل والزواوي؛ ثم اللامية لابن مالك مع ابن عاشر؛ ثم الرسالة فالألفية لابن مالك؛ ثم بعد ذلك التحفة والمختصر والمقامات والزفافية؛ ثم المنهج وفي الرمضانات لا يقرأ إلا الحساب والفرائض والبخاري، وبين هذه الدروس يتلو الطلبة من عشية الأربعاء إلى عشية الجمعة في كتب الأدب بينهم يبتدون بالاسهل كالمتطوف ومروج الذهب وابن خلكان؛ فسيرة ابن هشام؛ فالمواعظ المدنية ثم لا يزالون يترقبون إلى أن يقعوا بعد أن يشدوا في نفج الطيب الذي هو الكتاب العالي عندهم؛ والعادة أن كتب الأدب لا تقرأ في أيام الدراسة تفرغا للمعلوم الرئيسية ما عدا المقامات الحريية، وأما المعلقات والطرائف ولامية العرب والهزلية والبردة والشقراطيسية؛ وبانت سعاد؛ فإن هذه تقرأ في العواشر غالباً؛ وأما الدروس الدائمة فالفقه والنحو والتصريف والتفسير أحياناً؛ والمعتاد أن يطالع التلاميذ دروس الغد بينهم يطالعها لهم نجباءهم، ثم يقرأونها عند الاستاذ؛ ثم تعاد بينهم أيضاً؛ ثم يتعهدهم الاستاذ في حفظ الشواهد والابيات التي تستطرد في الدرس؛ ثم يواخذهم الاستاذ بالاعتناء بعدد من الابيات في كل صباح من المتون مع تكرارها جماعة في عشية الأربعاء؛ وأما ما بين العشائين في غير الأربعاء والخميس فإنه ليطالعه الدروس أو لأعراب راس الحزب، حيث يجولون جولات في كل المتون التي يدرسونها؛ ولهذا تجد أبناء المدرسة الألفية؛ أكثر السوسيين استحضاراً للمتون؛ وعادتهم في الدرس؛ أن يتغنوا بالابيات التي تقرأ جماعة قبل انتاج الدرس، وغالب قراءة الشادين فضلا عن المبتدئين في الواحات؛ يشغلون فيها المتون؛ ثم تفسر بيتاً بيتاً؛ كما تعرب كل الشواهد بالسنة الطلبة لا بلسان الاستاذ كما أدركناه في القرويين وابن يوسف؛ ويقرأون الألفية أولاً بشرح السيوطي ويتلو التلاميذ المكودي مناوبة؛ ثم بشرح

(١) اللهة يضم لسكون؛ ما يخطر به صباحاً؛ فقد قال الهراي لانس ا
لهذا هيضكم .

والحزب يقرأ في الخ على القاعدة الناصرية؛ تتبع الأحزاب إلا في عشية الخميسات فيقرأ الكهف؛ وصباح الجمعة يس وتبارك، ولا يتعلق حزبهم بالشهر؛ ويقرأ سبع من البردة في حزب كل عشية؛ وفي المدارس العلمية تقسم الهزلية أيضاً على أحزاب الأسبوع الصباحية. ولهم دعوات خاصة تقرأ وراء الحزب كما لهم دعوات خاصة كذلك كلما أريد التفرق من مجمع؛ خصوصاً المجمع التي يحضرها أهل الخير، تحتوي على الصلاة الإبراهيمية؛ ثم الفاتحة ثم اللهم ربنا آتنا في الدنيا حسنة وفي الآخرة حسنة وقنا عذاب النار؛ ثم الصلاة الإبراهيمية أيضاً ثم سبحان ربك رب العزة عما يصفون وسلام على المرسلين والحمد لله رب العالمين .

هكذا يختم كل مجلس؛ كما يدعى بذلك نفسه بعد الصلوات؛ ولأرباب أن هذا الدعاء المرتب قديم؛ لأن مثل هذا مذكور في العهد الموحد، ولكل طرف منه أساس من الحديث؛ وفي ليلة ختمة القرآن؛ - وتكون دائماً عشية الأحد - تزداد دعوات أخرى؛ ويشحن محبو الخير من الرجال والنساء الحضور، لما ثبت من أن ذلك الوقت يستجاب فيه الدعاء؛ ويأتي أهل الفضل بالتمر ومقلو الذرة؛ أو بقصعة طعام؛ وفي بعض المساجد من جيران الخ توجد احباس لهذه الختمة .

أما كيفية التدريس من الاستاذ؛ فلا تختلف عن المعتاد في كل المغرب ضغطاً وتكرير السور وغسل الألواح صباحاً؛ ثم املاء الاستاذ على التلاميذ كل واحد على حدة، ثم يكمل الاستاذ نصف اللوحة للتلميذ أن استظهر نصفها الأول؛ الذي كتبه بيده؛ ولا يذهب التلاميذ إلى الغداء إلا بعد أن يحفظوا؛ ثم يرجعون إلى تكرير السور التي كانوا حفظوها إلى الهاجرة؛ ثم من الظهر يقرأون ما سيمحي غداً ثم التكرار للمحفوظات، إلى أن يقرب المغرب؛ وحضور الحزبين صباحاً وعشية من واجبات التلميذ؛ وتكرر المحفوظات إلى العشاء؛ وهن عصر يوم الأربعاء تكون الراحة إلى عصر يوم الجمعة؛ إلا أن التلاميذ يبكرون يوم الخميس أن لم يغيب الاستاذ إلى أهله، لتكرير السور إلى الضحى؛ والعواشر تكون أياماً قبل العيد وبعده؛ وعلى التلاميذ ضريبة الأربعاء والعواشر؛ كل بما تيسر، وقد كان المعتاد في الخ البيضة الواحدة في الأربعاء وقرشا في العواشر؛ وذلك منذ نحو 40 عاماً. ثم جاءت الدراهم في الجميع؛ واجرة الاستاذ تجمع له من محصول السنة من البيادر بعدد معلوم من الأصبع على كل دار؛ ومع حرث تقوم به جماعة القرية، ومع الضحية أو ثمنها؛ ومؤنثه بالتناوب غداء وعشاء؛ داراً لدار؛

الاشمولى والموضح في المرة الثانية؛ والرسالة بابي الحسن؛ والتحفظة بالتأودي والتسول؛ والمختصر بالدردير والمقامات بالشرشي؛ وللأساتذة الذين مروا بالمدرسة الالفية استحضار نام في الغنون لكثرة ما مروا بها؛ فلا يحتاج احدهم لاعداد الدرس؛ واكبر اعتناء الالفين بالنحو واللغة والادب؛ فلا تمر كلمة الا عرف ضبطها؛ واذا احتفل مجلس طلبتهم ياتي احدهم بكتاب يتلوه؛ ثم لا يستحي الصغير ان ينبه الكبير ان لحن في اعراب او في ضبط كلمة؛ وقد تعجبت كثيرا حين خرجت من الخ فاسمع اللحن ثم لا يوجد من يرده، ومتى فرط مني ذلك عن غلط او عن طبيعة يقوم مثل الاخ التعلواني في وجهي كنصيحة ان لا اتسبب في معاداة الناس؛ فيا للعجب؛ فهؤلاء شيوخنا كابي الحسن وابي محمد الالفين وكشيخنا سيدي الطاهر ما كان احد من الفتيان امثالنا يستحي ان يرد على احدهم؛ وهؤلاء كذلك تلاميذنا عودناهم ان يردوا علينا؛ فسبحان من فرق بين البيئات .

كتبنا هذا للغد، ليعلم الغد كيف كان الخ واهل الخ في هذا الميدان؛ وللالفين ابيات سقيمة يفتتحون بها المقروء في مجلس الدرس؛ فما كان رجلا تقدم له ارجوزة في ابيات قليلة؛ وما كان على بحر الطويل كالجمل تقدم فيه ابيات اخرى؛ فاول ابيات الرجزية؛ اعوذ بالله من الشيطان ... الخ ومن ابيات الطويل؛ قول حسان فيما اظن في الرسول:

له هم لا منتهى لكبارها

وهمته الصغرى اجل من الدهر

وللمدارس فيما ادركنا قوانين في حضور الصلوات وفي خدمة الاستاذ، فكان من بينها للمدرسة الالفية من بينها قوانين اصعب بها استقامت ما شاء الله حتى دب التدهور الى الجميع .

دور المرأة الالفية

قديما يقول الحضريون: (المرأة الفاسية؛ امرأة وتجارة؛ والمرأة البدوية امرأة وحمارة؛ والمرأة المراكشية؛ امرأة وخسارة) .

لا ريب ان لوصف المرأة البدوية بهذا الوصف حظا من الصواب غير قليل فهذه المرأة الالفية ككل نساء تلك النواحي؛ هي التي تقوم بكل شؤون بيتها، فتظل نهارها في الاعمال المرتبة على اوقات اليوم؛ تقوم سحرا لتطحن ثم تسخن ماء الوضوء مع الفجر؛ ثم تحلب البقرة؛ ثم تسقى من البير بالقلة على ظهرها تاخذ القلة بحبل يمر بكاهلها؛ ثم ان اردت ان تحطب فانها تبكر ولا تطلع عليها الشمس الا وراء روابي الخ حيث لا يزال الشبح الذي

هو الوفود الوحيد للالفين؛ فتجتمع هذه اباله منظومة للظهور ثم ترجع بها على ظهرها والعجب ان ذلك الجمل الثقيل لا يؤودهن، فان النساء الحاطبات يرجعن بالاعاني يتداولنها باصواتهن الرخيمة؛ ثم لا تكاد تدخل الدار حتى تهى الغداء ان لم تكن طبخته صباحا؛ ثم تمخض وطبخها؛ ثم تنقى طبخها للغدا؛ ثم تغربل طحين الصباح ثم تاتي بالخضر من الحقل، ثم تسقى البقرا ثم ان كان عندها سقى من البير للحقول فهي التي تتولى ذلك وزد على ذلك ان تتعهد مغزلاها؛ وترضع ولدها؛ ثم ان كان حرت او حمساء، فهي التي تقوم بذلك بمعاونة زوجها او وحدها ان غاب. بهذا تملا نهارها؛ ثم تطبخ العشاء؛ هذا كله والغالب ان تحافظ على صلاتها في دارها مع السمع من المسجد، والمرأة الالفية هي سيدة الدار حقا - فهي الخالدة وهي المتصرفة في الشعير والسمن والمراعية للاضياف ولو لم يحضر زوجها ان كانت الدار دار الاضياف -؛ والطلاق في الخ لا يكاد يذكر؛ وكذلك الزوجة الثانية؛ فلا اعلم من الخ الآن دارا فيها عدة الزوجات الا ثلاثا فقط من المتوسعين الذين دفعهم دافع خاص الى ذلك ومن الامثال الالفية: ان المرأة تقول: (دعوا لنا المطبخ ندع لكم الراي) اي اتركوا لنا ادارة المنزل؛ تترك لكم ما في خارج المنزل، ومجمل القول ان المرأة الالفية تقوم اراء زوجها الذي لا يعرف الراحة ايضا بدور عظيم في الحياة مع الصيانة وعدم الزلق الا في النادر الذي لا يكاد يخرم القاعدة؛ مع الصبر العظيم والاخلاص لزوجها والرفق في المعيشة؛ مع حفظها للسر ومحافظتها على مظاهر التدين والتصدق على المقابر؛ خصوصا ايام الجمعة وعاشوراء؛ فتذهب النساء بالتمر، ومقلو الذرة او القمح؛ فيفرقنه على الصبيان .

الامثال الالفية

ان درس الامثال التي تطلق عفوا من الالسنه هو عين الدراسة لفكرة الذين يطلقون تلك الامثال؛ ولذلك حرصت على جمع الامثال الالفية من قديم في كراسة استوفت زهاء ثلاثمائة؛ ثم اخذها مني الكولونيل المستشلع؛ (جوستار) ففرنسها ونشرها في بعض المجلات الفرنسية؛ ثم رجعت كرة اخرى ونحن في معتقل؛ (اغبالو نكردوس) فامليتها على الوزير الكبير اخي سيدي محمد الفاسي؛ فجمع منها عنى الفا وخمسين، ما بين منشور ومنقول؛ وقد فسرنا كلها بحكاياتها بالعربية الفصحى فضمها الى المجموعة الكبرى التي جمعها في الامثال المغربية؛ ولهذا اكلف القلم الآن عن تبعتها اكثرا بما في مجموعة الاخ الوزير المحترم .

هي نوعان: فمنها ما هو مخصوص بالصبيان؛ ومنها ما هو مخصوص بعامة الناس؛ اما العاب الصبيان فانها :

1 - الاسداء، نقول العرب: (اسدى الصبيان واستدوا: اذا كانوا يلعبون بالجوز). وصبيان الخ انما يلعبون بالحصى؛ ولتشابه الملعوب به سمينا هذا اللعب هذا الاسم .

ياتى كل صبي بعدد من الحصى يتساوون ثم يعمد اولهم الى جمع الحصى في كفه؛ ثم يلقيه الى الاعلى من بطن الكف؛ فيعرض له ظهر الكف؛ فيبقى ما يبقى ويسقط على الارض ما يسقط، ثم اذا تراكمت الحصيات على الكف؛ ينظر في الحصى فما كان منه لا يمس الجلد وقد علا الحصيات؛ ياخذ اللاعب على انه ربحه؛ ثم يرمى ما على ظهر كفه ثانيا الى الاعلى فيتلقاه باطن الكف؛ ولكن ان سقطت حصة واحدة فقد خسر اللاعب؛ فيعطى الحصى لغيره واذا توصل لقبض كل الحصيات براحتيه؛ يبتدىء اللاعب في التقاتل ما انتشر امامه مما لم يقع على ظهر الكف؛ فيرمى الى الاعلى حصة من يده في الوقت الذي يلتقط فيه حصة اخرى مما على الارض؛ ومتى لم يفلح في ذلك فقد خسر، وان امكن له ان يستتم التقاتل المنتشر على الارض؛ فانه لا بد ان لا يمس عند اخذ حصة غيرها؛ الا اذا بقيت اثنتان فقط فانه لا بد ان يجمعها مرة واحدة ولو تباعدتا؛ ومتى تمت اللعبة على هذه الوتيرة؛ فقد ربح حصة واحدة ثم يعيد اللعبة؛ الى ان يربح الجميع او يخسر الباقي، فلا يتحصل له الا ما فاز به؛ ثم ينتظر حتى ياتيه دوره ثانيا؛ ومتى تمت الصفة وانتهت الحصيات؛ يحسب كل واحد ما ربحه، فمن نقص له من العدد الذي كان له فان الرابع لاكثر من عدده يدفع له حصة حصة مع ضربة فوق كفه لكل حصة؛ وتسمى هذه اللعبة (اكنترن) .

2 - شلوك - لعبة تكون بنوى التمر؛ ياخذ اللاعب نوى في باطن كفه؛ فيسال صاحبه: اشفع ام وتر، ثم يقرص على ظهر كفه كلما اخطأ. وتسمى اللعبة عند العرب: (خسازكا) قال الشاعر :

وشر اصناف الشيوخ ذو الربا

اخنس يخنى ظهره اذا مشى

الزور او مال اليتيم عنده

لعب الصبى بالحصى خسازكا

3 - ضما - لعبة اشبه شئ بالشطرنج؛ الا ان شروطها اخف؛ تلعب بالحصى مكان البيادق .

4 - طايت العصيدة - لعبة للاختباء؛ صبي حيث لا يرى ولا يرى؛ ثم يتفرق الصبيان في المطايى، ثم ينادى احدهم بالسلعة؛ طايت العصيدة (تواكلا) فيخرج المخبى، فيفتش عن اصحابه فمن وقع عليه اولا يركب على ظهره مليا ويدور به بين الصبيان .

5 - لعبة الحبل - وهي رياضة ناعمة، يوخذ حبل فيربط طرفاه فيدخل صبي في طرف وآخر في طرفه الآخر فيتجاذبان؛ لينظر من هو القوي. 6 - لعبة الحمل - يحاول الصبيان في ان يحمل كل واحد صاحبه الى غاية محدودة .

7 - رماية الهدف - يضعون حجرا مفلطحاً؛ فيرمونه من امد محدود يقف فيه جميع الرامين؛ فمن اصاب الهدف يصفقون له ويصيحون بالصوت الواحد فلان فائز .

8 - صيادة اليمام - يحفرون حفرة وينصبون ازاها حجرا مفلطحاً غير كبير؛ ويسندونه الى عود يضيفون اليه خيطا بعقدة تتحل بمجردها ما يمسها ماس ثم ينثرون حوالى الحفرة الشعير، فيبتعدون؛ فاذا جاء اليمام يلتقط الحب فيتبعه الى الحفرة الصغيرة يدخل فيها؛ ولا بد ان كان في الحفرة ان يمس الخيط؛ فاذا بالحجر يغطى الحفرة فيبقى هناك حياً؛ فياخذ صاحب الحفرة .

9 - لعبة الخيط بحجر - يعمدون الى حجر صغير قدر ربال حسنى يسوون اطرافه حتى يستدير؛ فيثقبونه ثقبين في وسطه، فيدخلون فيهما الخيط المستدير؛ فيدخل طرفا الخيط في السبابتين؛ فيدار الحجر دوراً بينهما مستمرا؛ ويسمى (امجرى) .

10 - الخدروف - لعبة معلومة عند كل القاربة، لا احتاج ان اذكرك وصفها تفصيلاً؛ وهي بالاجمال: طرف من العود مدبب الرأس؛ وفيه حديد؛ والعود مستدير أملس يرمى بخيط يدار بالعود؛ ثم يدور بنفسه بسرعة.

11 - المضاربة بالفاطو - وهو طرف من عيدان التين، يقطع على نحو 7 سنتيمات فيزال لبايه؛ ثم ينجر عود من الزيتون على مقدار الثقبة المستطيلة؛ فيدخل في الثقبة طرف صغير من الكاغد المجموع المبلل بالباق؛ فاذا وصل هذا الى طرف العود يبقى في محله؛ ولكن اذا ادخل مثله من الثقبة، ويدفع بالعود يندفع الكاغد الاول بضغط الهواء؛ فيرمى بعيداً ما بصوت مسموع؛ يجعل الصبيان ذلك بمنزلة البنادق.

12 - المضاربة بالاحجار الصغيرة - وكثيرا ما يقع ذلك بين القرى المتقاربة؛ ولرمى الاحجار بالملاع؛ والمقاليع على نوعين: نوع يسمى (الدى)

وأخر يسمى ليريسا يصنعان من الخلفاء ؛ ولا فرق بينهما إلا أن الأول يجمع مكان الحجر فيه، والآخر يبقى حبالاً صغيرة متقاربة يدخل طرفاها في جبل الطرفين .

13 - اللعب بالكرة - ولا تضرب هنا إلا بالرجل؛ والمعهود أن تغاط من الشرق البالية؛ قبل أن تظهر الكرة العصرية من المطاط .

14 - المراماة بالله يوم العنصرة - على أن هذا اللعب قلما يتعاطى في الخ كما يتعاطى في غيرها .

هذه هي الألعاب المشهورة الخاصة بالصبيان الألفيين. وأما اللعب العام؛ فإنه للرجال أو للنساء - ولا يختلط الجنسان في لعب (أحواش) بالغ؛ وهو لعب يعرفه كل الناس خصوصاً شباب الحواضر الذي يعجب به أن رآه أو سمعه في المدياع ويقام في الأعراس والأعياد والأفراح، يديره رئيس يعرف أن يغنى؛ وفي يده دف؛ وحين يكون عرس أو عيد أو فرح كبير؛ كان المعتاد قبل احتلال تلك الناحية وقبل أن يزال منهم السلاح أن يأتي أرباب البنادق فيصطفون أمام اللاعبين؛ وتحت أنظار النساء المطلات على اللعب من السطوح، فيطلقون بنادقهم بالترتيب؛ في الوقت الذي تطلق فيه النساء الزغاريت؛ ويرسلن على الرؤوس - طاقات الحبق - وهو الثبت الطيب الوحيد الذي يعتنى به في الخ حتى أنه يستتبت عند كل ربة دار - وكذلك ترسل البندقيات هكذا إذا زفت عروس وقاربت أن تدخل القرية التي تزف إليها؛ والرجال إذا ذاك يغنون أغانيهم؛ وأما إذا كان لعب النساء فقط؛ فإن الدعار من الرجال يستديرون بهن أو يطاون، والغالب في الخ قبل الاحتلال أن لا يذهب إلى أحواش إلا زمر المروءة؛ وأما بعد الاحتلال فقد صار الرؤساء الذين لا مروءة لهم يستكثرون من أحواش النساء تقرباً إلى المستعمرين؛ وفي هذا اللعب يوجد بين الأغاني أشعار الحب؛ وأشعار الحكم؛ يحفظ منها الكثير .

وهناك لعب آخر كنا نعرفه قبل الاحتلال هو الرماية للأهداف في عشايا الأعياد؛ يخرج كل أهل القرى إلى أطراف القرية يتعلمون الرماية؛ فيتخرج الصغار بالكبار؛ وهذا مما طوى بدخول المستعمر .

وبعد؛ فقد كان أهلنا المرابطون يترفعون عن لعب أحواش؛ وكان لبعض شيوخهم العظام سعى حثيث؛ في قطع ذلك في قريتنا حتى نادت القبائل بتفريم كل من أقامه؛ ولكن نبغى من أهلها من رد ذلك وإعادته جذعاً؛ والله الأمر من قبل ومن بعد .

أما الخاني الألفيين في وقت الحصاد وفي الدراس فكلها أذكاء وحكم

واستفالة بالأشباح المعتادين عندهم؛ وهي لديهم معروفة بالتقليد؛ وكذلك ما يتأوله في محافل المشاهد المسماة عندهم بالمعاريف؛ قالها أدعية مألوفة يحفظها المسنون؛ وبالأجمال؛ أن عوائد الخ في الألما بهي عوائد كل جزولة بلا تخصيص ولا تخصيص؛ بل هناك عند غير الألفيين أزيد مما ذكرناه؛ لم أن ما ذكرناه لم يستوف إلا قليلاً . مع الاختصار في هذا القليل .

ما قيل في وصف الخ من الأشعار

وقفت على قواف غير قليلة حول الخ وأهله؛ ولكنني لا اختار الآن إلا ما له مساس خاص بمرض الخ وبوصفه أو التشويق إليه؛ أو التشكي منه؛ وقد كنت أنا نفسي صدرت مني أشياء من ذلك؛ فاختار من كل ذلك ما يقارب الموضوع :

قال شيخنا شاعر الجنوب وعلامة سوس ومفخرة الأدب الألفي ؛ سيدي الطاهر :

نسيم الصبا هبى بنشر ربا الخ تعلل شلوا لم تغادر يد النوى يهدن إلى تلك المنازل أنها ؛ ربوع ربها المسك طيباً ونبتها؛ لحال إذا ما الزهر نور أرضه إذا اشتمست أرجاؤها قلت أنها؛ هي السؤل والمامل لوسمحت بها وقال أيضاً يخاطب شيخ الخ العلامة علي بن عبد الله استاذة الوحيد؛ من قصيدة مطلعها :	ففى نشرها للعاشق الصب ما يبغى به غير سمع للامامة لا يصغى، منازل بدر التيم لا منزل الفرغ؛(1) بوجه الفضا منها عذار على صدغ؛ سماء حبا أثوابها الفجر بالصبح فتاة على أعطافها صفرة الردغ؛(2) يد الدهر لكن شيمة الدهر أن يبغى من قصيدة مطلعها :
---	--

بالت فبان جميل الصبر أسماء
يقول وهو يصف نفسه بأنه كالجسد الملقى يكتنفه من الجوى
والدموع النار والماء :

أرسي بأحشائه الشوق المذيب كما أرسي لراها غير؛ والتسيم شدا وأربع طلعت فيها شمس هدى ناهت بواحد الخ فقلت لها	للمجد في أرض (تحت الحصن) أرساء والماء راج، وكالياقوت حصباء فهى المنازل لا فرغ وعواء أيه فقد سامت مصر وزورا
--	---

(1) الفرغ : من منازل القمر
(2) الردغ : الرجل . هكذا في أصول اللغة القاموس وشرحه؛ ولا يتم التسمية إلا إذا كان معنى الردغ ما له لون خاص كالزعفران مثلاً . ثم وقفت على أن هذا المعنى في الردغ بالعين لا في الردغ بالهمزة، ولا أدري ما وقع لشيخنا مع أنه تشبهت في اللغة .

وقال الاديب سيدى محمد بن الحاج الافرانى :

اياساكننا ارضا هي الارض وحدها بها ما يشاء القلب والاذن والبحر
اجل بلاد الله علما ورفعة ومجدا وسوددا فحق لها الفخر
بها العلم والهدى بها المجد والعلا بها الدين والدنيا ؛ بها الوعد والسمر
فما شئت من عيش هنىء وحكمة وعقل رصين لا تحوم به الغير
بهم ولهم عيشى يطيب ومرتجى فؤادى وجودى معهم لو يشا القدر
يذكرنيهم جود سحب السما وان تقاصر جودا عنهم وان انهمر
الا ليت شعري هل يتاح لناقتى ؛ برونك لديهم كي يزايلها الضجر
فابصر ايضا عيشة مطمئنة ؛ ودعرا لطيفا كان اجمعه السحر
فاستجمع الصفو المرى ؛ فتضحى عيونى بالننى كلها تقر

وقال الاديب العلامة الكبير سيدى محمد بن مسعود المعزى :

ليهنكم يا آل الخ مفاخر فخرتم بها ما بين غرب الى شرق
سموتهم بدورا بل شموسا بنوركم تفتق زهر الفضل من بعد ما رتق
فابقاكم للعلم والفضل والهدى ؛ الاله حباكم فى العلا قصب السبق

وقال ايضا :

حي ربح الرباب من (تحت حصن) منجدا زائرا لاوثق حصن
وبوادى العقيق فيه فرع بالطايا واعمد الى خير ركن
واقران تحية من مشوق قاده لهواهم كل حين

وقال العلامة محمد يحيى الصحراوى لما مر بالبحر سنة 1313 هـ. فمكت فيه ما شاء الله ودرس فى المدرسة الالغية قليلا :

يا اهل (تحت الحصن) انتم فوقه معنى وحصنكم بعلم يشرف
ما ضر من بالفوق معنى وصفه ان كان فى حس بتحت يوصف
فارقوا بجد واجتهاد للعلم ترقوا معالى حدها لا يوصف ،

وقد وقفت على قطعة للاديب سيدى محمد بن الحاج يجيبه بها ؛ مطالعها :

بالفت فى الارشاد يامن ينصف اهل الوفا ؛ والنصح دين يعرف

وقال الاديب ماء العياش بن العتيق الصحراوى :

ياال (تحت الحصن) ان يقع النوى لا زلت مائى الوفود وان دعت
انا بلوناكم فالفيناكم لم تسجروا فطباعكم محمود
انتم مناخ بئى السبيل وحيككم (ان امرا جعل الطريق ليا به ؛
فعليناكم اسمى التحايا ما شدت فبخلت وذكى الفؤاد زعيم
سنة وناب من الخطوب عظيم ما منكم فى الثابتات مقيم
والعرض مما يستلم سليم ابدا بقارة الطريق مقيم
طنبا وادى حقه لكريم (1) ورق على ايك وهب نسيم

وحين وقف الاديب سيدى الحسن البونعمانى على قطعة محمد يحيى المذكورة ؛ وعلى ما قاله ابن العتيق ، قال :

لله ما قد هاج ذاك الموقف نظموا دموعهم قصائد وهى فى
كم توجوا قبل الرحيل مجالسا ذهل المودع والمودع للنوى
حيث الخ فما أجلك مجمعا ؛ علماء صحراء الفسيحة جددوا
أهبا الولاتى فى الموات حدائقا وابن العتيق مطرب بقريضه
وعليهما نبغاء الخ أغدقوا ... هم أفعموا من كل فن أكؤسا
صاف بالمفاخر الخ فهى جديرة وعيون الخ من الوداع تكلف
حسن اجل من العقود واشرف ولكم بشعرهم المسامع شغلوا
فكانما دارت هناك القرقف (2) لوفود شعر أين من يستنكف
فيها عكاظا للنهى تستوقف غلبا بفكر فى المعارف تظلف
وعليه أعلام البيان ترقرى كرما وآدبا وما يستطرى
للوافدين وبالتوادد انحلوا ، وأنا بالغ فى المفاخر اعرف

وقال بعضهم :

ابواب الخ لكل آت تفتح يامن يوم انخ قلوصلك واقترح
ففسيح ما أبصرته بسهولة ؛ ارسل لطرفك فى البسيط عنانه
لا امت فيه لا اعوجاج كراحة من ذلك استفت الطباع من اهله
وصدور من يرجون منه شرح ان الحوائج منك طرا تنجس
كم كان فيه للمتجارة مريج فبسيط الخ كما تشاهد افيج
مبسوطة منها المكارم تطفح (ان الاناء بما حواه يرشح)

(1) بيت قديم مبدل ، وهو هكذا فى الاصل :

ان امرا جعل الطريق ليا به طنبا وانكر حله للقيم (2) القرقف : الخمر .

وكتب الأديب محمد بابيه لزيل الخ المصراوي الى عميد الخ
سيدى علي بن عبد الله قطعة شطرها بعضهم نصها :

عرج بس تحت الحصن يامن سادا
وانزل هنا لك ما تشاء وطولن
واكرع بمعهد ورد اعلامه الا
وامكث هنالك الف الف راتعا
قوم تقفوا في صيانة مجده
الخ وما الخ تلافى مجده
فاقرا السلام على الفقيه وقل له
قبل يديه وأبلغن من خله :

لترى بعينك في الوري اجوادا
واطبل به التطواف والتردادا
قطاب والاجراس والاوزاد
بل بله عنك الحصر والتعدادا
ما رد للآداب الخ عماد
أبناءؤه الاباء والاجدادا
صيرت الفك للعلوم مهادا
ان التشوق لم يزل مسزاد

كان قاضى (أقا) ورد على الخ فقبله أدباؤها بقصائد ترحيب - على
عادتهم - فقلت له انا من بينهم قصيدة من اولها :

ما الخ غير شعوره في شعوره
بالعلم والادب البليغ فخاره
لم يحفظ بالارض الخصيبة لا ولا
لكن له أدب تدفق نهـره
كل البلاد لها كنوز في الغنى
ما الخ الا البحر يزبد علمه ،
بل روض مجد خضلت جنباته ؛
فيه يرحب بالتنزيل فينتنى ؛
فاذا افاض الشعر الغنى فقد
وبمدح الخ وتركه يدري الوري ؛

أسعد بمن ظفرت يده بدره
ان قام كل في الندى لفخره
بالروض يوتق من تدفق نهـره
مدا وهل أحد رأى من جزره
وكنوز الخ جميعها في شعوره
والشعر افضل مقتنى من بحره
وشذا القريض تارج من زهره
بجرا حقائبه برائع سحره
أدى بما أسداه غاية شكره
من كان فذا في العلا من غيره

اصبحنا يوما في الخ في فصل الشتاء سنة 1356 هـ. فاذا بسيط الخ
بجباله يمس في حلة بيضاء من الثلج البراق؛ فحفز ذلك الشاب السيد
الحسن بن علي الصالحى، وهو ناشئ، اذ ذاك في اول عهده بقرض النظم
فكتب الى :

اهلا بوفد الغصب وفد سما
حنت اليه وكابدت بفراقه
وتولدت حتى اتاح لها الا لا
نثر السحاب زمردا فتزيت
فترى البسيطة كالعروس تبرجت

نالت به الغبراء كل بهاء
الم الغرام وصرحت بعناء
وصاله فتباشرت بهناء
بعقوده وتبرجت للقاء
وتوجت بزهورها كسما

وترى الخليفة بعد ما قد كابدوا
هذا بفعل الله ليس بغيرة
لولا النبي المصطفى ورجاله ؛

جهدا قد احتفلوا بكل ثناء
لهج الغفر عباده وفناء
عند الإله لما سقى بالماء

بهذه القطعة الحسنية تحررت فريحتى. فقلت هذه القصيدة التي
صورت فيها جولتى في صباح ذلك اليوم :

ما ذا رأى من لم يكن بالرائى
لا سيما ان عم حتى لا ترى
والارض من أبوابه مياسة ؛
فكانها وجه البسيطة فضة
وكانما كل الثرى حجب الكؤو
او روضة ازهارها مبيضة
والجو صاف والسماء كأنها ؛
والشمس قد اقلت لدى اشراقها
فجلا بياض الثلج في برقانه
انى التفت رايت ابيض ناصعا
نهوى به لو كنت اجمع أعينا
لله وقت ضحى خرجت لزهة
والارض تبرز في قشيب ثيابها ؛
واليوم طلق والحياة مسرة
والنفس تانس بالطبيعة اذ بدت
فوضعت فوقى معطى والعقل لا
فوشيت اخطو والبسيطة نضدت
في جانبها شامخات توجت
لكننى في صحن بلور وقد ؛
فاجيل ابصارى اجالة حائر
متنقلا بلواحظى مترنجا
واللب ماخوذ كان طاقت به
فالقول يا عجباً افى ذا اليوم يـ
من ذا يرى النعماء هذى ثم يـ
من ذا الذى لا يستفز شعوره

ثلجا يشع بلونه الوضاء
من لمعة في سائر الارضاء
ميس العروس بحلة بيضاء
مصقولة براقلة السلا
س متى يشعشها المدير بها
مخضلة من مسة الانضاء
مرآة من تعادها بجلاء
بشعاعها الوهاج فى الانحاء
حتى ليعشى أعين البصراء
شرك العيون وفتنة لارائى
كى تحتظى فى لمعة بمراء
ترناد فى البيضاء لا الغبراء
لماعة الانجاد والبطحاء
والقلب مجلو من الاسواء
أسرارها بالطلعة الفراء
يفتر صاحبه بصحو شتاء
ساحاتها بالؤلؤ الوضاء
منها المفارق باخضرار سما
غطيته بكرامة خضراء (1)
فى تينك الخضراء والبيضاء
مما أرى من روعة وبهاء
ايدى السقاة بخمرة عذراء
سقى المرء تحت الشملة الصماء
سقى بعد فى الجدران تحت كساء
ببساط مبيضة زهراء ؟

(1) كرامة المائدة: عطاؤها. وبذلك فسر بعضهم (حبا وكرامة) اي
الاء وعطاها .

أين القرائح أين ما يعتاد أن

يبهر عجب أعين الشعراء ؟

* * *

قضيته زمتنا أجول وانسى
متمتعا بمنظر ما مثلهما
وأنا أميس ومجنى في راحتي
حول بياض ناصع يقق ومن
ما كنت أحسب أنني متهلل ؛
حتى رايت اليوم الفا كلها
قد جللت بالثلج يلمع صافيا
فاهتز عظمى نشوة وأثارنسى
فاحس من طيب الحياة وعيشها

فكك الفؤاد بهذه النعماء
من منظر، ما سامع كالرائي
كيلا تزل الرجل في الارساء
فوقى اخضرار طافح بصفاء
يوما هنا بهلامح السراء
بسهولها وجبالها الشماء
كالشعر حين تبسم الحسناء
ما يستثير خواطر الادباء
ربا كان قد عدت للحمرء (1)

* * *

العادة في الخ أن شهر مارس هو مقياس الفلاحة؛ فإن أمطر جاء
الغيب والا فعكسه؛ فتأخر المطر في سنة الى هذا الشهر فصاب؛ فقليل
في ذلك :

الغيث في مارس بعد
كالوصل جاء بقتة
بشا ترى الجفاف يس
والورق الرقيق يس
ولفحة السموم تر
وصرصر الاعصار يهـ
والياس يرسل على
إذا بمزن هامع
يحى البلاد والقلو
فتسترد الارض زهـ
تلوح كالحسناء في
فاينما التفت أبـ
فكل حقل غادة
تبهر من يبصرها
فالحمد لله الذى
ورد للربيع بالـ

د ما انقضى الصبر الجميل
من بعد هجران طويل
تولى على زرع الحقول
سم باصفرار وذبول
مض البطاح والتلول
شم الفروع والاصول
أهل الفلاحة الدهول
مسترسل الغيث الهطول
ب بتموج السيول
وها من الزهر البليل
مطارف وفي حبول
صرت قشيبا مستطيل
ماست تجرر الديول
تحت نسيمها العليل
روى بفضلها الغليل
حيا رواء الجميل

ما الخ في غير الربيع
لجهنم ووحشة
جرداء لا روى ولا
لكنها فصل الربيع
بساط مخضرة
فاينما التفتت منه
لا سيما عند الضحى
حيث يا الخ بهـ
فان يزل عنك الربيع

بح غير فكر ذى طول
فلا بيت لا قبل
حوى بها لمن يجول
بح ما لارضها مثيل
يحوطها الجو الصليل
ها تجد الظل الظليل
وعند زبرج الاصيل
لذا الفصل لا كل الفصول
بح فتحتى نزول

ومما صدر عنى اذ ذاك وانا فى هذا البسيط اتلون بين فرح وحزن
فالول كيفما تيسر ؛ فمن ذلك :

يا طيب الخ فى الربيع فما
ارجاؤه الفيحاء مخضرة
فكلما اسمته نظيرة
بموج بالصحة لست ترى
بغور فيه رائد العلم ان
اسولا يتابع العلوم بهـ
مدرسة جوار زاوية
وان صقعا مجده علمه
ومن ذلك :

جوه فى طيبه من قسيم
تقابل الطرف بوجه قسيم
اسمتها بين بسيط وسيم
ذا علة هناك الا النسيم
فيه يخيب حاطب او مسيم
والذكر ما زارته ذات رسيم
فجاور العالم فيه الدسيم (1)
لفالج القدح بمجد حسيم

لله الخ ومراها ومجياها
وما تحس به بين الشفاف وقد
حتى اذا انكشفت بطحاؤها فاذا
سما افق المعالى من يطل على
خصب القرائح لا خصب المزارع ما
ففكر الخ حياة للعلوم ومن

وما يشم اذا حيت بريها
قاربت ان تجتلى منها مجياها
الخ السماء التى تدرى ثرياها
آفاقها الغر حياها وبياها
فى الخ فهو على الاماد مجياها
أحيا العلوم على أرض قد أحيها

ومما قيل فى وصف الخ وهو وصف حقيقى :

أوصاف الخ متنافيات
ضد لقد يتقابلان
عند القياس متناقضات
كفارسين يتصاوان

(1) الدسيم : الدامر

(1) لا ينسب القارىء أن القصيدة قيلت بعد النفى من الحمرء الى الخ .

منازلها بجديده المغير
غير ربيعها بسيط يكلج
فلا تمت ارضها لاهلها
فكل من يزورها مرات
لا بد ان يصفها فيشهد
ان شرفت ارض بنينا فبنو
ومن اتى الخ فما اتاهها
فانه من علمها سيعجب
فانها من جهة لمخضبة
مجدبة كما ترى حقولها
فكم علوم من بنينا فائضة
وكم بحوث عندهم مفجرة
روض الفهوم عندهم مزدهر
خزائن العلوم دافقات
قلوبهم في العلم بين العين
منهم في الادب الاندلسي
فكم قصائد لهم عصماء
وطيبهم من عرف (نفع الطيب)
فهذه الخ وذى اوصافها
سبحان من يجعل في الاضداد

ومن ذلك :

نعمة الالفى فتح
بين رشف الكؤوس
يتملى قابعا بيب
بنعيم كان فيه
والاعاصير تدوى
فيكاد البيت ينسد
جنة الخ وان حفت

ومن ذلك :

الخ بسيط بلقع مقفر
تجول فيه ما تجول فلا

ما بين علمها المفسر
صليعه وقت الشتاء يطفح
الا كمت حزنها لسهلها
بين فصول متفاوتات
حينما يدمها وحينا يحمده
الخ همو من شرفوا وزينوا
وانما اتى بنى رباها
لكنه من فقرها سيكباب
كما ترى من غير تلك مجدبة
لكنها مخضبة عقولها
وكم بثار في رباها غائضة
وكم هضاب عندهم محجرة
وما هناك قط روض يزهر
ولا مياه متدفقات
والشيخ والخلفاء للعيون
لا فى الرياحين ولا فى النرجس
بين بسائط لهم جرداء
في وسط ذاك الجزر الجديد (١)
وارحمنا لمن هو الافها
لحكمة منفعة العباد

لكتاب وسط داره
واصطلا حول ناره
من التفافات ازاره
دفتر قطب مداره
فوقه او فى جواره
ك جميعا بجداره
بأنواع المكاره

لا روض فيه لا ولا عين
تبصر فيه موقعا عين

شتاؤه سم ذعاف لمن
يعصف فيه صرصر صافر
تشقق الاطراف منه وان
وتجمد الصهباء من قره
حتى مياه المزن فى افقه
كم فرغت من قم قاصده
لولا علوم من بنى الخ لم
ولا رايت قط من مبصر
لكن قطرا زانه اهله
هل البلاد غير سكانها ؟

ومن ذلك ما قيل ارتجالا لسبب اقتضى ذلك :

تصاغ كما تبغى وفوق الذى تبغى
من الخ بليغ بالقصائد لا تصفى
شهود على هذا : بمنزلة الرفخ
جوانبه الا طلائع من صددغ

اذا احتفلت ااداب من كان فى الخ
فاية ارض حول الخ متى شدا
فالخ لكف الشعر والناس كلهم
لئن كان قفرا فهو كالخذ ليس فى

ومن ذلك :

لا الخ مال ولا الخ الامارات
يقر عينا بايات وايات
مجد القصور ولا مجد الرياضات
والفهم حليتهم بين النديبات
هبت عليك بااداب ذكيات

الخ المعارف والاداب بلدتهم
من رام علما وآدابا وحل بهم
ومن يرد عرض الدنيا فليس لهم
فالعلم حرفتهم والبحث شيمتهم
ان تسألن الصبا عن زهر ارضهم

ومن ذلك :

صحة الجسم وجورائيق
ف وماء مستند فائق
خضرة الروض وماء دافق
ضفة النهر حفيف شائق
بعد يهفو لهواه عاشق

الخ فردوس لمن منيته
ونسيم مستطاب فى المصيب
اى مصطفى عجيب لوبه
انما المصطاف اشجار لها
فاذا اعوز هذان فما

كنت مرت فى سفرتى الى (تامانارت) بوادى (توت) فصدرت منى
قصيدة فى وصفه : - مطلعها

وضيق واد بترت طويلا كما امتد للماء خرطوم فيل

(١) الجرج يضممتين : من الارض : الشى لا تثبت .

ثم شفعها الأديب الألفى سيدى الطاهر بن عسل بن عبد الله باخرى
مطلعها :

لك الفضل ترت على ما به يخاطبك اللوذعى الجليل (١)

ثم مضت أيام بعد رجوعى من السفر وشيوع القافيتين ؛ فإذا بهذه القصيدة الجديدة؛ وقد قالها الأديب الألفى سيدى الحسن بن على بن عبد الله ؛ حكاية على لسان الخ تحتج على ذكر ترت ونسيانها؛ هي؛ والقصيدة:

اتنى الخ بدمع يسيل
تنادى الأديب الأريب الذى
جمال الوجود ومفخره
رئيس المعارف مختارنا
تقول اليس من الخيف ان
ينشر ذكر ترت وما
وما ترت الا مهر يشي
بذكر ضيقا مهر الصرا
على اننى للعلا محتد
ولكن هجرت فاحفظنى (٢)
اينسى بسيطى وما فوقه
وما وسطه من ربا للزهو
وما بين ذلك للزائر
اتنسى علوم من النحو كم
اينسى نحارير فى كل علم
اشادوا المعالى وما فيهم
الا فانظرون يا ابن الخ الى
فى كل ناحية يستند
وما الخ بين البلاد سوى
اينفى العزيز ويبقى الدليل
الا غيرة منك الغيبة
لعلك تراب ما قد صدع
فالخ سرت تحت ذيل الدجا
تراود انصافها بالقريض

كجدول ماء بخد اسيل
تحلى بعز ومجد اثيل
وكنز المحاسن لا لامثيل
شفاء لكل فؤاد عليل
تيجل (ترت) بذكر جميل
حظيت لديكم ولو بقليل
ب وينسيك أهلا وكل خليل
ط اذا ما مررتا به فى مقيل
وانتم سليل ونعم السليل
ثنا لغيرى وحقى جزيل
وما يحتوى من سرى نبيل
روخير قرى يتلقى التزيل
ين وما مهدوا من سواء السبيل
تسر مبردهم والخليل
م هنا ما لهم من مثيل
سوى مستحق اعتراف الجميل
مكانة الخ المقيم الجليل
ق الخ اهتبالا بكل دليل
عزيز وما (ترت) غير الدليل
ل اذا كان فى الشعر قال وقيل
فتسلف هذا الكتيب المهيل
ست لتشكر عن الخ فى كل جيل
كطيف خليل سرى لخليل
منك ومن صنوك المستطيل

(١) والقصيدةتان فى (الرحلة الثالثة) من كتاب (خلال جزولة)

(٢) احفظه : الغضب

فان القوافى لتتلف ما تسارع الت وذاك الزميل

فتكلفت الجواب تكلفا لا يرضى الادب مطلقا لا اللفى ولا الادب العام
فقلت :

حنانيك الخ المكان الجميل
اما كنت فى بهجة فذة
اما كنت روضا اريضا فما
قرائع منك يفجرها الـ
اينكر شانك بين القرى
اما فيك شعر بليغ ترى
اما فيك علم تفننه الـ
اما فيك صوفية لهم
اما فيك رى لكل العطا
ثراك شفاء لكل فتى
صباك تفوح بخلق بنيـ
فيا طالما صح من شمها
شرفت شرفت الى ان تشر
فله ذاك البسيط فكم
اذا قال قافية فذة
او ان حبرت كفه مهرقا
كذلك يا الخ انت ومن
فلا عجب ان يطيب اليـ
فيدرك (ترت) نصيب ومن
فانت تنيل الجمال لتر
فكل مديح لهدى الجها
ايطرق لى بالحصا وانا
وفى كل وقت انت عن الـ
امنى عقوق يظن لالـ
وكيف واني اوال الثنا
سينكشف الدهر عن يكو
الان يعرف الناس منى ومن

فما لك بين القرى من مثيل
اليك بها كم وفود تسييل
يزورك الا نسيم الاصيل
بيان المروق بالسلسيل
لدى وان لم يكن من دليل ؟
لروعته كل طود يميل
فهوم كما جال سيف صقيل
عزائم ما لهم من عديل
ش فيصدر كل ببرد الغليل
يزود مقامك وهو عليل
ك تشم كزهر بروض بليل
الا اعجب لذي صحة بالعليل
ف حوليك كل قبيل قبيل
راى من عليم فصيح ليل
يردها مثلا كل جيل
ترى كعذار بخد اسيل
يكذب اذك قطر جليل
ك ومنك لاجلك كل سيل
تجاوره فهو ايضا جميل
ت واشباهها ولنعم المنيل
ت وكل قريض فى الخ قيل
ابيت بالغ وفيها اصيل
خ مفاخر ما ان لها من مثيل
خ ؟ فيالك فلنا كبرق يخيل
عن مرقم لم يكن بالبخيل
ن لالخ المعارف خير سليل
اخي خير لسل وخير زميل

ولنختم هذه القوال الالفية بأخرى كانت صدرت مني يوما قبل أن ألف
الالفين وأعالجهم الر ما نزلت بهم في منفاى عام : ١٣٥٦ هـ

(يقولون واقول)

يقولون صبرا انه بك اجدر
وقالوا تكلف ما استطعت فربما
وقالوا تجلد في الندى فقلت قد
وقالوا تباعد ما استطعت فقلت قد
وقالوا اتبكي كل من قد تركتهم؟
وقالوا ألم تقدر تناسي ذكرهم
وقالوا اهم ايضا وفوا؟ قلت اننى
وقالوا قد استعبدت بالشوق قلت هل
وقالوا الست الحر؟ قلت لهم بلى
وقالوا من أعلى الناس عندك سؤدد؟
قلت بنو الحمراء شيئا وبافعا
وقالوا ومن اول الورى بجوارهم
قلت بنو الحمراء من كان جارهم
وقالوا ومن اذكى الانام اذا سما
قلت بنو الحمراء اصحاب فكرة
وقالوا سبى المراكشيون عقله
وقالوا اما فى الغ والاهل غنية
وقالوا اذن انكرت فضلا مشهرا
وقالوا اما فى الغ علم وحكمة؟
فقالوا ألم تولد بالغ؟ فقلت هل
وقالوا لماذا اليوم تعرض جامعا؟
وقالوا اهلا كل ما كان وحده؟
وقالوا سيكفيك التخلق امره
وقالوا وما التفكير؟ فقلت ابعده ذا
فانى يكون الحر بين معاشر
امن بعد هذا تستطاب بالفكر
ومن عجب انى اجيش بفكرة
فيحسب من فى الغ انى خائر
فيحلف بعض كى يسلى وما دوى

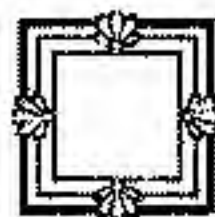
وما هى الا ولبة من خيالهم
فتودع فى الاشعار خير ذخيرة
فكم شاعر فعل تخيل لكبة
فكيف انا يا قوم افلتها وقد
اكل مصاب فاض بالشكو جازع
فما كل ذى رزء اذا ان خائر
ايظهر من اى البراكين ان طغى
وفورة جاش تستهل فتزفر
لكل ادب لا فتح الفكر يشعر
لكيما يجيد القول فيها فيهر
عركت بها عركا يقض ويسهر
خصوصا اذا يشكو خليا ويستتر؟
ولا كل ذى شعر شكا متأثر
من احشائه الاتون الا التفجر؟

هذه القوافي هى التى وقفت عليها مما قيل فى الغ التى كنت قلت
فيها من قديم متشوقا :

الا ليت شعري هل ايتن ليلة بالغ وحول الشيخ يطهى به سكسو؟
وهل اردن يوما مياها بعنصر؟ وهل يبدون بردى لطفى وامقسو؟

والشيخ هو الوقود الوحيد فى الغ وبه طبخهم : وسكسو هكذا ينطقون
به لا (كسكسو) والعنصر بفتحين بير غلبة الماء امام دارنا : وبرد
بفتح الباء وسكون الراء وفتح الدال : من بسيط الغ الشمالى : وامقسو :
بفتح الميم وسكون القاف : جبل عال فى الشمال الشرقى من الغ :
والبيتان عورض بهما البيتان المشهوران اللذان عورضا كثيرا من الادباء
قديما وحديثا

الا ليت شعري هل ايتن ليلة بواد وحول اذخر وجيليل؟
وهل اردن يوما مياها مجنة؟ وهل يبدون لى شامة وطفيل؟



تقسيم الكتاب

١ - القسم الاول : في المرابطين ابناء الشيخ سيدي عبد الله بن سعيد الدين يقطنون في الغ وفي اكادير ايزري وامثالها من كل مكان فيه مساكنهم بتلك الناحية . وفيه فصلان :

الفصل الاول : في المرابطين ابناء الشيخ الذين درجوا قبل عام ١٣٧٥ هـ
الفصل الثاني : في المرابطين ابناء الشيخ الذين لا يزالون احياء بعد عام ١٣٧٥ هـ

٢ - القسم الثاني في الالغيين غير المرابطين من المانوزيين والايغشانيين والوقاويين والاغوديدين ؛ وقد نذكر من هؤلاء من لا يسكنون في الغ ؛ بل في قبائلهم الداخلية ؛ وفيه خمسة فصول

الفصل الاول : في الاغوديدين
الفصل الثاني : في النازلين بالسكنى في قرية (دوكادير) وليسوا اصالة من الالغيين .

الفصل الثالث في الوقاويين

الفصل الرابع : في الايغشانيين

الفصل الخامس : في المانوزيين

٣ - القسم الثالث : في اساتذة الالغيين في القرآن والعلوم والتصوف . وفيه فصلان :

الفصل الاول : في مشايخهم في التصوف

الفصل الثاني : في اساتذة الالغيين في العلوم وبينهم بعض كبار من اساتذتهم في القرآن

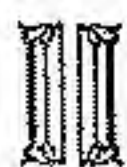
٤ - القسم الرابع : في تلامذة الالغيين علوما وتصوفا ؛ وفيه فصلان :

الفصل الاول : في تلامذة مدرستهم الالغية خاصة .

الفصل الثاني : في مشاهير الاخذين من زاويتهم من العلماء واللامعين من غير العلماء

٥ - القسم الخامس : في اصداقائهم السوسيين الذين يترددون اليهم . او كانوا هم الذين يترددون عليهم حتى تكونت بينهم حمة كالاستاذية والتلميذية . والمقصود بسوس جنوب مراکش

هذه هي اقسام الكتاب . وارجو من الله ان يوفقني ويسهل لى حتى يتم كما قدرته وخزنته في نفسى . فانه ان تم على ذلك النمط سيؤدى مهمة تحيى غالب الاسر السوسية او بعضها على الاقل ؛ كما ستشعر من تراجم المتأخرين صحفا ان نشرت كما نريد فستفتح لسوس تاريخا واسعا يمكن لمن بعدنا ان يستتم عليه . وانا منذ الان اقر بعجزى وبفقر باعى . وبكونى بلا ريب اقع فى اغلاط . ولكن حين بذلت جهدى وافرغت ما فى وسعى فلا عتب على والكمال انما هو لله وحده



الفصل الاول

من القسم الاول

ويتضمن تراجم هؤلاء :

عبد الله بن سعيد الجد الاعلى للمرابطين السعديين
احمد بن عبد الله بن سعيد ولده
محمد بن عبد الله بن سعيد ولده له اخر
علي بن احمد بن عبد الله بن سعيد
عبد الله بن احمد بن عبد الله بن سعيد
حسين بن عبد الله بن احمد بن عبد الله بن سعيد
احمد بن علي بن احمد بن عبد الله بن سعيد
عبد الله بن موسى بن محمد بن عبد الله بن سعيد الاخفيري
ابراهيم بن بلقاسم بن محمد بن عبد الله بن سعيد التاكانزي
بلقاسم بن علي بن احمد بن عبد الله بن سعيد التيبوتي
احمد بن بلقاسم ولده

سليمان بن محمد بن احمد بن عبد الله بن سعيد اول فقيه في اهله السليمانيين
ابراهيم بن سليمان ولده
احمد بن صالح بن عبد الله بن احمد بن عبد الله بن سعيد اول فقيه في الصالحين
صالح بن عبد الله بن صالح بن عبد الله بن احمد بن عبد الله بن سعيد
محمد بن احمد بن محمد بن سعيد بن محمد بن احمد بن عبد الله بن سعيد
محمد بن بلقاسم التيبوتي الفقيه الاول في القاسميين
الحاج علي التيبوتي الفقيه

الحاج عبلا بن صالح ابو الاعلام
العلامة سيدي محمد بن عبد الله ولده مؤسس المدرسة الالفية منبع مجد الف
الشيخ سيدي الحاج علي بن احمد الدرقاوي مؤسس الزاوية المنبع الثاني لمجد الف

العلامة سيدي علي بن عبد الله
الفقيه سيدي الحسن التيايسي
الفقيه سيدي صالح بن احمد الاوفيري
الحاج بلقاسم بن عبد الله
سيدي عبلا باولا
النقيب سيدي احمد بن محمد بن عبد الله الصالح
الفقيه سيدي البشير بن الطيب
الفقيه سيدي موسى بن الطيب
النقيب الحسين بن احمد بن الحاج صالح
السيدة ناكدا أم الشيخ الالف
سيدي ابراهيم بن احمد الطالي
سيدي احمد ابو الفدام
الفقيه الاديب سيدي علي بن صالح الاوفيري
النقيب سيدي الحسين بن ابراهيم الصالح
النقيب سيدي عبد الله بن احمد الصالح
سيدي صالح بن احمد الصالح
سيدي احمد بن محمد التاهالي
سيدي احمد بن الشيخ الالف
سيدي عبد الرحمن بن محمد الصالح
النقيب سيدي محمد بن عبد الله بن محمد الصالح
النقيب المعتبط عبد الحى بن عبد الله الصالح
العلامة سيدي المدني بن علي بن عبد الله الصالح

سيدى عبد الله بن سعيد التهالى

نحو : ٩٥٥ هـ - بعد ١٠٥١ هـ

نسبه :

عبد الله بن سعيد بن حسين بن يبورك؛ اوحسين بن مسعود على ما فى بعض الرسوم اوحسين بن يبورك بن مسعود ان جمعنا بين ذلك وقدرنا ان يبورك انما سقط فى بعض الرسوم .

هذا هو الجد الاعلى الذى تنسب اليه قبيلتنا السعيدية؛ وهو على شهرته غامض من نواح عديدة؛ حتى ان اصله ومسقط رأسه غير معروف الا رجم ظن : وأقاويل تتداولها الالسنه : والمعروف أيضا من سلسلة نسبه لم يتجاوز اولئك الثلاثة او الاربعة؛ والكلام حوله للباحث قلما يجد ما يستضى به فى طريق بحثه الوعرة المدلهمة؛ وما نحن اولا سنبذل جهدنا فى ذلك؛ على حسب ما يتراءى لنا من كلام المؤرخين ومن رسوم وظهائر توصلنا بها؛ ونستعين مع ذلك بسوق ما يقوله اولاده او يشيع عنهم هنا وهناك .

ما شاع عنه فى الالسنه

شاع عند اولاده شيوعا متواترا ان اصله من (تامدولت اوقا) وان ولادته هناك؛ ثم انتقل بعد الى اكادير تنبسيست بين ساموكن وتامانارت؛ ثم من هناك اتصل بشيخه الرجل الصالح سيدى يحيى بن عبد الله التملى (وشيخه هذا فى التاريخ معروف موصوف بأنه شيخ يربى المريدين؛ ويرشده السالكين؛ ويصفى القلوب لتتصل بالمالا الاعلى؛ وهو من اهل القرن العاشر؛ وقد توفى نحو عام : ٩٩٩ هـ) فلأزم خدمته على سلب الارادة؛ فيحكي انه وكله على غرس بستان من الرمان؛ فقام عليه منذ الغرس حتى اثمر؛ وبعد ذلك امره ان ياتيه برمان لاضيف عنده؛ فاتاه به؛ فاذا به مزر؛ فقال له ما هذا؟ او ما تعرف اننا اردناه للاكل؛ فقال له : اننى لا اعرف مذاقه؛ فقال له الشيخ : او لا تعرف الحلو من غيره فى البستان وانت القيم عليه من اول يوم؟ فقال : انك يا سيدى لم تأذن لى فى الاكل منه؛ فكان ذلك اول ما لاحظه الشيخ ملاحظة خاصة (١)؛ ثم فى يوم آخر وقد تكاثر اضياف اخرون

(١) مثل هذه الحكاية تؤثر قبل ذلك العصر بين الشيخ التباع وبين تلميذه الغزوانى .

عند الشيخ امره ان يوقد الفرن للخبز؛ فصار يتردد الى الشيخ بعد ما حوى وطيبه يعلمه بالنقاد الفرن حتى اصجره؛ فقال له بغضب : ان الله فادخله ! فبعد لاي قال الشيخ لاضيفه : قوموا بنا الى ذلك الابله ! فانه لا يبعد ان يلج الوطيس لما سمعه منى من الكلمة الفارطة ! فوجدوه داخل السور جالسا؛ واللفظ فى الاستعمال؛ غير انه لم ينله ادنى ضرر؛ الا ما كان من رؤوس الظفير رجليه فقد نالها بعض احتراق؛ فامره بالخروج ثم ودعه؛ فامره ان يسكن فى وادى (ايهور) حيث قضى عمره كله

ويقال ايضا : انه لما سكن هناك دبت عقارب الحسد فى اهل البلد؛ فراح عنده الشيخ يوما؛ فاشتكى عليه؛ فامره باغماض بصره لئلا يفسده؛ فاذا به يرى الوادى كله يسيل خيلا ورجلا؛ فقال له : هذه جنودك؛ تسلك على كل من تعدى عليك؛ فصار اهل البلد كلما امتدت من احد يده اليه يصاب بسوء فانكفوا عنه بذلك .

الطغيات التي اسسها فى القفار

ثم يقولون : ان من حكاياته ان له نطفية فى (دراووغ) فمر به هناك بعض الملوك بجيش كثير؛ فاضر بهم العطش فى ذلك المحل - وهو معشاة الى الان؛ - فقال الملك لمن حضر : من يقدر ان يسقى النافى؟ فلم ينتدب احد؛ فكرر ذلك فمثل بين يديه عبد الله بن سعيد؛ وهو مشتمل برداء؛ فقال له : انا اسقى الجميع؛ فقال له : او تقدر على ذلك يا صاحب الشملة؟ فقال له ستري؛ فمال بالجيش الى نطفية له كان قبل بناها هناك؛ فصار الجند يمر بها فيصدر ريا؛ وهو يتناول لكل من شرب خبزة يتناولها من تحت ابطة حتى روى الجيش .

ثم يذكرون ان عادة الشيخ ان يدور مع تلاميذه فى القفار؛ فيؤسسون النطفيات حتى انه اوصى اولاده فيما اوصاهم به؛ ان يقوموا على نطفياته؛ فقام بنوه على ذلك الى الآن؛ والاكادير ايزرى هم القائمون بهذه المهمة؛ لا يفرطون فيها ويعدون تلك النطفيات اثنتى عشرة؛ وكانت تسمى بنات الشيخ عند المتحدثين وهى :

١ - (انيد تتوميلين) فى الطريق المارة بين (اكرض وايشت) بوادى (تامانارت)

٢ - فى (بو الجير بين تاجكالكنت ليت تيكنى) وبين (اوسا)

٣ - فى الطريق بين (اداي) و (الفران) فى قفر هناك

٤ - فى ايفل ايجير ويتكونا : بين (تيمولاي) و (بوزاكارن)

٥ - فوق المرائع في (الارواث) وسمعت من بعضهم ان هناك اثنين اخريين

٦ - في ايت (بومريم) في مسجد بناء هناك

٧ - المذكورة في (دراوغ) التي اصدرت ذلك الجحفل اللجب ربا حتى ضرب بعطن فيما يقال :

٨ - في (سمون ايسان) في القفر الذي يوجد في جنوبي الغ

٩ - في (تينوضفيوين ييزين) في طريق تامانارت من الغ

١٠ - في (فم افيباغ) في شرق (اكجكال) بالغ

١١ - في اودري بتهالة

١٢ - في (اكرض ايمالان) بـ (ايسي)

هذه هي النطقيات التي تواتر عند المرابطين ان جدهم هو الذي اسسها ثم اوصاهم بتعهد ترميمها؛ ولا يزالون على ذلك الى الان ويقولون ايضا انه هو الذي بنى مسجد ايت بومريم ولا يزال قائما يضاف الى الشيخ .

تلك هي الترجمة التي يلقبها اليك جميع مرابطينا؛ وهي في الحقيقة لا تتجاوز في بعض ما فيها ماتعج به بعض الكتب التي يهرف بعض اصحابها بما لا يعرف اذ كان يقول ما لا يدري؛ ونحن لا نستبعد ان يقع كل ذلك لاننا نعتقد ان قدرة الله لا يتعاضدها شيء؛ وان الامانة التي تدل عليها الحكاية الاولى؛ وخرق العادة في عدم الاحتراق في الحكاية الثانية؛ واصداره جميع الجيش طعاما وشرابا بتناوله من جنبه كل ذلك ممكن؛ ولكن الاصل بقاء سنة الكون على ما هي عليه؛ ونحن كما امرنا بالانصياع لتشريعة الكتاب المنزل امرنا ايضا بالانصياع لسنن الكون؛ وهذا هو اصل ديننا؛ ولا تنتقل عن هذا الاصل الا بوقوع غيره وقوعا محققا او مظنونا بما تثبت به المعلومات؛ واين السند الذي يثبت به هذا؟ على ان امثال هذا الشيخ رضى الله عنه يمكن ان يقع منه مثل ذلك او اكثر؛ وقدرة الله لا يتعاضدها شيء؛ ومثل ذلك متواتر عن امثاله قديما وحديثا؛ لا يتوقف في امكان وقوعه الاغبي جاهل؛ او من يكفر بقدرة الله تعالى؛ لكن المحدثين يؤثمون من اطاع امره في مثل دخول القرن؛ لحديث لاطاعة لمخلوق في معصية الخالق؛ الوارد في مثل هذه القضية نفسها حين امر حذيفة من معه في سرية ان يتساقطوا في نار امرهم بايقادها. هذا رأى المحدثين بل رأى النبي صلى الله عليه وسلم في مثل هذه القضايا؛ ثم لا نظن بمسلم عاقل ان يتخطى ذلك الا اذا غلب على حاله؛ وذلك ما يؤول به ما يقع لبعض الصوفية في هذا المقام. وبهذا تعلم ان لكل من المحدثين والصوفية وجهة هو موليا استباقا للخيرات؛ وربك اعلم بمن هو اهدي سبيلا في كل قضية على حدة .

وثائق واقوال المؤرخين

قرأت معني ترجمة الجد التي يتداولها احفاده؛ وتعال معني لتسلسل طريقا اخرى بين الوثائق التي بايدينا وبين العبارات التي وجدناها لبعض المؤرخين . فلعننا نجد في الثناء ذلك ما يثلج الصدر؛ او ينقع الغلة على الاقل املنا نقع فيما بينها على ترجمة الرجل الحقيقية التي يمكن لمن يعرف كيف يؤرخ الرجال باعمالهم ويوزنون بقدر افعالهم التي يمكن الاطمئنان اليها ؛ لادراك كنه هذا الشيخ منها ؛ فانا لو اجدون هنا بصيصا من النور يعرف به من هو الشيخ سيدي عبد الله بن سعيد؛ ان لم نجد النور الوهاج الذي يلقى الشعاع التام على حياته

١ - نسخة من رسم (بعد ما يندب تقديمه لافتراق المنافع به ؛ والام بيد سيدي محمد بن ابراهيم الغرموزي الكرسيقي؛ قال فيه بعد الثناء على الله والصلاة على نبيه المختار : » تزوج على بركة الله وسنة نبيه عليه السلام الم رابط السيد عبد الله الايموري زوجه المباركة زينب بنت احمد بن ابراهيم الغرموزي بصادق معلوم غير مجهول سماه لها عنه وكيله على (بن حسين بن يبورك) بعد ثبوت وكالته اياه بعد دفعه صداقها وهو خمس وسبعون دينارا فضة - كذا - قبضه وكيلها (قبض معاينة) وهو جدها عمنا الطالب محمد بن ابراهيم الغرموزي بوكالتها (بالنطق) اذ هي لبيبة (لها طلبة) باثثة من الازواج واعتدت عدتها؛ وعلى امسك بمعروف او تسريح باحسان؛ وبه شهد وشهد من ساقته القدرة للحضور محمد بن الحسن بن عبد الله بجمادى الاولى سنة واحد وثمانين وتسعمائة؛ ابراهيم ابن ايوب في هذا التاريخ .

الحمد لله تفكير؛ ما في وجهي الاساوير خمس وعشرون دينارا ونصف دينار ودرهم وثلث درهم؛ واربعة خيوط مفصلين بادز - كذا - واربعة حروير . الحمد لله؛ جملة الجهاز للمجهزة المذكورة؛ وصداقها بمقلوبه ٦٨ ح ٠٠٠ ابراهيم ٨ ٠٠٠ (١) ٧ دراهم وذلك (١) ٠٠٠ ر بلقاسم ابراهيم من دين زوجه فاطمة بنت عبد الله ٣٤ درهما انتهى ما ظهر وتبين لنا نسخة من اصله بلاولا وكتبه من شهد في المقابلة والمماثلة من غير زيادة ولا نقصان والله اعلم؛ باواخر ربيع الثاني عام ١١٣٣ هـ ابراهيم بن علي بن احمد بن ابي بكر الغساني وفقه الله تعالى)

هذا ما وجد مع بياضه الاصل وقد ابقينا من البياض ما لم نهتد لفهم الساقط منه؛ واما ما اهدينا اليه فقد وضعناه بين قوسين؛ واما قولنا

كذا بين عارضتين فهو الراء كلمات لم نعرف المقصود بها؛ او لم تتضح لنا غاية الوضوح . وقد رايت في آخر الرسم ما يظهر منه انه بقية كلام سقط من المنسوخ منه اصالة؛ وهو تنمة كلام فيه وصف الجهاز وقد تنبه لذلك من نقل عن الاصل فاعتذر بما رايت.

٢ - فحامله المرباط الخير السيد عبد الله بن سعيد التهالي الساكن بوادي ايمور ابقيناه على ما كتب له مولانا ابو فارس اعزه الله من اسقاط كافة التسخير المخزنية واكرياتها ويبقى على ما عهد له من الاحترام التام والوقار العام وعلى الواقف ان يعمل به ولا بد؛ وكتب بجمادى الاولى عام ٩٩٩ هـ خديم المقام (١) ٠٠٠) ثم في الطرة ما نصه المذكور بعرضه؛ لا تخرق عليه العادة؛ وكتب عبد الله مملوك مولانا نصره الله لطف الله به اه . كما نقل من اصله؛ وقد سقط اسم الموقع للاصل واما ما في الطرة فهو بخط آخر لهذا القائد الذي سمي عبد الله؛ ولا شك ان هذا من قواد السلطان احمد الذهبي؛ وما ذكره في وسط الكتابة وسماه ابا فارس؛ هو الذي اشتهر من بين اولاد الذهبي ومن المتولين بعده؛ وقد كان قائدا لاييه على سوس في اواسط العقد العاشر من هذا القرن

٣ - الشيخ احمد بن ابراهيم سلام عليكم؛ وبعد فموجه ان الفقير المرباط السيد عبد الله بن سعيد من وادي ايمور تجرون امره على ما كتب اليه القائد احمد بن منصور حفظه الله في احترامه من السخري والا (نصافات والضيافات) والسلام عام ١٠٠٧ هـ كتب به عبد الله تعالى ٠٠٠٠ لطف الله اه كما وجد؛ وقد وقع فيه بتر في المحل الذي تركنا فيه البياض

٤ - ابقينا الفقير المرباط السيد عبد الله بن سعيد على ما كتب به القائد احمد بن منصور في احترامه من جميع السخري والضيافات وسائر الانصافات والسلام وكتب به اواخر رجب عام ١٠٠٧ هـ عبد الله تعالى وكتب احمد بن ابراهيم التهالي لطف الله به

وفي الطرة ما نصه : يبقى المرباط المذكور على احترامه من كافة الانصافات والضيافات يبقى على توقيره واحترامه على عادة امثاله المرباطين وقيده عبد الله اوائل شعبان المعظم عام ١٠٠٧ هـ انتهى كما هو؛ ويظهر ان القائد احمد بن منصور قائد عام على هذه النواحي واحمد بن ابراهيم التهالي رئيس ال تهالا؛ ولم نعرف الان القائد احمد بن منصور ولا احمد ابن ابراهيم التهالي؛ وما اضيع تاريخ بلادنا

(١) بياض في الاصل .

٥ - ٠٠٠ وباطنا يفرح اليه من كان ملهوا فيبيته؛ ومكسورا فيجبسره ومن نزع الشيطان بينه وبين اخوه يدويه؛ ويصلح بين الناس عامة؛ مع كمال اوصاف دينه؛ ومن همرت حاجته قدم في طلب فضائلها فضيحتها ذو بركة في جميع احواله؛ وينبغ المريدون ويرشدتهم من البلاد واقطارها وجعل له ولاية الامور وقارا وجاها؛ فابعدوا ساحته من مطالبهم كما حرروه وعلموا حرمة من غير طلب ذلك منهم بل بمجرد علمهم انه اهل لذلك فواظب على حالته كذلك حتى فارق الدنيا بالوفاة؛ فترك اولاده متمسكين باوصافه سالكين سبيله؛ على جهد الاستطاعة؛ وهم ممن يستحقون التوقير وان يدخلوا في جملة المتبعدين عن المطالبة بالوظائف المخزنية لبعدهم عما فيه المستحقون للمطالبة بذلك؛ فترغب من امير المؤمنين المنصور بالله امام وقته مولانا ابوالعباس احمد الشريف نصره الله تعالى وايده؛ ان يلحقهم بامثالهم في التحرير والخروج بهم عن المطالبة على عادته في اهل الخير والصلاح؛ والدين والقراءة والاقراء على وجه الله تعالى بحق جدهم المصطفى صل الله عليه وسلم وبه كتب اعلاما به اصغر عباد الله؛ باوائل رجب عام ١٠٩١ هـ احمد ابن علي بن ابراهيم التوييتي لطف الله به

الحمد لله؛ الامر كما ذكر وان المذكورين تجردوا عن الناس وملاستهم واستقلوا بالله وبانفسهم؛ عازلين انفسهم عن سواهم؛ ولم ينسبوا انفسهم لقبيلة بل مستقلون لعبادة ربهم وما فيه صلاح دينهم ودنياهم؛ وتركوا ما لا يعينهم؛ اعلمكم به ابراهيم بن ٠٠٠ والحسن بن محمد بن علي بن داود السملالي لطف الله به؛ ومحمد بن محمد بن عيسى لطف الله به .

الحمد لله الامر على الوصف المذكور حسبما ذكر شهد به كاتبه محمد بن محمد بن سعيد السملالي؛ وفقه الله بمنه

الحمد لله اعلم بشوته وصحته احمد بن علي بن عبد الله السملالي؛ لطف الله به؛ ومحمد بن علي بن عبد الله بن احمد بن الحاج عمرو السملالي لطف الله به .

المرباطون المذكورون اهل التوقير والاحترام كتبه ٠٠٠ العمل على ما رسم اعلاه ٠٠٠ فيه اعلم ٠٠٠ بن محمد التمل به حيا وميتا؛ وله الاعتناء بمصالح المسلمين الى ان مات رحمه الله؛ وقام اولاده بعده باقتفاء اثره ٠٠٠ بسلوك طريقته؛ موثرين طريق المسكنة؛ ومحبين لاهل الخير والصلاح فيما ظهر؛ والله يعلم ما تكنه الصدور؛ وكتب اعلاما العبيد الدليل؛ لربه الجليل ابوبكر بن عبد الله التاماناري؛ كان الله له وليا ونصيرا وسمح له بمنه وبمنه؛ ومحمد ابن عبد الله بن عمر التمل لطف الله به؛ وسعيد بن علي بن ابوبكر السملالي

لطف الله به في الدارين آمين ! وعبد المومن بن محمد بن علي بن محمد الدياني
العصماوي وفقه الله بمناه ومحمد بن احمد بن الحسن الجماري لطف الله
به ؛ ومحمد بن عبد الله بن عمر الساموكيني بمنكب ابي القاسم عفا الله عنه
عبيد الله تعالى محمد بن احمد بن عمر من (فم الحصن) تاب الله عليه؛ وعبد
الله تعالى الحسن بن عبد الله بن محمد من فم (الحصن) لطف الله به آمين؛
وابراهيم بن محمد بن ابراهيم الكرسيقي وفقه الله بمناه وكرمه آمين

هذه وثيقة جلييلة وقعها كما ترى ثمانية عشر عالما من علماء القرن الحادي
عشر ؛ وقد عرفنا بضعة منهم كعبد المومن الدياني عالم الغ في عصره؛ وابراهيم
ابن محمد بن ابراهيم الكرسيقي المذكور عنه انه كان من قادة الناس في عصره
وكمحمد بن محمد بن سعيد السملالي احد العلماء العباسيين المشهورين؛ ولا
تزال آثار قلمه محفوظة؛ وجلهم نجهل تاريخه ومركزه في قومه؛ وان كنا
نعرف حق المعرفة انه لا تعتبر الشهادة في هذا المقام؛ الا ممن كان لا يستأنف
حكمه؛ ويعلم منه انه ليس من المتحيزين في حكمه؛ فلذلك لا نشك انهم كلهم
علماء كبار في عصرهم ذلك . وكفى بشهادة ثمانية عشرة من الاكابر المرتضين
عند الناس علما وديانة .

ثم ان هذه الوثيقة قد وقع فيها بتر قليل في مفتحتها؛ وان كان ذلك لا
يضر لان المقصود منها امكن ان يفلت من ذلك البتر ؛ وقد وجدنا هذه الوثيقة
بين وثائق التحريات والظواهر؛ وقد حوفظ عليها بينها؛ وذلك ما يدلنا على ان
المقصود بها هو الشيخ صاحب الترجمة الذي سقط اسمه فيما سقط من اول الوثيقة
وقد كتبت الوثيقة كما ترى في سنة : ١٠٩١ هـ بعد وفاة صاحب الترجمة بكثير
ولكن كل هؤلاء او غالبهم قد أدركوا عصره او عرفوه معاينة ومصاحبة؛ وهذا
السلطان الذي رفعت اليه الوثيقة سمى في وسطها كما قرأته بامير المومنين
احمد؛ وفي ذلك اشكال لان سلطان ذلك العصر : اسماعيل . من سنة : ١٠٨٢
هـ الى سنة : ١١٣٩ هـ ولا ندري كيف وقع؟ فهل هذه الوثيقة رفعت الى احمد
ابن محرز صاحب الثورة المشهورة على اسماعيل؛ او الى من اسمه احمد من
اولاد اسماعيل؟ ويكون قائدا عاما على سوس تحت نظر والده؛ وتكون لفظة
(ابن) ساقطة من قلم الكاتب؛ ذلك كله ممكن؛ وان كان يستبعد باعتبارات أخرى
ويمكن ان الكاتب غلط في اسم السلطان فسماه احمد؛ وهذا الامكان ابعد
وابعد ؛ على اني الآن لا استحضر كيف حال سوس في سنة ١٠٩١ هـ وتحتاج
هذه النقطة الى تأمل طويل ؛ ربما تنفرغ له بعد ان شاء الله ؛ فنعلم هل احمد بن
محرز في سوس في ذلك العهد اول

ثم انني راجعت فوجدت ان سوس في هذا العهد تحت احمد بن محرز
الذي لم يفتك به الا بعد ذلك؛ فهذه الوثيقة مرفوعة - اذن - الى احمد بن

محرز بلا شك واما اولاد اسماعيل محمد العالم فاخوانه فلم يولهم ابوهم على
سوس بالتوالي الا بعد هذا العهد؛ على انه ليس فيمن تول منهم على سوس
من اسمه احمد

٦ - نقل من ام صحيحة بعد الثناين؛ الحمد لله؛ صر سيدي عبد الله
ابن سعيد المرباط من وادي (ايامور) لزوجته زينب بنت احمد بن ابراهيم
الغرموزي ؛ من (اكرسيق) جميع الخمس المصحح له من بين اولاده الاربعه
والامة والدار المعروفة بوادي ايامور في البلد والبلاد (صح) الناطق والسمات
تسيرنا تاما قاطعا بالبيع الصحيح القاطع في جميع حقوقها الواجبة لها عليه
بل قبله ؛ صداقا وجهازا بحيث لا رجوع ابدا عليها في ذلك بسببه ؛ وعرف
قدره من شهد عليه من الشهود به ؛ وبحال كمال الاشهاد ؛ تاريخ اوائل
ربيع النبوي سبعة واربعين واثم ؛ احمد بن بلقاسم بن احمد الكرسيقي
لطف الله به وهو عدل ورضى لموته ؛ بلقاسم ايضا؛ ما في النسخة المتسخ
منها نقله باول صفر عام ١١٣٣ هـ ابراهيم بن علي بن ابراهيم ومعه في النقل
عبد الله بن علي ابن ابي القاسم من نسبه تاب الله عليه آمين اه كما وجد ؛
وفي قول الاصل بلقاسم ايضا اشكال ؛ ولعله ابن بلقاسم فسقط (ابن)

٧ - منقول من ام صحيحة فيها بعد ما يجب تقديمه؛ وافق المرباط سيدي
محمد بن عبد الله بن سعيد من ايامور واخوه سيدي بلقاسم والدهما الشيخ
سيدي عبد الله بن سعيد فيما صيره لزوجته زينب بنت احمد من خمس ماله في
ديونها قبله صداقا وجهازا عليه فيما يطلق عليه اسم ماله في الرباع والعقد
وحازته باتم الحوزة وفقا تاما وبراآه فيبري؛ واشهد على اشهادهما وعرفهما
وفي رجب عام ١٠٥١ هـ ابو القاسم احمد ابن سعيد الكرسيقي ومعهما موسى
ابن عبد الله بن سعيد؛ لطف الله به في الدارين؛ بالنسبة صلى الله عليه وسلم
امين - آمين ؛ آخر شعبان عام ١٠٩٢ هـ موسى مته

ثم يليه : اعلم بثبوت مضمون مقلوبه اعتمادا على شهوده وبه كتب
برسم الاعلام له في مهل رجب ١١٠٢ هـ عبد المومن بن محمد بن علي
وفقه الله .

ثم يليه : اعلم بثبوت وصحة على بن ابراهيم بن محمد بن احمد
السملالي لطف الله به آمين . انتهى ما في الاصل ونقله مقابلة ومماثلة بلا
ولا . سببه تعدد النافع بتاريخ اوائل صفر عام ١١٣٣ هـ عبد الله بن
علي بن ابي القاسم الساموكيني ؛ وقد صح النقل والمنقول منه قال مسن
شهادة من اصله ابراهيم بن علي بن ابراهيم الساموكيني ؛ لطف الله به آمين .

٨ - يعرف شهوده المرحوم بالله السيد عبد الله بن سعيد بن حسين

من وادى امور معرفة صحيحة لامة ويعلمونه توفي رحمة الله علينا وعليه ؛
 فاحاط بميراله زينه بنت احمد الغرموزى وبنيه السيد محمد والسيد
 احمد وسيدى بلقاسم وسيدى موسى وماس ؛ لم توفيت زوجها المذكورة
 فاحاط بميراتها ابنتها السيد احمد المذكور؛ لا وارث لمن ذكرت وفاته سوى
 من ذكر فى علم شهوده؛ محمد بن محمد بن سليمان من (ترسواط) واخوه
 عبد القادر وعلى بن يحيى بن على من النسب؛ وابن عمه ابراهيم بن محمد
 ابن على تحقق ذلك فى علمهم؛ وقيدت شهادتهم مسؤولة منهم؛ وقيد عنهم
 عارفهم باواخر ذى القعدة الحرام عام ١٠٩٠ هـ ابراهيم بن محمد بن ابراهيم
 الكرسيفى وفقه الله ؛ وعبدالله بن على بن عبد الله الترساوطى؛ تاب الله عليه
 انتهى الاصل بمقابلة مماثلة باوائل صفر عام ١١٣٣ هـ ابراهيم بن على
 ابن ابراهيم الكرسيفى ومعه فى النقل عبد الله بن على بن ابي القاسم
 من نسبه ؛ تاب الله عليه

٩ - نسخة اصل من ام صحيحة؛ والاصل بيد السيد محمد الغرموزى
 لا تراق المنافع به؛ مفصلة الشيخ بلقاسم بن ابراهيم الكرسيفى الغرموزى
 مع ابنتى اخيه احمد بن ابراهيم زينه بنت احمد ايم المرباط سيدى عبد
 الله بن سعيد بوادى امور التهالى ام السيد احمد بن عبد الله؛ وشقيقتها
 العامية زهرة بنت احمد فى جميع ما اورثهما الله فى ابويهما المذكورين
 فى اكرسيف واحوازه ؛ والجرفه واحوازا ؛ ارضا ومياها راكدا وجاريا ؛
 واشجارا؛ نوادر وديارا؛ و (قلاقل) - اى اطلالا - غامرا وعامرا؛ سهلا
 ووغرا ؛ مايسمى باسم المالية على تنوعه ؛ وسعائتهما بعد ان قبضتا منه
 خمسة وعشرين مثقالا ذهب سداسيا جواديا (كذا) ثمانية مثاقيل من ذلك
 لزينة المذكورة ؛ زادت ذلك على جهازها المجهزة به من بين اخوتها ؛ واخذت
 فى ذلك الموصوف؛ فدان الارض بـ (اخريك) والحدود من القبلة؛ المرباط
 السيد الحسين بن عبد الله اليوم؛ وجوفه (اى غريبه) ابو القاسم المذكور؛
 ويمينه الوادى وشرقه (اى الشمال) بنو احمد بن عبد الرحمن مع نصف
 العنوة (اى نصف معلوم من حظ) الماء امزكر ؛ على العين باعلى اكرما
 ومفتاحة الارض بتسمتر ؛ وعزلا لذلك بين السيد احمد بن عبد الله ؛ وذلك
 بحساب المناقش (اى المناقش الذى يناقش الحساب ويحرره) حتى عرف كل
 واحد منهما ما هو ماله وانفصل معهما فى ذلك - انفصالا قاطعا جميعا
 الدعاوى والحجج؛ بحيث لم يبق بينهم الا مودة ورحمة؛ وقتلا فيه الاسترعاء
 بالاسترعاء؛ المقدمة والموخرة وبه كتب من اشهد بذلك؛ بافتتاح المحرم
 عام ١٠٣٩ هـ (كذا) محمد بن عبد الرحمن الكرسيفى لطف الله به «امين»
 واحمد بن بوبكر بن ابراهيم من النسب بلطف الله به «امين» واحمد بن ابراهيم

ابن محمد من النسب تاب الله عليه «امين» التهالى ما فى الام وقبول باصله
 مماثلة ومماثلة حرفا يعرف بلا زيادة ولا نقصان؛ وبه نقل بشأن من ربيع
 الثانى عام ١١٣٣ هـ عبد ربه سعيد بن على بن يعقوب بن ابراهيم التهالى
 لطف الله به «امين» وعبد ربه احمد بن على بن محمد بن داود من شمس
 حسانة الحسان لطف الله به «امين»

الحمد لله؛ اعلم بصحة النقل والمنقول منه وثبوتها مع عبيد ربه محمد
 ابن على التهالى ؛ وفقه الله «امين» اه كما وجد

١٠ - ليعلم الواثق عليه ان المرحومين الاختين الفقيرتين خالتي
 زينب بنت احمد بن ابراهيم واختها زهرة بنت احمد بن ابراهيم الغرموزى
 انهما تصدقتا على المرحوم المرباط سيدى عبد الله بن سعيد من زاوية
 امور بجميع ما اورثه الله ورسوله لهما من ابويهما باكرسيف خاصة والله
 اعلم به ؛ وكتب بعد الطلب ؛ وذلك هو المعتمد عليه المعول عليه بلدى قعدة
 عام ١٠٦١ هـ بلقاسم احمد بن سعيد الكرسيفى لطف الله به «امين»

اقول : لعل لفظة ابن سقطت بين كلمتى بلقاسم واحمد . فيكون الكلام
 هكذا : بلقاسم بن احمد الخ .

١١ - اشهدنى سيدى عبد الله بن سعيد التهالى انه حضر لمحمد بن
 احمد العسرى - بـ عرف - البعيلى؛ حين دفع لابن سيدى عبد الله
 المذكور احمد ستة عشر مثقالا سداسيا من جهاز زوجته مريم بنت عبد
 الله ؛ واستوفى ذلك منه برضى زوجته المذكورة وبراثة منها ابراهيم
 حالا ومثالا وشهد به بحال كمال الاشهاد وعرفهم سعيد بن احمد بتاريخ
 رجب عام ثلاثة وعشرين و ألف انتهى من امها بعد المقابلة والمائلة ؛ قاله
 ناقله باوائل ذى قعدة عام احد وثمانين و ألف ؛ عبد ربه محمد بن على بن
 احمد بن يعقوب امrch البعيلى السطحى غفر الله ذنبه؛ ومحمد بن عبد
 الواسع المرزوغى البعيلى؛ لطف الله به اه

١٢ - وكل واستتاب الشاب الاكرم احمد بن سيدنا عبد الله بن سعيد
 ابن حسين التهالى صاحبه فى الله احمد بن عبد الرحمن من نسبه لينوب
 (عنه) ويعقد له نكاح زوجته المباركة المسعودة بنت (عبد) الله بن عيسى
 البعيلى وهى الشيب وفوض له فى (امرها ووكله) توكيلا تاما مطلقا عامما
 اقامه مقامه (فى كل ما يراه ويظهر له) فى صحة وجواز انتهى

١٣ - شهد لدى السيد احمد بن بلقاسم بن احمد بن يحيى الكرسيفى
 انه حضر للمرباط السيد عبد الله بن سعيد من امور حين ذكر جهاز مريم
 بنت عبد الله البعيلى؛ وهى ام السيد عبد الله بن احمد بن عبد الله بن

سعيد من امور نهاية جهازها ستمالة اواق بين الذهب والفضة والحلى وغيرها تحقق ذلك في علم شاهده بغير شك ولا ريب وقبل ذلك شهادته مسؤولة منه عارفهم بتاريخ اواسط جمادى الثانية عام تسعة وسبعين والف احمد بن محمد بن عبد الله الكرسيقي وفقه الله؛ ومحمد بن احمد بن بلقاسم بن محمد من النسب اه .

١٤ - المرباط الافضل سيدى عبد الله بن سعيد بن حسين التهالى مسكنا من تيفلهادين ؛ الساموكنى وطنا وتوفى بتيفلهادين يوم الاربعاء السابع والعشرين من ربيع الثانى عام اربعين والف ؛ هذا ما قاله الرسموكى فى كتابه (الوفيات) وهو قد ادرك بعض عصره .

١٥ - عبد الله بن سعيد بن حسين التهالى مسكنا الساموكنى وطنا كان رضى الله عنه رجلا فاضلا متصوفا مرييا للمريدين ذا كرامات وجهادات وعبادات وصالحات وظهرت له الكرامات وشوهدت له الخيرات؛ لقي اكابر العلماء؛ وصحب افاضل الصلحاء ودار عليهم زائرا وخدمهم ونصح المسلمين؛ وارشدهم وسعى فى مصالحهم جهده وانتفع به خلق كثير توفى بمسكنه بتهالة سنة اربعين والف

هذا ما قاله الحضيكى فى (طبقاته) عن صاحب الترجمة؛ وقد كتب عليه شيخنا يقول الكاتب عبد الله بن محمد الالفى من ذرية سيدى عبد الله بن سعيد هذا ما قاله الشيخ الحضيكى رحمه الله فى تاريخ وفاة سيدى عبد الله بن سعيد كذب محض لا شك فيه ان صح عنه هذا النقل فقد رأيت بعينى رسم تصوير سيدى عبد الله بن سعيد لزوجه خمس ماله مورخا بسبع واربعين والف؛ ورسم موافقة اولاده فى ذلك مورخا بـ ١٠٥١ هـ وكذا نسبته لساموكن كذب ايضا ؛ هذا ما كتبه شيخنا على نسخة للحضيكى نقلته من خطه .

استنتاجات ترجمة الشيخ من كل ذلك

اقول هذا كل ما توصلت اليه يدى مما يمكن ان تستخرج منه للشيخ سيدى عبد الله بن سعيد ترجمة صحيحة يمكن الاعتماد عليها ؛ فلقد اقلت هذه المخطوطات الخمس عشرة ضوءا واضحا وضوحا ما على حياته التى نحن اليوم فى صدد جلوتها الى عين القراء ؛ فلننتبه هذه المآخذ المتقدمة مأخذا - مأخذا؛ لتدرك ما تحتوى عليه تصريحا او ضمنا .

١ - فى وثيقة الزواج نعرف (اولا) ان الشيخ تزوج سنة ٩٨١ هـ بزوجه زينب الكرسيقية؛ ولكن لتسأل : اهذه اولى زوجته ام ثانيتهما؟ لان ما بايدينا فى الوثيقة الاخرى رقم ٨ يدل على ان هذه انما ولدت له من

اولاده احمد بن عبد الله فقط واحمد هذا هو الذى رأيت فى وثيقتى ١١=١٢ قد تزوج بمریم بنت عبد الله البعلبية سنة ١٠٣٣ هـ واما محمد وموسى وبلقاسم المذكورون فى الوثيقة رقم ٧ فهم من زوجة اخرى؛ قد ماتت قبل ان يتوفى الشيخ لان الذين احاطوا بميراثه ليس فيهم من زوجته الا زينب كما ترى ذلك فى رقم ٨ فان كان تزوجها اولا فيمكن لنا ان نحرر مبيعا حياته على اقل تقدير فى نحو ٩٥٥ هـ لان خمس وعشرين سنة ونحوها؛ هى اقل ما يحتاجه من كان لابد - بعد ان يحتلم - من ان يمر تحت يد شيخ من نيوخ الثرية ؛ يخدمه سنوات وقد تواتر انه كان عند شيخه يحيى ابن عبد الله قبل ان يتزوج؛ وانه خدمه ما شاء الله حتى ليحكون انه غرس بستانا قام عليه حتى اثمر ؛ واما اذا كانت هذه هى الثانية من ازواجه فلا بد ان تقدر ولادته على اقل تقدير ايضا فى سنة ٩٥٠ هـ لان الزمان الذى يحتاجه بعد ان تزوج الاول فى العادة وفى الغالب ؛ لا يقل عن نحو خمس سنوات على ما كنا قدرناه فى الزمن الذى يحتاج اليه فى الاتصال بشيخه؛ على الاعتبار المتقدم فسيكون له عند الزواج الثانى نحو ٣٠ سنة؛ واما كان فان ولادته فى نحو اوائل العقد السادس من القرن العاشر ولو كنا عرفنا ان احمد بن عبد الله اكبر من اخوته هؤلاء لربما ترجح الشق الاول او لو توصلنا بعقد نكاح الزوجة الاخرى التى نجهل اسمها واهلها كل الجهل لانحلت العقدة من اصلها؛ ولكن عقد نكاحها معدوم من ايدينا؛ ومن يتناول الى المعدوم فقد يتناول الى المحال

هذا؛ وقد زعم العم ابراهيم - وقد سمعته بعد ان كتبت ما تقدم - ان ترتيب اولاد الشيخ هكذا : فاكبرهم محمد ثم بلقاسم ثم احمد ثم موسى؛ وهو غير مدفوع عن معرفة ذلك؛ فان ثبت ما قاله فعليه ينهى هذا البحث؛ وقد ذاع عند غير العم ذلك؛ هذا وقد اخبرنى الفقيه سيدى هل من (اكرض افقير) من اهلنا ان نساء سيدى عبد الله بن سعيد متعددة ؛ التهالية من اساكنا واصان من تهالة وبعد اليوم من تجكالت ؛ وهى ام سيدى محمد بن عبد الله ؛ والافراية وهى ام سيدى بلقاسم بن عبد الله ؛ وسيدى موسى شقيق لاجد هذين ؛ وكذلك كانت هناك زوجة اخرى ساموكنية لا عقب لها معروف ؛ ولا يدري من هى ام بنت الشيخ مماس ؛ قال : كنت رأيت هذا مخطوطا بين رسوم المرباط سيدى عبد الله بن محمد من ايت اورخا من اكادير ايزرى؛ وهناك بيان اكثر مما هنا؛ قال الا اننى لم استوعب كل ما هناك .

(رجع) ونعرف (ثانيا) ان السادة الكرسيقيين هم احوال احمد بن عبد الله بن سعيد واهوال اولاده؛ وان لنا معشر اولاد احمد بن عبد الله

بالإتصال بهذه الأسرة المباركة شرفاً ليرا يستمد من ذي النورين جسد الكرسيفيين ثالث الخلفاء رضي الله عنه حقق الله فينا ذلك بالعلم والتقوى بفضلته ونعرف (ثالثاً) ان هذه السيدة الشيب التي ربما كانت للشيخ عبد الله بن سعيد - ان تزوجها اولاً - مثل ما كانت السيدة خديجة للنبي صلى الله عليه وسلم؛ فلئن كنا نجهل معاملتها معه في حياته - والأسرة قائمة؛ والضرورة موجودة بمرأى منها - فقد وضحت لنا نفسها وخلصها لزوجها فيما تصدقت به على ورثته؛ كما ترى ذلك في رقم ١٠ فلئن قيل انما ذلك مجازاة للشيخ بما صيره لها من الخمس الذي حازه بين أولاده الأربعة؛ حين خمس ماله بينه وبينهم في أواخر حياته كما في رقم ٦ نقول لكن هل يجزى بالأحسان عن الأحسان الا المصطفون الأخيار؟ ثم ان في وصفها هي واختها زهرة بالفقيرتين لاشارة الى انهما اختارتا مسلك الشيخ الصوفي.

ونعرف (رابعاً) أنها تأخرت وفاتها عن وفاة زوجها لما رأيته من عدة الورثة في رقم ٨ كما نعرف ايضاً انها توفيت قبل سنة ١٠٦١ هـ ضرورة ان الرسم الذي فيه الادلاء بهذه الشهادة؛ كتب في السنة المذكورة وعبر فيه عنها مع اختها بالمرحومتين؛ ولا يطلق هذا الوصف الا على المتوفى في العادة؛ هذا ما نستنتجه فيما يتعلق بالسيدة زينب زوجة الشيخ وجدتنا العليا ٢ - في الوثائق الموضوعة تحت رقم ٢ ورقم ٣ ورقم ٤ ورقم ٥ فوائد شتى؛ منها نستفيدها وحدها وما كنا لنقع عليها لولاها؛ لان الالسنه وان كانت تلوك بعضها ولكن شتان ما بين ما تلمسه باليد؛ وبين ما تتنوره بنظر عال من ادراعات (١)

اولاً - نتحقق الان تلك المكانة التي كانت للشيخ في زمنه؛ وفي ربيع حياته؛ حتى رأيناه قبل سنة ٩٩٩ هـ يتمتع بها بين الاهالي حتى توصل بذلك الى الاستغلال بهذه الاحترامات الحكومية؛ فان سنة ٩٩٩ هـ تطلع على الشيخ قبل ان يطعن في العقد السادس من عمره بل تشك انه اذ ذاك استتم ٤٥ سنة على ما تقدم وان المجد والشرف والسمعة الطيبة التي يكمل المرء بتيجانها في هذه السن لتدل دلالة صحيحة على انه في ريق شبابه؛ كان يجتهد في الارتقاء الى المعالي كل الاجتهاد؛ ثم ان هذه التحريرات المتعددة في أيام سلطان واحد؛ لما يحمل على مجد يتزايد؛ فتزايد الاحترامات والاكبارات من اجله.

على ان هناك في عصر مولاي احمد الذهبي الذي افتتح بسنة ٩٨٦ هـ وانتهى بسنة ١٠١٢ هـ لنظرة خاصة الى امثال هؤلاء المتزينين بالصالح والتصوف فان رجال الحكومة اذ ذاك ينظرون اليهم نظراً شزراً ادى بكثير منهم

(١) تنويرها من ادراعات واعلمها * يشرط أدنى دارها نظر عال

الى ان يلاقي التكميل والهوأن؛ فقد قرأت في وثيقة سقطت الى كتبتها احمد علماء جزولة يوم الاثنين الاول من ربيع الاول سنة ٩٨٨ هـ حين فتح مولانا احمد الذهبي هذه البلاد من جديد؛ ولقد لها تنظيمها تاماً؛ ان السلطان امر ان لا يتخطى بالوظائف المخزنية احد من ارباب الزوايا؛ الا اولاد الشيخ سيدي يبورك بن الحسين الهشتوكي المتوفى قبل هذه السنة بنحو اربع سنوات ٩٨٣ هـ والا اولاد سيدي خالد الكرسيفي؛ والا الشرفاء الكثريون والركراكيون والفلاييون واولاد سيدي يعقوب والشرفاء المعلومون؛ واما من عداهم فيلحق بعمار الناس في الوظائف المخزنية؛ وليس صاحب الترجمة واحداً من هؤلاء.

هذا ما كان قرره احمد الذهبي سنة ٩٨٨ هـ ولا تشك في ان هذه الفكرة انما اقتفى فيها والده السلطان محمداً الشيخ الذي تعهد منه سيلا طافحاً من التكميل بشيوخ من الصوفية الكبار في زمانه؛ فلماذا نعرف ان صاحب الترجمة ما كان لينال من رجال الحكومة هذا التوقير الجديد وهذا الاحترام الفائق لو لم يكن له حال كبير وسمعة طائرة؛ وشهرة ترغم صفحة ذلك السلطان الصلب الارادة على ان يلتفت اليه باعتبار جديد يستجده له بين ارباب الزوايا الذين ربما لا يزالون مترجين حينئذ في غمار الناس؛ وما يدرينا لعل السلطان الذهبي نفسه هو الذي راي منه تلك الكرامة في (دراووغ) التي كنا ذكرنا ان اهاليها يرونها عن الشيخ بالتواتر؛ اذ يقولون انه اصدر جيش سلطان شيباوريا حين مروره هناك؛ فلئن كانت هذه الكرامة كما يسميها اهاليها؛ مما لابد ان تزيد فيها الالسنه ما يصيرها اقصوصة من الاقاصيص فلا نستبعد ان يرى منه هذا السلطان مثل ذلك فيتصل به الناس فيموهونه بما تشاء لهم اغيلتهم والسلطان الذهبي الذي نعرف من هو في التاريخ؛ لا نظنه ممن يتسائل الى احترام ذي زاوية من جديد؛ واعلان تحريره ومحاشاته من بين ارباب الزوايا الذين سامهم ما سامهم؛ بعد ان سد هذا الباب واحكم اجافته؛ الا بياض آخر جديد يحفره فلذلك نرى انه صاحب هذه القصة؛ او الكرامة؛ وانه هو الذي مر بمعطشة دراووغ حيث يتعرف به هناك الشيخ بما يحمله على ان يلتفت اليه التفاتاً خاصاً؛ وقد قرأنا في الوثيقة التي ذكرناها ان الغ من منازل احمد الذهبي اذ ذاك؛ وقد مانه فيه الوقاويون والايغشانيون والحرييليون؛ ولا يزال محل في بسيط الغ يضاف الى سلطان؛ ويقال له (اغرم اكليد) كما لا يزال محل مشرف على وادي ساموكن يضاف اليه ايضاً؛ ويقال له (اضار اوكليد) ويقول الساموكنيون الى الان ان هذا المحل الاخر يضاف الى احمد الذهبي؛ وقد نزل هناك حين نازل حصن القبيلة الووكرضائية؛ الكبيرة اذ ذاك؛ وقد وجدنا في تلك الوثيقة ذكراً لهذه الحرب المشبوبة بين الذهبي والقبيلة الووكرضائية؛ وقد اجلاها اذ ذاك وشتت شملها والغالب ان هذا المحل المضاف الى سلطان بالغ هو منزل احمد الذهبي ايضاً؛ كما رايت هذا

المحل الآخر هو الذي الصيغ له ؛ فنعلم من كل ذلك ان احمد الذهبي يمكن ان يمر بدراووغ المجاور لالغ في مروره الى منزله بالغ من منزله باهران المعدود ايضا من بين منازل في تلك الوثيقة ؛ ويمكن ان يصح بعض تلك القصة المتقدمة ؛ وان تكون سبب اتصال صاحب الترجمة بالسلطان الذهبي ورجال حكومته اذ ذاك ؛ فيتسبب عنه هذا الاحترام الذي رأينا آثاره في تلك التحريات .

ثانيا - ندرك ان احترامه في وسطه كان احتراماً كبيراً ؛ وانه ما نال ذلك بجاه او عشيرة ؛ بل ادركه بتفانيه في منافع الامة ؛ فيسعى في اصلاح ذات البين بين المتخاصمين ويجري في الامور العامة التي لا يابه بها الا من جعل الاخلاص رائده في كل ما يزاوله ؛ والمصلحة ؛ ونفع العباد ايا كانوا نصب عينيه فيقبل على المعاطش ؛ فيؤسس فيها نظفيات تنفع غلات ابناء السبيل وقد جعل جل همه في امثال ذلك حتى ان ائنتى عشرة نطفية اسسها في محلات معلومة بين الفيافي والقفار ؛ وكان يسميها بناته ؛ فكان مما اوصى به بنيه ان يحافظوا على بناته هذه بالترميم والتعهد حيناً بعد حين ؛ فكان اولاده عنده هذه الوصية ؛ فهذه ثلاثة قرون مضت ولا تزال هذه البنات موضع عناية هؤلاء الابناء البررة

وزد ايضا على هذه المهمة التي قام بها اذ ذاك ؛ انه كان يطوف بطائفة من مريديه بالبلاط لتعليم الدين ؛ وارشاد العباد ؛ واعلان كلمة التوحيد والتزهد في زهرة هذه الحياة الدنيا الفانية ؛ حتى لا يهتبل بها اكثر من الحاجة ؛ وحتى لا تفسد العقيدة الدينية بها ؛ فيستولى الشر الذي لا تتكون جرائمه الا من حماة الاتحاد فهذه الاوصاف وما اليها مما نعهده من الصوفية المرشدين ؛ وصفه اولئك العلماء الذين وقعوا تلك الوثيقة الجليلة الموضوعة تحت رقم ه فقد ادركنا بواسطتها ان كل ما يقوله بنو الشيخ اليوم ويتخذونه محور الاشادة بجدهم الاعلى ؛ صحيح كله ؛ وان كانوا يقولون ذلك بلسان الاقاصيص وهؤلاء العلماء الثمانية عشر ؛ اتوا بذلك على لسان الشهادة التي يعلم صاحبها ان شهادته ستكتب ثم يستل عنها غدا

اوليس ان اولاده يعلنون ان جدهم ما ترك لهم الا الدين وارشاد العباد اليه مع الاحتراف بطرق المعاش ؟ وانه نهاهم ان يسلكوا طرق ابناء الزوايا ؛ الذين يالفون التكلف وجمع الزيارات ؟ مع نبذهم شارة الدين ؛ وتنكبهم محبات اسلافهم المرشدين ؛ فهذا ما يقوله ابناء صاحب الترجمة اليوم ؛ وهذا ما وصفه به احد العلماء الثمانية عشر امس ؛ وتلك - لعمرى - مثقبة افضل من كل المناقب فالاشتغال بالدين ؛ وسلوك سنن المهتدين ؛ والتعفف ورفع الهمة عما في ايدي الناس والاحتراف بالطرق المشروعة في المعاش ؛ والمجاذبة بالنسبة

هي احسن في المعتزك الجبوي مناقب عظيمة غاية مثقبة افضل من هذه بالناس

كندا والله لعدم صلحة ذهبية من حياة الشيخ سيدي عبد الله بن سعيد لو كنا عدمتنا هذه الوثيقة الجليلة ؛ فقد ارتنا كيف ينظر الى الشيخ من مختلف القبائل المجاورة لتهالا بلده والنائية عنها ؛ فالعلماء السملاليون والايكساليون والاكماريون والساموكيون والتاماناريون والاسيسون ؛ كل هؤلاء قالوا ماراوه وشاهدوه في الشيخ ومن خلفه في مقامه من اولاده ؛ او رورا ذلك ممن رآه وشاهده في الشيخ ؛ ولحري بعضهم ان لا يزيد على ما يشاهده ؛ فقال هذا ما في الظاهر والله يعلم ما تكن الصدور ؛ فالشهادة من امثال هؤلاء المتحريين الذين يظهر انهم ممن يزنون ما يقولون ؛ فلا يلقون الكلام على عواهنه ؛ ولا يجرون ذيل ظاهر الانسان على باطنه هي - والله - شهادة لها عند ذوي الالباب مكانة مكيئة ؛ ومقام له من السمو والاعتبار ما له .

كثير من الذين حفظوا بالشهرة في حياتهم ؛ وظفروا بالسنة رطبة حول ذكرهم ؛ لا يكادون يرمسون ؛ وتنفض الايدي من غبار القبر ؛ حتى تبدأ تلك الشهرة في الاضمحلال ؛ ورطوبة تلك اللسنة ؛ يدب اليها الذبول ؛ ولكن الشيخ صاحب الترجمة ؛ مضى عن وفاته يوم كتبت هذه الوثيقة عقدان بـل اكثر ؛ ثم جاءت هذه الوثيقة تعلن ان تلك الشهرة لم تزل في الانتشار ؛ وان تلك اللسنة الرطبة ؛ صارت لاجلها الاقلام رطبة بدورها فالت بماتقراء اليوم بعد قرنين ونصف ؛ فنتصور الشيخ سيدي عبد الله بن سعيد من الافراد الذين وقفوا حياتهم في سبيل المنفعة العامة ؛ فلا يكاد يرى ثلثة يتسرب منها الى عباد الله ضرر حتى يبتدر اليها بكل ما اوتيته من قوة وعزيمة واخلصي ؛ ثم لا يفارقها حتى لا يكون منها لعباد الله الا برد وسلام

كنا عرفنا الشيخ سيدي محمد بن ابراهيم التامانارتي معنيا باصلاح الطرق وتسميتها في الهضاب الصعبة ؛ واقامة الجسور على الاودية ؛ وتأسيس النظفيات في المعاطش ؛ فما نحن نرى ثانيا صاحب الترجمة ؛ معنيا بمثل ذلك غاية الاعتناء ؛ فهل كان صاحب الترجمة يعرف الشيخ سيدي محمد بن ابراهيم التامانارتي فادرك منه ما لهذه المهمة من الاجل الجزيل ؛ والدخر الباقي ؛ ان معرفته به لا تبعد ؛ فقد كان زوارا للمالحين والعلماء ؛ وقد اتم الشيخ الحضيكي في ترجمته التي كتبناها تحت رقم ١٥ بهذا الوصف ؛ وقد ادرك عبد الله بن سعيد زمن التمرتي فان الشيخ التمرتي توفي سنة ٩٧١ هـ وصاحب الترجمة اذ ذاك ربما اوفى على العقدين او يتأخر ؛ ولما كان الشيخ التمرتي عالما جليلا طالع الصيت في عصره ؛ فما الذي يمنع هذا السيد الامي ان يتردد الى زيارته ؟ وان يتخذ عنه هذه الطريقة المحمودة التي هي نفع العباد في مصالحهم العامة وخصوصا حين يرى ان الكثيرين ممن ينتمون الى الخيروالارشاد

لا يهتمون بمثل هذه المصالح العامة في الفجاج والقفار كما يهتمون بها في القرى والمساجد ؟ ولذلك لاستبعد ان هذه الفكرة انما اقتبسها صاحب الترجمة من الشيخ التمرلي مصلح طريق (تيسا) في بعقيلة ؛ ومقيم الجسر على وادي الغاس ونائب النطقيات المتعددة المعلومة الى اليوم في قفار شتى

ثالثا - نعلم هذه التحليلات التي يعلي بها صاحب الترجمة في هذه الوثائق من الوثيقة الاولى الى الوثيقة الاخيرة انه امي لا يحفظ القرآن فضلا عن ان يلم بالعلوم ؛ لان هؤلاء انما يصفونه بالفقير المربط ؛ ولا يوصف بذلك على العادة الا من كان له مقام في الصلاح ؛ وظهرت عليه سمات خاصة ؛ واتسم بصفات تحمل كل من جالسه على ان يعترف بانه ليس من مطلق الناس في الوجهة الربانية ؛ التي ولي اليها وجهه ؛ ثم ليس له من حفظ القرآن ولا من العلوم شيء والا فيوصف بالطالب ان حفظ القرآن لاغير او بالعالم ان كانت معه علوم ؛ هذه هي العادة المستمرة ؛ قلما تتخطى عند التحليلات ؛ فكون هؤلاء لا يصفون صاحب الترجمة الا بالفقير المربط الصوفي ؛ نتحقق به ما عند اولاده الى اليوم من انه امي لم يتشرف الا بالصلاح فقط ؛ ويزيد جيرانهم ان الشيخ واولاده الاولين ظهر صلاحهم بالامية ؛ وان الاخيرين ظهر صلاحهم بالعلوم فهكذا عرفنا ان احفاد الشيخ عندهم من اوصاف جدهم ما ليس بقليل ؛ وانهم وان ادخلوا في ترجمته في اسماءهم ما يشبه الاقاصيص ؛ فان الحقيقة فيها لا تزال واضحة وضوح الشمس ؛ ولذلك نعتمد على حكاية اخذناها عنهم وان لم نجد لها في هذه المستندات حلقة نتمسك بها ان تطلبنا النص الصريح

يقولون : ان الشيخ وان كان اميا يحب اهل العلم وينحاش اليهم ويستشمرهم ؛ ويعني بما يعنون به وهذا الوصف نجده في ترجمة الحضيكي ثم يقولون بعد ذلك في تدعيم هذا : انه كان من الواقفين على مدرسة (اوجو) حتى اسمها الفقيه سيدي سعيد الاوجوي المعاصر للشيخ (وقد توفي هذا الفقيه سنة ١٠٤٧ هـ) فجعل الشيخ نصيبا للمدرسة من الحبوب يؤديه كل سنة من صلب ماله ؛ ثم اوصى اولاده بعده بالمواظبة على ذلك ؛ فواظبوا عليه منذ ذلك اليوم الى الآن .

فهذه الحكاية المدعمة بهذا الفعل المتسلسل الى اليوم ؛ مما يزيد لصاحب الترجمة درة اخرى غالية القيمة في تاجه ؛ فقد عرفنا بذلك انه ليس من بعض الصوفية الذين يعادون العلم واهله ؛ ويناصبونهم العداء خوف ان يفضحهم ويكشفوا الستر عن تمويهااتهم ؛ فتراهم عند تشييد الزوايا يهرعون وعند تشييد المدارس يقبعون ؛ فدل ذلك ايضا زيادة على ماتقدم ان صاحب الترجمة واقف عند حده ؛ معترف لكل ذي فضل بفضل ؛ ولا يعرف لاهل الفضل الا ذوهه .

وما غير الانسان عن فعل نفسه يمثل اعتقاد الفضل في كل قافل

فهذا ما امكن لنا ان نعرفه صراحة او استنتاجا من هذه الوثائق التي كتبناها تحت هذه الأرقام : ٢-٣-٤-٥ والحمد لله الذي يسر لنا ذلك جدا

٣ - في الوثائق الموسوعة تحت ارقام : ٦-٧-٨ نعلم ان اولاد الشيخ الاربعة محمد واما القاسم وموسى واحد قد بلغوا كلهم اشداهم في حياتهم ؛ فاصبح كل واحد منهم ان يدير أسرته الخاصة بنفسه ؛ فالفالب ان والدهم زوجهم جميعا كما زوج اخاهم احمد على ما تراه فيما تحت رقم : ١١ - ١٢ فسلوك بهم الشيخ الطريقة التي يسلكها اولو الحزم في الدين والدنيا ؛ الذين يتقون مشاكسة النساء المختلفات اذ يقسمون اموالهم لاولادهم قسمة لا يعطون وقانون الميراث الشرعي من عدم المساواة يفعلون ذلك لاولادهم وهم لا يزالون في الحياة خوف ان ينشأ ايضا بين اولادهم حول الميراث بعدهم ما يتسبب عنه فساد ذات البين ؛ وانقطاع اواصر الرحم ؛ فهذه الطريقة هي التي سلكها الشيخ ؛ فخمس ماله بينه وبين اولاده الاربعة وذلك الخمس الذي صار له ؛ هو الذي صيره لزوجته المباركة في مقابلة كل ما لها قبله ؛ وقد رأيت رسم ذلك التصوير ثم قرانا في رقم - ١٢ - موافقة

قال هذه الموافقة تهيو لما قد يطرأ بعد بين الورثة ؛ والا فالل للشيخ وهو لا يزال حيا ؛ فليفعل ببعضه بل بكله ما شاء ما دام صحيحا ؛ على ما يقوله المالكية رحمهم الله ؛ ثم ان الموافقة انما حصلت من محمد وابي القاسم وموسى ولم يذكر فيها احمد ؛ لانه ابن المصير اليها ؛ وهو الذي سيؤول اليه هذا المال متى هلك المصير لها لانها امه ؛ وقد صار الامر كذلك ؛ فصار هذا الخلق اليه وحده ولا وارث لها سواه كما ترى ذلك في الموضوع تحت رقم ٨ ثم انه لم يبين ايضا من ذلك ان للشيخ اعتنا بتأثيل الاملاك على اختلاف انواعها ؛ وهذا ما لا شك فيه ؛ لانها مادة القوت الوحيدة (١) في هذه البلاد ؛ فكما ان له في امور املاكه كانت له ايضا املاك اخرى في مختلف النواحي ؛ رأينا رسوم بعضها واستمرارات تتعلق ببعض آخر ؛ وخوف التطويل لم نضمها الى هذه الوثائق المتقدمة ؛ ولان كون الانسان ذا املاك ليس بعجيب حتى نحتاج الى الاستدلال على وجوده بوثائق تساق ؛ وان كان غالب العامة وبعض الخاصة من المتفكرين يحسبون ان الرجال الصالحين المشار اليهم بالاصابع ؛ الذين يوصفون بالزهد والخير والاقبال على ما فيه منفعة العباد وارشادهم ؛ ويتصدرون في منصة التربية للمريدين ؛ كصاحب الترجمة ؛ لايتالي منهم

(١) وحدة بلا باد ؛ وهذا وحيد كما يقال ايضا وحيدة .

الاستغفال ولو بما يحتاجون اليه ؛ مما اذن لهم فيه شرعا وطبعيا ؛ ولا يخفى ان هذا قول مافون لا يصدر الا من لا يعرف ماهو مدلول الزهد في دين الاسلام ؛ ولا ما ينفع من المال ولا ما يضر ؛ ومثل هذا ينبغي ان تصك آذانه بقول ابي الدرداء ؛ وربما روى حديثا ضعيفا ؛ اعلم لدياك كانك تعيش ابدا ؛ واعمل لآخرتك كانك تموت غدا .

وبقوله ايضا ؛ من فقه الرجل استصلاحه لمعاشه . وان يصرخ عليه بقوله صلى الله عليه وسلم لعمر بن العاصي ؛ نعم المال الصالح ؛ للرجل الصالح وبقوله ايضا على ما يروى عنه (ليس خيركم من ترك دنياه لآخرته او آخرته لدنياه ؛ وانما خيركم من اخذ من هذه وهذه) او كما قال في احاديث كثيرة في الموضوع ؛ ويتلى عليه من سيرة النبي صلى الله عليه وسلم واصحابه ؛ ما عسى ان يقتنع به ان اراد الله به خيرا ؛ وقد ادى هذا الفطن السيء غالب الناس حتى حسبوا ان كل الذين يشار اليهم بخير من المتقدمين ما وصلوا ذلك المقام الا برهبانية وانزواء ونقض للبدن ؛ حتى لا يضعون لبنة على لبنة ؛ ولا يكوئون على صرة ؛ ولا يفتحون عينا على عقار متائل ؛ فضلوا بهذا الضلال ضلالا بعيدا حتى انهم متى راوا في احد معاصريهم ممن ينتمون الى صلاح او علم استصلاحا لمعاشه ؛ واشتغالا بما لا بد منه من دنياه ؛ لأكوه بالسنتهم ؛ ورشقوا عرضه بسهامهم ؛ ويتمضمضون في انديتهم بالتكلم فيه ؛ فصاروا يحملونه على المقياس الذي توهموه لمن سلك ذلك المسلك من الاخيار ؛ ومتى فسد المقياس ؛ فسد المقيس والمقيس عليه ؛ ورحم الله صاحب الابريز الذي انحنى على من يكتبون على ذلك تراجم الصالحين المرشدين ؛ اذ يتركون التكلم حول هذه النقطة ؛ حين يترجمون واحدا منهم ؛ فجروا القراء الى ان يخالوا ما ليس في الواقع .

اذن تأمل صاحب الترجمة املاكا لا بأس بها ؛ تقوم بأوده ؛ وتكفي اسرته فكان من ذلك امران ؛ احدهما انه لم يذر ورثته عالة يتكفون الناس ؛ بل ورثهم ما انموه فادر عليهم خيرات حسنا ؛ وثانيهما انه غادر في اولاده هذه العادة المحموده المترتبة من التعفف والاحتراف بطرق المعاش المشروعة ؛ ومن الاعتماد على النفس اعتماد الاباة الذين يريدون ان تكون يدهم دائما هي العليا واليد العليا خير من اليد السفلى ؛ فرحم الله ذلك السلف ؛ وبارك في هذا الخلف .

هذه نظرات في الذي وضعناه تحت ارقام ٦-٧-٨ وقد بقي منها ما يتعلق بتعيين زمان وفاة الشيخ ؛ وسنعود الى ذلك فيما ياتي ؛

٤ - في الوثيقتين الموضوعتين تحت رقم ٩-١٠ نعلم بعض ما يتعلق بزوجه زينب الكرسيفية ؛ وقد المنا بذلك فيما تقدم ؛ وذكرنا انها توفيت قبل ١٠٦١ هـ ونعلم ايضا ان اسرتها الغرموزية ؛ أسرة مجيدة مذكورة في

قريتها ؛ فقد ظهر من احد افراد عائلتها بالشيخ بلقاسم ؛ والشيخ في عرفنا هو امطار الذي يرأس اخوانه ؛ ولا يمكن ان يرأس الانسان في هذه البلاد الا اذا اهل الرئاسة تاهلا طبيعيا ؛ من ماله وعقله ومركزه الاجتماعي ؛ وقد رأيت ان هذا الشرف في كثرة الاملاك التي تذكر في رقم ٩ - الذي فيه المفاصلة ولعلم ايضا ان هذه الاملاك الكرسيفية ؛ هي التي تصدقت بها زينب مع نفسها ولورثة زوجها ؛ ان كانت الصدقة بعد وفاته ؛ او على الشيخ نفسه ؛ ان كانت الصدقة في حياته ؛ لان الرسم على كل حال لم يكتب في حياته ؛ بل هو اسرعاء املاء من علمه على من حرر الرسم ؛ ثم ان الذي يشكل هو التاريخ المرقوم في رقم ٩ الذي فيه ١٠٣٩ هـ فان هذا التاريخ غلط ؛ اما من كاتب الأصل ؛ او من الناقل عنه ؛ وهو الاقرب لانه بينما هو يعبر عن السيدة زينب باللفظة ايم ؛ اذا به ياتي بهذا التاريخ الذي يدل على انه كتب في عصر زوجها الذي لا يزال حيا سنة ١٠٣٩ هـ وسيتجل ذلك للقارىء حين يرى الكلام فيما ياتي على زمن وفاة الشيخ .

هذا ما يتعلق برقمي ٩ - ١٠ وهذه هي النظرات المتيسرة حولهما .

٥ - في الوثائق الموضوعة تحت ارقام ١١-١٢-١٣ تجد ما يتعلق بزواج صاحب الترجمة ؛ فقد اختار له والده كما هو العادة في الشرق اجمع ؛ ابنة من ابناء الابناء ؛ كريمة من بعض الاسر الاماسينية البعقلية الشريفة ؛ وعرفنا انها كانت تسمى كريمة ؛ كما يتجلى لك ذلك في القصة والذهب والخل التي جهزت بها السيدة ؛ واهل بيوتها ؛ واهل بيوتها ؛ وهذا من مظاهر الثروة في بلادنا هذه ؛ والاروقة في ذلك العصر ؛ قيمة تساوي من نقد اليوم كثيرا ؛ ولكل ناحية مقياس خاص في الثراء يعرفونه ؛ وهذا الاختيار مما يدل على سمو نظر صاحب الترجمة وعلو همته ؛ فانه لا يصف الى غير الشرفاء الاعلى الامن ليس له شرف ولا علو همة ؛ فهل ينجب الابناء الا الاخوال ؟ اوليس اننا كثيرا ما نلتقي هذا البيت ؛

والمرء لا يشبه الا ادخليس وكل ما قد كان فيهم الكيس (١)

او ليس اننا نروى فيما بيننا هذا الكلام الماثور ؛ خولوا اولادكم فقد خول صاحب الترجمة احفاده ؛ فانجبت هذه السيدة الاماسينية السيد عبد الله بن احمد الذي ستعرفه فيما بعد ان شاء الله ؛ فجاء نموذجا من ابيه احمد ؛ ومن جده صاحب الترجمة ؛ كما ستشاهد ذلك ؛ وقد توفيت مريم هذه قبل سنة ١٠٦٣ هـ كما رأينا ذلك في رسم مناداة لعبد الله بن احمد على مالها الذي ورثه عنها ؛ ولا يورث الا المولى .

(١) والمرء لا يشبه الا اخواله وكل ما قد كان فيهم ناله فيه

هكذا عرفنا ناحية أخرى من فلسفة الشيخ باختياره الكرام لاولاده
كما اختار لنفسه قبل تلك الكريمة الكرسيقية ؛ وهل يعرف المرء الا باختياره
قد عرفناك باختيارك اذ كسسان دليلا على اللبيب اختياره

ثم ان في استنباط احمد بن عبد الله بن سعيد ؛ لاحمد بن عبد الرحمن
من نسبه لدليلا لما سنستنتج منه حين نبحت عن اصل صاحب الترجمة ؛ فيما
باتى قريبا فانتظر فانا معك من المنتظرين .
هذا ما استفدناه تصريحاً او تضمناً من هذه الارقام الثلاثة ١١-١٢-١٣
زيادة على ما كنا استفدناه قبل منها في تلك النظرات السابقة .

٦- ثم في الوثيقتين الموضوعتين تحت رقمي ١٤-١٥- المذكور فيهما
ما في ترجمتي الرسموكي والحضيكي مع ما كتبه شيخنا سيدي عبد الله بن
محمد فوائد جلية ؛ منها ما استوفينا حوله الكلام فيما تقدم ؛ ومنها ما لابد
ان نقف ازاءه ملياً ؛ حتى نتوفر عليه .

اولاً - نجد في ترجمة الحضيكي زيادات في الاوصاف على ما عند
الرسموكي ؛ فبينما هذا لايزيد على قوله - الرابط الافضل - اذا بالآخر يصفه
بكونه - رجلاً فاضلاً متصرفاً مريباً للمريدين ذاكرا مات وجهادات وعبادات
وصالحات ؛ ظهرت له الكرامة ؛ وشوهدت له الخيرات ؛ لقي اكابر العلماء ؛
وصحب افاضل الصلحاء ودار عليهم زائراً وخدمهم ونصح المسلمين وارشدهم
وسعى في مصالحهم جهده ؛ وانتفع به خلق كثير ؛ فهذه الاوصاف الجلية التي
زادها هذا المؤرخ المتأخر عن صاحب الترجمة بنحو قرن على ما قاله المؤرخ الذي
ادرك عصره ؛ مما تكاد نقف ازاءها ؛ ونحن نرسم علامة الاستفهام ؛ لو لم نجد
ما يؤيدها من الاوصاف التي وصفتها به الوثيقة رقم ٥- التي وقعها ذلك اللبيب
من العلماء ؛ ومن الاوصاف أيضاً التي لا تزال تتردد بين الالسنسة الى الآن ؛
فان كانت تلك الوثيقة تقف عند وصفه بالارشاد والصلاح والسعي في ذات
الدين وما اليها من الفضائل التي يستحق بها المرء العامل ؛ الذكر الخالد بين
الناس والثناء العطر من الاقلام ؛ فان في السنة المحدثين نسبة كرامات اليه
ايضاً ؛ فجاءت ترجمة الحضيكي جامعة بين الامرين ؛ وضاربة بكلا السهمين ؛
وهذا المزج نفسه بين آثار العلم وآثار التصوف ؛ منه تكونت شخصية الحضيكي
والتحمت به نفسيته ؛ فان لم يكن عبد الله بن سعيد عالماً فيكفيه شرفاً انه
يزور اكابر العلماء ويدور عليهم ويحبهم ومن أحب قوما حشر معهم على اسلالت
البراع اولاً ثم في مقامات المحشر ثانياً ؛ فهذه الاوصاف - اذن - التي زادها
الحضيكي على ما قاله الرسموكي ؛ ليس منفرداً بها ؛ فقد وصفته تلك الوثيقة
ايضاً بمثل ذلك او اكثر في بعض النواحي .

ثانياً - ان صاحب الترجمة موصوف كما ترى بالتصوف وانه يخدم اكابر

الصلحاء ويزورهم ؛ والتقصود بالصلحاء هم الصوفية ؛ فاما كونه يخدم
الصوفية ؛ فلم نعلم ممن اصل منهم الا شيخه يحيى بن عبد الله التملي ؛ ولم
نعلم انه اصل بغيره ؛ وان كنا لانكاد نشك انه يزور اكابر الصوفية الذين
ادرك عصرهم كالشيخ احمد بن موسى والشيخ محمد بن ابراهيم التامالارتي
من الاكابر ؛ فضلاً عن اقرانهم واصحابهم الذين يعدون اذ ذاك بالعشرات ؛
وكذلك لا نعرف ايضاً انه اصل باحد من اكابر العلماء ؛ وهم كثيرون جداً في
ذلك العصر - الا ما كان من الفقيه سيدي سعيد الاوجوي الصوابي وقد تقدم
ذكر ذلك ؛ ولكن الحضيكي حين قال انه لقي اكابر العلماء وصحب افاضل
الصلحاء ؛ ودار عليهم زائراً وخدمهم ؛ لانظن الا انه تلقى ذلك عن الجيل الذي
ادركه ؛ ولا شك انه يدرك من يروون عن ادركوا الشيخ صاحب الترجمة بكثرة
ومثل الحضيكي لانظن منه الا التثبت فيما يقوله او يكتبه حسب علمه .

ثم ان التصوف الذي اتصف به صاحب الترجمة يظهر انه تصوف عمل ؛
مستند باقامة مصالح العباد ؛ ونصح المسلمين وارشادهم ؛ والسعي في مصالحهم
جهده - كما وصفه بذلك الحضيكي - وانه ليس بذلك التصوف الجامد الذي
يهمل صاحبه على الانزواء في قنن الجبال ؛ او في مغارات الاودية ؛ فحصل له
بذلك نفع نفسه اولاً ؛ بزجه نفسه في جماعة المسلمين ؛ ويد الله مع الجماعة ؛
وبمساركتهم في كل ما يحسون به من خير او شر ؛ وخصب او جديب ؛ فيتجه
اوجههم ؛ ويضع همه بين همومهم ؛ ولا خير فيمن لايهتم بأمور المسلمين .
ويظهر - ايضاً - ان التربية للمريدين الشائعة عنه حتى انتفع به خلق
كثير كما قال الحضيكي ليست بالتربية الاصطلاحية عند القوم ؛ كما فصلتها
راية الشريشي بل هي تربية ارشاد لكل من لقيه من العباد من غير ان يتخذ
لنفسها خاصة يتسم بها اتباعه ؛ وينحاشون الى حظيرتها وخدمهم ؛ كما هو
العالم على من ينتهجون طريقة التربية الاصطلاحية . وادل دليل على ذلك اننا
لم نر من ينتسب اليه من اشياخ الجيل الذي درج وراءه ؛ وما كان الرسموكي
الذي ادرك عصره ليستك غالباً عن ذلك لو كان ؛ مع اننا راينا انه وصف بذلك
الشيخ سيدي محمد بن احمد الحريبي المتوفى سنة ١٠٢٠هـ والشيخ سيدي
احمد بن محمد السكراذي المتوفى سنة ١٠٦٧هـ ولعمري ان هذا الارشاد العام من
غير التمييز بسمية خاصة ؛ لهو الذي يوافق صاحبه محبة السنة البيضاء التي
ليها كنهانها لايزيح عنها الا هالك .

وقد دخل سيدنا عمر بن الخطاب رضي الله عنه الى مسجد رسول الله صلى
الله عليه وسلم ؛ فوجده مملوفاً بحلق وكل طائفة حلقت على كبر من الصحابة
فملاهم عمر بالدرة فامرهم بالاجتماع حلقة واحدة ؛ فقال لهم ؛ تريدون ان
يقال لهذا اصحاب فلان واصحاب فلان ؟ هذا ما قرأناه في مختصر تاريخ ابن عساکر

ولم نسفه بلفظه لطول العهد به ؛ وكأنه رضى الله عنه يتوجس خيفة مما وقع بعده فى المسلمين ؛ وكأنهم لا يتلون قوله تعالى «ولا تكونوا من المشركين ممن الذين فرقوا دينهم وكانوا شيعا» وقوله ايضا «ان الذين فرقوا دينهم وكانوا شيعا ليست منهم فى شىء»

فهذا الذى كان عليه الشيخ سيدى عبد الله بن سعيد من اقوم طرق الصوفية على ان طرقهم كما يقولون : كالأزهار ؛ تختلف ألوانها وان كان الماء الذى تسقى به واحدا .

وقد اخبرت ان الشيخ الوالد رحمه الله كان مرة فى مشهد صاحب الترجمة مع الفقراء فقال ان هذا السيد كان شغله فى عصره كشغلنا هذا ؛ وكانت نظراته صوفية ؛ كما كانت نظراتنا بفضل الله كذلك او كما قال :

ثالثا - ان كلا من الرسموكى والحضيكى وصف الشيخ بأنه ساموكنى وطنا ؛ نهالى مسكنا ؛ سبق بذلك الرسموكى فاخذه عنه الحضيكى على عادته فى غالب استراجم التى اخذها منه بعزو او بغير عزو ؛ فبقى ذلك مشكلا عند كل من يراه من اولاده لامور شتى ؛ منها ما يزعم من أن قبيلة ساموكنى قبيلة منحطة فى انظار الناس فينسبون اليها حكايات واقاصيص جعلتها فى المجتمع كباهلة بين قبائل العرب حتى ان بعض من لا يستحيى جاء بالكذوبة عن الشيخ الحضيكى ؛ فحواها انه سأل مرة انسانا عن هو امام مسجدهم ؛ فذكر له انه طالب ساموكنى فزعم ان الشيخ قال له : اوصيكم بعد اليوم ؛ فان وجدتم طالبا (ولتيتيا) فذاك ؛ والا فتبلغوا بطالب (ازغارى) فان لم تجدوا الا اماما ساموكنيا ؛ فاريخوا مسجدم تلك السنة ؛ الى ان يتيسر لكم امام آخر فهذه الكذوبة وعشرات من امثالها يتعاطاها سفلة الناس ورعاهم وجهالهم فترسب بها هذه القبيلة فى انظارهم ؛ فاما ذوو العقول الراجحة فانهم يعلمون ان الناس سواسية ؛ وان بنى آدم كلهم كاستنان المشط لا يتفاضلون الا بالتقوى ؛ بل يزيدون اننا اذا نظرنا الى اقامة الدين ؛ والاقبال على استظهار كتاب الله ؛ ونبوغ بعض العلماء فينة بعد فينة ؛ وعلمنا ان هذا وامثاله مما تتسامى به القبائل وترفع به راسا عاليا يناطح الجوزاء فان لقبيلة ساموكنى حظا غير قليل فى ذلك ؛ فبماذا تفضلها القبائل الاخرى ياترى ؟ وهل يميل الى هذه الشعوبية الممقوتة الا ذوو الراى الفاتل ولكن مع مدافعة ذوى العقول هذا الدفاع المجيد عن هذه القبيلة ؛ فان آذان الرعاع صم دونه حتى انهم ليزعمون فيما يزعمون أن الفضلاء الساموكنيين انفسهم سرعان ما يتملصون من هذه النسبة ؛ كلما وجدوا الى ذلك سبيلا فقلما يتقرب احدهم ويبقى على هذه النسبة ؛ هذا ما يتفوه به من لا يراعون الا ولازمة وهذه بلاشك قرية افتروها من سخافة عقولهم ؛ والا فمن ذا الذى يتبرأ من نسبه وبلده وان كان ماكان .

لهذا يتبرأ اهليا من ان تكون بينهم وبين آل ساموكنى اواصرا وينظرون الى كل من ارهم بذلك نظرا شديدا ؛ حتى ان من اراد ان يتبرأ منهم او اراد ان يتابعهم قاله يهرب على هذا الولتر الحساس فاذا باحدهم بشور بشعور او بغير شعور .

لازال الذكر الذى كنت مرة سوانا فى طور البلوغ فى دار الرئيس احمد ابن الحاج ابراهيم الفشاني ؛ فضاحكنى وداعبني فلم ينشب ان لمس هذه النسبة فناورته فى ذلك ؛ وانا كنت اجهل ما وراء الاكمة ؛ فقام رحمه الله الى الحضيكى فارادى هذه الترجمة ؛ فاطرقت حياء فلم اجد ما اقول ؛ فصرت ادافع ساذن عن الساموكنية ؛ ولكن مضضا فى نفسى احس به يخزنى وخزا ؛ وحرارة الشبهة لا تزال تشب فى التعصب الممقوت ؛ ثم اننى بعد ذلك بكثير قرأت فى تاليف الاستاذ مورخ رجال هذا الجيل الماضى بسوس سيدى محمد بن احمد الرفائى فسمع الله فى اجله ؛ انه بات ليلة عند الرئيس الحاج ابراهيم الفشاني ؛ فكان هذا اراد ان يستفز ضيفه ؛ فصار يعلى امامه شان مرابطينا السعديين ويعرض فى البناء ذلك بالسادات شرفاء (تيمكيدشت) ويغمز نسبتهم الى الشرف ؛ فلم يصبر الاستاذ ان قال من هم مرابطوك هؤلاء ؟ وهل هم الاساموكنيون ؟ فجأبه رب مشواه فى ذلك ماشاء الله ؛ فاحتج عليه الاستاذ بالحضيكى ؛ فأتى به فوجد الامر على ما قال .

هذا ماقرانه فى كتاب الاستاذ حفظه الله ونحن نعلم ان ذلك منه انما هو حكاية عما وقع فى ذلك المجلس ودفاع عن اشياخه ؛ والبادى الظلم .

هذا بعض ما يروج حول هذه الساموكنية ؛ ولا يعتمد ذلك كما ترى الا على الشعوبية الممقوتة ؛ التى ينبغى ان تنطوى بين المسلمين .

ومما يحول ايضا بين اهاليها وبين قبول هذه النسبة ان ذلك لم يعرف قط ولا كانت عليه اثاره من علم ؛ فيما رووه عن آبائهم واجدادهم ؛ فما عرف عندهم ان الشيخ صاحب الترجمة استوطن وادى ساموكنى ؛ ولا كان ما يدل عليه ولو توهموا ؛ قالوا ان الجد لم يزل ساكنا بايمورطوال حياته حتى اقبل فيه ؛ وليس هناك الى وادى ساموكنى ما يدل على انه كان نازلا فيه ولو حقبة من الزمان فلا دار له هناك ؛ ولا املاك ؛ ولا ما ينسب اليه والعادة تقضى فى البادية ان من الم بمحل يسكن فيه زمنا لا بد ان يدع فيه الرا من الاثار ؛ وليكن على الاقل دارا لزلها ويثبت لا يوجد شىء من ذلك هناك ؛ فلاشك ان هذا غلط من قاله ايا كان سواء قاله الحضيكى من عند نفسه او نقله عن غيره ؛ وهذا الذى يقال للحضيكى يقال لغيره من سبقه الى ذلك ؛ فلما ينتقل الانسان من بلد الى بلد الا لاحدا مورثاته ؛

اما جلاؤه عن ظلمة لا يحترمونه الى محل يجد فيه امانا على نفسه .
واما ان ينتقل الى املاك تالها الى مسكنه الجديد ؛ فيجب ان يجاورها وان يكون استغلالها تحت نظره .

— وأما ان يكون المنقول اليه بلدا فسيحيا طيبا ينتقل اليه من بلد وخيم الهواء.
عميق الرقعة يصعب فيه المرعى والمورد ؛ قالوا فبهذه البواعث الثلاثة ينتقل
الانسان من بلد الى بلد ؛ وهي كلها منتفية ؛ فليس هناك في ايمنور من يضايق
الشيخ حتى يحتاج الى النقلة منه الى ساموكن ؛ بل كان من الاحترام هناك في
المكانة التي يقبض عليها كثيرون ؛ ولا كانت له في ساموكن املاك تأثلها فاحبان
يجاورها فلو كانت له هذه الاملاك هناك لذكرت بين الاماكن التي فيها عقاراته
وقد راينا رسوم تبريجات احفاده بعضهم على بعض تتعدد فيها الاملاك المتنوعة
في امكنة مختلفة ؛ ولم يجر فيها ذكر لساموكن ؛ وكذلك أنت رأيت في هذه
الوثائق ما ذكر فيه بعض امكنة فيها عقارات للشيخ ولا ذكر فيها لساموكن
افنقد ان الشيخ باع ما تأثلها هناك بعد ان ملكه ؛ وهو من عرفنا منه التوسع
حتى لا يحتاج الى بيع مثل العقارات التي تكون في ذلك الوادي والعادة جارية
ان عقارات الاودية آخر ما يباع من المتاع ؛ فهذا كله يعرف انه لا اصل له هناك
ولا عقار يمكن ان يحفره الى النقلة اليه ؛ وكذلك لا يمكن ان يحمله ايضا على
مقارعة (ناهالا) الى ساموكن فسحة ارجاء ذلك الوادي وصحة هوائه ؛ واتساع
مراعيه مع ان الواقع ان ذلك الوادي عميق واضيق من سم الخياط ؛ واعمق
من لاهة الاسد ؛ فلا يتلقى اهاليه الشمس على اعالي ابنتهم الا بعد متوع النهار
بكثير ؛ لم يودعونها قبل الطفل ؛ في حين ان تهالا بلد متسع الارحاء منفسح
المرعى ؛ لا يمكن ان يغادره ذولب باختياره ليزج نفسه في ذلك القبر العميق
قالوا فهذا يدرك معنا كل متامل انه حين انتفت هذه الاسباب التي بها غالبا
ينتقل من بلد الى بلد ؛ ينتفي كذلك المسبب ضرورة ان المسببات تنتفي بانتفاء
جميع اسبابها .

قالوا قد راينا انه حين تزوج عام ٩٨١ هـ وصف في عقد النكاح بنسبته
الى ايمنور ؛ ثم عاش بعد ذلك ستين سنة او اكثر ؛ على ما علمه فيما سيأتي
ففي اي وقت توطن في واد ساموكن ؟ اقبل هذا الوقت ؟ فيستحق حينئذ
النسبة في رسم النكاح الى ساموكن ؛ مع انه لم ينسب فيه كما رأيت الا الى
ايمنور خاصة ؛ ام بعد ذلك وقد تزوج وولد الاولاد ؟ فما الذي يحمله ـ اذن
على السكنى هناك ـ والانتقال باولاده اليه ؟ الاتلك الاسباب التي ذكرناها
هي التي بها ينتقل الانسان ـ غالبا ـ عن بلده ؛ فقد راينا انها كلها انتفت
افلا ينتفي كذلك المسبب ؟

قالوا عجباً ! ايعرف غيرنا عن جدنا ما لانعرفه عنه ؟ مع ان اهل مكة ادري
بشعابها ؛ ايستحضر كل واحد من اهاليها الذين يعدون بالآيات ابا عن اب ؛
الامكنة التي اسس فيها ما اسسه في حياته حتى اننا لانعرف ما بين المهامة الفيج
والفجار المترامية ؛ اناره الرا الرا ؛ لم ننسى شيئا مما وراء ذلك ؟ اليس

الاصوليون المحدثون يقولون انما ورد عن طريق الاحاد ؛ وان كان مرويا عن
عبدل سابطين او كان بمثابة ان يروي بالتواتر لو كان موجودا في الواقع ان
ذلك مذكور في ؛ بل ان بعض الاصوليين لا يقبله البتة ؛ ايعرف واحد من
المغالبين او من بعض قري قبيلة ر سموكة ؛ ان جدنا لوطن وادي ساموكن ثم
ينفي عنا ذلك جميعا ؟ ان هذا لمعجب عجاب .

قالوا لا يسبقن الى ذهن القاريء اننا ممن يرمى تلك القبيلة بما يرميها به
رعاعنا او نأبى ان ننظم نحن وايامهم في سلك واحد ؛ فلسنا والحمد لله من
ذوى الشعوبية المقنونة ولا ممن يتصلون مما ثبت ؛ ولا ممن يتطاولون الى
مالهم يكن ؛ فان آل ساموكن اناس فضلاء فيهم ما في الناس جميعا ؛ ذهبوا خرف
ولو صح اننا وايامهم يجمعنا جدم واحد اوضح ان جدنا سكن بين ظهريهم
لسبقنا ذلك بكلنا اليدين ولا بدينا للناس اجمعين ؛ فاننا في شرف نفسي
يكفينا عن كل شرف وراء ذلك ؛ ولكن الواقع ان هؤلاء الفضلاء في واد ونحن
في واد فان ثبت ذلك بعد بما ثبت به المعلومات من الادلة والحجج والبراهين
ونبين ان جدنا كان من ذلك الوادي فاننا ممن يتشرف بهم اهل ذلك الوادي
كما تشرفت برسول الله صلى الله عليه وسلم عدنان .

قالوا اننا نرى الرسموكى وتابعه الحضيكى يقولان في الشيخ التهاى مسكنا
الساموكنى وطنا ؛ فهذه العبارة لانكاد ندرك لها معنى ؛ فلاندرى هل المقصود
ان وطنه الاعلى هو ساموكن ؛ ثم اتخذ تهالا بعد ذلك مسكنا ؛ فان كان هذا هو
المقصود وهو الاقرب ؛ فاننا نحتاج اولا ان نعرف اين ولد الشيخ واين مسكن
والده لندرك مقدار ما لذلك من صحة ؛ ولكننا لانعرف على ما يقوله الناس الا
ان الشيخ بنفسه هو الذى قدم من (تامدولت) ولا يمكن ان يقدم بنفسه ؛ مع
المسافة ذلك له ؛ الا اذا بلغ مبلغ من يقدر على النقلة وجوب البلاد ؛ فحيث
تواتر عند الناس انه كان في اكادير تنبسيست ؛ ثم بعد ذلك كان عند شيخه
يحيى بن عبد الله سنوات ؛ ثم تزوج سنة ٩٨١ هـ في ايمنور حيث عاش ستين
سنة او اكثر ؛ ففي اي وقت يكون ساموكن وطنه ؟ كما قاله الرسموكى ؛ في
حين اننا نرى نقلته من تامدولت فسكنه في اكادير تنبسيست ؛ فانقطاعه الى
شيخه سنوات ؛ فتزوجه سنة ٩٨١ هـ هذه الامور كلها لابد ان تتابع كما ترى
وقد قدرنا لهذا الوقت كله نحو ٢٥ سنة ثم تلقى من ذلك اعوام الصبا
فما الذى يبقى بعد ذلك ؟ حتى يستوطن فيه ساموكن استيطاناً يستحق ان
ينسب له ؛ حتى يكون في مقابلة سكناه في تهالا الذى كان ستين سنة فاكتر
وان لم يكن هذا مقصود الرسموكى بتلك العبارة ؛ فليت شعرا ماذا يقصد بها ؟

قالوا فتبين لنا من كل هذا ان هذه العبارة لابد ان تكون غلطاً من قائلها
والعاصل ان اهاليها يابون بكل ما في امكانهم ان ينسب الشيخ الى ساموكن مطلق
نسبة وان يكون به ولو مروراً ؛ ويرد ذلك علمائنا كما ترى في رقم ١٥ ما

كتبه شيخنا على هذه الجملة من كلام الحفيكي : ان ذلك كذب محض ! فهذه الاجوبة التي ذكرناها تفصيلا ومددنا فيها القول : واتينا فيها بالحجج والبراهين المنطقية تارة ؛ والخطابية تارة هي كل ما يمكن ان يتمسك به من ينفي ذلك ؛ وقد سمعت غالب ذلك من اهاليها فنظمته كما ترى .

اما انا فقد وقفت ازاء هذه المسألة : موقف من لا يريد ان يسير الا بمصباح ينير امامه ؛ فقد فتشت واكثر التسال عن مولد الشيخ ومكان منشئه ؛ ومقبر والديه ؛ علني ان اعرف ما استند اليه في هذا البحث ولكنني لم ارجع بعد كثرة السؤال الا بخفي حنين ؛ فعولت على ان ارجع الى هذه الوثائق نفسها لعلني اجد فيما بينها ما يفتح لي هذا الباب .

كنا قرانا في الوثيقة الموضوعة تحت رقم - ١ - ان عليا عم الشيخ هو الذي كان وكيله عند عقد النكاح ؛ وقرانا ايضا في رقم - ١٢ - ان احمد بن عبد الرحمن توكل في عقد نكاح احمد بن عبد الله عنه ؛ وقد ذكر كاتب الرسم أنه من نسبه ؛ فادركنا بذلك ان لاسرة الشيخ فروعا موجودة ؛ وادركنا ان الشيخ ليس وحده ؛ ولكن اين يسكن هؤلاء الفروع ؟ فهل كانوا يسكنون الشيخ بايمور ؟ او كانوا في اكادير تنبسيست وانما يزورونه هناك عند امثال هذه الافراح كما تجرى به عادة ذوى الارحام ؟ لاندري ؛ ولا طارق الحصى يدري اي هذين كان كما لم نخرج ايضا بعد مراجعتنا لهذه الوثائق كلها من جديد ؛ الا بجهل مطبق عن هذه النقطة ولا يسترعى نظرنا الا ما عند الرسموكي الذي يدفعه اهاليها بما رايت .

اكثر التامل فخطر لي انه يمكن ان يجمع بين مايقوله اهاليها ومايقوله الرسموكي بتاويل كلامه .

ان اهاليها يقولون ان الشيخ كان في اكادير تنبسيست قبل ايمور ولم يكن في وادي ساموكن فقط ؛ وقال الرسموكي ان وطنه هو ساموكن ؛ او ليس انه يمكن ان ساموكن اذ ذاك كان يطلق على ما يعم اكادير تنبسيست ؟ وهو في جواره ؛ فلئن كان الامر هكذا فان الرسموكي اذن صادق ؛ ولا اقرب من هذا التاويل والجمع متى امكن لايصار الى الترجيح كما هي القاعدة الاصولية ؛ وايضا اننا نستبعد ان يلقي الرسموكي الكلام جزافا فيما هو بصدده في كتابه ؛ وقول المؤرخين لايطرح بسهولة خصوصا من عاصر وشاهد او شاهد من شاهد ؛ ومتى تناولنا كلامه هذا التاويل القريب فانه يمكن لنا ان نجمع بينه بكل سهولة مع ما عند اهاليها كما ترى ؛ اوليس هذا مما يترجح ؟ فنذكر اذن - ان الشيخ ما انتقل الى ايمور الا قبل تزوجه بحقبة ؛ وكون عاقد رسم النكاح لم يصفه الا الى ايمور ؛ ولم يصفه الى مكانه الاصل ؛ لايدفع هذا لان الانسان بمشواه الان ؛ لا بما درج منه على ان العقود لا يستدل بها الا فيما

سبقت له لاغير ؛ واما ما سوى ذلك فلا يستدل عليه بها ؛ وذلك معلوم عند كل فقيه .

بهذا عرفنا وغلب على قلنا ان اصل الشيخ من اكادير تنبسيست كما يقوله اهاليها وتواتر عندهم ؛ ويدل عليه قول الرسموكي ان فهماء ذلك اللهم الماضي ؛ واما نسب الشيخ ؛ فيستري امامك الكلام حوله .

ثم هانحن اولاء ترجح عندنا ان الشيخ كان في اكادير تنبسيست ؛ قبل ان ينتقل الى ايمور ؛ ولكن هل ولادته ومنشأه هناك ام كان في تمولت كما يقوله اهاليها ؟ انني ارجح في هذه النقطة ان ولادة الشيخ ومنشأه في اكادير تنبسيست ؛ وان الذي انتقل من تمولت احد اجداد الشيخ ؛ والذي رجح هذا عندي ان وقت جلاء تمولت الشهير كان في اوائل القرن التاسع اوقبله بدليل انهم يقولون ان الشيخ على بن يونس الاغشاني هو الذي كان سبب هذا الجلاء في حكاية تحكي ؛ وعلى هذا كان حيا في القرن التاسع او ترجمته واخباره ينسبها النقلة الى الشيخ احمد بن عبد الرحمن المسجدي المتوفي حوالي مولد الشيخ صاحب الترجمة ؛ ثم يظهر من ترجمته لعل بن يونس انه لم يدركه ؛ وحياة المسجد ادى في النصف الاول من القرن العاشر ؛ وقد توفي سنة ٩٤٨ هـ فبهذا ندرك ان الجلاء التمدلتي كان قبل الشيخ صاحب الترجمة ولا يمكن ان يكون هو بل ولا ابوه من بين الجالين ؛ فربما كان الجالي هو جده الادنى او الاعلى ؛ ويرجح عندنا ان الشيخ ليس هو الجالي بنفسه ؛ ان السنوات التي حزرناها له قبل زواجه وقبل اتصاله بشيخته يحيى بن عبدالله ؛ انصر من ذلك واضيق ؛ ثم اذا اضفنا الى ذلك المقدار المحزور من عمره ما عاشه بعد فان ذلك يناهز نحو ١٠٠ سنة ولا نعلم ان الشيخ عاش اكثر من ذلك حتى يزيد في ذلك القدر المحزور سنوات اخرى يتاتي له فيها ان ينتقل من بلد الى بلد انتقالا يضاف له كما يقوله اهاليها .

هذا ما ترجح عندنا في هذه النقطة والله اعلم ؛ واما ان نقول ان اصله الاصيل من ايمور ؛ بدليل وجوده هو فيه فهو ضعيف ؛ لاننا لم نجد لذلك دليلا مسموعا ولا معقولا ؛ الا ما كان من الاستصحاب المعكوس الذي هو ان نقول ان وجوده هو في ايمور ؛ دليل على وجود اصوله هناك فهذا هو الاستصحاب المعكوس وهو ضعيف في الاستدلال ؛ وكون التواتر عند اهاليها هو ان اصله من اكادير تنبسيست ؛ يكفي في رد هذا المتوهم وخصوصا حين يتايد هذا الخبر التواتر بما قاله الرسموكي ؛ من ان وطنه من ساموكن وقد عرفت ما مقصوده بساموكن فيما تقدم على ما اولنا اليه كلامه ؛ وهذا منتهى ما امكن لنا في الموضوع ؛ والحمد لله . وقد كان اكادير تنبسيست من قرى ساموكن قبل ان يستلحقه ايت على المريضيون .

رابعا - انك قرأت في ترجمتي الرسموكي والحفيكي الموضوعتين تحت

رقمى ١١-١٥ = ان الشيخ توفي يوم الاربعاء ٢٧ من ربيع الثانى سنة ١٠٤٠ هـ لم قرأت بعد ذلك انتقاد ذلك لشيخنا الالفى حفظه الله مستدلا بما فى رقمى ٦- و ٧- من رسم التصوير المورخ باوائل ربيع النبوى سنة ١٠٤٧ هـ ومن رسم الموافقة من اولاد الشيخ على هذا التصوير المورخ برجب سنة ١٠٥١ هـ وماخذ ماذهب اليه شيخنا فى ذلك ان الرسم الاول يظهر من لوائح عبارته : انه كتب حين الاشهاد كما يظهر ايضا من الثانى ان ذلك الابرء من اولاد الشيخ لايبهم كتب فى حياته وان تاريخ الابرء هو رجب سنة ١٠٥١ هـ وان كان الرسم لم يكتب الا فى سنة ١٠٩٢ هـ حين طلب ذلك من اليهود فاملوه استرعاء : وعينوا وقت وقوع ذلك : فهذا استدلال شيخنا وبهذا انتقد ان يكون الشيخ توفي سنة ١٠٤٠ وتكون وفاته على هذا بعد ١٠٥١ هـ وقد كنا نحررنا ولادته فى ٩٥٥ هـ فيكون عمره يناهز المائة كما ترى .

ثم اننا ان تتبعنا هذه الوثائق الماضية : نجد ايضا فى التى وضعناها تحت رقم ٩- فى رسم المفاصلة بين السيدة زينب زوجة الشيخ وبين آلهما فيما ورثوه عن آبائهم انه وصف هذه السيدة بايم الشيخ سيدى عبد الله بن سعيد لم ارج ذلك الرسم سنة ١٠٣٩ هـ فكان فى ذلك غرابة : لاننا نتيقن ان صاحب الترجمة فى هذه السنة لايزال حيا : وكيف توصف قرينته بايم وهذا غلط بلاشك : ولا يعتورنا ريب فى ذلك ونظن ان هذا الغلط ممن نسخ من الاصل : وكأنه اراد ان ينقل ١٠٥٩ هـ فسبقه القلم فاستبدل ٣٥٥ او مثل ذلك

اذن فلم يبق بين ايدينا الا ما للرسموكى وما فى رقمى ٦- ٧- فالتبادر هو ما ذهب اليه شيخنا الذى دل عليه ما فى هذين الرقمين : لان من يبعد عن الانسان : ولا يخالطه - كما كان ذلك من الرسموكى مع صاحب الترجمة اقرب الى الغلط من الموثق الذى يجعل بين عينيه تاريخ الوثيقة التى يكتبها وان كنا نستبعد ايضا باعتبارات اخرى عدم تثبيت الرسموكى فيما تصدى له من تحرير وفيات معاصريه : ويتايد هذا الاستبعاد بالمعاصرة : وبان غلطه الممتد الى ما فوق احدى عشرة : كثير قلما يقع للمتصدي لمثل ذلك : ويتايد ايضا بانه عين يوم الوفاة وعين الشهر وذلك كله مما يدل على التثبيت : ولكن مع كل هذه الاعتبارات : وهذه المؤيدات لقول الرسموكى : لانزال مع شيخنا فيما يرجح عنده : لان عبارات ما فى وثيقة التصوير وما فى اختها اقوى اعتبارا من هذه الاعتبارات الاخرى ولتقتصر اذن على انه توفي بعد ١٠٥١ هـ ولنبق على ذلك الى ان يظهر لنا ما ينقلنا عنه : واما العضيكى فانما هو تبع للرسموكى فيما ذهب اليه : نقول ذلك وان كنا نميل احيانا الى التردد حين يتجلى تثبيت الرسموكى من جهة اخرى فتتحير : والله اعلم .

هذا ما يمكن لنا ان نقوله فى وقت وفاة صاحب الترجمة : وبذلك نذكر لاله معمر حتى ناهل نحو ١٠٠ سنة رحمه الله .

هذه نظرات حول هذه الوثائق الخمس عشرة : وقد بينا فيها كل ما وصلت اليه بحوثنا : وابدينا ما تدل عليه نصريحا او تضمنا : ولم يبق لنا الا كلمة اخيرة حول كلمة قراناها فى الوثيقة الموضوعة تحت رقم ٥- وهى قول احمد بن على بن ابراهيم التوييتى فيما خاطب به السلطان «فترغب من امير المؤمنين المنصور بالله امام وقته ابى العباس احمد الشريف نصره الله تعالى وايده : ان يلحقهم بامثالهم فى التحرير والخروج بهم عن المطالبة على عادته فى اهل الخير والصلاح والدين والقراءة والاقراء على وجه الله تعالى بحق جدهم المصطفى صلى الله عليه وسلم» فقد رايت انه قال بحق جدهم المصطفى صلى الله عليه وسلم فما معنى ذلك : امقصوده انهم شرفاء ؟ هذا ما لم يدعه قطمرابطونا : ولا سمعنا من ادعاء لهم او انما هى كلمة ارسلها التوييتى على عواهنها : وذلك ايضا بعيد : ولهذا يحتاج المقام الى تان وتبصر حتى ندرك ما يرمى اليه هذا الكلام الذى وقع ثمانية عشر عالما : ولكى نعرف ذلك ينبغى لنا ان نجول بابصارنا من هنا وهناك .

قرأت معى فيما تقدم : البحث عن منشأ الشيخ واصله : وقد استقر رأينا اخيرا على ترجيح مايقوله اهاليينا من ان الاصل الاصيل من تادمولت ثم لا يعرفون ما وراء ذلك ولم اجد انا ولم اسمع شيئا آخر يمتد منه نسبهم : الا ما كان الاستاذ سيدى محمد بن احمد الاولوى الامنوزى اخبرنى به منذ سنوات انه راي رسما كتبه بعض آل الشيخ قبله : ذكر فيه النسبة الى الجعفرية يعنى الى جعفر بن ابى طالب ابن عم النبى صلى الله عليه وسلم : قال الغراء فى بعض السلات من جهتهم : هذا ما سمعته لا غير ولكن هل لهذا من صفة ؟ فان اهاليينا بقوا جاهلين هذه النسبة الى الان : ولم اعرف لها روجانا بينهم قط : الا ما كان من رسالة رايت فيها هذه النسبة وهى مخطوطة بيد الاستاذ العلامة سيدى محمد بن عبد الله رحمه الله كتبتها الى تلاميذه بابى مروان : ولا ادري من اين تسرب اليه ذلك : بل ولا سمعت بعد عنه ذكر اى روج حول ذلك هذا كل ما خطر حول هذه النسبة ثم لم يتصل بذلك رواج بل ولا عرف له مستند : حتى جاء الاستاذ سيدى محمد بن مسعود المعدرى فصار يخاطب بهذه النسبة شيخه الشيخ الالفى فى قصائد ورسائل : بل وسم بذلك قصيدة لونية ستقرأها ان شاء الله فى ترجمة الشيخ (هز الراية الجعفرية ونشر النفعات العنبرية فى المناجحة عن الطريقة الالفية بذكر بعض مالها من الآثار السنية فى كتاب الترياق الداوى)

وقد سألت شيخى سيدى سعيد : الثانى عن استقر من عنده هذا الاستاذ

هذه النسبة ! ومن أين توصل بها ؟ فذكر عنه ان الشيخ سيدى الحاج الحسن التاموديزنى ذكر له انه رأى ذلك في طرة كتاب : هذا هو مستقى ما يقوله الاستاذ ابن مسعود : ثم عنه انتشرت اخيرا هذه النسبة فوصلت الى مسامع اهاليها فاما الذين عقولهم فى اصمختهم فانهم تلقوا ذلك كانه ثابت بما تثبت به المعلومات : واما ذوو الالباب فلا يزالون فى ريب لان الانساب لا تثبت بمثل ما فى الطرة : ولو كان الرسم الذى ذكره الاستاذ الامنوزى موجودا : وتحققنا منه هذه النسبة لكان ذلك مثارا لمن اراد ان يظن هذا الظن ومثل هذا يكتفى فيه بالظن - ولكننا لم نتوصل بهذا الرسم لنعلم ما هنالك : لان هذه النسبة لو كانت صحيحة لما فرط فيها الاولون وحافظوا عليها : فنقول اذن فى حقهم الناس مصدقون فى انسابهم : واما حيث لا يذكرون ذلك ولا يرفعون به راسا فلا مصير اليه الا بما تثبت به المعلومات : لا بما وجد فى الطرر ثم اننى كنت سمعت ان هذه النسبة كانت مكتوبة فى جدار مشهد الجدد صاحب الترجمة ثم محيت : ثم لا ادري اكانت مكتوبة قبل تجديده فى اول هذا القرن : ام لم تكتب فيه الا بعد تجديده ؟ ولهذا يضعف ايضا الاستدلال بها .

هذا كل ما عرفه رائجنا عن هذه النسبة الجديدة وانا الى الان لم تبلغ عندي حتى درجة الوهم : لاننى استبعد ان يكون ذلك ثم ينسأه الالباء : ولم يملأوا به مسامع الابناء مع ان كثيرين ممن انتقلوا من (تامدولت) عضوا على هذه النسبة بالتواجد وحافظوا عليها بالمحافظة على سلسلة انسابهم الى الامام جعفر : ويتعهد ذلك بظواهر الملوك : كابناء على بن يونس الايفشانيين فلم سلسلة نسب متصل الى جعفر ستراه عند ذكرهم : واستبعد ايضا ان تكون هذه النسبة موجودة لعبد الله بن سعيد : ثم تتخطاها تلك الوثيقة التى حشرفها اولئك العلماء ما عرفوه .

ثم لقائل ان يقول ان هذه الوثيقة هاهى ذى تنادى بان جدهم هو المصطفى صلى الله عليه وسلم : فيكونون حينئذ شرفاء ابناء فاطمة من الحسن او الحسين : فاذا علقت صحة هذه النسبة بمثل هذه الوثيقة مع انها هكذا : فلم لا يحكم بان الشيخ صاحب الترجمة شريف وان ذريته شرفاء ؟ اقول هذا امرى ايراد له حظ من النظر . ولكن الذى يمنعنا من قبول ذلك ان مثل هذه النسبة لو كانت لما فرط فيها الاولون : ولا علموا بها فى كل مناسبة ولراينا ظواهر الملوك التى بين ايدينا عدة منها : وقد ذكرنا منها اثنين فيما تقدم وسنذكر فى آخر هذه الترجمة سائرهما تصرح بذلك وتعلمه على عادة الظواهر الملوكية فى ذلك : وهذا كله جدير ان لا يقبل به ذلك القول الذى صدر من الفقيه سيدى احمد بن على التويستى فى تلك الوثيقة .

ثم لقائل آخر ان يقول اولم يمكن ان تفسر هذه النسبة الشرفية التى

ذكرت فى الوثيقة هذه بانها هى النسبة الجعفرية : لانها ممتدة الى زينب بنت فاطمة بنت النبى صلى الله عليه وسلم ؟ فكيفما اليها ولدت الحسن والحسين ابني على بن ابي طالب كذلك ولدت زينب بنت على بن ابي طالب التى اولدها جعفر بن ابي طالب سلالة الزينية وهى مشهورة : فما المانع ان يطلق على هؤلاء الزينبيين ايضا ان جدهم هو المصطفى صلى الله عليه وسلم ؟ كما يقال ذلك فى اولاد الحسن والحسين القول ان لهذا القائل مفسرى ساميا وقولا فيه ما يلفت نظر المتأمل .

حقا ان قوله اقرب ما توول به قوله تلك الوثيقة وهذا القول على الاقل لجد فيما يروج اخيرا من يلوكة بلسانه : وان لم نعتد عليه : ولا كانه عليه لوائح البرهنة : على ان ابناء المصطفى اختصوا عرفا بابناء الحسن والحسين منذ القرن الثامن الى الان وهذا مما يستبعد به ان لجد ايدينا الى قبل ما يقوله هذا القائل برمته .

يطرق اذنى فينة ان هناك نحو وادى ايسى شجرة نسب للشيخ صاحب الترجمة صارت الى بعض الناس هناك احتجتها : ولم ادر : اهذا الذى يطرق اذنى صحيح او هو من بنيات الالسنه : وطالما حثت بعض الناس اليه لعلهم يجهلون فى التوصل بنسخة منه على الاقل : لعلنا نجد فيه ما نخرج به مما يدور عليه هذا المبحث : ولكننى بكل اسف لا اجد الا كسلا واعراضا ولا حول ولا قوة الا بالله .

لخرج من هذا المبحث : ونحن كما دخلناه : شكنا على شك فى هذه النسبة واما فيما لم نجد هذه الشجرة وذلك الرسم الذى يذكره الاستاذ الامنوزى قال لا نجد الاباء موصدا امام نتيجة يتناول اليها بعض من لم يكلفهم شرف الاسلام العام : وابى الا ان يزج نفسه فى الطالبين : ولا ندري : فلمصل الايام لصدق ظنهم : فيقع لنا فى هذا مثل ما وقع للاستاذ احمد بن خالد الناصرى الذى اعلن الشك فى نسبة الناصريين فى الجعفرية فى كتاب الاستقفا لم لم يلبث ان ظهر بما تقوى به عنده ما حاده الى ان يرجح هذه النسبة فى كتابه (طلعة المسترى) .

هذا آخر ما تيسر تحريريه فيما يتعلق بالشيخ سيدى عبد الله بن سعيد رحمه الله فقد بدلنا فى ذلك جهدا : واسهبنا بعض الاسهاب : علنا نتعرف منه نواحي غامضة ونحن نسلك طرق البحث التحليل بقدر الامكان او نتصك بما راينا صحيحا بالبرهان : ونلقى ظهريا ما لا ندعمه حجة .

وله من الاولاد من رايتهم فيما تقدم فاما احمد فسترى لرجوته : وامسا محمد فدفن فى (كاور) بمجاط : واما بلقاسم فدفن فى قرية (اليدل) بقبيلة الخشان واما موسى الذى مات بعد والده بلا عقب كما قاله العم ابراهيم : ولم

يعقب كما اعقب اخوته ؛ فانه قال ان الغالب انه دفن في ايمور ؛ لان قبره لم يعرف كما عرفت قبور اخوته ؛ وقد اخبرنا شيخنا سيدي عبد الله انه راي رسما مورخا بنحو ١٠٩٨ هـ يتضمن وقف بعض ماله على ضريح والده قال وقد توفي موسى اذ ذاك في تلك السنة كما نبه عليه كاتب الرسم ؛ ثم ذكر انه راي مثل ذلك الوقت من زوج موسى ؛ وانه مورخ بسنة ١١٠١ هـ فدل هذا على ان موسى تاخرت وفاته كثيرا ؛ وانه لاعقب له مع انه متزوج لانه عزب كما هو متوهم .

اخبرني الفقيه سيدي علي بن صالح من اكرض افيقير انه راي في سلة سيدي بلا ارخا وهو عبد الله بن محمد من اكادير ايزري بين رسومه ما يدل على ان ازواج سيدي عبد الله بن سعيد متعددات ؛ فالتهايلية هي ام محمد ؛ والافرائية هي ام بلقاسم والكرفسية ام احمد والساموكية لاعقب لها يعرف ؛ وذكر ان اولاد الشيخ خمسة فزاد اثنين منهما موسى ؛ والخامس مات في حياة ابيه ؛ ولم يسم ؛ ثم قال ان التهايلية من تاجكالت انتهى ما كتبه عنه ثم اتنا كنا سقنا فيما تقدم ثلاث تحريرات من السلاطين ؛ فلنتبعها الان بكل ما تابعها وراء ذلك من الملوك الى الآن ؛ لتجتمع الفائدة في محل لمن ارادها

(٤)

ظهر السلطان علي ابودميعة التازروالتى ؛ حملته اولاد المراتب الصالح سيدي عبد الله بن سعيد التهايلي من تظهيرين يبقون على عادتهم من التوقير والاحترام والتحرير التام ولا يطالبون بسائر الوظائف المخزنية باسرها ؛ وبه نوكد الابر بباغلي (١) بن الحسن وغيره وكتب بر رمضان سنة ١٠٦٣ هـ

عبد الله سبحانه
على

(٥)

ظهر في ايام السلطان مولاي عبد الله بن اسماعيل كتابنا هذا اسماء الله ؛ واعز امره ؛ واطلع في سماء المعالي شمسه المنيرة وبدره بيد حامله المراتبين سيدي صالح بن عبد الله ؛ وسيدي احمد بن علي ؛ وسيدي عبد الله بن موسى احفاد الولي الصالح سيدي عبد الله بن

(١) احسبه علي بن الحسن بن أحمد بن موسى ؛ ولعله كان قائدا على جهة ايمور والخ ؛ فاستحق ان ينبه على ذلك .

سعيد رحمه الله وقديس روحه يتعرفون منه بحول الله وقوته النا جددنا لهم على ما يابديهم ؛ من ظهار سيدنا ومولانا اسماعيل قدس الله روحه ؛ وظهار الملوك السابقين من قبله من التوقير والاحترام لهم ؛ ولجميع من تعلق بهم والواقف عليه يعمل به ولا يتعدى والسلام . في مهل رجب الفرد عام ١١٥٢ هـ وعليه طابع ليس بجميل ؛ لم تهتد لقراءة ما فيه وقد ذكر فيه كما ترى ظهار اسماعيلية واعلمها هي التي تمزقت بين تلك الظهار ولم يبق من بعضها الاطابع كتبت فيها (وصيف المقام العالي منصور بن الرامي وفقه الله) وفي دائرته ما يالسي (وما توفيقي الا بالله عليه توكلت) ولاندرى من منصور هذا ؛ ولا من كان وصيفه من الملوك (ثم عرفت انه قائد من القواد الكبار في الجند الاسماعيل وقد كان ولاه على سوس حيناً) .

(٦)

ظهر حسنى :

يعلم من كتابنا هذا اسمى الله مقداره واطلع في سماء الاسعاد شموسه واقماره النا بحول الله وقوته ؛ اسدلنا على المراتبين اولاد سيدي عبد الله بن سعيد النازلين ببلاد مجاطة من سوس ؛ اردية التوقير والاحترام ؛ وحملناهم على كاهل المجرة والاكرام ؛ وحاشيناهم عن زمرة العوام مراعاة لسلفهم الصالح ودؤوبهم على عمارة زاويتهم بذكر الله عز وجل ؛ فالواقف عليه من خدامنا وولاة امرنا يعمل به ولا يجحد عن كريم مذهبه والسلام ؛ صدره امرنا بالمر باله في ٢٤ جمادى الثاني ١٣٠٠ هـ وفوقه طابع صغير فيه الحسن بن محمد الله وليه .

(٧)

الله عز ولى .

علم من كتابنا هذا اسماء الله واعز امره ؛ واطلع في سماء الاسعاد شموسه واقماره ؛ اننا بحمد الله وقوته وشامل يمنه ومنته جددنا للمراتبين اولاد سيدي عبد الله بن سعيد النازلين ببلاد مجاطة من سوس حكم بالفضيلة ظهر سيدنا الوالد المقدس بالله من سدل اردية التوقير عليهم والاحترام وحملهم على كاهل المجرة والاكرام ؛ ومحاشاتهم عن زمرة العوام مراعاة لسلفهم الصالح ودؤوبهم على عمارة زاويتهم بذكر الله عز وجل ؛ لجديدا تاما لاسم

الواقف عليه أن يعمل بمقتضاه ولا يعيد عن كريم مذهبه ولا يتعداه والسلام
اصدرنا به امرنا الشريف في ٢٢ ربيع الثاني عام ١٣١٦ هـ وفوقه طابع فيه
عبد العزيز بن الحسن الله وليه ومولاه *

تحرير للقائد سعيد الكلوي الحاحي الذي كان قائدا عاما على تزيت وما
اليها سنة ١٣١٥ هـ *

مضمن كتابنا هذا اسعده الله يستقر بأيدي حامله المرابطين الاخيار :
معادن جواهر الاسرار السيد الكامل : والمربي الواصل يتيمة عقد الاولياء
وخالصة القوم الاصفياء سيدي عبد الله بن سعيد السوسي دفين زاوية
بايمور : عمرها الله بذكره على ممر الدهور يعاملون بمقتضى حقهم من مزيد
التعظيم والاكرام وزائد التوقير والاحترام : تميزا لهم عن غيرهم من العوام
وتنزيها لساحتهم المطهرة عن سامها بقصد ذلك او رام وامثالا لامر الله
بتعليم حرمانه التي هتكها من كبائر الاجترام وتنفيذا لحكم ما تضمنه ما
بايديهم من ظهر سيدنا المقدس من انهم لا يسامون بادني تكليف ولا يضافون
بالل توكليف وغير ذلك مما هو المعتاد من القيام بالخدمة المخزنية : واداء
الوظائف الامامية من الهدايا والمواصلات : سوى ما اوجبه الله عليهم من اداء
الاعشار لزاويتهم التي للعلم والتي للفقراء قيما بواجب التعاون على البر
والنقوى : ونبدأ لنهي الاثم والعدوان : فلامحيد لهم عن ذلك ولا سبيل لاحد
من العمال اليهم بوجه ولا بحال : هذا ونامرهم بالوقوف عند حدود الله سرا
وعلانية واقتفاء سنن سلفهم : وان لا ياتوا ما ينافي الانخراط في سلوكهم
ونعهد اليهم ايضا بتوفيرهم مظاهرا وباطنا جزيل حقوق القائمين بامر
الدين وحماية حوزته : الوارثين للجد الاكبر في طريقته ارباب الزاويتين
العلمية والفقرائية : السيد البركة سيدي الحاج عبلا بن صالح بزواوية
تحت الحصن وولده الشيخ صالح العلماء وعالم الصلحاء : الفقيه سيدي
علي بن عبدالله : وحاشيته القريية وكذلك قدوة السالكين ومربي المريدين
الشيخ سيدي علي بن احمد الدرقاوي وحاشيته كذلك : فان هؤلاء ممن وجب
عليهم القيام على ساق الجد في خدمتهم بحسب الاقتداء : لما خصوا به من حلية
العلم وزينة الوقار ونشرهم في الناس بضاعتهم من النصح والعلم والاسرار
فبهذا استوجبوا من ولاة امور المسلمين ومن غيرهم السعي في خدمتهم :
والاجتهاد في قضاء اوطارهم وان لا يواخذوا بما يواخذ به عامة المرابطين من
مصالحتهم المخزنية او غيرها رعا لمنصب العلم : وذبا عن جناب حزب الهدى
وفريقه : امن الله سيرنا من مخاوف طريقه وامدنا بنور توفيقه : واعلم بهذا
من سيقف عليه من ائمة المسلمين بعد ان شاء الله : في ٢٤ ذي الحجة عام
١٣١٥ هـ ووقعه احمد بن محمد الكلوي الذي هو خليفة القائد سعيد : وعفده

الامين ان ذلك : والذي حرر هذا بقلمه الاستاذ محمد بن سعيد الرحمن
الامري الشهير بالدرقاوي : وقد توفي سنة ١٣٤٠ هـ

(٩)

ظهر ميموني لجلالة سلطان العصر محمد بن يوسف حفظه الله :

يعلم من كتابنا هذا اسماء الله واعز امره : اننا بحول الله وقوته وشامل
بذلك ومنته جددنا للمرابطين اولاد سيدي عبدالله بن سعيد النازليين ببلاد
مطلة من سوس حكم ما تضمنته ظهار اسلافنا الكرام : قدس الله ارواحهم
في دار السلام : من سدل اردية التوقير عليهم والاحترام وحملهم على كاهل
البر والاكرام : وحاشيتناهم وعائلتهم من خدمة الطرق التي يكلف بها العوام
مرامه لسلفهم الصالح ودؤوبهم على عمارة زاويتهم بذكر الله عز وجل :
بجهدنا تاما : نامر الواقف عليه من عمالتنا وولاة امرنا ان يعمل بمقتضاه :
ولا يعيد عن كريم مذهبه ولا يتعداه والسلام

صدر به امرنا المعتر بالله تعالى في ٦ صفر الخير عام ١٣٥٣ هـ وقد سجل
هذا الظاهر الشريف في الوزارة الكبرى بتاريخ ١٣ صفر عامه الموافق ٢٦
آب سنة ١٩٣١ م محمد المقرئ وفقه الله : وفوقه طابع صغير فيه محمد بن
سعيد الله وليه *

هذا هي الظهار والتحريرات التي وجدناها في الموضوع : وهناك رسال
اخرى في ايدي التحرير من القائد سعيد الكلوي يكتبها هو او خليفته احمد
بن محمد : تركناها هنا اختصارا : للاستغناء عنها بذلك الرسوم : واما
ظهار الملوك الاخرين فانها تمزقت حتى لم نهندمها الا الى كلمات لاسين
والاخرى من جوع : ولابيت هنا ابيانا كنت قلتها صبيحة ٢٠-١-١٣٦٢ هـ
وقد بت هناك بايمور قصد زيارة تربة الجد :

الله رحلتنا الى ايمور
فلقد يد الاسعاد منها رحلة
طويت جبال لم اوداء بها
يهدو بنا الشوق المبرج للذي
حيث استفاض الدين منهم مشرقا
حيث المسابح صافيات للهدى
حيث استتب اساس اصلاح الكـ
فعل له الاخلاص مصفاة وما
شهدت لهم طرق اشادوا حولها
كما نزر هناك خير مزرور
جمعت شتيت مسرة وحبور
طى ابتهاج في الد مسير
فيه الجود ثورا طوال دهور
كالشمس تشرق في ظلاوة نور
والرشد صين من الهوى بالسور
بل المكرمات مشهر مألور
اسماء من عمل لهم مشكور
ماكان خير مشيد مذكور

سیدی احمد بن عبد الله الاغی

نحو ۱۰۰۰ھ نحو ۱۰۸۰ھ

بسمه

احمد بن عبد الله بن سعید بن حسین بن یبورک .
هذا ولد من اولاد جدنا الاکبر الذي قرأت ترجمته ! وقد رأيت ان له أربعة
بنين هذا منهم ! وهذا هو جدنا آل الغ ! ومن نسله انتشر صلاح كثير ! وعلم
فرير ! ولكننا لم نعلم ايضا من اخباره على الحقيقة الا بعض تلك التي
بعضها من السنة المحدثين والا بعض امور توصلنا بها من الناء تلك التي
التي قرأناها معنا ! ومن رسوم اخرى لانظيل بسوقها .

رأيت فيما تقدم ان والدته هي زينب الكرسيقية ! وان والده زوجه نحو
۱۰۴۴ھ بهريم بنت عبد الله بن عيسى البعقيل التي سالت اليه ذلك
الجهل الذي ذكرنا انه ستمائة مثقال ! وهي ام ولده عبد الله بن احمد الذي
سأرا ايضا ترجمته فيما بعد ان شاء الله ! ثم انه تزوج ايضا بامرأة
اخرى من آل (الغرابو) كما رأينا بخط الفقيه سیدی ابراهيم بن سليمان
وهذه الأخيرة هي ام اولاده كلهم ما عدا عبدالله الذي ولدته الاول .

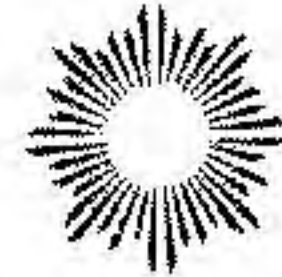
وكان صاحب الترجمة ساكنا في مسكن والده بایمور حتى انقل الى الغ
بسبب لانه رفقه كما لاندري ايضا كيف اختار هذه القرية التي هي الى
الصحراء المقفرة القرب منها الى العمران ! ولم يقع اليها في ذلك الا هذه
الحكاية التي اخذناها جزافا كما نلقيا اليك جزافا .

يقولون ان سیدی احمد بن عبدالله جاء يوما على حمارة له ! وقد جلا عن
ایمور فنزل في سفح الجبل الشاهق في شمال الغ ! فاجتمع عليه هناك
الوفاءيون والایفشانيون والتاكانزيون والحرييليون الالفيون ! فصارت كل
قبيلة تقترح عليه ان يشرفها بالنزول بين ظهرايها وانها قائمة به احسن قيام
فالتهد الشيخ عنهم فصار رؤساء القبائل يتجادلون الحديث حول ذلك !
وكل يريد ان يستبد بالشيخ ! ولكنهم حين لم يتفقوا بمجادبة الكلام ! شاور
بعضهم بعضا ! وكانوا يميلون الى امتشاق الحسام لولا ان اسرع اليهم ذلك
السيد المتهد عنهم فهداهم ! وربط على قلوبهم بهيئته ! فامر باقامة صلاة
العصر ! وكان وقتها حالنا ! فاصطفوا وراءه ! وقد لبدوا باهم فيه ! فما كانت

فإذا بها ضمنت صدور العير
من كان مثل التاج في ایمور
ایديك ما يبقى طوال عصور
تشدي مناقبهم من المسطور
ممن يدير دواليب المقدور
ایديك من عمل رضى مبرور

كانت معاشي ليس تسلم غيرها
لله منك الهمة القمصاء يسا
علما لعصرك كنت تمت خلفت
فكذا يكون الصالحون وهكذا
زدت الكرامة والتشرف والرضا
وتنقفت الابناء ما رسمت لهم

هذا آخر ما يتعلق بجدنا الاعلى عبدالله بن سعید رحمه الله ورضي عنه .



الصلاة تنقضي حتى علت في جنوبى مصلاهم ذاك ؛ فطلعتان من البارود ترى
مثنى فالتفت اليهم - وقد سلم من الصلاة - فقال لهم ماذا ؟ فقيل له ان هناك
في قرية دو كادير رجلا صالحا كان مريضا ؛ ولعله توفي الآن - والعادة ان
الطلعتين لا تتابعان كذلك الا اذا حدث امر غير عادى فقال لهم ان الاولى بنا
الآن ان نغتنم اجر الصلاة على هذا الرجل الصالح اولا ؛ ثم بعد ذلك ننظر فيما
اختلفتم فيه ؛ فقام يقدم ذلك الجماء الفقير ؛ فواروا الرجل الصالح سيدى
احمد الفقير - وهو اسم ذلك السيد المتوفى اذ ذاك ثم لما نفضت الايدي من
القبر ؛ وتمت سنة التعزية ؛ التفت الشيخ الى الحاضرين فقال لهم : انسى
نازل في هذه القرية المتوسطة بينكم جميعا ؛ فاكون كائننى نازل بين ظهراني كل
قبيل منكم ؛ فرضى من حضر بذلك ؛ وتفرقوا على احسن حال ؛ ثم ان ذلك
المصل الذى صليت فيه العصر ؛ لا يزال يسمى الى الان (اكن تناكزين) ويقولون
انسه سمي بذلك اضافة لتلك الصلاة العصرية التى صلت فيه اذ ذاك
(شعب العصر) .

ويقولون ايضا ان ذلك الصالح المتوفى سيدى احمد الفقير كان اهل القرية
الحربيليون الذين آووه للتبرك به ؛ وللتيمن بوجوده بين ظهرانيهم ؛ قالوا
له وهو محتضر وهم حوله يكون لمن تتركنا ورايك ياسيدنا ؟ فاننا سنصبح
بعذك في مضيعة اذ نعدم منك مرشدا يارشاده نهتدى في السبل ؛ فقال لهم
لا هائله لا تضيعون ؛ فلاتدفنون احمد الفقير حتى ياتى اليكم الله باحمد آخر .
هذه هي الحكاية المتداولة المتواترة التى تذكر سببا لسكنى صاحب
الترجمة في هذه القرية ؛ ونحن لانرى في كل هذه الحكاية ما يعد مستغربا
بل كلها في دائرة الامكان ؛ وان كنا نرى في بعض حواشيها ذيو لا ممانعه
مشله في الاساطير ولكن التاريخ فلما يسلم من امثال هذه الاهداب المذهبة
السماعة .

هكذا استقبلت قرية دو كادير هذا الرجل المبارك الذى يقود اليها بحمارته
من الصلاح والعلم والدين والعمران ؛ مالا يقوده كثيرون ممن يقبلون السى
مكان بجياد جرد عتاق .

تلقى الحربيليون اصحاب القرية ضيفهم بكلتا اليدين ؛ واستهلوا فرحا
باختياره قريتهم الضئيلة دون تلك القبائل التى كادت تتناحر دونه ؛ فقاموا
بقضهم وقضيضهم فبنوا داره ؛ وافسحوا له في مزارعهم وحقولهم ؛ فعينوا
له مواضع منها ؛ فاستقر باولاده في القرية ؛ وطاب له المقام ؛ ولا شك انه
بابتعاده عن ذوى رحمه بايمور يجد سعة وفسحة مما لا يمكن ان يجدهما بين ذوى
رحمه ؛ ورحم الله عمر الذى كتب الى ابي موسى : قل للذوى القربى يتزاوون
ولا يتجاوون .

ثم ان هناك حكاية اخرى تؤثر بعد ان استقر صاحب الترجمة بسداره

الجديدة ؛ وبعد ان راي من جيرانه الجدد الكبار واحتراما ؛ لا يراهما لو كان
لا يزال بايمور ؛ او ليس انهم اسسوا له منزلا بين منازلهم ؛ وجعلوا له حقولا
ومزارع بين حقولهم ومزارعهم غير انهم بعد شهور كثيرة ؛ صاروا - كما
يحكى الحاكمون - يشاهدون منه مصائب تصيب بهائمهم وماشييتهم ؛ فيكسل
بهيمة او شاة افلتت الى حقوله او مزارعه لالتفتها مصيبة عاجلة ؛ فتكر ذلك
مرات ؛ حتى انتهى اهل القرية يوما ؛ فاجالوا القداح بينهم لعلمهم يقعون على
دواء ؛ فقال ذو راي منهم : ان هذا السيد مادام يصاب ولا يصيب ؛ وتلفت
ماشية الناس الى حقوله ؛ ولا ماشية له هو تلفت الى حقول الناس لا يزال الامر
كما ترونه ؛ والدواء الوحيد ان تجعلوا له ماشية كما لكم ماشية ؛ فلابد ان
يقع ايضا ماشيته في حقولكم ومزارعكم غلطا ؛ فتساوى الكفتان ؛ فيزول ما
برونه لامحالة ؛ فاتبع اهل القرية راي هذا الرجل الخبير ؛ فجمعوا ما يملهم
سومة من غنم ساقوها الى الشيخ ؛ فانقطعت تلك المصائب ؛ وعادت المواشي
الى عاداتها ؛ فلم يسمع بعد بضرر الم بها ؛ هذا ما يحكى نسمعه لك ايها القارىء
الكريم ؛ كما اسمعناه من هم اكبر منى ومنك ؛ ولك الخيار في القبول والرد
وما على انا كهودخ الا ان ابلغه اياك .

اخبرنى العم ابراهيم بن احمد ان الجد سيدى احمد بن عبدالله ؛ كان في
عمره كله لا يهتم بتأثيل الاملاك من جديد بعد ماورثه عن ابيه ؛ قال ولم لعله
رسمها واحدا في ذلك ؛ بل ما كان يهتم باقامة الزاوية بالغ ؛ يحمل الناس الى
الانحياش اليها ؛ ولم يتأثر كل هذه الاملاك التى بايدي احفاده ؛ ولا السلام
الزاوية وشانها كما ينبغي ؛ الا ولده على بن احمد ؛ واما والده احمد فقد ابلغ
بها ليسر ؛ مكثفيا بذلك ؛ منحاشا الى المسكنة والانقباض ؛ هذا معنى ما قاله
العم ؛ وكان هو وحده من صار اليه خبر من مضى من اهلنا ؛ وحين كان بهذه
المنابة ؛ وكانت هذه شهادته في صاحب الترجمة فلنكتف بها .

رايت انه تزوج نحو سنة ١٠٢٣ هـ والغالب ان يكون في ذلك الوقت ابن
عمر بن اوفوقها بقليل او تحتها بقليل ؛ ولذلك حزرنا ولادته بسنة ١٠٠٠
وهذا هو الغالب ان يتزوج فيه الناس ؛ وان امكن ان يكون اكبر من هذا ؛ وان
اولادهم قبل الالف ؛ وان كان الغالب ما حزرناه لانه اصغر من اخويته
عند ولادته ؛ كما قيل ؛ وقد عرفنا انه اُمى لا يشتغل بالقراءة التى يتأخر
في الزواج في الغالب بهذه البلاد ؛ واما وفاته فلانكاد نهتدى الى وقتها ؛ ولم
يحدث على ذلك الا ما يفيدنا الوهم فقط ؛ فقد راينا ولده عبد الله في رسم كتب
سنة ١٠٦٣ هـ ينادى فيه على من كان تحت ايديهم متخلف امه مريم بنت عبد
الله بن عيسى البعيل وقد توفيت اذ ذاك كما دل عليه ذلك الرسم تهما
لم لم يذكر في ذلك الرقم ما يشعر بان والده توفي اذ ذاك وكذلك راينا لاجيه

محمد بن عبد الله بن سعيد أيضا رسما آخر كتب سنة ١٠٧٨ هـ يشهد فيه اخوه محمد انه القبط اخاه احمد بن عبد الله صاحب الترجمة - بعض ما كان لزوجته مريم في ايام والده ؛ ولم يتعرض فيه لوفاته سيدي احمد ؛ بل الذي يتوهمه منه القارىء انه لا يزال حيا اذ ذاك ؛ وان هذا الرسم كتب في مقابلته ولكن هذا انما هو وهم فقط ؛ وايضا كان فلم نهتد الى وقت وفاته تحقيقا او ظنا الا ما كان من العلم ابراهيم ؛ فانه ذكر ان وفاته في آخر العشرة الثامنة ؛ ولذلك رايتنا وضعنا رقم الوفاة نحو ١٠٨٠ هـ

ثم ان هناك حكاية اخرى ان ثبتت فان وفاته تتأخر ايضا عن سنة ١٠٨٠ هـ وهي ان بعض المستنيرين ممن يجولون في الاخبار حكى لي ان السلطان مولانا الرشيد مر بالغ بعد ما قوض دولة ايليخ وشتت شملها ؛ فطاف بجانب صاحب الترجمة بنى - ولم يستحضر ذلك كما هو - فانس منه مصيبة حملته على تحسين ظنه به ؛ واكبار مقامه .

هذا ما حكاه لي هذا المسن ؛ فانصح هذا فان وفاته وراء رجب من سنة ١٠٨١ هـ لان الرشيد القى كليلة على ايليخ في ربيع النبوى - كما وجدته مقيدا في بعض فيها اربعة اشهر حتى خرب دار بودميعة ؛ ولم يدع فيها حجرا على حجر ؛ ولا سلفا قائما ؛ ولا بابا في محله ؛ فيكون رحيله في شهر رجب من هذه السنة ان حسبنا الاربعة اشهر ؛ فيكون مروره بالغ في طريقه الى تارودانت في الناء هذا الشهر . هذا ما يمكن لنا قوله في حين وفاته ؛ وذلك كما ترى وهم في وهم ؛ ولم نخرج بعد كل هذا البحث الا بمثل ما دخلنا به من الشك فلو شاعت هذه الحكاية الاخيرة شيوعا يستثير القن لا تكانا عليها في طريقنا الى هذا الخزر ؛ ولكن كفى بها ضعفا اننى لم اسمعها الا من واحد من غراهلنا ولصاحب الترجمة من الاولاد (١) عبد الله المذكور (٢) محمد (٣) علي (٤) ابراهيم (٥) مسعود (٦) الحسن (٧) موسى . فاما موسى ومسعود فلا عقب لهما ؛ واما الحسن فقد عدا عليه اخوه ابراهيم وقتله في ايام والده ؛ فخلف الحسن عقبا يسكن اليوم بايمور ؛ ولكونهم لم يرثوا جدهم صاحب الترجمة بسبب اعمامهم الذين حجبوهم ؛ لا يذكرون في اولاد الشيخ ؛ ولا يتناولون من نذور مشهده حتى نسي انهم من اعقاب صاحب الترجمة .

ومن العجب ان العلم الذي هو ماهو في انسابنا ؛ ومن املائه كتبت في غير هذا الكتاب (١) جميع اعقاب صاحب الترجمة الى اليوم ؛ لم يعرف عن هؤلاء انهم من اولاد الحسن بن احمد ؛ حتى نبهه الى ذلك ولده الاستاذ عبد الله بن ابراهيم ؛ استاذ مدرسة ايمور اليوم .

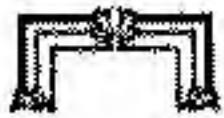
واما الباقي من اولاد الشيخ ؛ فهم (١) عبد الله (٢) محمد (٣) علي (٤) ابراهيم فاعقبوا كلهم خيرا كثيرا .

(١) (من افواه الرجال)

سيدي محمد بن عبد الله

نحو ٩٨٠ هـ نحو ١٠٦٠ هـ

هو اكبر اولاد الشيخ سيدي عبد الله بن سعيد ؛ ويذكر ايضا بالصالح وقد استقر في جهة (كاور) وله دار في كاور وفي (تالات غزيرين) وفي (كاوير اذرى) ولا يزال الناس يرون من ضريحه حيث مشهده في (كاور) ما يدل على ان له روحانية عجيبة ؛ ولها احوال غريبة ؛ وتقام عليه حفلات سنوية الى اليوم وله اولاد كثيرون ؛ عقبهم اليوم في (كاوير اذرى) وفي (تركا اخير) وفي ايت (بوصحيب) ؛ (ادبيران) وبعض اهل (اكرض افير) وفي (تاكازرا) وفي (انويدير) وفي (تأحواوات) وفي (دوتمنروت) بـ (ايت ولفا) وفي (ايمور) وهم انمى من ابناء عميهم احمد وبلقاسم



سيدي علي بن احمد الالغي

نحو ١٠٥٠ هـ بعد ١١٣٠ هـ

نسبه

علي بن احمد بن عبد الله بن سعيد بن حسين بن يبورك .
كنت رايت في ترجمة والده انه لم يزد على ان انتقل الى الخ ؛ ولم يتاثر
فيه مزرعة جديدة بالشراء ؛ وانما اكتفى بما يدره عليه ماتصدق به آل القرية
ولا يزال حقل كبير حول هضبة (اوسايك) ينسب له الى الان ويسمى اودري
والله هو الذي تصدق عليه به من الحرييليين ؛ كما لا تزال داره التي اسمها
له من تلقوا نزولهم بينهم بكتلتا اليمين ؛ مشهورة الى الان .

خلف صاحب الترجمة والده ؛ فوجد لاهله امامه ذبلا ممدودا من الاحترام
من جيرانه ؛ فاتم الله عليه نعمته ؛ فزاده شرفا الى شرف ؛ وقد كان آل
(ناكانزا) جلوا عن وطنهم بسبب ما ؛ فاستردهم اليه بوجاهته ؛ وكان مقامه
عند الحرييليين مقاما كبيرا ؛ وسترى في بطاقة كتبها اليه عبدالرحمن الساموكني
في شان آل سيدي احمد الفقير - وقد نشرناها في ترجمة هذا الانيق ذلك
الخطاب العظيم الذي يخاطبه به امغار قبيلة ساموكن ؛ وقد وافقت ايامه
العصر الاسماعيلي الممتد ما بين ١٠٨٢ هـ الى ١١٣٩ هـ فقد مربنا في ترجمة
الجد ما يدل على ان هناك ظواهر اسماعيلية لهذه الاسرة ؛ ولانشك في ان عليا
هذا هو الذي تلقاها ؛ لانه رئيس الاسرة السعيدية ؛ التي كان لها في زمنه
مقام سام بين جيرانها ؛ وقد وقفت على رسوم صدقات كثيرة ؛ من الحرييليين
الساموكنيين وغيرهم لزاوية صاحب الترجمة ؛ وان كان جل ذلك كله منسوبا
لوالده ؛ ليتأتى لآخوانه اجمعين ان يتوصلوا منه بحظ ؛ وهذا مما يدل على سمو
نفس ؛ وعلو همة ؛ وسلامة سريرة ؛ قال العم ابراهيم : ان هذه المعاريف (١)
التي تقام على مشهد سيدي احمد بن عبد الله من آل (اداي) و (تاجارمونت)
وامتضى و (ناكانزا) وغيرهم انما تنافس هؤلاء بها طلبا لعلو الشأن ؛ كما
طابت ايضا نفوسهم بحبوب وثمار بكيل معلوم على كل اسرة ؛ يعينون به
ستويا الزاوية الالغية ؛ قال : وهو الذي حمى اكادير نيت على لآل مريبض ؛ وعين

(١) حفلات الطعام العامة على مشاهد المعتقدين ؛ والمفرد معروف .

لهم صلحة يزاولونها وما يزالوا يتكاثرون به ؛ ودعا لهم فيه بالبركة الم لم يزل ذلك
معمولا به الى سنوات الاحتلال حين حدث الكيلو والصبرة الفرنسيتان منذ
عام ١٢٥١ هـ وهو الذي حمى بسببه زاوية والسيد سيدي احمد الالغية
هذه ؛ والمساكن التي يسكنها صاحب الترجمة ازاها ؛ وهالك رسما مصحفا
من تصحيف في عبارته ؛

الفلت جماعة اهل الجرفه الحريليون - وهم آل (ناكانزا) وجماعة بني ولفا
وجماعة آل ايفشان ؛ على المصالح في زاوية الشيخ الولي الصالح المرحوم بالله
السيد احمد بن عبد الله بن سعيد المربط بتظاهرين اصلا ووجارا ؛ وفي دار
ابن السيد علي بن احمد بن عبد الله على امر السراق وغيرهم مما لا يلحق بين
المسلمين ؛ فجميع من سرق شيئا في هري الشيخ وفي دار ابنه المذكور يعطى
لشمان قبيلته اثني عشر مثقالا ؛ كما يعطى السارقون من الحصون ؛ ومن
سرق شيئا ايضا في حوزة حرم الشيخ وساحته وفي حرم الدار يعطى ايضا
مثقالا واحدا ؛ اتفقوا كلهم على ذلك اتفاقا كليا برضاهم رضا تاما ؛ فكل من
حام حول ذلك الحمى فلا يلوم من الانفسه ؛ في رجب ١١٣٠ هـ محمد بن محمد
ابن عبد الله بن يوسف بن حسين الميموني الايسى ومحمد بن احمد بن ابي
القاسم بن عبد الله من النسب اه بعد ما اصلحت فيه كلمات وهذبت عبارات

وهكذا تعينت الزاوية العليا وصارت لها حرمة رسمية بين جيرانها ؛ فباويع
من حدته نفسه ان تمتد يده الى شيء منها ؛ ثم لا يزال الحال على ذلك الى زمن
الاحتلال ١٣٥٢

كانت دار سيدي احمد بن عبد الله مبنية في القرية السليمانية ؛ وهي
لا تزال الى الان شاخصة ؛ ثم لما دفن سيدي احمد في دار البرج كما كان
ذلك يسمى ؛ وبني عليه مشهد ازاء مسجد ؛ بنى صاحب الترجمة داره ازاء
المشهد ؛ واتخذها دار سكناه ؛ واختار تلك السعة لثلا يضيق على اخوته في
مساكنهم في القرية السليمانية ؛ ولا يضيقوا عليه ؛ وهذا المشهد وتلك الدار
هما اللذان رايت من الوثيقة المتقدمة ما جعلته لهما القبائل الالغية من الحرمة
التي لا تزال تذكر تلك الوثيقة الكبرى المتقدمة في ترجمة سيدي عبد
الله بن سعيد التي وقعها ثمانية عشر عالما ؛ انها كتبت في ايام صاحب
الترجمة ؛ ويطلب على الظن انه هو الذي طلبها منهم ؛ وانهم ما وصفوا من ذرية
الشيخ عبد الله بن سعيد الا ما راوه من هذا السيد صاحب الترجمة ؛ وبذلك
استدل على ان له في مصالح المسلمين سعيًا حثيثًا متواصلًا حتى يصح له
الانصاف بتلك الاوصاف العلية التي وصف بها خلف الشيخ ابن سعيد في
تلك الوثيقة .

ثم ان لصاحب الترجمة اربعة اولاد (١) بلقاسم (٢) محمد (٣) احمد (٤)

عبد الله ! وكلهم اقبلوا بعده كما سيمربك فيمن يصلح ان يذكر منهم ان شاء الله .

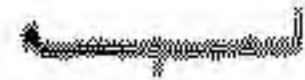
ثم اننا رمزنا لوفاة صاحب الترجمة بانها وقعت بعد سنة ١١٣٠ هـ والذي حملنا على ذلك ما تبيناه من التاريخ الذي في تلك الوثيقة المتقدمة ؛ ثم انه في سنة ١١٥٢ هـ لم يكن والله اعلم حيا ؛ لانك رايت فيما كتبناه تحت رقم ٥٠- من الظواهر الملحقة بترجمة الجد ان الذي حضر هناك ولده احمد بن علي مع بني عمه ؛ والغالب انه اذ ذاك لم يعيش بعد ؛ او كان شيخا كبيرا لا يقدر على السفر ؛ والله اعلم .

واما ولادته فقد رمزنا لها بنحو ١٠٥٠ هـ فيشمل ذلك العقد الخامس والسادس من القرن الحادي ؛ توهمنا ذلك لما رايناه من تصدره على اخوته ؛ وتولييه الزاوية بينهم ؛ وشغوفه عليهم مع وجودهم ؛ والغالب ان لا يكون كذلك الا اذا كان من كبارهم ؛ ولا نستحضر الان ترتيب اولاد سيدى احمد بن عبد الله في السن ؛ لتعلم منزلته بينهم ؛ وان كنا نستشف وراء ما يمر بين ايدينا ان اخاه عبدالله بن احمد اكبر من على هذا ؛ ثم على ؛ ثم باقى اخوته وكيفما كان ؛ فالذى يظهر لنا ان ولادته في نحو ١٠٥٠ هـ ان لم تكن قبل ذلك بكثير . هذا ما امكن لنا فيما يتعلق بسيدى على بن احمد رحمه الله ورضى عنه .



سيدى عبد الله بن احمد الالغى

نحو ١١٤٠ هـ بعد ١١٠٢ هـ



عبد الله بن احمد بن عبد الله بن سعيد بن حسين بن يبورك .
كنت يوما اطالع الطبقات للحفيكى ؛ فوجدت فيها في ترجمة سيدى محمد ابن محمد الحفيكى صنو جد المؤلف ما ياتى .
واظهر لي الفاضل الولي الصالح عمنا الشيخ السيد محمد الفشاني ؛ انه بات هذه مرة هو والرجل الصالح عبد الله بن احمد حفيد الولي سيدى عبد الله بن سعيد النظهري ؛ قال فعقدنا النية على زيارة صالحى (اسا) من امة الصحراء فلما كنا بالطريق اشتهينا الطعام والفاكهة فقلت لهما ؛ اما الا فباقي في ؛ ولكن لركت المزود في دارى معلقا على الوتد ؛ فمن قدر ان يالينا به ؛ فافعل ؛ قال فقام الفقير محمد الحفيكى ؛ فقال باسم الله فاحلوه براى وقاله وهو لا يبرح من مكانه ؛ ونحن جلوس فاكلنا ؛ فلما رجعنا من زيارتنا وقع لنا مثل ذلك .

ان كان سيدى عبد الله بن احمد ممن اشتهر في عصره بما يشتهر به الصالحون في العادة من اصحاب الكرامات ؛ فقد اخبرنا هذه الحكاية انه ممن يظن به انه قد تخرق له العادة ؛ فاردت ان اشفع ذلك بما لعله يعرف به بين اهاليه ؛ فسالت جهة اخبارنا : العم ابراهيم ؛ فذكر انه كان مشهورا بالصلاح والعبادة والتسك والقناعة بما تيسر في عصره ؛ ولم يولس عليه الا بهال بنائيل الاملاك كما اثر عن اخوته ؛ وقد اشتغل بخوصة نفسه ؛ واستغلال ما ورثه عن ابيه وامه ؛ قلت اننى وقلت على رسوم تبرعات متعددة له حول ما صار اليه من ارض ابيه وامه ينادى فيها على من اعتمرها من اله ؛ والاختصار لم نجلبها الى القارى . وقد وقلت ايضا بين الرسوم على بطاقة بخط الاستاذ القاضى سيدى عبد المؤمن بن محمد الايفشاني ؛ وهي هذه كتبت فيها شهادة لبعضهم ؛

(اعترفت زوجة ولدى عبد الله وهي حواء بنت على بن الحسن الحريبية ؛ واقرت على ان ما وضعته بوجه الامالة بيد الم رابط سيدى عبد الله بن احمد ابن عبد الله بن سعيد التهاى من امور ؛ من لو بين قبضت جميعها ؛ والهام

المصحح غيرهما غلده ؛ وبه كتب برسم الاشهاد عنها بذلك في تاريخ ١١٠٢ هـ
عبد المؤمن بن محمد بن علي بن محمد وقله الله بمه .

تتأمل هذه البطاقة فتفهم منها ان صاحب الترجمة كان مقصودا بالودائع ؛
وان اماتته اهلته لذلك ؛ ثم نفهم ايضا انه كان لايزال حيا في هذا التاريخ ؛
لان الغالب ان هذا الابرار لو كتب بعد وفاته ؛ لترحم عليه كاتبه ؛ كما هي
العادة ؛ ولذلك رمزنا لزمان وفاته بعد هذه السنة كما رمزنا لولادته بنحو
١٠٤٠ هـ لان هناك في رسوم تبريجاته ما هو مورخ برجب سنة ١٠٦٣ هـ
والغالب انه لايتولى ذلك بنفسه الا من له ما فوق عقدين ؛ ولا يتم رشده في
العادة الا بذلك ؛ واهم مريم بنت عبد الله توفيت قبل ١٠٦٣ هـ لاننا رايناها
قام يتطلب اذ ذاك بمتخلفها وحفظها بين اخوتها .

ويظهر من حاله انه وان كان في سمة الصالحين ؛ كان مشتغلا باقامة
اسباب معاشه ؛ ذاذا عن حظه يدكل من يمتد اليه ؛ وكونه لم يشتر هو
بنفسه شيئا كما قال العم ؛ لاينافي هذا وهذه الحكاية بنفسها هي حالة حياة
مراطينا ؛ دين وصلاح في ضمنه الكد وراء الحلال ؛ لئلا تمتد يدهم في فاقة
ال استجداء ؛

واستف ترب الارض كيلا يرى له على من الطول امرؤ متطول
حكى العم انه لما اظل اجله ؛ اقترح على اهله ان يزيروه قبر جده بايمور
المحمولة وهو مريض ؛ فباتوا به في قرية (سلات) فاجتمع اليه اهل القرية ؛
فطلب منهم في آخر المجلس ان يتفضلوا بحمل قنطرة من قريتهم الى ايمور ؛
فما اصبح الصباح ؛ حتى فاظت نفسه ؛ فكان هو القنطرة المحمولة على ايدي
اهل (سلات) الى ايمور ؛ فدفن ازاء قبر الجد ؛ رحم الله الجميع .

ولصاحب الترجمة من الاولاد ثلاثة : سليمان ؛ وصالح ؛ وحسين ؛ وكلهم
اعقبوا غير حسين الذي مات عزبا ؛ وسترى بحول الله ترجمته فيما بعد

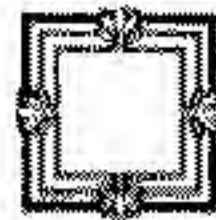


سيدي حسين بن عبد الله الالغي

من اهل القرن الثاني عشر

الاله

حسين بن عبد الله بن احمد بن عبد الله بن سعيد بن حسين بن يبورك ؛
هذا من اولاد المتقدم ؛ وتوثر عنه بركة ؛ وكان سيدي الحاج عبلا بن صالح
من اهل من شاله ؛ والناس كذلك يقصدون ضريحه بالزيارات والندور ؛ خصوصا
من ان لا ارب في النسل ؛ فانهم يرون انه مجرب لذلك ؛ وذكر العم انه
ما اربا من غير عقب ؛ ولذلك يستأثر عصبته بنو صالح بما ذبح على ابيه
وهو من اهل القرن الثاني عشر ؛ ولم نعرف عنه غير ذلك الآن .



سيدي احمد بن علي الالغي

قبل ١١٠٠ هـ بعد ١١٥٢

نسبه :

احمد بن علي بن احمد بن عبد الله بن سعيد بن حسين بن يبورك .

كان والده علي بن احمد رئيس الزاوية الالغية ؛ كما قرأت ذلك في ترجمته ثم بعده تولاهما احمد هذا ؛ ولكنه كما يظهر ليس له من خصال جدوده الا انه يجول في مسلاخهم ؛ ولم يؤثر عنه اي شيء ؛ كانه لم ينحدر من تلك الاصلاب التي تركت افعال اصحابها دوبا لايزال يدوي الى الآن ؛ واطنه كان كثير من ابناء الصالحين من ارباب الزوايا ؛ ورث جاهها وحرمة واعتقادا ؛ فاراد ان يستغلها من غير عمل جديد يضع به لبنة في الجدار ؛ وكفى من خمولة اني لم اسمع به يذكر الا في الوثيقة التي وضعناها تحت رقم ٥٥ - في ترجمة الجد وهو احد الثلاثة الذين ذكروا فيها ؛ والا في خير سقط الى ايضا اخيرا ؛ وذلك ان بعضهم ذكر في معرض حروب بعقيلة ومجاط ؛ ان بعقيلة علا كعبها مرة على مجاط ؛ وصاروا يتوصلون منهم بالاتاوة على راس كل سنة فسافر امغار علي بن باها بمجاط الى (تامانارت) ليمتار لاهله تمرا ؛ ولكنه طرق اذنه من ملعب التامانارتيين اشعار شلحية من النظامين ؛ يخزون مجاط باسفاف الهمم وموت النفوس حين جعلهم البعقيليون مطايا ذلا يمتطونهم كيف يشاءون فلم يطق امغار على ان يصبر بعد ؛ وقد استشرت منه النخوة ؛ وجرح منه الشعور جرحا يتدفق دماء حارة ؛ ففارق (تامانارت) من غير ان يتذكر الحاجة التي ورد بسببها فمر برئيس زاوية الغ وهو صاحب الترجمة فكشف له عن عجره وبجره ؛ وقال له ادع لي ؛ فاني انوي مغامرة ؛ فاما القبر واما الصدر فذلك سيدي احمد علي ان ياتي الامر من بابه ؛ فامر ان لا يستبد بذلك عن رئيس ايلغ - ولعله احمد بن محمد بن بودميعة الالغي اوولده سيدي يحيى وهو آنذاك كما استرد شان ايلغ وجالت يده من جديد بين القبائل ؛ وكان متواء ملتقى عاما ؛ وندوة للرؤساء متى ارادوا ان يتراءوا في امورهم ما يريدونه من المصالح ؛ وقد تقلصت ايضا ذبول الحكومة منذ توفي مولاي اسماعيل ؛ وكانت يد السلطان سيدي محمد بن عبد الله ؛ لما تطل ايضا على هذه القبائل .

ذهب امغار علي بن باها ؛ ففاوض الرئيس الالغي ؛ وقال له اننا لا نصبر بعد لاداء هذه الاتاوات ؛ باي وجه ؛ واننا لنجاوزون بعقيلة حتى نردهم هنا ومن ههنا صافرين ؛ فقال له الرئيس ما هكذا يا سعد لورد الابل ؛ وما هكذا نساى الامور ؟

ان الحيلة في مثل هذا - وقد استشرني ووضعت في لفتك - افضل لما يرمى اليه ؛ والتدرج اسهل واقرب الى السلامة ؛ اذهبوا الى اصحابكم واطلبوا منهم ان يجاوزوا لكم عن هذه الاتاوة في هذه السنة ؛ وطلبوا عذرا للفقولة لهم ؛ ثم عدوهم ان توفوهم السنة القادمة اناوة سنتين في واحدة فيطلبون اذ ذاك مشاورتي ؛ فسارني بحجري معكم ؛ واستحسن ذلك ؛ فهكذا فعلت مجاط فقالت لها بعقيلة سننظر في ذلك ؛ ثم نرد اليكم رايانا الاخير ؛ فقالوا فيها بينهم ليس عندنا ما نبرم حتى نراجع الالغي ؛ فالفوا اليه الحديث ؛ فقال لابي بالنظرة ان استعسر اصحابكم ؛ فهي اول من مقابلة لاندرون فيهمالي الامصار ؛ فقال ذو راي من بعقيلة ان هذا امر تدبر بليل ؛ وما طلبنا غير هذه الاتاوة في هذه السنة الا علامة ان القوم بدا لهم راي آخر ؛ وعزيمة جديدة فالفوا بها امامهم من تحت ايدينا ؛ قال الحاكي فكان ذلك اول ما انفكت مجاط في ذلك العهد من بعقيلة ؛ بمعاونة الرئيس الالغي ؛ وببركة مشاورة سيدي يحيى ؛ ثم كان ذلك ايضا اول افتراق بين ايلغ وبين بعقيلة ثم ان آخر الدهر ؛ ثم ان بعقيلة آسست من اصحابها تمرا ؛ ورفع الجباه مما كان علي ان رفع الاتاوة في تلك السنة معناه قد انتهى ذلنا منذ هذه السنة ؛ قال فصارت بعقيلة تفتل لمجاط في الذروة والغارب ؛ وتتربص بها يوما ما ؛ ان تصبها فيه بغارة ملحاح لا تبقى ولا تذر .

كان في (وانكيضا) رجل يلقب (بزم) وكان من روساء بعقيلة ؛ فعاريف خلف الى (الغار) كانه يخطب هناك امراة ؛ وهو في السريهي سرية كبرى يحتاج بها (الزلي) ففي مرة ذهب مع روساء امثاله كانهم ياتون بالمروس ؛ فامر بطن زرع كثير وخيزه ؛ ففي وسط ليلة جاء ومن معه يقدمون ال (الغار) ثم يهرون كل من مروا به من البعقيليين ؛ وقد تعرضت بفال موفرة خبزا في ثنية هناك ؛ فتناول من الاخبار التي فيها مات من المفاوير الاشداء خبزة خبزة وقلد البشاق الفجر ؛ كان الجيش يتجاوز التخوم ؛ ويخوض في بحبوحة (الزلي) وقد طاف النهب والقتل بالاموال والنفوس ؛ فما متع النهار حتى تجاوزت السلالح تازامورت ومجاط في دهش الميسوت يتطايرون فرارا امام هذه الغارة الشعواء ؛ حتى تلاحقت جماعات من مجاط في (كراما) فتوافقت هناك ؛ ثم صعدت للبعقيليين الذين اكتسحوا كل ما امامهم ؛ فوالفهم ساعة لم هبت لسمه من النصر لمجاط ؛ فمالوا على الآخرين ؛ وهم مفترقون بما نالوه

سيدي عبد الله بن موسى الاوخييري

لحو ١١٠٠ هـ بعد ١١٠٢ هـ

السيدي

عبد الله بن موسى بن محمد بن عبد الله بن سعيد .

هذا هو جد بعض آل اكادير ايزري : وجده محمد بن عبد الله بن سعيد . كان له ملك في قرية (كاور) بمجاط : فأنحاز اليه عن ايامور الفواها هناك اذله وقبره هناك مزاراة مقصودة الى اليوم : وهو جد آل اكادير ايزري : وقد اختلف اولاد منهم موسى والد صاحب الترجمة .

كانت رايته في الوثيقة الخامسة من ملحقات ترجمة الجد ذكره مع سيدي احمد بن علي : ومع سيدي صالح بن عبد الله بن احمد فظهر بذلك انه من الاسرة السعيدية اذ ذاك ومن وجهاتها المذكورين : لانه لا يقف في امثال آل الفواها الا الرجال المتفوقون في الاسر .

قال عليه السلام : فقال لي انه من افذاذ رجالاتنا : وممن عضوا بالنواجذ على الدين السعدي : وما هو الا الاقبال على ارشاد العباد وتصحيح والتفاني في معاليهم : مع الاقبال في نفسه على ربه : مجتنباً للاسفاف الذي يتل به ابناء الرواية : وقد كانت له سمعة وصيت في عصره : واعتقاد من الناس يسوقهم الى الشهاب خضرت ويؤثر عنه من الاحوال ما تشنف به السامع في هذه الحال حلاله .

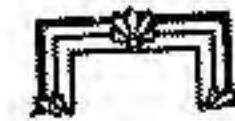
لم ان له داراً الخدا في قرية تاركا اوخيري التي نسبناه اليها : فحبب له مكانها فهناك قضى ما شاء الله من عمره حتى توفي : وقبره مزاراة عند اهل تلك الجهة : ويقيمون عليه حفلة طعام في راس كل سنة : وهو من لدات سيدي احمد بن علي المتقدم : ولذلك رقمنا له في الولادة والوفاة بما رقمنا به لئلا .

وله عقب كثير كما ذكرناه من آل اكادير ايزري رحمه الله .

صباحا : فاقبلوا عليهم قتلا واسرا : حتى ان فارسا قتل بالسلاح الابيض من (كراما) الى بسيت وانكيفا ٢٧ رجلا : وقد اجلت الواقعة بتشتت شمل المغيرين : وقد سقط منهم ٢٨٠ قتيلاً : ثم انصافت وانكيفا كلها الى مجاط وصارت تخوم بلادها في اكادير تتركتن : وقد وضعوا فيه حرسا كثيرا ثم لم ينزل الامر كذلك حتى كاد لهم البعقيليون بعد سنة بوقعة اخرى خر من المجاطيين فيها ٢٠٠ من حرس ذلك الحصن : فاستردت بعقيلة وانكيفا هذه هي الحكاية برمتها : وقد ذكر من حكي لي - وهو ممن يعرفون ما يقولون - انها مكتوبة هكذا عند بعض رجالات وانكيفا .

ثم ان سيدي احمد ان ثبت ان له في هذا العهد هذا الذكر : فذلك يدل على انه طال عمره بعد اوائل القرن الثاني عشر : لان هذه الحكاية - ان صح انها وقعت في ايام الرئيس احمد بن محمد الايليقي : ولم تقع في زمن سيدي يحيى والده او في زمن سيدي علي حفيده - يظهر انها تاخرت عن سنة ١١٥٢ هـ والله اعلم .

واما ولادته فقد رمزنا لها بنحو ١١٠٠ هـ لاننا راينا انه هو الاكبر من اخوته لتولية امر الزاوية بينهم : وتلك هي العادة المتبعة : وقولنا نحو كذا في امثال هذه المواضع نقصد به العشرة التي قبل والتي بعد او اكثر من ذلك . وقد خلف صاحب الترجمة رحمه الله ثلاثة اولاد : (١) الحسن (٢) محمد (٣) بلقاسم



لم ان سيدى ابراهيم بنى بين ظهراى التاكازى الكرام مبعلا معترما
موقرا ا ل ان النعل بره فى ذلك التاريخ ا ولور عنه احوال سليمة مما
اعرف امثالها من ابناء عمه الابرار ا وقد اعقب ستة ذكور *

(١) عل (٢) بلقاسم (٣) محمد (٤) محمد (٥) صالح (٦) الحسن *

فاما محمد «عسا» فمات عن غير عقب ا واما محمد «فتح» وصالح والحسن
فبعد ان التشر لهم عقب القرص ا فلاديار منهم اليوم ا واما عل وبلقاسم
فملهما التشر ماالتشر ا ومن آل عل كان الاستاذ سيدى عل بن صالح الافيرى
الذى سافرا ترجمته ان شاء الله فيما ياتى ا وهو الذى افادنا ترجمة جده هذا
واوقفنا عل تاريخه جزاء الله خيرا *

لم انه دفن فى تاكازا فى مقبرة (تافراوت او كادير) ا وتقام له حفلة
طعاميان عل راس كل سنة حفلة من اولاده ا وحفلة من الذين اكرموا مثواه
فى حياته ا لم لم ينسوه بعد وفاته رحمه الله *



سيدى

ابراهيم بن بلقاسم التاكازى

قبل ١٠٩٠ هـ - ٣ - ١١٥٨ هـ

نسبه :

ابراهيم بن بلقاسم بن محمد بن عبد الله بن سعيد *

ابن عم المتقدم ا وكان بلقاسم من اولاد سيدى محمد بن عبد الله بن سعيد وله
هو خمسة اولاد (١) ابراهيم صاحب الترجمة (٢) عبد الله : وهو جد
المرايطين السعديين الساكنين بقرية (دوتمنروت) بايت وفقا (٣) محمد بن
بلقاسم ا جد مرايطى قرية انويدير (٤) الحسن جد مرايطى قرية تاحواوات
(٥) عل القطع عقبه بعدما انتشر فى قرية انويدير *

ابراهيم هذا رجل صالح مذكور فى عصره وبعده : وان كانت شهرته لم
تصل شهرة ابناء اعمامه الاخيرين : كان متوطنا ولا فى قرية انويدير فبقى هناك
ماشاء الله : وقد نشأ له اولاد : من بينهم ولده عل : وكان يرعى غنم اهله
فناور مرة رجلا امنوزيا تعدى عليه : فاذا بالمرايط استاسد على ذلك المعتدى
فكان الله فى عونته : فمزق احشاه بطعنة : فاجفل والده باسوته عن تلك
القرية التى بنيت فى نحر امانوز وقد خاف على ولده الامانوزيين الذين لا
يعرفون المعتدى من المعتدى عليه : ولا يعرفون الا ان ولدهم قتل : فلا بد ان
يقتلوا قاتله : فمر بقرية تاكازا : فطلب منه اهله ان يحط رحله بين
ظهراىهم : ثم لايمس جانبه ماس باصبع : فنزل هناك وقد تحول بكل مايملكه
ثم ان ولده عليا الذى اسكرته خمرة الغرارة : لايزال ينتاب الخ : ولا يحسب
حسابا للامانوزيين : فذهب به والده الى قرية اخواله آل قرية اكرض الفقير
فزوجه هناك : قصد ابعاده عن بسط الخ : وقد كانت زوجة صاحب الترجمة
بنات داود بن الفقير احمد بن داود بن يوسف الحرييل الذى استقرا
ترجمته ان شاء الله فيما ياتى *

سيدى بلقاسم بن علي التميميوتي الالغي

من اواسط القرن الثاني عشر الى اواخره

نسبه

بلقاسم بن علي بن احمد بن عبد الله بن سعيد بن حسين بن يبورك .
كان لسيدى علي بن احمد المتقدم اربعة اولاد تقدم منهم احمد وهذا اخوه
بلقاسم واما محمد وعبد الله فلم يوثر عنهما ما يذكران به .

بلقاسم هذا صنو عمه عبد الله مبداء ؛ فكلاهما يوثر عنه الصلاح والانزواء
الى انصوف ؛ والذي يظهر لي من حال صاحب الترجمة ان له مقاما ربما اوفى
على مقام عمه وقد ادركت ذلك من اخبار تنهال على من اهلينا ؛ وقد اختار
ان ينتدب عن قرية اهله ؛ فنزل في (تيمبوت) وهو اول من اختط ديارهم هناك ثم
اورثها اولاده ؛ والغالب انه كان اشترى هناك اولاد من اهل اكجكال الذين لهم
اوساط بسيط الخ ؛ قبل ان يبيعوها لمرابطينا هؤلاء ولمن بعدهم ؛ ثم تحقق
عندى انهم وهبوا له تلك البقعة ؛ فيكون ملكه هناك سبب نقلته عن قرية
اهله ؛ وهناك حكاية مهلهلة مما يلهج بامثالها في امثال صاحب الترجمة ؛ وفي
سبب نقلته تقول :

انه طاف به امر وكرب شديد من قرية اهله ؛ فصار ينادى الاولياء
لينظروا في حاله ؛ وليختاروا له مسكنا ملائما ينتقل اليه ؛ فاكثر من
الاستغاثة بهم اكثارا ؛ ثم انه طلع لجبل ايفشان الشاهق وهو ملتقى الاولياء
فيما يقال - ثم صار ينادى باعلى صوته ؛ اين انتم يا رجال الاغاثة فانتى في
ضيق وكرب شديد ؛ ثم اهوى براسه مضطجعا ؛ فوقف عليه بعضهم مناما
او يقظة فيما يزعمه بعض من حكى لي ؛ فقال له اهذا انت ؟ اهكذا يرقد من
كان محزونا ويرفع صوته بالاستغاثة بنا ؟ قم لاريك مسكنك الجديد ؛ فراه
موضع قرية تيمبوت ؛ كانه نقطة متلاثة في وسط هذا البسيط ؛ قال فكان
ذلك هو اول ما تنبه اليه سكنها ؛ فبنى داره ومسجده في بقعة وهبها له
الاكجكاليون ؛ ولا يزال هؤلاء يتداولون ذكر هذه الهبة الى الان . ثم استقر به
القرار ؛ وطابت له السكنى ؛ ووجد هناك فسحة في قلبه وداره ؛ ما كان ليجد

مثلها في قرية دولدير ؛ حيث بنوا ابيه طيمبون ؛ يتزاحمون على ماخلله ايوهم
سبحى على ؛ وهناك حجر معلوم في جدار داره الاصلية يتبرك به الناس ويقولون
ان احد الاولياء ؛ هو الذي اعطاه له ليحمله في داره ؛ وهو ظاهر في وجه الجدار
المقابل لمسجده الذي اسسه ازا داره ؛ وقد فتح اليها بابا من المسجد

ذكر العم ان صاحب الترجمة كان ساكنا في هذه الدار التي بالقريفة
السليمانية وهي دار كان والده علي بناها قبل ان ينتقل الى مستقره الاخير
بالزاوية العليا ازا والده سيدى احمد بن عبد الله ؛ وهي بنفسها مسكن
سيدى محمد بن ابراهيم السلامي - وستاتي ترجمته - ولا تزال في ملك
اولاد صاحب الترجمة الى الان ؛ وقد ابوا ان يبيعوها بعدما خوطبوا بذلك فراحوا
حافظوا عليها اثرا خالدا من آثار جدهم هذا ؛ وذكر ايضا من احواله انه صاحب
خمول وديانة ؛ وافناء الاوقات كلها في الاذكار فكان ذلك مما شهره حتى
سارت الوجوه تلتفت اليه ؛ لانهم يعرفون منه ما يعرفون من آباءه السالفين .

اقول يجول في ظني ان صاحب الترجمة ؛ مامال الى الانزواء في ذلك المسكن
الجديد ؛ الا انه راي من ابنا ابيه شيئا آخر غير ما يعتاد من اسرتهم الكريمة
من عهد الجد الاعلى ؛ فيحفزه ذلك الى ان ينتدب عنهم كل الانتباز والله اعلم .

ثم اننا لم نتيقن بل لم نصل ولو بوهم الى وقت ولادته ولاوفاته ؛ وانما يعرف
انه ممن عاش في اواسط القرن الثاني عشر ؛ وانه توفي في اواخره .
وقد ظن العم ان وفاته تكون قبل ١١٧٠ هـ وعند الله علم ذلك .

وقد اعقب اربعة اولاد (١) احمد (٢) محمد (٣) عبد الله (٤) ابراهيم
وكلهم اعقبوا الا الاخير ؛ فقد انقطع عقبه بعدما انتشر ؛ رحم الله الجميع .

وقد وفقت على ان محمد بن بلقاسم المذكور ؛ توفي يوم الجمعة ١١-١١
عام ١٢٤٧ هـ وعلى وفيات بعض اولاده ؛ وهم مريم بنت محمد توفيت ليلة
الاثنين ١١-٦-١٢٣٢ هـ واحمد بن محمد بن بلقاسم عند الظهر في يوم الثلاثاء
١٨-١١-١٢٤٠ هـ ومحمد بن محمد بن بلقاسم في السبت ١٣-١٢-١٢٤٠ هـ
عام ١٢٦٠ هـ وولد هذا عبد الله بن محمد بن محمد بن بلقاسم في الاربعاء ٢-١٢
عام ١٢٠٤ هـ وامرأة محمد بن بلقاسم المذكور فاطمة بنت ابراهيم في الثلاثاء
١٨-٢-١٢٦١ هـ .

وفقت على هذه الوفيات في طرة دليل الخيرات لهذه الاسرة ؛ فجمعتها هنا
لغائدها .

سيدي احمد بن بلقاسم التيميوتي

نحو ١١٥٠ هـ - بعد ١٢٤٥ هـ

نسبه

احمد بن بلقاسم بن علي بن احمد بن عبد الله بن سعيد بن حسين بن بيوردك هذا ولد سيدي بلقاسم المتقدم ؛ وهو من رجالات الخ في اوائل القرن الثالث عشر ومن رجال الصلاح الذين تقرب اليهم اكباد الابل من مرابطينا في ذلك العهد ؛ ورث من ابيه تالدا من الشهرة والاحترام ؛ فزاد هو مجدا طارفا اشتهرت به قرية تيسوت الحديثة اشتهارا ؛ وكان ابوه يرتفع شأنه بمقدار ما يجره هو من الخمول ؛ وينتظر صيته كلما امعن تحت ذيل الانزواء ؛ فجاء ولده فملأ مكانه والده هذه بحالة حسنة ؛ وسريرة طيبة ؛ فكان من التابعين له باحسان ؛ فارتفعت منزلته وعلا مقامه وكان له من المظهر الصالح الهادي للدين الذي يحول فيه ما يستحق به ان تتخذ عتبة بابه متعلق الانتظار ؛ وله مع ذلك غرائب صدرت منه في عصره ؛ وراى برهانها منه الناس عيانا ؛ فسلموا حاله ؛ وعلموا له منزلته .

هناك خوارق متعددة تتداولها الالسن ؛ ولما كنا في هذا الكتاب نتسكب الاكثار منها ما امكن ؛ لعدم تثبيت الرواة ؛ اضربنا عن ذكرها صفحا ؛ الا ان هناك واحدة اشتهرت كل الاشتهاز ؛ حتى صارت تحت كل لسان ؛ وفي ضمن كل اذن ؛ وقد تلقيت بالتواتر ؛ فراينا ان نسوقها ؛

كان لصاحب الترجمة غنم في مرتبع ازاء (تاركانترلمات) وكان لاهل ذلك الموطن تعال وقوة ؛ لا ينظرون بهما الى الضعفة كمرابطينا ؛ الا كما ينظر المختال القوى الى خنفساء تعرضت امام قدمه في الطريق ؛ فعمد بعض رعاعهم الى غنم هذا السيد ؛ وقد اقبلت للمورد فذاها عنه ظلما وعدوانا ؛ والمساء موجود ؛ والعين ثرارة ؛ وقد اصدر كل الرعاء ؛ فرجع الغنم بعطشه فبلغ ذلك صاحب الترجمة فتار منه ما يشور من كل مظلوم ففرع الى الباب الذي لا يخلق دون دعوات المظلومين ؛ فنفذ السهم واستجيب الدعوة ؛ فاصبحت عين اولئك الطاغين غائصة ؛ لا تبض بعد بقطرة وقد بذلوا كل الجهود في حفرها بعد ؛ فاصبح الماء واقفا لا يجري ؛ فدامت تلك العين الرا خالدا من آثار دعوات المستضعفين .

عدم خيانة صحبة رويت بالتواتر ؛ ولا تزال العين مائلة شاهدة لصاحب الترجمة بظلم الدعوة التي لم توجد ابواب السماء دولها .
ثم التشر لسيدي احمد بن بلقاسم بالاولاد شيوخا في ظل ذلك المجادلوريف قصار الشيطان يترغ بينهم وبين بني سليمان معاصريهم في قرية (دوكادير) فعاد عبد لصاحب الترجمة علي ولد لال سليمان فاردا ؛ وكسان ذلك لسا بين الاسرتين لما بينهما من المعاصرة والقربى والغنى - والاقارب دائما كالمقارب ولا يبتك مثل خبير - وقد وقعت على وثيقة فيها فصل هذه القضية بخط الاستاذ سيدي محمد بن عبد الله ابن الشيخ سيدي محمد بن احمد الحضيكي اوهى هذه (وبعد فقد حضرنا وتوسطنا بين اخواننا سيدي احمد بن بلقاسم من ذرية الولد سيدي عبد الله بن سعيد التيطاها ريني من تيسوت ؛ وبين ابناء سيدي سليمان المرابطين من (تحت الحصن) ؛ منهم سيدي ابراهيم بن سليمان واخوانه وخالي احمد بن محمد بن سعيد وغيرهم في شأن المقتول من ابناء سيدي سليمان فانفق رايهم على ان يقتلوا عبد سيدي احمد بن بلقاسم ؛ الذي قالوا انه هو القاتل له ؛ فاذا قتلوه انقطع نزاعهم وانفصل امر الثار المذكور ؛ وانجبر رايهم ولم يبق بينهم شيء من دعوى مال ولا غيره الا تهمتهم لاولاد سيدي احمد بن بلقاسم بانهم هو الامرون لعبيدهم بالقتل فمتى طلبوا منهم الحلف على نفس دعواهم ؛ استخلفوهم ؛ طال الزمن او قصر ؛ وعلى هذا اتفق رايهم ؛ وتفاصلوا في ذلك القتل بذلك تفاصلا صحيحا قاطعا ابدا مؤبدا واما ما كتبوه بينهم من العرف الفاسد بحضور بعض اولاد سيدي احمد بن موسى ؛ فلم يبق عليه الحال بينهم لكونه مخانفا طريق الشريعة الحمدية ؛ وكتبنا هذا بينهم فصلا قاطعا للنزاع بينهم بتاريخ اواخر ذي الحجة عام ١٢٤٥ هـ عبد ربه محمد بن عبد الله بن محمد الحضيكي بزاوية الفلال ؛ كان الله له)

اقول ان خؤولة مرابطينا آل سليمان لال الحضيكي نشأت من ان مريم بنت محمد بن سليمان تزوجها آل الشيخ الحضيكي .

امتحن صاحب الترجمة في اواخر ايامه بهذه المحنة ؛ وكثيرا ما يمتحن الاصفياء بامثالها الا من عصمه الله ؛ فلاندرى كيف تلقاها ؛ وكيف تجلدا لآلها وان كنا نتيقن انه مغلوب في آخر عمره باولاده ؛ فهم الموردون المصدرون ؛ النقم الشيطان عقولهم فقادهم الى ما ليس من الهام ان ينقادوا اليه ؛ ولكن الاستاذ سيدي محمد بن عبد الله الحضيكي اثاث الله به الاسرتين السليمانية والقاسمية ؛ وهم يمتنون اليه بخؤولة ؛ فجبر الصدع ؛ واتى بحكمة القصاص وفي القصاص حياة عند اول الالباب

ثم انك رايت لا يزال حيا سنة ١٢٤٥ هـ ثم لم تطل به الحياة بعد ذلك ؛ ولقد قال العم انه توفي حوالي ١٢٦٠ هـ وكيفما كان ؛ انه لم يمض بعد ١٢٦٠ هـ رحمه الله من رجل صالح لا يزال صيته يرن الى الآن ؛ وله من الاولاد المعجبين علي ؛ ومحمد .

الفقيه سيدى سليمان بن محمد الالغى

نحو ١١٣٠ هـ - ٩٤٠ - ١١٩٩ هـ

نسبه

سليمان بن محمد بن احمد بن عبد الله بن سعيد

هذا اول فقيه اعرفه من قبيلتنا السعيدية ؛ واول من بدا له ان يولى وجهته مع قرينه الاتى ذكره سيدى احمد بن صالح شطر المعارف ؛ فانفتح بهما باب جديد لاهاليها لم يلبثوا بعد ان ازدهموا فى عتبته ازدهاما ياخذ فيه البعض بعنق البعض - فى لجة امسك فلانا عن قل -

كانت القبائل الشمالية والايسية والتملية بل والايغشانية ؛ يتللا منها العلماء من ازمان ؛ واهلنا فى الغ فى نسك وعبادة وامية قد تجرف باللسان ما يناء بالسبحة البنان ؛ واخيرا وفقت الاسرتان الصالحية والمحمدية الى ان يرسلوا اولادهم فى هذا الميدان ؛ فجاء سليمان بن محمد بن احمد ؛ واحمد بن صالح بن عبد الله بن احمد ؛ يحملان الى قومهما قبسا من العلوم ؛ فادركا به من الشاؤ ما ظهر به للسعديين الذين لا يعرفون الا الامية المتدينة ان للعلم شرفا خالدا ؛ ومجدا مؤثلا اكثر من شرف ما ورثوه عن آبائهم ؛ ومن المجد الذى عرفوه من قبل .

على ان صاحب الترجمة لم تقف من اوليته على شئ ؛ حين كان يتلقى القرآن ؛ وكذا نجهل ايضا استاذة فى العلوم ؛ لو لم تهدنا الصدف الى مخطوط قال فيه (ذكر شيخنا سيدى مسعود بن محمد المرزكونى كذا) وكنت قبل ذلك وقفت على عقد تكاحه فوجدته مكتوبا بخط هذا الاستاذ سنة ١١٥٦ هـ ثم عرفنا ان هذا الاستاذ من اصحاب سيدى احمد بن ناصر ؛ وانه كان يدرس فى سملالة ؛ وقد تخرج به الاستاذ سيدى محمد بن الحسن التوغزيفتى الشهير ؛ فوضح الصبح حينئذ لدى عينين ؛ فعرفنا المنبع الذى استقى منه سليمان ؛ ومن اين تلقى تلك القبسة العلمية التى تنورها جيران الغ بنظر عال

اذا كانت سنة الكون تتمشى على نظام واحد ؛ وعلمنا انه من المستحيل العادى وجود نبات بلا بذرة ؛ ووجود دخان بلا نار ؛ فلا بد كذلك ان ننظر ما هو الحامل لهذه الاسرة المحمدية - آل صاحب الترجمة - حتى مالوا بولدهم الى

المدرسة من بعد ان كانوا لا يعرفون عن اهلهم الا المشرح لسوائهم والحرب لعبادهم فلنفتش سافن - من المراة - كما يقول نابليون - لعلنا نجد من ام سيدى سليمان ما يدعهم لنا هذه السنة الكونية التى يذكر عنها الهالات الخرم فيها يزعم راجعنا ذلك العهد الذى ذكرنا اولا انه محرر بقلم الاستاذ مسعود بن محمد المرزكونى السملال فوجدنا الناء ان ام صاحب الترجمة - وهى عائشة بنت الطالب الحسن بن على التوييتى - وهبت لابنيها سليمان هذا وصوته سعيد كل ما كان لها مما يسمى مالا من املاك وجوب وعقار وخرقى الدار اما كان لها حينئذ وما سيكون ؛ وكذلك جهازها وحظها من ابوها ؛ وهبت لهما ذلك هبة تامة .

اذن ام سليمان هى عائشة التوييتية ؛ وابوها هو الطالب الحسن بن على ؛ وقد كنا راينا فى الوثيقة الكبرى التى نشرناها فى اول ترجمة سيدى عبد الله بن سعيد ؛ فقيها يسمى احمد بن على بن ابراهيم التوييتى ؛ فيكون الابن احمد هذا خال صاحب الترجمة ؛ ولذلك رايناه فى تلك الوثيقة اول من عقد فصولها ؛ ثم اتبعه العلماء الآخرون فهو حينئذ انما يشيد بذكر اصهاره لم جاء عطف اولئك العلماء ينفى من التهم ما لعله يتوجس فى مثل هذه الشهادة التى صدرت من هذا الفقيه لاصهاره فعائشة والددة سيدى سليمان هى التى ضرب عرقها فى ولدها ؛ فبزته الى اسرته لعلها ترى منه خلال خاله احمد بن على ؛ وشرفه العلمى ؛ اذن اتضح السبب ؛ وجاءت سنة الكون مدعمة بهذه النتيجة ؛ فسليمان العالم انما ورث العلم عن اخواله ولعل الطالب الحسن بن على عالم ايضا ؛ والطالب اذ ذاك يطلق على العالم ؛ وقد عرفنا ذلك من قصة سيدى محمد بن ابراهيم الشيخ حين قال ان اهل بلادنا لا يسجلون العالم الا الطالب فلان ؛ لكن بعد اقرارنا له بالعلم ؛ مامقدار غور علمه ؟ وما هى المكانة التى تبوأها من بين علماء عصره ؟ اما آثار قلمه التى رايناها فى الرسوم ومخطوطات القسمات ؛ وفى اثناء سؤال رايته رفعه الى عالم ذلك العصر سيدى احمد بن بلقاسم الكرسيلى المفتى المتوفى ١١٨٠ هـ قالها تدل على رقة فى العربية ؛ يتبين ذلك من ثنايا عباراته المهلهلة التى يتعثر فيها اليراع عشرة بعد عشرة ؛ واما منزلته فى عصره ؛ فهى منزلة متوسطة ؛ لانه لا يدل بينهم لابلافتاء ولا بالتدريس ؛ وكيف يظهر ؟ والاستاذ الحفيكى معاصره واقرائه الافذاذ قد ازدهموا فى هذا الميدان فلا يجاريهم الاكل بازل قنعاس (١) وابن اللبون اذا ما لزقى قرن لم يستطع صولة البزل القناعيس وانما الذى عرف به ان يتعاطى قسمة التركات ؛ ويفصل ما بين الخصوم فى النوازل غير العويصة ؛ فقد اخبرت ان فى ايفشان ومجاط وكل القبائل التى تعادى الغ مخطوطات يده فى ذلك ؛ كما اخبرتنى به العم حفظه الله ؛

(١) البازل الذى له تسع سبلين ؛ والقنعاس بكسر القاف ؛ العظيم من الابل

الفقيه ابراهيم بن سليمان

١٦-٨-١١٧٨ هـ = نحو ١٢٦٣ هـ

سيرة

ابراهيم بن سليمان بن محمد بن احمد بن عبد الله بن سعيد *
لم يلقه بالفقيه الا متابعة لصاحبه محمد بن ابراهيم السلاسي *
قال في رايته في رسم وصفه بذلك وهو رفيقه الدائم : ومجاوره المكاسر (١) *
وبدل ذلك بعض الدلالة على انه كان معروفاً بذلك الوصف في عصره او الوصف
بالفقيه في بلادنا هذه يضمن به الناس ولا يكادون يضيفونه الا لمن يستحقه
عقده او علما * وليست عادتنا كمادة احواز الحمراء وما وراءها حين يتدفق
هذا الوصف على كل من دب ودرج : وعلى من مر بالمسجد : وان لم يتقن حتى
عقل الفاتحة : مادام يجر الجبة والسلهام وعلى راسه عمامة كالمنسف (٢) *

لم يعرف من اولية صاحب الترجمة شيئا بل حتى من اخرياته : وكل
ما عرفناه من حافلة القرآن ولكن لم ندرك كيف تلقاه : وهل سافر وراء
العلماء كما هي عادة بعض الناس : او انما جوده في القرية فقط : وكذلك
دفعنا ان علمه فبعضه من المعارف يستطيع بها قلمه ان تقل عثراته قلة ما *
ولم يكن بها لصحابه كائن ابراهيم السلاسي ان يصفه بالفقيه : ولكن لاندرى
من اين العلم : امن عند ابيه : ام من عند الاستاذ سيدي محمد بن الحسن
التوغزيفتي خليفة استاذ والده سيدي مسعود المرزكوني بسملالة في
التدريس ؟ وقد امتد عمر التوغزيفتي الى ما بعد ١٢١٢ هـ ام من عند تلاميذه
الحضيكى واولاده الذين يخوضون بحار العلوم في المدرسة القلالية بين سحر
الحل وبعده في هذا الحين : ام من عند عبد الله الجشتي التمل الذي ما فارق
المدرسة الجشتية سنة ١١٩٦ هـ حتى خلف فيها استاذا يسير على خطه في
التدريس هؤلاء وكثيرون من امثالهم من الاساتذة الكرسيفيين وغيرهم من
رفعوا راية التدريس في ذلك العصر : فلاندرى بمن منهم اتصل صاحب
الترجمة : فاقبس علم التركات : وفصل بعض النوازل والقيام بتحرير كل
رسم في القرية مع صاحبه سيدي صالح بن عبد الله الاتي ذكره ان شاء الله
ومع جاره السلاسي الذي ستعرفه ايضا *

واما رسوم القرية وما اليها في ذلك العصر : فتكاد تكون مقصورة عليه وعلى
قرينه سيدي احمد بن صالح الاتي ذكره فقد عجت سلات اهلينا بمخطوطاتهما
وقد مرت بين يدي مرة سلة رسوم لاسرة فقيرة : فرايت مخطوطات رسومه
بين ما فيها كثيرا جدا : وعلى ذلك فليفس : وكان رحمه الله عدلا ثباتا ديننا
مشهورا ببركة وصالح ممزوجين بهذه القصة (١) من المعارف فتكونت له بذلك
حلة ضافية : وله مع ذلك ثروة لاتماثل بين اخوته : وكانه بسببها انتشر له
من الذكر ما انتشر : فهو اول من اثل الاملاك بين المتأخرين في مختلف البلدان
بانغ وبتامانارت وغيرها : ولا يزال اولاده الى الان يتوسعون فيها : اثلها لهم
مما اشتراه من الوفاويين ومن الحربيليين : وبوادي تامانارت : وقد صار في
زمنه بهذا العلم والمال والدين رجل الخ المقصود في آخر القرن الثاني عشر :
بعد ان تناسى بعض ابناء عمه سيدي علي بن احمد ما كان لابيهم ولجدهم :
فاقبلوا على الدنيا وحدها : وكانت له زوجتان : احدهما عائشة بنت عبد
الرحمن بن محمد البعقلية التي عقد عليها سنة ١١٥٦ هـ فكان له منها فاطمة
بنت سليمان المولودة في رمضان ١١٥٧ هـ ومحمد بن سليمان المولود وسط
ربيع النبوي ١١٦٠ هـ واحمد بن سليمان - ٣ - من ربيع الاول ١١٦٣ هـ والزوجة
الثانية : فاطمة بنت احمد بن ابراهيم بن محمد الاسدومي : تزوج بها قبل
١١٦٧ هـ وكان الاولى ماتت اذ ذاك فولدت له عائشة في رجب ١١٦٧ هـ ومحمد
بن سليمان - ١٠ - ١٢ - ١١٦٩ هـ ومحمد الاول مات اذ ذاك : ثم ولده الفقيه
ابراهيم - ١٦ - ٨ - ١١٧٨ هـ وسعيد بن سليمان وسط رجب ١١٨١ هـ واحمد
ابن سليمان - ٤ - ١٢ - ١١٨٣ هـ وكان احمد الاول مات اذ ذاك ثم سمي الثاني
باسمه : والله اعلم *

نقلنا ولادات هؤلاء من خط صاحب الترجمة : لندرك منها ان اعتناقه
للعبدا العلمي قد اماله الى الافادة بالقلم : بعد ان كان اهلوه الاولون لا يعرفون
كيف يقبضون القلم : وقد توفي رحمه الله عن سن عالية ربما اوفت على ٨٠
سنة بكثير وانما رقمنا لولادته بنحو ١١٣٠ هـ لاننا حين رايناه تزوج سنة
١١٥٦ هـ قدرنا انه اذ ذاك بعد ان مضى له دهر في تلقى القرآن : والتقلب في
المدارس لا يقل عمره على نحو ٢٤ سنة على ما هي عليه العادة المالوفة التي
استمرت الى عصرنا في تلك الجهة واما زمن وفاته فقد افادناه ولده سيدي
ابراهيم رحمه الله : وكذا نجهلها كما جهلنا كل وفيات من تقدم : ولكن من
ادخل الى داره اليراع : وورثه بنيه فاول فائدة يستفيد منها هذه الفائدة
التي ليست بقليلة : وان جهلها كثيرون *

ومن اخذ عنهم المترجم الشيخ سيدي محمد بن يحيى الازاريفي المشهور
هذا وباسم المترجم سميت القرية ايت سليمان : وان كان فيها غير اولاده
كاتباء سعيد اخيه *

(١) الجار المكاسر : الذي يسكن في كسر دارك بكسر الكاف اي جانبها
(٢) المنسف بكسر الميم وفتح السين : الغزال الكبير

(١) القصة بالفتح : ما تأخذه برؤوس الاصابع

الفقيه ابراهيم بن سليمان

١٦-٨-١١٧٨ هـ = نحو ١٢٦٣ هـ

نسبه

ابراهيم بن سليمان بن محمد بن احمد بن عبد الله بن سعيد *
لم نعتقه بالفقيه الا متابعة لصاحبه محمد بن ابراهيم السلامي *
فانني رايت في رسم وصفه بذلك وهو رفيقه الدائم * ومجاوره المكاسر (١) *
وبدل ذلك بعض الدلالة على انه كان معروفاً بذلك الوصف في عصره او الوصف
بالفقيه في بلادنا هذه يضمن به الناس ولا يكادون يضيفونه الا لمن يستحقه
حقيقة او ظناً * وليست عادتنا كعادة احوال الحمراء وما وراءها حين يتدفق
هذا الوصف على كل من دب ودرج * وعلى من مر بالمسجد * وان لم يثن حتى
حفل الفاتحة * مادام يجز الجبة والسلهام وعلى راسه عمامة كالمنسف (٢) *

لم نعرف من اولية صاحب الترجمة شيئاً بل حتى من اخرياته * وكل
ما عرفناه انه من حفظة القرآن ولكن لم ندرك كيف تلقاه * وهل سافر وراء
نحوه كما هي عادة بعض الناس * او انما جوده في القرية فقط * وكذلك
عرفنا ان عنده قبصة من المعارف يستطيع بها قلمه ان تقل عثراته قلة ما *
ويمكن بها لاصحابه كابن ابراهيم السلامي ان يصفه بالفقيه * ولكن لا يدري
من اين تعلم * امن عند ابيه * ام من عند الاستاذ سيدي محمد بن الحسن
التوغزيقي خليفة استاذ والده سيدي مسعود المزيكوني بسملالة في
التدريس * وقد امتد عمر التوغزيقي الى ما بعد ١٢١٢ هـ ام من عند الامام
الحفيصكي واولاده الذين يخوضون بحار العلوم في المدرسة الفلالية بين سحر
البحر ونهره في هذا الحين * ام من عند عبد الله الجشتي التمل الذي مالق
المدرسة الجشتية سنة ١١٩٦ هـ حتى خلف فيها استاذاً يسير على خطه في
التدريس هؤلاء وكثيرون من امثالهم من الاساتذة الكرسيفين وغيرهم ممن
رفعوا راية التدريس في ذلك العصر * فلاندرى بمن منهم اتصل صاحب
الترجمة * فاقبس علم التركات * وفصل بعض النوازل والقيام بتحرير كل
رسم في القرية مع صاحبه سيدي صالح بن عبد الله الاتي ذكره ان شاء الله
ومع جاره السلامي الذي ستعرفه ايضاً *

(١) الجار المكاسر : الذي يسكن في كسر دارك بكسر الكاف اي جانيها
(٢) المنسف بكسر الميم وفتح السين : الغريال الكبير

واما رسوم القرية وما اليها في ذلك العصر ! فتكاد تكون مقصورة عليه وعلى
قرينه سيدي احمد بن صالح الاتي ذكره فقد عجت سلات اهاليها بمخطوطاتهما
وقد مرت بين يدي مرة سلة رسوم لاسرة فقيرة : فرايت مخطوطات رسومه
بين ما فيها كثيراً جداً : وعلى ذلك فليقس * وكان رحمه الله عدلاً ثباتاً ديناً
مشهوراً ببركة وصلاح ممزوجين بهذه القبصة (١) من المعارف فتكونت له بذلك
هبة ضافية : وله مع ذلك ثروة لاتماثل بين اخوته * وكانه بسببها انتشر له
من الذكر ما انتشر : فهو اول من اكل الاملاك بين المتأخرين في مختلف البلدان
بالغ وبثامانارت وغيرها : ولا يزال اولاده الى الان يتوسعون فيها : اثلها لهم
مما اشتراه من الوفوايين ومن الحريليين : وبوادي تامانارت : وقد صار في
زمانه بهذا العلم والمال والدين رجل الخ المقصود في آخر القرن الثاني عشر :
بعد ان تناسى بعض ابناء عمه سيدي علي بن احمد ما كان لابيهم ولجدهم :
فاقبلوا على الدنيا وحدها : وكانت له زوجتان : احدهما عائشة بنت عبد
الرحمن بن محمد البعقيلية التي عقد عليها سنة ١١٥٦ هـ فكان له منها فاطمة
بنت سليمان المولودة في رمضان ١١٥٧ هـ ومحمد بن سليمان المولود وسط
ربيع النوى ١١٦٠ هـ واحمد بن سليمان ٣- من ربيع الاول ١١٦٣ هـ والزوجة
الثانية فاطمة بنت احمد بن ابراهيم بن محمد الاسدي : تزوج بها قبل
١١٦٧ هـ وكان الاول مات اذ ذاك فولدت له عائشة في رجب ١١٦٧ هـ ومحمد
بن سليمان ١٠-١٢-١١٦٩ هـ ومحمد الاول مات اذ ذاك : ثم ولده الفقيه
ابراهيم ١٦-٨-١١٧٨ هـ وسعيد بن سليمان وسط رجب ١١٨١ هـ واحمد
ابن سليمان ٤-١٢-١١٨٣ هـ وكان احمد الاول مات اذ ذاك ثم سمى الثاني
باسمه : والله اعلم *

نقلنا ولادات هؤلاء من خط صاحب الترجمة : لنذكر منها ان اعتناقه
للمبدأ العلمي قد اماله الى الافادة بالقلم : بعد ان كان اهله الاولون لا يعرفون
كيف يقبضون القلم : وقد توفي رحمه الله عن سن عالية ربما اوقت على ٨٠
سنة بكثير وانما رقمنا لولادته بنحو ١١٣٠ هـ لاننا حين رايناه تزوج سنة
١١٥٦ هـ قدرنا انه اذ ذاك بعد ان مضى له دهر في تلقى القرآن : والتقلب في
المدارس لا يقل عمره على نحو ٢٤ سنة على ما هي عليه العادة المألوفة التي
استمرت الى عصرنا في تلك الجهة واما زمن وفاته فقد افادناه ولده سيدي
ابراهيم رحمه الله : وكذا نجهلها كما جهلنا كل وفيات من تقدم : ولكن من
ادخل الى داره اليراع : وورثه بنيه فاول فائدة يستفيد منها هذه الفائدة
التي ليست بقليلة : وان جهلها كثيرون *

ومن اخذ عنهم المترجم الشيخ سيدي محمد بن يحيى الازاريقي المشهور
هذا وباسم المترجم سميت القرية ايت سليمان : وان كان فيها غير اولاده
كابناء سعيد اخيه *

(١) القبصة بالفتح : ما تأخذ برؤوس الاصابع

اخبرني العم ان يده في معلوماته القصر من يد والده ؛ ادرك عنه ذلك من محركات يده التي راي منها مات ؛ واما انا فلم يمكن لي ان اري الا بضع عشرات من تلك السلة التي ذكرتها في ترجمة والده .

ثم انه يشاع عنه وراء هذه المنزلة صلاح كثير وكشف وخوارق ؛ وكرم لكل من قصده ؛ فكانت هذه الخصال التي تجمعت فيه يدعم بعضها بعضا ؛ والكرم يحليها برواء براق من الثروة التي صارت اليه من بين ما خلفه والده ومما استجده هو ايضا فتحوطه تلك الخلال بسياج متين سميك .

اخبرني بعض الناس ان بعض المسنين الذين ادركهم ؛ قال عهدي به في مسغبة والناس يتضورون جوعا ؛ والاملية - وما اقلهم - اوصدوا ابوابهم دون رغبات المدقعين الراغبين ؛ وهو يظل وعليه سراويل سوداء يدور على قدور منصوبة عند باب داره تقور بالجزر اليابس والحفونات من الطعام ؛ وهو يناول كل من وقف عليه من ابناء السبيل حتى يفرغها في القدور ؛ دام على ذلك طوال تلك المسغبة ؛ وهذا ما امكن من الكرم في بلادنا الفقيرة .

واخبرني آخر من مجاط انه كان مرة عندهم وهم يعتقدون فيه خيرا كثيرا ودعوة مستجابة ؛ فرأته امرأة منهم وشاهدت له بركة ؛ فبقيت بعد ذلك تذكره ؛ وهي التي اخبرت من حكى لي .

واخبرت ايضا انه كان صاحب مرة معاصره سيدي صالح بن عبد الله الزاوي - الاثني - فزارا المقبرة العليا التي هي من آثار سيدي بلقاسم التسييوتي وهو الذي استحدثها ودفن فيها زوجته اولا ؛ ثم دفن ازاها ثم تتابع الدفن فيها حتى اتسعت زارا من هناك ؛ ثم مشيا في غريبها حتى وصلا محل المدرسة اليوم ؛ فقال احدهما لصاحبه ماتسمع ؟ فقال اسمع قراءة ؛ ثم انحذرا حتى وصلا ببر العنصر شمالي القرية السليمانية فقال ايضا احدهما لصاحبه ما تسمع ؟ فقال له اسمع اذكارا يجهر بها ؛ قال المخبر فهذا منهما كشف بالمدرسة والزاوية قبل ان تخرجا الى الوجود باكثر من نصف قرن اقول ان هذا المخبر الذي اخبرني عدل ثقة ؛ ولكن اشك فيمن اخبره وهو لم يدرك الحادثة ؛ وقد انقطع سندها ؛ ثم انني لم اسمعها الا منه ؛ وهذا كله ما تندق به هذه الحكاية حتى تكون ارق من شعرة ؛ فلا تواتر ولا سند متصل ؛ فماذا يبقى بعد ؟ على ان امثال هذه الاخبار كثيرة ؛ تسيل بها السنة الحديثين ؛ وقد راينا وسمعنا من مثل ذلك كثيرا ؛ فلو كان لهذه ما يثبت به امثالها لتلقيناها بكلتا اليدين فان الكشف طبيعة روحية تكون في بعض الناس متجلية اتم التجلي ؛ وربما كان ذلك في المسلمين وفي غيرهم ؛ ولذلك لا يقبله اساطين ارباب هذا الفن الا بشاهدي كتاب وسنة ؛ وذلك لا يستبعد حصوله الا من كان اغلف العقل وان كان يتظاهر بانه احذق الناس ؛ ولكن لما كان الكذب والتقول في ذلك

كثيرا ؛ يلجأ ان لا يقبل ان لم يصدم الكتاب والسنة الا بعد الوقوع واقعا صحيحا ؛ لحظنا او ظنا قويا (لم يعد كسبي هذا وقت عمل ما يؤيد تلك الحكاية من احوال الناس احرين مما يدل على شيوعتها)

الصل صاحب الترجمة بالعلم فيحرر رسوم القرية قبل وفاة والده سنة ١١٩٩ هـ كما رايت ذلك في رسم كتبه قبل هذه السنة بقليل ؛ ثم دأب على ذلك الى ايف وستين من القرن الماضي ؛ فوافاه اجله ؛ وقد فتشنا لهنا لجد مفيدا لبعض اولاده بنه على وقت وفاته ؛ ولكننا لم نجد له ؛ والعم يقول انه توفي نحو ١٢٦٣ هـ لان والده (نكدا) بنت عدي (التي ستاتي ترجمتها) ادركه هيا حين تزوجت الى الخ سنة ١٢٦٠ هـ ثم عاش بعد ذلك ؛ ولذلك رجعنا له بما نرى .

صاحب الترجمة الالة اولاد (١) احمد (٢) محمد (٣) والطيب ؛ وكلهم اعقبوا اولادا كثيرين بارك الله فيهم .

هذا المترجم هو الحافر للبر في (ناغيا) سنة ١٢١٤ هـ وهي ملكة المراهطين لالحريليين ؛ وقد وقع فيها خصام بينهم حوالى ١٣٦٢ هـ فادل الاولون برسم شهد فيه الحريليون انفسهم اذ ذاك بان الحافر هو سيدي ابراهيم في سنة ١٢١٤ هـ وذكروا القدر الذي انفق في الحفر ؛ وقد حكم في القضية سيدي الطاهر بن محمد ولكنه حين راي ما راي نبذ عنه العمل في القضية وهو يقول بلسان الحال : ربي وصلاتي



سيدي احمد بن صالح الالغي

قبل ١١٣٨ هـ - بعد ١١٨٥ هـ

نسبه :

احمد بن صالح بن عبد الله بن احمد بن عبد الله بن سعيد

هذا قرين الفقيه سيدي سليمان بن محمد المتقدم وما اولاه ان يدعى بالفقيه ؛ ويوصف به مادام قرينه هذا يوصف به وصفتها واحدة ؛ ومجالتهما واحدة ؛ وقد طلعا على ابناء عبد الله بن سعيد بفجر جديد من انوار المعارف هي ابي وادوم

عاشا معا يتقلبان في قسم التركات وفض بعض التوازل ؛ يكتب احدهما فيعط عليه الآخر ؛ وكان سيدي سليمان هو الذي له الصدارة ثم يليه احمد هذا ؛ فلا يزالان دائما كالفرقدين .

ذكرنا في ترجمة سيدي سليمان ان شيخه في العلوم التي عنده ؛ هو سيدي مسعود بن محمد المرزكوني ؛ فهل صاحبه هذا ايضا كذلك ؟ فاننا لم نقع الى الآن على ما نستدل به في هذه النقطة ؛ ولم اتصل بشيء من كتبه لعلمي اقع على كلمة نفهم منها ما فهمناه من الكلمة التي وقفنا عليها لسيدي سليمان حتى اخباره لم اعرف منها الا ما ذكره لي العم من انه رديف سيدي سليمان في كل ما يزاوله ؛ وقد سالت شيخنا سيدي عبد الله بن محمد عنه لعله يفيدني فما زاد على ان قال انه راي في مخلفاته ما يدل على انه يدا في الفرائض والحساب والهيئة ؛ ومشاركة قليلة من العربية والفقه ؛ فهذا كل ما نفرض الى عنه ؛ ثم لم يتيسر لي ان ادى من رسومه ومخطوطاته ما ادرك انا به بدوري ما لعله يخفي عن اولئك ؛ حتى مبتدأ حياته ومنتهاها لم ندر كيف هو ؛ وكل ما نعرفه انه معاصر لسيدي سليمان الذي كان حيا من نحو ١١٣٠ هـ الى ١١٩٩ هـ فلتلك المعاصرة رايت رقم الولادة مرقوما بما قبل ١١٣٨ هـ والوفاة بما بعد ١١٨٥ هـ فاحتطنا في زمن الولادة والوفاة .

ولم يعقب الا من ولده عبد الله وحده رحم الله الجميع .

سيدي صالح بن عبد الله الزاوي

قبل ١٢١٠ هـ - نحو ١٢٦٠ هـ

نسبه

صالح بن عبد الله بن صالح بن عبد الله بن احمد بن عبد الله بن سعيد سيدي صالح كاسمه ؛ صالح هو ومن امتد منهم ؛ ومن امتدوا منه ؛ فقد رايت ترجمة والد جده عبد الله بن احمد ؛ وما وصف به ؛ ويذكر مثل ذلك الصلاح في جده صالح بن عبد الله وفي ابيه عبد الله بن صالح ؛ ولكن معنا ان لفردهما بترجمة اننا لانعرف عنهما الا هذا الوصف فقط ؛ وهذا الوصف في الحقيقة كثير ممن اتصف به من اهاليها الى الان ؛ وشرطنا ان نعرف الرجل ما يستحق ان يذكر له وراء صلاحه ؛ الا اذا كانت له شهرة بصلاحه تلفت الانظار فاننا نعتني به بدورنا ؛ ونلتفت اليه ببصرنا ؛ وهل يراعي المورخ الا ما يراه بصره ؟

حفظ صاحب الترجمة القرآن ؛ واتقن رواية المكي ؛ واستبهر شيئا مما وراء ذلك فكان ممن يحرر بقلمه كل ماعن من الرسوم وما اليها من اول القرن الماضي الى وسطه وقد جرى ذكره في كلامنا على سيدي ابراهيم بن سليمان وقد حكى عن سيدي صالح اخبار كثيرة وديانة ومسكنة ودموية مستحاجة ؛ وكشف لا يزال يذكر به تواتر عنه الى الان ؛ وكان قليل ذات اليد فلا يملك الا حمارة وبقرة يحرت بهما فيجمع البركة التي تيسر فيزكيها فنزل البركة ؛ فتكفيه ما تكفي مات الكثيرين ؛ حكى لي مجاطي عن مجاطلة ان فلانا من كبار مجاطلة سماء ؛ كان من رؤساء قومه ؛ فصادف مرة صاحب الترجمة قد جمع من محصول فلاحته مقدار عشر غرائر ؛ فقال له ان هذا لا يكفيك مؤنة السنة فلماذا لا تكثر الفلاحة ؟ فقال له صاحب الترجمة وكم تدخل الت من محصولك ؟ فقال ادخل المائة فاكثر فقال له ؛ وما يدريك ان يتوقف صاحب المائة على صاحب العشر ؟ فلما توسطت السنة ؛ ووصل وقت الحرث احتاج المجاطي الى البذر ؛ فجاء اليه فسله اياه ؛ وكثر ايضا تحدث الناس باله كان سنة ١٢٥٥ هـ صباحا في متوحا مسجد الزاوية ؛ فاخبر من حضر

سعيدى

محمد بن احمد السعيدى

لحمو ١٢١٥ هـ - ٢١٦ هـ

سيرة

محمد بن احمد بن محمد بن سعيد بن محمد بن احمد بن عبد الله بن سعيد
هذا جد والدى ومربيته ومعينه على حفظ القرآن ؛ كما سترى ذلك فى
ترجمته ان شاء الله ؛ وقد كان لوالده احمد وجاهة وذكر ومال ؛ ولكنه لا
يذكر الا بهذه الوجاهة وهى ما لا نعتبره فى اهاليينا بالترجمة الخاصة ؛ ما لم يكن
فهما صلاح مشهور او علم لان امثال هذه الوجاهات فى قبيلتنا وجاهات شخصية
لا تهم الاسرة ؛ ولا تجد القبيلة منها ظلا وريفا ولا تسمع منها كلمة نافذة
والله اعلمنا شرطها فى اهاليينا خاصة .

كان صاحب الترجمة ممن اتقن كتاب الله الكريم ؛ ومن اشتهر بصلاح
البركة وشهرة وسعته لم تدرك شهرة معاصره سيدى صالح المتقدم الذكر ؛
وقد كان الناس يتناوبونه للرقى والتمايم والتطبيب خصوصا فى المرض السيل
يسمونه قطع اللحم ؛ فانه ممن اشتهر عنه مداواته ؛ وقد طال عمره كثيرا حتى
استوفى تسعين ؛ وله من الاولاد جدنا احمد الذى هو والدنا آل الشيخ ا
واعوانا ؛ لم يعد سنتين لحق ايضا سيدى احمد بابيه ؛ وذلك سنة ١٢٩٨ هـ
وولادته لحمو ١٢٣٠ هـ وقد خلف عمنا محمدا المتوفى ١٣٢٩ هـ وعمنا الحاج
عبد الله المتوفى فى الحجاز فى ذى الحجة سنة ١٣٠٥ هـ والشيخ الوالد الذى
سترى ترجمته ان شاء الله ؛ والعم ابراهيم الذى افادنا جل ما فى هذا الكتاب
وسترى ترجمته ؛ والعم بلقاسم المتوفى ٦ ذى القعدة ١٣٦٦ هـ

فولاء اولاد احمد بن محمد رحم الله الجميع والحقنا بهم مسلمين .

بفرق كثير فى وادى تامالارت ؛ وبعد يوم جاء الخبر بان سيلا جارفا حمل سقى
تامالارت واجتث اشجارها ؛ وهذه الحكاية يتحدث بها الناس تحدثا كثيرا
وقد كان تزوج امرأة من تافيشيت بسملالة ؛ فولدت له ولده الحاج عبد الله
وحده ؛ ثم لم يرزق سواه ؛ فبقى كذلك سنوات كثيرة ؛ فوفد عليه اصهاره
يوما وقد عرفوا له مكانته من الصلاح ؛ وراوا ان يجبروا خاطره - فقالوا ان
كان لك غرض فى زوجة اخرى ؛ فلا تمنعك اختنا ؛ ولا الحياء منا ؛ فقد طبنا
نفسا بذلك ؛ فلا احب اليينا من ان تعمر هذه الدار ؛ فقال لهم ان جعل الله
البركة فى عبد الله فانه يكفى ؛ فالعبرة بالبركة لا بالكثرة وان لم يجعل الله
فيه البركة فماذا يجدى مائة من الاولاد ؟ فسرعان ما يطوف الوباء الجارف
فاذا هم لاعين ولا اثر فاعقب عبد الله وحده ؛ فكان منه الخير الطيب ؛ والنسل
المنتشر المبارك .

كان سيدى صالح مقصودا فى عصره بالرقى والتمايم والدعوات ؛
معروفا بذلك فلا يخلو مكانه من الواردين ؛ وكان اذا راي من اطال المكث عنده
يقول ان اردت دعوة او تميمة اورقية فهاهى ذى عندي ؛ وان اردت مائدة ممدودة
وفراشا مبسوطة فعليك بسيدى ابراهيم بن سليمان ؛ يقول ذلك لان هذا
على كريم ؛ موطوء العتبة بكرة وعشيا بالوارد والصادر .



سيدى محمد بن بلقاسم التيبوتى

نحو ١٢٥٠ هـ - نحو ١٢٨٩ هـ

نسب

محمد بن بلقاسم بن محمد بن بلقاسم بن على بن احمد بن عبدالله بن سعيد
هذا اول فقيه علامة متمكن شهر نشا بالغ من اهالينا بعد الفقيه سيدى
سليمان المتقدم فرجع راية الافتاء رفع من يخلق ويفرى ؛ ويقبل ويدبر ويزاحم
معاصريه باكتاد العماليق الذين يكون لهم الخصل فى كل مسابقة ؛ والاستحواذ
فى كل مزدحم ؛ لولا انه سقط بقصر العمر دون المدى .

جاء الفقهاء المتقدمون سليمان بن محمد وابنه ابراهيم واحمد بن صالح
بعلالة يتبلغ بها ؛ وبفجر له نور ضئيل ؛ لم ينشب ان ذهب بلا آثار باقية
ولا اخبار توثر فظهر انه الفجر الكاذب الذى يتعرض تعرض ذنب السرحان ؛
ثم لم يلبث ان تجيش عليه الدياجير فتغمره ؛ ثم جاء الفجر الصادق البين
الذى يتبين به الخيط الابيض من الخيط الاسود بصاحب الترجمة العلامة
الفهامة الفقيه المتمكن فى تفهم النوازل وفقهها غاية التمكن ؛ فلم يلبث اصحاب
القضايا وارباب الخصومات ؛ ان سالت اليه بهم الا باطح ؛ وهو يقضى
ويحكم بما اراه الله ؛ وقد طار صيته بين فقهاء عصره فكانت كتبهم وكتابه ؛
وعرفوا له مكانته التى اطل منها مابين الاقران ؛ ثم بينما هو يتأهب فلكه للارساء
ويستعد للتزوج ؛ اذا به اعتبط او فر ما كان نشاطا واعلى ما كان شهرة فذهب
مبكيا على شبابه النضر ؛ وابقى ثلثة واسعة فى الخ اذ ابكت قلوب الاصدقاء
واشمنت افئدة الحساد ؛ وما اكثرهم فى كل عصر ولكن ان ذهب سيدى محمد
ابن بلقاسم ؛ فان الخ يتمخض عن علامة آخر سينزع نزعا ينسى نزع ابن بلقاسم
ويرد البشر الى الذين سالت اعينهم دما بالرزء بصاحبهم هذا ؛ حتى تعود
الثقور كلها به بواسم ؛ وايام الخ به وبآثاره وبآثار معاصريه اعيادا ومواسم هكذا
جاء صاحب الترجمة كبرق اومض ؛ ثم لم يلبث ان تبعه خصب كثير ؛ او
كفجر صادق لم تتشب بعده الشمس ان طلعت فاستوت فى رابعة النهار .
فلئن كان هو امضى حياته هذه القصيرة بين النوازل واربابها فقط ؛ فسيأتى
من يضيف الى ذلك مجدا موثلا ؛ فيؤسس مدرسة يتدفق اليها الطلبة من كل

سيرته

بداية صاحب الترجمة لاهلية ؛ فلم ندر منقلبته فى حين الخلة للقرآن
عن هم اسألته فيه ؛ وهل اعمل الرحلة وراءه اولا ؛ وكذلك لاندري عن
سيرة الاستاذ بن محمد بن محمد المافاماني ومحمد بن محمد بووازي الساموكنى
وقد خاطب كل واحد منهما بشيخه ؛ اين اخذ منهما ؛ والاستاذ المافاماني
ان فى المدرسة الانشائية حوال ١٢٧٠ هـ ماشاء الله سنوات كثيرة والاخر
كان ايضا فى مسجد (اشوگالك) فى اكادير ايزرى ؛ فهل اخذ منهما فى هذين
البلدين او فى غيرها ؟ الجواب عن ذلك درج فى غفلة التاريخ ؛ ولكن شيوخته
الذين نعلمهم حقا ؛ ونراه لازمهم كل الملازمة هم آل اكشتيم الحاج عبد الله بن
عبد الرحمن واخوان محمد والحاج احمد وربما اخذ ايضا عن والدهم شيخ
اسلام عبد الرحمن بن عبد الله الذى لايزال حيا يوم التحق بتلك المدرسة قبل
١٢٧٠ هـ فلولاء اشياخه حقا المعروفون ؛ فلولاء انه انتسب بالتلميذية للاستاذ
ابن المافاماني والساموكنى لما توهما انه عدا هؤلاء الجشتيميين الى غيرهم .
لم انسا راجعا كتبه التى خلفها ولايزال اهله يحافظون على هذه الخزانة
الى الان ؛ محافظة الضنين على درهمه الوحيد ؛ فرايناه نسخ البهجة للسيوطى
وايضا بعد العصر بالسبت الثانى من شعبان ١٢٦٨ هـ والتاودى على الزقانية
فى الايام التالية عشر من رمضان ١٢٦٨ هـ والاجوبة الروضية عن مسائل
مروية ؛ فى المسح بالثنيا والوصية ؛ والمقنع ؛ وشرح الزواوى والفقهيات
للناويزى ؛ والتاودى على التحفة ومثنى الزواوى ؛ وكنز العربية شرح الاجرومية
للصاوي ؛ وبعض شرح السلم ؛ والدردير على المختصر ؛ والازهرى على
الاثرية ؛ وابن كثيران (كذا) على ابن عاشر ؛ وابو الحسن على الرسالة ؛
وغيرها كلها نسخا بيده وربما نسخ غيرها ؛ لان من ارسلته وراى ذلك قال له
لم نسخ كل التبع حتى يعرف ابقى وراء هذه من مخطوطاته شيئا ام لا قال له
ام لا ؛ من نسخها الا التى ذكر تاريخها لاغير ؛ فمن هذا النسخ والعصر
عاشه لذلك همه الرجل واكبابه بكل ما فى جهده على التحصيل ؛ فحين كانت
كتب الدراسة لعوزه والطبوعات اذ ذاك لما توجد فى الاسواق للبيع ؛ ولاهناك
مراعى يستعاد منها اقبل على الانتساخ ؛ ولاتكون هذه المهمة الا فى الافراد
الذين يجعلون نصب اعينهم التحصيل .

كثيرا ما اسمع بعد رجوعى هذه المرة الى الخ بصاحب الترجمة وانا اخلو
من علمه ومعرفة شاله قبل ؛ فصرت ابحت عنه على اصاف من ادركه ؛ او
من علمه حيلة خبره ؛ فلم اجد الا العلم فنفض لى بعض ما يتعلق به ؛ والاما
كان من شيخ كبير السن من آله ؛ هو ابن اخيه فقال لى استحضر وانا صغير
اروى بهم (١) اسرنا لى سفع ربوة مشرفة على قريتنا ؛ والفصل فصل الربيع وقد

(١) اللهم بفتح فسكون ؛ سفار الفهم

الشجعت الربا بالأزهار وبرزت الأرض في برد موسى شبيب ؛ فشاهدنا ونحن صبية صفار جنازة مضي بها أهل القرية فسمعنا من يقول إنها للفقيه سيدي محمد بن بلقاسم ؛ وقد أدركت من مباحثته أن تلك السنة ربما كانت ١٢٨٩ هـ ثم حكى لي أيضا - وقد سألته عما يسمعه من عند أهله عنه - قيل لهذا الفقيه لماذا نرى المتخاصمين يتناطحون ويتشاكسون ويتراعى بعضهم على بعض ؛ فإذا جلسوا إليك لا يلبثون أن يرجعوا في هدوء وسكون ؛ ماذا تصنع بهم حتى تفشا شرتهم ؛ وتسكن من حدتهم ؛ فقال إذا جلس المتخاصمان إلى فلا يخلوان معا من أحد أمرين أما أن ينقادا معا لحكم الشريعة ؛ ويتبعان الحكم الذي أحكم به عليهما ؛ فيقومان حامدين شاكرين ؛ وقد أدرك صاحب الغلط منهما غلظه وأما أن يلد أحدهما والآخر ممن يتحمل الصبر ؛ فيستحي مني ؛ فأننى أكلفه أن يتنازل عن بعض حقه فيخرجان راضيين معا ؛ فليل له وأما إذا كانا معا من ذوى الألداد ؛ وذوى الصمم عما تقول ومن لا يستحي منك ولا يهتبل بمقامك ؛ فقال إذا كانا كذلك فأنى أعالجهما بالتى هى أحسن حتى أصرفهما عنى ؛ وكل ما أتطلبه منهما أن يهدأ حتى يبتعدا عن مجلسي ؛ قلت هذه السياسة التى أوتيتها هى لأريب التى رفعت من شأنه ؛ وأعلت من مقامه ؛ وأسألت إليه البطاح بأعناق المطايا ؛ فإن الأخلاق الحسنة ملاك العلم ونخاعه الذى به يقوم صلبه وكان من عادته أنه يأخذ ممن له الحق حظا يتفاوضان عليه وقد أدرك مسن العلماء من يقولون أن قضاة البادية الذين لا يتوصلون بحقهم من بيت المال وقد انتصبوا للقضاء ويمضون فيه جل أوقاتهم فى مراجعة المسألة ومحاسبة وكتابة وتتبع الرسوم لابد لهم من اجرة ؛ وأولى من يعطيها من صحت له القضية ؛ وفاز فيها ؛ هذا قول بعضهم (١) ولل بعض الآخر كلام آخر ؛ وعلى تلك الطريقة يسير غالب علماء سوس ؛ وعلماء الخ قديما وحديثا ؛ ومن بينهم صاحب الترجمة ؛ فكان يفادى فى ذلك صاحب الحق حتى يتراضيا على اجرة تطيب بها نفس المعطى ؛ وقد أخبرنى المسن ابن أخيه المذكور أنه سمع أن بعض الوفاويين كان حكمه وصاحباً له فى قضية فحكم له وتوصل منه بما تراضيا عليه ثم أن الوفاوى راجع الفقيه فقال له اننا غلطنا فى الحساب حين ادفع لك اجرتك ؛ فقال الفقيه اننى تحققت ما توصلت به منك ؛ ولم يجتز إلى درهم واحد يزيد على ما تراضينا عليه ؛ فكان الوفاوى تناوله بكلمة مست شعوره فثار عليه فقال لتؤاخذنى بين يدي الله أن خنتك فى درهم واحد ؛ ولتقف فى باب الجنة أن قدرت حتى تصدنى بدانقك أن مر إلى ؛ فطوى الوفاوى البساط ؛ وقد جد الجد ورأى من الأستاذ أنه لم يبق ذلك المرباط الضعيف

(١) لعبد الرحمن الجشتى ؛

لنا اسوة بالأقدمين شيوخنا فكم أخذوا أجر الفتاوى وقد اعلوا

المستكين - بعد ما اعل العلم شأنه ؛ وأرهف حده ؛ وأزال الفسادة عن بصيرته أخال أن سيدي محمد بن بلقاسم فارق المدرسة الجشتية نحو ١٢٧٥ هـ قبل السنة التى سافر فيها استاذ سيدي الحاج أحمد إلى الحج ؛ ثم أنه منذ أن لازم داره وانقطع عن الأخذ أقبل على فض النوازل ؛ وقسم التركات ؛ وأجاله قلم الفتوى وما أكثر مخطوطات يده فى ذلك بيلاد الوفاويين والمجاويين والحرييليين ؛ وكان الذى يصاحبه غالبا سيدي الحاج عبد الله بن صالح أود أخبرت أنه هو الذى قسم أملاك أيت أورعى ببغلاش ؛ أخبرنى بعض البغلاشين المسنين بذلك ؛ وقال أنه يستحضر ذلك الوقت وهو صبي صغير

أن أعجب ما رأيته لصاحب الترجمة اعتناؤه بتحرير المسائل ؛ فما لزل بين يديه نازلة إلا أمعن فيها بل يشاور علماء عصره ليدلوا فيها بأرائهم فقد وقفت له على أسئلة يوجهها إلى الأستاذ محمد بن محمد المافاماني ؛ وإلى الأستاذ محمد بن محمد بووازي الساموكني ؛ ومعاصره الأستاذ الحاج ياسين والفقيه محمد بن صالح الساموكني ؛ وإلى الأستاذ أحمد بن عدى العركوبي ؛ والأستاذ محمد بن محمد الأيسى الملقب هموش ؛ والأستاذ على بن محمد التوزونى المجاوي التمكيدشتي ؛ والأستاذ أحمد بن محمد الأيغرى التامانارنى والأستاذ سعيد الاساكي الأفراني وأشياخه الجشتيين ؛ وربما كتب سواليا واحدا فى قضية واحدة ؛ ففرقه عليهم جميعا ليرى جواب كل ؛ وهذه همة الأفاض الذين يودون أن يقفوا على الحقيقة ؛ وشيعة النصفين الذين لا يتكبرون من ظهور جهلهم ولا يتعالمون على معاصريهم حتى لا يتنازلوا إلى مساالتهم فى مسألة ؛ وكذلك رأيت له أيضا مكاتبات بينه وبين الفقيه سعيد بن على البريمى التارذوالى والأستاذ الحاج الحسين الأفراني ؛ وهذه بطاقة كتبها إليه هذا الأستاذ ؛

« وبعد فقد أذنت للفقيه سيدي محمد بن بلقاسم التيسوتى سلاله سيدي عبد الله بن سعيد فى تنفيذ الحكم الذى أبرمه سيدي أحمد بن محمد المنكي - الأيغرى - على محمد بن بلقاسم مطوس ؛ به علم الألفى بعد أن ألقى السلاح ولم يات بما ينفعه كتبه بأذنه فى ٢٣ من ذى الحجة عام ١٢٨٥ هـ عبد ربه الحسين ابن الحاج أحمد بن الحاج بلقاسم الأفراني كان الله له ولها ونصيرا »

وهذا ما يدل على شهرة صاحب الترجمة بين معاصريه ؛ على قرب بروزه بينهم فقد رأيت فى مخاطبات بعضهم إليه أجالا واحتراما ؛ ثم ما زال صيته يدوى حتى وصل الخبر مسامع يعسوب هذه الجهة فى ذلك العصر ؛ الشريف الحسين بن هاشم الأيلى فاستحضره على بغلة مسرجة أتى بها عبيده ؛ فركبها وهو لأبس خفيفا غليظا مما اعتيد لباسه فى الشتاء فى ذلك العهد ؛ وفى مدخل راسه المنديل وراءه كتاب فقهي صاحبه معه هكذا تحكى حياته تعجبا لأن المعناء من العلماء لعين الهياة ؛ فتوى بايلغ بعد أن رحب

به رب المئوي سألته عن مسألة فقهية تتعلق بملك جرى فيه خلاف بينه وبين رئيس الجرارين ؛ امغار محمد بن علي ؛ وقد كان علماء ايليخ وهم كثيرون اذ ذاك اقتصروا بان الحق لسيدى الحسين ؛ ولكن اراد هذا ان يتثبت خوف ان يكون هؤلاء انما هبوا بالريح التي توافق خاطر صاحبهم فذكر له صاحب الترجمة ؛ وانه قوال للحق ؛ لايبالي باحد فلذلك استحضره فقال له مظهر لك في مسألة صفتها كذا وكذا ؟ فاستمهله هذا الى الغد ؛ فراجع حتى عرف ماهنا لك ؛ وفي اليوم الثاني قال له الرئيس القى مسألتك على هؤلاء العلماء فانهم قالوا فيها قولهم ؛ ثم انقلب الرئيس عن المجلس لترك الفراغ لمن اراد ان يبدي ما ظهر له بكل حرية ؛ فالتفت سيدى محمد بن بلقاسم الى العلماء فقال لهم انكم افتيتم في هذه المسألة بخلاف الحق ؛ اين انتم مما قال فلان ونص عليه فلان ؛ وقال فلان انه هو المشهور ؟ ثم ناقشهم فيما ذهبوا اليه فاطرقوا كلهم بعد ان قطعت جهيضة قول كل خطيب .

حضر الشريف فاعلن له ضيفه الحق في المسألة ؛ وان الملك انما هو للجراري ؛ وليس له ؛ فلقى سيدى الحسين على اذنايه من اولئك العلماء نظرة طويلة من النظرات التي يلقيها الانسان على من يعسف عن طريق الحق نزلا الى ؛ فكان ذلك لصاحب الترجمة كمذيع اذاع شهرته ثانيا الى عنان السماء ؛ ثم صار صاحب ايليخ يرسل اليه في الرضانات لدرس الحديث المعهود ؛ الى ان انقضى اجله بسرعة .

هذه الحكاية سمعتها من اناس كثيرين ؛ فكانت لنا كالمجهر الذي نستقرب به ما تباعد عنا مما يتعلق به (ثم بعد هذا اتصلت باوراق كثيرة من مسألاته للعلماء ومن فتاويه ؛ فبعد ان عرّضت على سوق بعضها هنا ؛ رايت ان احيل القارئ اليها في كتابنا - آثار فقهية للمتأخرين بالغ وغيره - فقد حشرنا فيها كل آثاره التي لاتعدو الفقهيات ؛ لان الادباء الذين كتب لهم هذا الكتاب - لايسامحوننا ان سقنا بين ايديهم مسائل فقهية التي يعدونها - فيما يزعمون - من المستقلات)

كان الاستاذ التسيوتي اتصل بالجهتيميين كما رايت في تواريخ نسخه لتلك الكتب قبل سنة ١٢٦٨ هـ اوفى تلك السنة بنفسها ؛ واخال انه اخذ عن المافاماني والساموكني قبل ان يتصل بالمدسة الجشتيمية ؛ اخذ عنهما المبادئ والله اعلم . ثم قبل ١٢٨٠ هـ رجع موفورا مودعا من اساتذته الجشتيميين الى داره ؛ وقد وقفت على مقيد لاسرته بينوا فيه مالكل من الاخوة ؛ وهويينهم بينوا ذلك ليلتحق كل واحد بحظه متى شاء ؛ ثم بقي الشمل منهم بعد ذلك مجتمعا ؛ وكانت اسرة غنية تجددت اليها الثروة ممن قبلها ؛ وقد رايت في ترجمة عمه الرجل الصالح سيدى احمد بن بلقاسم انه كان ثريا ؛ ولكن

الاخبار تحدث عن هذه الاسرة بغنى واوفر اكثر مما يظن ؛ حتى انهم ذكروا لها عبيدا ومدخرات ومواشي كثيرة ؛ حتى ليغال الفقان ولدت - ١٠٠ - سنة في يوم واحد ؛ ولايخلو هذا من اغراق ؛ ولكن ذلك على كل حال يدل على ثروة خطيرة بحسب مقياس هذه البلاد الفقيرة التي يعد فيها من يملك اذالك مائة ريال كرشارد الاسرائيلي المشهور في بلاد اوربا ؛ على ان ماناله الاستاذ من المكاة والشهرة بسرعة مما يشهد لذلك ؛ لان الناس عبيد المال في كل عصر ؛ وكلمة من ملكه هي العليا دائما ؛ وقد اسس الفقيه من بين اسرته دارا خاصة به ؛ والى املاكه جديدة من وراء ما يتوصل به في قضائه ؛ فعزم على التزوج وقد اعد كل شيء اذا بمرض غير طويل الم به ؛ فلم يفارقه حتى اراحه القبر ؛

وبعضنا قائل ما اغتاله احد وبعضنا ساكت ام يوت من حصر

ووفاته في نحو ١٢٨٩ هـ كما ذكره العم ابراهيم ؛ وكما تبين ايضا من حديث ابن اخيه المسن المتقدم ؛ وهو على كل حال لم يدرك جمادى الثانية من سنة ١٢٩٠ لاننى رايت بطاقة فيها تحرير امة من اخوانه احمد وعبد الله ومحمد - فتحا - بخط الاستاذ افكان - وقد نشرناها في ترجمته - فلم يذكر بينهم ؛ وقد اطلعت له على مورخ بسنة ١٢٨٦ هـ وقد تاخر عنه الفقيه الحاج على ابن عمه بسنوات ؛ كما اخبرنى به المسن المذكور ؛ فلذلك نرجح ان وفاته في نحو تلك السنة ولو كان يورخ دائما مايكتبه لربما استدللنا لذلك بالبرهان مما رايناه له ؛ ولكن عمت البلوى منه ومن غيره من فقهاء هذه البلاد بعدم الاعتناء بالتاريخ الا في الرسوم ولو كان ايضا يمكن لنا ان نتبع الرسوم العبرية بيده لربما امكنت مقاربة معرفة وقت وفاته ؛ ولكن اين من يعنى بذلك ؟ فياضاعة الاعتناء ومدقته في قرية تسيوت في المقبرة هناك ؛ وعليه بيت ؛ واما وقت ولادته فقد قررناها بنحو ١٢٥٠ هـ احتياطا والا فالغالب ان ولادته قبل بقليل ؛ وقد رايت حين اتصل بالجشتيمية سنة ١٢٦٨ هـ او قبلها كان حصل على بعض المبادئ حتى امكن له ان يعنى وينسخ ويكتب مايكتب في آخر منسوخه ؛ والغالب انه اذ ذاك كان ابن نحو ١٩ - سنة او اكثر ؛ وقلما يكون اقل في نظر من اعتبر ما يتقلب به ابناء هذه البلاد قبل ان يشدوا ويدركوا هذا المدرك .

هذا ما امكن لنا ان نقوله عن الفقيه الاول بالغ سيدى محمد بن بلقاسم التسيوتي الذي اشتهر به الخ حينما قصيرا ؛ ثم رزته سريعا ولم يخلف لها الا تلك الآثار الفقهية لاغير ارحمه الله ؛ وجعله في اعل عشرين

الحاج على التيبوتي

نحو ١٢٤٥ هـ - ٢٥ - ٤ - ١٢٩٨

نسبه :

على بن محمد بن محمد بن بلقاسم بن على بن احمد بن عبد الله بن سعيد هذا فقيه آخر من قرية تيبوت ؛ وان كان لم يحظ بما حظى به ابن عمه سيدى محمد بن بلقاسم ؛ لتفوق ذلك عليه فى المعلومات وفارقتة المدرسة ؛ ولتصدره فى ميدان الشهرة ؛ ولاشك فى ان آل بلقاسم ارادوا ان يزاحم اولادهم آل سليمان الذين كانوا اذ ذاك علماء الخ ؛ فمالوا باولادهم هؤلاء الى المدارس فعطى سيدى محمد بن بلقاسم ؛ وكبا الحاج على ابن عمه دون المدي

التحق بعد حفظه للقرآن بالمدرسة المولودية ؛ عند الاستاذ الحاج ياسين فبقى هناك ماشاء الله ؛ حتى حج مع استاذة ؛ ثم لم يزل رابضا بتلك المدرسة يتمصص من بعض معلومات الى ان زار اهله سنة ١٢٩٨ هـ فمرض فلحق بربه فى وقت الصبح يوم الجمعة من غير ان ينزع بقوسه نزعاً نعرف به متانة عضلاته ولا اخاله الا انه كان خديم استاذة الحاج ياسين ؛ لانه من المقربين اليه .

حكى لى ذلك المسن التيبوتى السالف فى الترجمة المتقدمة ؛ ان صاحب الترجمة كان كثر اللحية ؛ وقد ابيض نصف شعرات لحيته شيئا حين توفى ؛ قال وهو اكبر من ابن عمه المتقدم ؛ وقد حكى كيف احتضر ؛ وان الفرغرة وسكرة الموت اشتدتا عليه حتى اشمته بعض نسائه طيبا فهذا حتى خرجت روحه ؛ وكان تراثه من بين اخوته من متخلف والدهم مصونا فى بيت ؛ قال وبه استعان ورثته فى المسغبة التى دهمت الناس ١٢٩٩ هـ بعد موته قال وكان متقشفا لا يبالى بنفسه وكتبه لم تزل بالمدرسة المولودية حتى توفى ؛ فجاء استاذة الحاج ياسين تيبوت فعزى اهله .

وقد ذكره لى العم ابراهيم وقال انه ضعيف المعلومات ؛ كانه بليد ؛ ولكنه اجتهد غير ان القدر حرمه من مناه ؛ فبهذه الشهادة من عمنا الذى يعتمد قوله فى مثل هذا المقام ؛ ندرك ان اضاءة صاحب الترجمة اصغر من عين بقعة ؛ وان ساحة مجال فهمه كصفحة وجنة الدبابة ؛ ولولانا شرطنا ان نذكر كل من له مسكة من العلم او الصلاح من اهالىنا كيفما كان ؛ لكان الاولى ان لا يذكر من لم يفد لافى حياته ولا فى مماته شيئا فقد حصى بلا آثار ؛ وتوفى بلا آثار ؛ فقد حصى فى تلك

المدرسة حياة كثيرين من بلداء الطلبة ؛ حتى شاب ثم ذهب كان لم يكن حيا ؛ ومن لم يحى فى التاريخ بآثاره ؛ فلاحياة له ولبعض الالفين ؛

الفجر بالنور وزهر الربا	بتفحاته الذكيات
لولا فرند ذى الفقار وما	يوثر عنه فى المجالات
لما رايت اليوم من ذاكر	له فقط فى المشرفيات



الحاج عبد الله بن صالح الالغي

١٢٤٥ هـ - ٢٦ - ١٢ - ١٣٢٢ هـ

نسبه :

عبد الله بن صالح بن عبد الله بن صالح بن عبد الله بن احمد بن عبد الله بن سعيد .

كثيرا ما تجد بين الاسر اسرة واطئة تقتحمها الانظار ؛ وليس حولها ما يلفت اليها العيون . حتى لكانها لاتزال بعد في مكنون العدم ؛ ولكنها لاتلبث ان تتمخض عن بعض افراد ينبتون بينها مثل ما تنبت نبتة تنشق عنها النواة فتراها بين صفار النبات ؛ ومفرش النجم ؛ كان ورقها الضئيلة من فصيلة اوراق تلك النباتات التي حولها ؛ ثم لايمضي الا حقبة حتى تراها تعلو ما حولها شيئا فشيئا والايام تمضي ؛ والليالي تمر كما تمر جنبات الدولاب ؛ ثم لايشعر بها حتى تعلو متناول اليد ؛ وهي تسرع الى كبد السماء ؛ ثم لاتنشب ان تراها سحيفة فارعة كأنها عماد من عمد السماء ؛ لو كانت السماء مملا يحتاج تدعيمها الى عمد ؛ ثم تنفرع عنها عراجين وعشاكيل ؛ ثم تدر على اهلها اكلاها كل حين باذن ربها .

مثل تلك النخلة مثل هذه الاسرة الصالحية ؛ فقد عهدناها منذ عهد جدها عبد الله بن احمد ؛ ممعنة في الانزواء والمسكنة ؛ ولايزيدها صلاح اهلها وميلهم الى الخير ؛ وانجاشهم الى زاوية لايزاحمهم فيها احد من المثريين من ابناء اعمامهم الذين يتهاكون على كسب الدينار والدرهم ؛ الا ربوضا على الارض واطرافا عادة الرجال الذين قيل فيهم :

ان لله عبادا فطنا طلقوا الدنيا وخافوا الفتنا
نظروا فيها فلما علموا انها ليست لحي وطننا
تخذوها لجة واتخذوا صالح الاعمال فيها سفنا

جاء صاحب الترجمة اميا وحيد والده ؛ فجعل الله فيه البركة التي قال والده فيها انها هي المعتبرة لا الكثرة ؛ فتزوج رقية بنت الحسين الاغوديدية فنشر الله منهما خيرا كثيرا ؛ واخرج من صلبهما من يرفرف بهم على الخ لسواء خفاق يشاهده الاقارب والاباعد الى الان .

ورث الحاج عبد الله من والده ذاك الصلاح المتقدم هذه والبركة الموصولة في بناله ؛ فهاجست يده مرصفا ولاهجة ولادواء الا جاء الشفاء سريعا ؛ حتى ان ذلك ليلفت الابصار ؛ فقد ساله والدي مرة من اين يستقى تلك الادوية التي يصنعها للناس ؛ فقال له اما ذلك شي ينقدح في ذهني عند سؤال سائل ويصحح ماقاله انه ربما وصف في وقتين مختلفين شيئين متضادين ؛ لئلا واحد للسائلين ؛ فيشفي كلاهما بما وصفه له ورث ذلك التطيب عن والده سيدي صالح ؛ ولكنه لم يرث عنه ذلك الانزواء الذي ازجى به حياته ؛ بل املس هو من الخمول الذي صاحب آباءه منذ الجد الاعلى سيدي عبد الله بن احمد ؛ فجاء بهمة عالية في كل النواحي ففلح وكسب وائل وتاجر ؛ فلم تنوسط العشرة الثامنة - ٧٥ - من القرن الماضي حتى كانت له ماشية كثيرة في ايسافن مرتبع اهاليها الالفين ؛ فقد كان نوى من ولده البكر سيدي محمد الذي ولد سنة ١٢٦٥ هـ ان يقوم له بماشيته ؛ ولكن هذا يهرب من ذلك الى المسجد ؛ فمازال اهله يردونه الى الرعي حتى هرب ست مرات ؛ فحينئذ فهم والده عن الله ؛ فاعتنى بتعليم ولده القرآن فشارط له في داره استاذا خاصا كما سترى ذلك في ترجمة ولده ؛ ثم لما اطل سيدي محمد بن بلقاسم على الخ بروعة العلم التي اظلتها انحاش اليه صاحب الترجمة ؛ فصارا يتصاحبان كما رايت في ترجمة المذكور ؛ ولاشك ان ذلك هو الحامل له على انفاذ الجهد في تشييف ولده ؛ ومن هنالك جاءت هذه الفكرة التي طلعت على الخ بخطوة لم تطلع بمثلها اية فكرة اخرى .

وكان ايضا يصاحب امغار محمد المجاطي ؛ لما لهذا فيه من حسن لينة ؛ واخبرت انه صاحبه مرارا الى افران ؛ كما اخبرت ايضا ان له بال (اساكاو بلاغ) الصالا ؛ وان الشيخ احمد ابلاغ الاساكي ؛ قال لمولاي الحسن حين زار سوس ١٣٠٣ هـ وقد كان هناك احد اولاد صاحب الترجمة ؛ ان والد هذا سيدي الحاج عبد الله شيخنا .

هكذا خرج من انزواء اهله ؛ فصار يعمل لكل جانب حركة ؛ ولكل حركة بركة ؛ فاتصل بالناس وتعرف باهل عصره ؛ واشاد بذلك من جديد ذكر آل عبد الله بن سعيد ؛ مع امعان فيما يمود عليه بغائدة دينية اودنيوية وقد اخبرت انه قارض مرة بعد ١٢٩٥ هـ الفقيه سيدي محمد بن احمد التيمولاي في دراهم اشترى بها زرضا كثيرا نحو مائة غرارة في تيمولاي فليل له ان الزرع رخيص جدا لاربع فيه ؛ فقال يكفيني فلس واحد للصاع ان ربحناه وقد ولد له ايضا بعد ابنه محمد المتقدم اولاد آخرون رباهم كما شاء ؛ فمنهم من رباه للدين والعلم والارشاد ؛ ومنهم من رباه للجانب الاخر الذي لا يد منه والطائر لا يطير بغير الجناحين ؛ فقد ولد له ولده الحازم الملازم للصف سيدي

أحمد سنة ١٢٧٥ هـ والاستاذ علي سنة ١٢٧٦ هـ وإبراهيم ١٢٨٢ هـ وكلهم اغتربوا خيرا كثيرا ؛ اطل الله عمر ابيهم حتى شاهد أبناء ابنائه بكثرة .
ثم ايده الله فادى فريضة الحج سنة ١٢٩٣ هـ في رفقة الاستاذ سيدي محمد بن ابراهيم التامانارتي ولذلك الفضل الله عليه .

غرس من اولاده ما غرس ؛ واعتنى بتعليمهم اعتناء كثيرا ؛ فبعد ان كانوا يتعلمون في المسجد القرآن راي ان يخصص لهم استاذًا على حدة ؛ فعل ذلك بولده الاستاذ الكبير ؛ وكان احب اولاده اليه ؛ ثم الحقه بالمدرسة التانكرتية ؛ فرجع منها سنة ١٢٩١ هـ فقرت عين الوالد بما توجهت اليه همة ولده ؛ فكان له خير معين ؛ ثم تأسست المدرسة ؛ وقد طبقت شهرة ولده الأفاق ثم توج شرفه بالمشول بين يدي مولاي الحسن سلطان عصره فاقبلت اليه الرفاق من كل جهة ؛ ولكن الزمن الذي اقر عين الوالد بما حظى به الولد ؛ لم يلبث ان امرض كبده باعتباطه شابا كما ستري ذلك ؛ فاحتسب عبد الله مصيبتة به ؛ ثم جاء على ولده الآخر بمارد الحياة الى الوالد وعرف به ان في الهالي خلفا . فطال عمره عقدين آخرين ؛ وولده هذا في شغوفه على الاقران شغوفًا كبيرًا ؛ وامتنع الله بطول العمر حتى راي من جميع اولاده تفوقا فسي العلم والدنيا والدين ؛ وكان لعلو همته لا يجب الا معالي الامور ؛ حتى في البناء لا يحب الا العالي المنين ؛ وكثيرا ما يقول اذا راي من بناء الفقراء في زاوية الوالد ؛ انها هذا جمع احجار لمن سيبني بعد ؛ وليس ببناء وما صدقه في ذلك رحمه الله ؛ ولكن الشيخ الوالد يقول اننا سنمضي فيه اعمارنا والامر اسرع من ذلك ؛ ولما جاء بعدنا ان يفعل به ماشاء على كيفية تروقه ؛ وقد رزى ايضا صاحب الترجمة بموت حفيده احمد بن محمد انجب مايكون فكان رزؤه به كرزؤه بوالده قبله .

اما اخلاقه فانها هيئة لينة لا يبالغ في العتاب ولا يستقصي في التانيب ؛ وقد ذكر الاستاذ علي ولده ان والده ما كان يتكلم معه في اي شيء حتى يبلغ فيه الحزم الطبيين ؛ ثم لا يتجاوز كلمة او كلمتين ؛ ولكن ولده يفهم منها ما يريد والده ؛ ومبلغ تأثيره في ذلك الامر .

واما دينه وملازمته للصف الاول في المسجد فاشهر من نار على علم ؛ لا يحول بينه وبين ذلك اي حائل ؛ ومواظبته على ذلك في ايام اقلال اسرته ولا كمواظبته عليه اذ اسرته تدرك الف غرارة فاكثر من محصول الفلاحة ؛ والحفاظ على تعج بالمواشي والمدخرات تكتظ بها المخازن ؛ لا يطيبه عن ذلك اي شيء من هذا كله ؛ ولسان حاله ينشد قول بعض الالفين .

ومن عرف الدنيا كمعرفتي بها فليس بمغتر بقل ولا كثر
ومن عرف الرب الذي خلق الفنى نظيري فاني يطبى عنه بالوفرا

(١) اطباء بتشديد الطاء : استعماله

واما نظرائه في مختلف الامور فهي صالحة ؛ وبولر عنه كسب كثير ؛ واداء سيدي ؛ وحكم بالوزرة ؛ حتى لي استاذي سيدي عبد الله بن محمد اله القى يومان صدره مقلد بيشة من دم متجمد ؛ قال فحصل لي دهش كثير ؛ فذهبت اياها اليه ؛ فقال لا بأس فذلك ان هذا من الر الشفاء ؛ فكان الامر كذلك

وقد توفيت رقية ام اولاده المتقدمة سنة ١٣١٤ هـ كما اخبرني به العمم لم اقرن ايضا بعائلة البعلبية ؛ ورقية تلك توصف بالخير بين نسائنا ؛ وكفاها شرفا انها تكشفت عن هذين العلامتين اللذين هما ماهما

وفي اواسط سنة ١٣٢٢ هـ كان مرض يعترى صاحب الترجمة ولكنه يبل منه فساد مرة الله توفي مع انه ابل من ذلك المرض ؛ فوفد بعض الوفقاويين للمعزية قال حفيده استاذنا عبد الله فوجدنا امام الدار ؛ فقلنا انه الان مهل من ذلك المرض ولا بأس عنده ؛ فاستجيا الوفقاوي فرجع ؛ فاخبر الجدة بذلك فقال اولقول الناس ذلك ؟ اني اذن لميت قريبا ؛ قال ثم لم تمض ايام حتى سقط ؛ فالتحق بربه في ليلة جمعة ؛ ففسله ولده الاستاذ علي بن عبد الله والشيخ الوالد ؛ ثم صل عليه هذا ؛ فووري في القبة ازا ولده الاستاذ محمد ابن عبد الله ؛ وفي بقية من كفته كفن الفقيه الصالح سيدي عبد الله بن محمد ابن القاضي الايديكل الذي توفي بعد هذا بشهور

وقد رثاه شاعر العصر في القطر السوسي ؛ الاستاذ الطاهر بن محمد بقوله ؛ يعزى ولده الاستاذ علي بن عبد الله ؛

على مثل هذا الحادث القادح الوقع
احمد مصاب المسلمين بفقد من
وبعد مصاب الدين بالواحد الذي
وبعد ابي الاشياخ الفضل والسيد
لقد زلزلت ارض السيادة بعده
وفي من السعد بدرا تكشفت
وقل من الموت لادر صدره
واوحش ربع الدين منه وطالما
فاني امرى يفرى العويص فريه
لقد كان للمجد المؤمل ساعدا
هو الله ما قام النعم بموته
فصبرا امام الدين فالصبر صارم
ففيك تشييد الكمال كفاية
فلا تخضع العم الصلاب لززع
فلا رز الا دون رزلك فليكن
فدونكها مولاي من فكرة ذوت
نسر وفاء لولمعد بنمعد

تدال نفوس لامصون من الدمع
يقوم مقام العين للمجد والسمع
ينوب اذا عد الكرام عن الجمع
يساء بضر او يسر بما لفع
ودكت جبال المجد من نفخة الروح
عن الدين والدنيا به ظلمة التبع
شبا صارم ان سل فل شبا السبع
ناى جنبه جنح الظلام عن الضجع
ويكشف وجه الراى في الجلب والدفع
فمات فكف المجد منى بالقسط
فاخرس الا والكمال هو المنع
يسل فيرمي مارن الرزء بالجذع
اذامال منه الركن تجذب بالضع
يهب وانت في الملا علم الرفع
للكام امر الله بالسمع والطوع
نصاريتها اذ خانها مسعد الطبع
من القول لاستقصت على الواجب المرعى

الاستاذ سيدى محمد بن عبد الله الالغى

١٢٦٥ هـ - ٢٢ - ٤ - ١٣٠٣ هـ

نسبه

محمد بن عبد الله بن صالح بن عبد الله بن صالح بن عبد الله بن احمد بن عبد الله بن سعيد .

الغ عبارة عن هذا البسيط الافيج التسع الذى زويت عنه زهرة الحياة الدنيا ؛ ولم يحظ بالرياض الارضية والجنان الخضراء ؛ والحدائق الغناء والمزارع المخصبة والالفاف الغلب ومتنوع الاشجار ؛ والجداول المطردة والانهار الفيضة والمرايح التى تفيض حيناً بالعشب النضر ؛ وحيناً بالغناء الاحوى ؛ كل ذلك منتهى من يد الطبيعة ؛ وحرمت اهله من الاستمتاع به ؛ فما هناك الا عاصير شمالية او جنوبية او دبورية ؛ تصرصر فى هذا البسيط الاجرد فتثير زوابع السداح متتابعة ؛ وهى قائمة ممتدة من الغبرا الى القبة الزرقاء ؛ كأنها صفوف ليل متلاحق ؛ وصرير الجواء يصك الاذان ؛ وتلاطم مختلف الرياح كأنه صفير الجلة فى اوديتها .

لأية حياة ياترى تستطاب فى بلد هذه بعض صفاته ؟ او اى عمر يظن من امضوا اعمارهم فى وسط تلك المهام القفار ؛ انهم امضوه تحت قبة السماء - كما يمضى الناس اعمارهم فى هذه الحياة الاولى تحت قبة السماء - ولكن رب العباد الشفيق الرفيق الذى شملت رحمته كل شئ ؛ لا يزوى عن بلدة متعة من هذه المتع ؛ الا عوضها متعة اخرى من ناحية اخرى ؛ فباى متعة ياترى عوضت انغ بعد ما حرمت مما ذكرناه

متعة الغ التى فاز بها فى هذه الحياة الاولى ؛ هى متعة الدين والعلم والادب وكان الذين نبعت هذه النعمة العظيمة من ايديهم رجالا نبغوا اخيراً فى الغ ؛ فى مقدمتهم الاستاذ سيدى محمد بن عبد الله صاحب الترجمة

فهو اول من وضع الحجر الاساسى فى العلم والادب الالفين ؛ واول من علم لبنيه حق التعليم كيف السيادة بالمعارف ؛ وكيف تستخرج دفائن الافكار بعلم الادب ؛ ثم باشارته وبمعاونته اسس الشيخ الوالد زاويته بالغ بعدما عزم ان يسكن فى موضع آخر ؛ هو اليق بالحياة وامكن ان يتيسر له فيه ما جعله نصب عينيه كما ستري ذلك فى ترجمته ؛ فنالت الغ ببركة الاستاذ ابن عبد الله مكانة وعظمة املت على لسان شاعر سوس ؛ وربيب الغ شيخنا الافرانى ان يقول من قصيدة فى الاستاذ على صنو صاحب الترجمة الذى كان ثانى اثنين

فى الاشادة بمعارف الغ الماجدة

تاهت بواحدىها السبع فقلت اها
ارض اراها فبحر والنسيم شدا
ايه فقد سلمت مصر وزورا
والله راح وكاليفات حصيا

الاستاذ محمد بن عبد الله هو اول من ذاق العلم من اهالىنا ذوق من ادرك منه الله اساس السيادة الدينية والدينية ؛ ومفاتيح جميع المقامات العليا التى تشراب اليها نفوس الاحياء الاباء ؛ فاقبل عليه وعلى تعليمه اقبالا فريها حتى لا يحول بينه وبين تعليمه منصب القضاء الذى انتصب فيه بين هذه القبائل ؛ فلم يكن كالأستاذ التسيبولى المتقدم الذى استراح فى الدرجة الاولى واكفى من وراء علمه بمنصب القضاء

الاستاذ محمد بن عبد الله هو المنبع الاول لجميع العلوم التى اشتهرت بها الغ ؛ ووسمت بها من اواخر القرن الماضى بين البلدان السوسية ؛ حتى صارت مثلاً مفروفاً فى الاندية العلمية ؛ فكل من زاول العلم بعده من الالفين وتلاميذهم وتلاميذ تلاميذهم ؛ وهم عشرات انما هم كلهم حسنة من حسنات هذا الاستاذ

الاستاذ محمد بن عبد الله هو الذى وضع بفكرته البذرة الاولى لعلم الادب بين ما يلقيه من المقطعات والقصائد لتلاميذه ؛ ثم مازال نبغ اصحابه واصحاب اصحابهم ينتهجون منهجه ؛ حتى صاغوا لالغ خاصة ؛ ولسوس عامة الى العلم والادب العربى اجمع تاجاً من الادب مرصعاً ؛ يتلأأ فوق هامات هذا العالم العال الذى لا يتعال اليه الا المصطفون الاخيار ؛ فلئن كان شعر الاستاذ ليس بما بلغ به المدى ؛ فان من بعده ممن سار فى طريقه ؛ حازوا به خصل السبل والملك سنة النهو والتدرج والترقى ؛ ولا يمكن فى العادة ان تنخرم سنة الله فى كل شئ ؛ وان تجد لسنة الله تبديلاً .

فلنعلم العالم اجمع هذا الاستاذ ؛ ولتخلده آثاره فى الخالدين ؛ وليسبق ذكره معسولاً فى افواه ذاكريه فى ندوات التاريخ التى لاتزداد بتقادم الأزمنة الا جدة وظلاوة .

فليحى الاستاذ محمد بن عبد الله ؛ وليحى ذكره امد الدهر ؛ وليحى كل من بذل جهده فى اعلاء شأن العلم والادب ؛ وليحى هذا الادب الاندلسى الشهير الذى ما ازهر فى الغ بل فى الجنوب الغربى الا بسببه

مستدلاً

كان بكر والديه وكانا يطعمان منه ما يطعمه كل والدين من مرابطينا

اصحاب المواشي من ابنيهما البكر ان يكون ساعدا لهما ؛ ومعيناعل مشاق الحياة وكانا يميلان به في الصغر الى رعاية الغنم ؛ ولكنه كان يهرب الى المسجد ؛ وقع منه ذلك ست مرات ؛ فانعكست به القضية المعتادة ؛ لاننا لانشاهد الا من يهرب من المسجد لامن يهرب اليه فكان ذلك كارهاص لما سيؤول اليه امره

كان مسجد الزاوية كانه موقوف على طلبة دويمالان التملين احفاد الشيخ سيدى يحيى بن عبد الله شيخ جدنا عبد الله بن سعيد ؛ فكان اولاده محترمين عند اهاليها يتيمنون بهم فتداولوا هذا المسجد ؛ وكان في تعليمهم نقص فاستحيا منهم اهل قرية الزاوية ان يستبدلوهم بغيرهم فمن عند احدهم افتتح صاحب الترجمة ؛ ثم لما راي والده ان القراءة بالمسجد عرجاء ؛ شارط له في داره الاستاذ سيدى محمد بن بلقاسم افكان وقد افردنا له ترجمة فيه تخرج في القرآن وذلك نحو ١٢٨٠ هـ

في مدرسة تانكرت

كان من اول ما لاحظت عيون السعادة صاحب الترجمة ان وفق والده فالحقه بهذه المدرسة ؛ حيث كان الاستاذ سيدى محمد بن ابراهيم التامانارتى الافرائى والد استاذنا سيدى الطاهر ؛ فهناك رابط كل سنوات اخذه ؛ ولم يتناول ذلك الاستاذ في كل ما اخذه ؛ حتى افوعم اناؤه ؛ وعتقت رحيقه فرجع يخال في رضا استاذه ؛ وقد حمل بين يديه مهمة عظيمة ؛ جعلها كل مناه في الحياة ؛ فعزم على ان يمضى فيها عمره كله ؛ وماتلك المهمة التي جعلها نصب عينيه الابث العلم ونشره ؛ فلا حياة الا بعلم ؛ ولا علم الا بهمة ؛ ولا همة الا ممن نفخت فيه روح تستمد من الملا الاعلى ؛ وكانت سنة اياه من تانكرت ١٢٩١ هـ

في مسجد قريتنا

قف بنا الان قليلا لنلقى نظرة عجلي على هذا الطالب النحيف الذى لا يحرك جسده الضئيل الا بعض دماء تجرى في شرايينه ؛ والا همة عالية تتناول الثريا من القعود ؛ فعهدنا به وقد هاجر منذ عشر سنين ؛ من قرية ساذجة انتهى سمو اهله في التعلم ان يحفظوا القرآن ؛ ومنتهى سمو جيرانها الذين تعلموا بعض علوم ؛ ان ينصوها حبائل لفصل الدعاوى وفض الخصومات لينشر عليهم من ورائها بضعة دراهم ؛ فهذا الاستاذ سيدى محمد بن بلقاسم التسيوتى هاجر مهاجر وكد وتعب حتى حصل ؛ ثم رجع فوجد اهله يتنعمون بمال وافر ؛ وثروة كثيرة ؛ وانعام يضيع فيها العبد ؛ ثم ما جال في ذهنه ولا مثل بين عينيه الا ان يجعل عمره كله في فض النوازل ومزاولة الخصوم ؛ ليزيد تلك

الشرية فسخامة الى سخامة ؛ ولم يدبر في خلده ان يبت ما حصله في صدور الناس ولا عالج في صدره ان مثله من يؤسسون المدارس وان نظيره يبلى له بمثل هذه الاموال مستقبلا قليلا بدوام المجد وخلود الذكر ؛ ووفر الاجر عند الله فكان منتهى عمله وهجره ان يظل يدور من ايت وفقا الى امتضى الى مجباط الى ايت ؛ ليحفظ مستجدا يريده الى ما عنده فكان جزاؤه بعد ان امضى في ذلك نحو عشر سنين انه لامات مات ذكره ؛ وكادت الالة تمنح من الوجود لو لم تحصل بعينها ؛ فاستخرجنا منها بعض ما يتعلق به ؛ واما صاحبنا هذا الاستاذ محمد بن عبد الله ؛ فقد رجع بهذه الهمة العليا ؛ وبهذه النظرة التي لا ترى الا السماوات العليا ؛ فجعل امام عينيه ما جعل مع ان دار والده ان فاست رجع الى الاستاذ التسيوتى لفرا ؛ لولا بعض ما استجده فيها والده الحاج عبد الله بسعة الحديث الجديد ؛ لم ليس هناك شئ آخر يعتمد عليه في اداء هذه الهمة ؛ ولكن هم الرجال اذا توجهت الى شئ كونت الاسس اولاً ؛ ثم راعى عليها بناء مشمرا ينطرح اجواز السماء ثم لم يطل العمر بالاستاذ محمد بن عبد الله عند توجه الى مهمته هذه الا بمقدار ما طال بالاستاذ التسيوتى منذ اقامته بالمدرسة ؛ والشعب في القضاء ؛ ولكن ان وازنا بين العاملين ؛ ندرك ما كان في قلبه ؛ فهؤلاء تلاميذ الاستاذ محمد بن عبد الله قد ملأوا هذه الارضاء عاليا ؛ فان من ايقاهم الاستاذ التسيوتى من عمله ؟ واين ما يذكر به اليوم بعد ان صار من المروسين ؟

هذا الاستاذ محمد بن عبد الله قد رجع بهذه الهمة ؛ وما هوذا قد انصب في مسجد قرية الزاوية بالغ ؛ وما هوذا يحول المسجد الى مدرسة فيريد بعض الالة بسع بها المكان ؛ وهؤلاء الطلبة يجتمعون عليه ؛ وما هوذا يمولهم من عهده وما هي ذى دروس علمية منتظمة تتوالى في المجلس الجديد الذى اسسه هناك وما هي ذى سنوات ٩١-٩٢-٩٣- قد مضت وهو لا يزداد الا نشاطا ؛ والطلبة الملقطون اليه قد بدأت حالات النجابة والتفوق تستدير بهم ؛ فما هذه الاموال ؟ وما هذه العزائم ؟ افليس الرجل غريبا بهمة النادرة ان قيس باهله وعلمهم ؟

في مدرسة البومروانية

اذا اراد الله بالناس خيرا هيا له من حيث لا يحتسب اعانات ؛ واركنا انى عليها بنيانه ؛ حتى لا تزعزعه العواصف ؛ ولا تنسف القواصف فهذا هبة ماجرى لاستاذنا صاحب الترجمة ؛ فان سنة ١٢٩٤ هـ كانت على ابواب السفينة العظيمة التي الت بسوس ١٢٩٥ هـ فاجتاحته فاهلكت النفوس ؛ واغسلت الاموال ؛ والت على اسر كثيرة وعمل قرى عامرة فاجتشت اصولها ؛ ولا يدري الا الله كيف تكون حالة الاستاذ لو بقى في ذلك المسجد في تلك السفينة

وقد تلوّى بمؤونة طلبته الفقراء الغرباء ؛ ولكن رعاية الله فوق كل رعاية ؛ فقد حدثه العناية الربانية التي لا يعدمها العاملون المخلصون الى المدرسة البومروانية فشارط فيها ؛ والمدارس لا تخلو من زرع مدخر ؛ ينفع في امثال هذه المساعب وقد كان الاستاذ يفضل شيئا مما يتوصل به من شرط مسجد الزاوية فتجمد له في السنوات الثلاث ما اضاف الى ما يتوصل به من شرط المدرسة البومروانية من سنة ٩٤-٩٥- فكان زرعاً كثيراً فصار يشتري الاملاك في تلك المسغبة والاملاك من ارخص ما يكون ؛ والمذخرون للحبوب قليلون ؛ والجهد يحمل الناس على بيع نفائس ما يملكون برخص ؛ فحاز بذلك املاكاً كثيرة في قريته وما اليها ؛ ففي سنة ١٢٩٦ هـ وهو لا يزال مشارطاً في المدرسة تلك ؛ عزم على تنفيذ فكرة جعلها نصب عينيه فبادر الى تاسيس مدرسته الخاصة وقد شجعه ما بيده ؛ وما صار اليه ببركة شرطه الذي باعه ؛ ومن الاملاك المغلة فرأى ان يستشير من هم اكبر منه ؛ فان المشورة لا تأتي الا بخير ؛ فاعمل رحلة الى شيخ العصر وبركة تلك الجهة سيدي الحسن بن احمد بن محمد التمكنشتي فاستشاره فاذن له بعد ما اشار عليه ايضا العالم المدرس مسعود بن محمد البونعماني بتاسيس مدرسة كما حدثني بذلك تلميذه الفقيه سيدي عبدالرحمن العوفي عن ابي الحسن صنو المترجم وخليفته في مدرسته الالغية صانها الله وكان سيدي الحسن يشك في مقدرة الاستاذ لما رآه من ضؤولة جسده ؛ ونحافة قوامه فلن انه رجل اقوال لارجل افعال ؛ ولم يدر ما قال الشاعر :

لرى الرجل النحيف فتزدرية وفي الثوابه اسد هصور

وكان سيدي الحسن اسر الى بعض جلسائه ما يدل على ذلك في صورة مباشرة يسأله هل يقدر هذا على تنفيذ ما يقول ؟ فتكفل الزمان بجواب سيدي الحسن حين توسطت سنة ١٢٩٧ هـ فشاهد المدرسة تشيد ؛ وما كان مقلونا صار محققا

المدرسة الالغية تؤسس

كان الاستاذ لا يزال بالمدرسة البومروانية ؛ وهو يوالى الدروس لتلاميذه بهمة المعروفة ؛ فما كان يحب ان يبطل درسا في وقته ما استطاع الى ذلك سبيلا ؛ فحين كان لابد له من القيام على بناء مدرسته بنفسه ؛ استدعى الشيخ الوالد ؛ وكان اذ ذاك مشارطاً في المدرسة الفوكرضية ليقوم مقامه في موالة الدروس لتلاميذه فاسعفه الوالد ؛ فودع فوكرض ؛ فجاء مع من معه من التلاميذ فحل محل صاحب الترجمة في بومروان سبعة اشهر حتى تمت الدورة السنوية التي شارط عليها الاستاذ اصحاب المدرسة ؛ وقد تمت المدرسة الالغية ؛ وفصلت بيوتها الكثيرة ؛ ولكنها بعد ذلك ضاقت بالطلبة ؛ فصار من له منهم طاقة يبني من جديد لنفسه .

مرام المدرسة

العهود في كل المدارس السوسية المنبئة بين القبائل الها تؤسس على اهل القبيلة الذين يجمعون من عندهم اجرة اساتذتها ؛ ومن اعشارهم الطلبة الغرباء ؛ المتعلمين فيها ؛ ولم يعهد بسوس فيما نعلم من قام بنفسه بتاسيس مدرسة وحده كما يفعله اساتذة السباعيين ومن اليهم حيث تتوفر لهم الاموال ؛ ويوجد معينون مقتدرون ؛ الا ما كان من صاحبنا الاستاذ محمد ابي عبد الله العصامي الذي انكل على ربه اولاً ؛ ثم على جهوده ثانياً فانه اشاد بمدرسته الالغية وحده ؛ جمع عليها العملة ؛ فقام بهم من داره مؤونة واجرة ولم اعلم ان احداً اعانه سوى الحاج ابراهيم الايفشاني ؛ فقد سمعنا انه اعانه بعض املاكات ثم عزم الاستاذ على ان يقوم باود من ينقطع اليها ؛ فسلخوا بالانوار وحده مما تدره عليه املاكه المستجدة كما ذكرنا ؛ ثم طابت نفوس بعض حيران الخ باعانات من اعشارهم ؛ التاكانزيون والتاجارمولتيون والافنديون احوال الاستاذ ؛ واما آل (اسيف مقورن) فقد انعموا بان يجمعوا بالخطب دائما ؛ واما مرابطونا الذين يجب عليهم ان يكونوا خير اهلهم لان اخيهم الذي قاد اليهم المجد الموثل بارسانه ؛ فجعله في متناول ايديهم ؛ وفتح لهم هذا الباب بابا خالدا لا يوصد امام قاصديه ؛ ثم اعانهم ليوجهوا اليه ابناءهم لعلهم يدركون من الشفوف مالم يخطر على بال اهل ولا لاياهم من قبل ؛ هؤلاء الذين يجب ان يتبادروا كلهم اجمعون اكرمهم انهم انقسموا فرقتين ؛ فاما من شرح الله صدورهم للتقوى ؛ ودار الله بصلارهم بانوار حب الخير ؛ ومسحت صدورهم من الاحن والاصقان والحمد ؛ فقد انضموا الى جانب الاستاذ ؛ وابلقوه ان اعشارهم سيكون لها للمدرسة نصيب ؛ فهم اولي بذلك من التاكانزيين ومن معهم باعالة هذه المدرسة ؛ ثم صاروا ياتون بذلك في بعض السنوات بصفة غير منتظمة ؛ واما الفريق الاخر فقد اصبحوا ممن يتخبطهم الشيطان من المس تناكل قلوبهم مما يفسدونه على اخيهم فيما آتاه الله من فضله ؛ فاوحى اليهم حسدهم ما اوحى فاهلوا يؤسسون بزعمهم مدرسة اخرى بايمور ؛ ازاء مشهد الجيد سيدي عبد الله بن سعيد ؛ فصاروا يدفعون اليها بقبضة من اعشارهم ؛ فكانت مدرستهم المسجد الضرار - كما سماها بذلك والدنا الشيخ رحمه الله - ولكن مضت ايام فإيام ومدرسة الاستاذ في ترقى واشتهار ؛ ومدرستهم كانها بنيت في قعر بحر ؛ لان المدارس باسالتها لا باسماها ؛ كما ان الصمصامة بساغدمرو ابن معد يكره لا ينصلها ؛ فما مضت سنوات حتى راينا وراى العالم من خرجتهم المدرسة الالغية ؛ فارونا ايها الايموريون واحدا تخرج من مدرستكم الاخير شارط فيها الاساتذة سيدي احمد بن صالح الافراسي ؛ وسيدي سيدي

محمد بن الحاج ؛ وسيدى المكي اليزيدى وهؤلاء من تابعهم انما علمهم من الاساتذة الالفين الآخرين وما هم الا نفعه من نفعات المدرسة الالفية ؛ لان هؤلاء خريجوها واولادها والمربون في حجرها

الاستاذ في مدرسته الجديدة

طارت الاخبار بارتكاز المدرسة الالفية على الجهد والاجتهاد ؛ فانها اليها الطلبة من كل حذب ينسلون فصار من يرد يجد من تلك الثلة التي كانت صاحبت الاستاذ من اول يوم اذ كان في مسجد القرية ؛ وفي المدرسة البومروانية كالاستاذ العربى الساموكنى واقترانه من قدماء تلاميذ الاستاذ قد تفوقوا ؛ ونالوا في تعلمهم المقام الذى يتمكن به صاحبه فيقبل ويرد ؛ ويزن بالقسطاس وزن الناقد البصير ؛ فاتخذوهم قدوة فى الاجتهاد ؛ واملوا ان يصبحوا امثالهم غدا ؛ ان ساروا على الدرب الذى سار عليه هؤلاء قبل ؛ فمن بين من التحق بالمدرسة ؛ فى تلك الحقبة الاستاذان الكبيران شيخنا الطاهر الافرانى وابوالقاسم النجارموتنى وامثالهما الذين سترى لهم بعد ما ترى ؛ فيقبل الاستاذ كل من ورد عليه ويركزه فى الطبقة التى تليق به ؛ فيقبل عليهم تهذيبا وتربية ؛ وكان طلبتها فى ذلك العهد لا يتجاوزون خمسين ؛ ولم تدرك شاو المدارس القديمة العهد التى تزخر اذ ذاك بما فوق المائة لكل واحدة ؛ كالمدارس الادوزية والبونعمانية والبوعبدلية والتمكدشتية والارازانية الراسلوادية والمحمدية الهشتوكية ؛ فان لم تدرك الالفية الحديثة العهد هذه القديمت المكنظة بالتلاميذ ؛ فان العبرة بالفائدة الحاصلة ؛ وبعدد الخريجين لا بكثرة المجتمعين بغات الطير اكثرها فراخا وام الصقر مقلات نزور

كيف دراسة الاستاذ

كما ان مهرة البنائين يرون ان منتهى الفكرة هو مبدأ العمل ؛ وان وضع اسس بناء فكرت فى ان تجعله عاليا ؛ لا بد لها من ارض صلبة ثابتة ؛ حتى تطبق ان يرتكز عليها بناء عال متين فوق دعائم مراسية لئلا تتزعزع اركانها تطبق ان يرتكز عليها بناء عال متين فوق دعائم راسية لئلا تتزعزع اركانها واختلاف تقلبات الجو ؛ كذلك مهرة المعلمين الذين يربون النشء ؛ يرون ان البدايات مجلى النهايات ؛ وان الخطط تبني على ما رسمت عليه من اول يوم فتراهم يسلكون بالمبتدىء مسلك الحفظ وتنبيه ذاكرته شيئا فشيئا بمعاودة ما يدرس ؛ ليتمرن على الاستحضار ؛ وعلى تفهم ما يتلقى فيستكثر له من تكرير القواعد وممارستها فى كل فرصة ؛ مع اجالتها باسالات لسانه ؛ فذلك

الذى للرسوخ ؛ ولان تكون له ملكة ثابتة مع الزمان حتى لا ينساها ولا ينسى اسمها ان آمن بعد فى طرق العلم الشتى التى يدفع اليها متى شدا فعل عام الطريقة سار الاستاذ فى تعليمه ؛ فبها لكل من درج بين يديه فمادت بحجة لكل من يعلم من الالفين بعدا فلن كان بعض المبتدئين يجدون فى ذلك بعض صعوبة ؛ فانهم يجدون مقبها بعد حين ؛ لم بعد ان يشدون لميله وقد اقر الاخرى التى يقرأها لا بد مرتين فى اللوحة بشرط ان يحفظ كل الحدود التى ان لم يدرك معناها كله الا ان فانه يعدها فى حافظته لماسيا ؛ وقد قرا فى النون المصطفى الجمل والزواوى واللامية والمبنيات ؛ وهذه هي متون الالفية فى النحو ؛ واما فى الفقه فابن عاشر ؛ فان استتم هذه والقهاى وان افاضها مرات ؛ يستقبل الالفية والرسالة ؛ والمقامات ؛ وهو ما هوو يحفظ كل السواعد وما يكتبه فى لوحته ؛ لان الدرس فى هذا الطور الثانى لا يكون ايضا الا بها ؛ وهو وطيفته يطالع النجباء لهم الدروس التى سياراؤها لم بعد ؛ وانها هم بالفسهم مرات بعد ان درسها لهم الاستاذ ؛ واعراب الحزب بين الالف والالفين امر لا بد منه ؛ فهكذا لا يمضى للتلميذ سنتان ثلاث حتى يحفظ هذه الالف والالفية والرسالة فيقبل به الى المختصر والتحفة والزقالية والحدود والالف والالف بالاسموى ؛ وقد كان فى المرة الاولى يقتصر له على الالف والالف ؛ ثم فى هذا الدور الثالث يدفع به الى خوض كل شىء من حديث الفقه والحديث وحساب بعد ما الم من هذين بشىء قليل فى الدور الثانى ؛ ثم فى فقه الاربعة وفى يوم الخميس يتلو فى كتب الادب التى كان يحفظها من المقامات الحريرية التى يدرسها يوميا ؛ بل ويحفظها وفى المقامات الادبية فصائد ادبية اخرى كلامية العجم ؛ وبانت سعاد ؛ والمعلقات الخمسة والدرية والدالية لليوسى والهمزية والبردة ؛ فيدرك الطالب بذلك ان شاء الله ؛ ثم يطالب فى مناسبات مختلفة ان يتراسى على هذه الرسائل والفصائد ؛ ثم ان ظهرت فيه اهلية وظهر بقريحة جيدة فانه يعطى به فى الادب والانشاء ؛ والا فيكتفى منه بان يدرك الفضة من الفضة ؛ والتمرة من التمرة ؛ وفى الدور الثالث يدرس ايضا علم البيان فى متون التلخيص والاشعارات منظومة ابن كيران ؛ والاصول فى جمع الجوامع ؛ هذه خطة الدراسة الالفية ؛ وعلى هذه الوثيرة يتمشى اهلها ؛ ولا يتخطون هذا النظام والاستاذ يستعين بهذا تلاميذه فى مختلف الطبقات ليتدربوا ايضا على العلم ؛ فمادت هذه الطريقة بنتيجة عظيمة لا يمكن ان يهتدى اليها الا من سار بنظام ؛ والنظام والتؤدة والرفق والتدرج شيئا فشيئا ؛ ما دخلت فى الالف الا سار هو بنفسه بالطبع حتى يكون من المثل العليا يشاهده كل احد ؛ هذا ما اسسه الاستاذ محمد بن عبد الله فى مدرسته الجديدة التى سار فيها سيرا منظما متوازنا ؛ وقد حفظه الله من العثرات التى توالى عليه بعد ان كان يطبع فى بعضها ؛ وما اولى العثرات بالساعين فى انجاز الاعمال ؛

ماكاد الناس يفلتون من مسغبة ١٢٩٥ هـ حتى جاءتهم سنة ١٢٩٩ هـ بمسغبة أخرى أشد وأعظم ؛ والاستاذ قد امكن له ان يتملص من الاولى بانحيائه الى المدرسة البومروانية التي كفته مؤنة تلاميذه ؛ وابقت على ما اقتصدته في مسجد الزاوية قبلها وامتدته بشرط آخر تأتي له به وبما في يده ان يخرج فائزا من تلك السنة الشهباء باملاك وافرة هي معتمده يوم اسس المدرسة ولكن هذه الاملاك بورية ؛ وقد افلت سنة ١٢٩٨ هـ من غير ان تريح الى خزائنه حبة واحدة ؛ ثم طلعت السنة التي بعدها فاذا الناس يتضورون سحبا ؛ ويسقطون بالجوع في الطرقات ؛ فماذا يفعل الاستاذ الان ؟ والمدرسة قد اجتمع فيها عشرات من المنقطعين ؛ والسنة الماضية مححلة ؛ وهذه الحاضرة ادهى وامر ؛ طعن الاستاذ هذه الطعنة ؛ فلم يجد لها دواء الا ان يجيل على تلاميذه نظرة فيستبقى منهم من تقدم في التعلم وظهرت نجابته ؛ ثم يودع سواهم ويواعدهم يوم يعود الدهر بخيره ؛ وهل يوجد عمر الا اذا جاد الله ؟ فذهبوا وفؤاد الاستاذ ذورا هم ممزق شعاع ؛ ودموعه على وجناته تساقط سمطين سمطين كما يقول الزمخشري

زار الشيخ سيدي المدني الناصري تلك السنة الخ ؛ فنزل بالاستاذ واذا كان لابد من شكوى الى ذي مرؤة يواسي او يسلي او يتوجع ؛ نفخ الاستاذ شكواه الى صيفه فقال له وعيناه مغرورتان بالدموع - كما حكى من حضر - انتي ياسيدي كنت شيدت هذه المدرسة لتعمر ؛ واهاب السعد اولا بالطلبة اليها ؛ حتى اذا توافروا والفنائهم والفؤنا اضطرتنا هذه السنة العجفاء ان نأمر بعضهم بمفادرتها وصدورها تتأجج أسفا ؛ فكان السعد الذي كان ازاءنا اولا ؛ قد طلقنا اليوم وكان الله لم يرد عمارة مدرستنا هذه ؛ لنرى باعيننا كيف خاب في ايدينا رجاؤنا فهدها الشيخ بكلمات مسح بها بعض ما ألم به ؛ ثم قال له قم بنا الى هري المدرسة ؛ فمد الشيخ يده الى حفة فبارك فيها فقال له لا تخف منذ اليوم ان يخلو هذا الهري من الشعر ؛ فان كل الاولياء يباركون فيه بعد ما باركه رسول الله صلى الله عليه وسلم ؛ ومثلك لا يخيب له رجاء ؛ مادام قصدك حسنا - فشجعه الشيخ بكلام آخر كثير

ثم ما دارت الدورة السنوية ؛ حتى انجابت الغمة ؛ وانكشفت الغمام والقي الخصب بجرائه في الخ ؛ وقد كان الناس تكلفوا ما اطاقوه من حرث والاستاذ بينهم بانخ في ذلك جهده ؛ فافاء عليه محصوله تلك السنة ما يناهز الف غرارة فيما يقال ؛ فافعومت مخازنه ومخازن المدرسة بالخيرات التي فاضت اليها من ربها ومن اعشار الناس ؛ فراجع الطلبة المودعون مدرستهم واتبعهم آخرون فسارت المدرسة في طريقها ؛ وانطوت تلك المسغبة الشديدة

من الناس ؛ فاقبال الله طرفة الاستاذ بسدق نيته وحسن طويته ؛ ومن كان الله كان الله له

العشرة الثانية

اشتهر الاستاذ بعلمه وفقهه كل الشهرة ؛ وصار بينه وبين اقرانه مسابقة في ميدان الافتاء ؛ فصار ارباب النوازل وذوو الخصومات ؛ والمتطلبون لقسم الشركات يردون عليه ويحكمونه فيما بينهم ؛ لم لم تزل شهرته تسبح وهولها يكثر حتى ليكادون يحولون بينه وبين ان يودي حق المدرسة ؛ ورئيسها تعرض له ايضا اشغال يسافر اليها فيبقى الطلبة بلا دراسة كسفره الى مراکش في اواسط سنة ١٣٠٠ هـ فحين اطلت سنة ١٣٠١ هـ رآى ان يستعين بالاستاذ سيدي محمد بن بلقاسم اليزيدي فشارطه في مدرسته ليتمكن المدرس ان تتمشى بنظام ؛ ان حال بينه هو وبين موالاتها اشغال طارئة او اصحاب النوازل الذين يصيرون امام داره كانه سوق ؛ فكان هذا الاستاذ اليزيدي مما وقى به صاحب الترجمة من العشرة الثانية لان الطلبة الغرباء لا الغل عليهم من ابطال الدروس ؛ وتخلل الفترات بينها ؛ ولا ينبئك مثل خبر

الاستاذ وطلبتهم في وادي افران

بدا للاستاذ ان يزور هو وكل من في مدرسته وادي افران ؛ فقصداوا الشيخ سيدي المدني ومعهم الاستاذ اليزيدي ؛ والدراسة سائرة في طريقها ولم يقطعها السفر وقد وجدت للاستاذ هذه الابيات يخاطب بها سيدي المدني هذا ؛ واظن ذلك في سفرته هذه

ايابن القطب احيا الدين جهرا	وجدد ما وهى واذاح جهلا
الينا كي نزوركم وكنتم	لذلك في اعتقاد العبد اهلا
فمنوا بالقبول فذاك قصدي	وسعدى قولكم اهلا وسهلا
ومبد للضراعة نحو ربي	ليقبل جمعنا شيئا وكهلا
ولم عليك من ربي سلام	به يرويكم نهلا وهلا

فحين حلوا دار الشيخ تطلب منهم رؤساء قبيلة تانكرت ان يتبعوا فرائهم بيانا فاسعفوههم ؛ وكان الزيت مخصبا جدا في تلك السنة ؛ حتى كاد يكون بلائمن ؛ فصار اهل القرى يجمعون للاستاذ والطلبة قبضة - نحو كيلو - من الزيت لكل دار ثم اتبعوا سيرهم يتفرون ايضا قرى قبيلة اداوشقرا الى ان حلوا بتيمولاي اسفل افران وذلك كله محبة لاهل العلم ؛ والمنقطعين اليه ثم رجع الاستاذ ومن معه الى الخ يحتفون خيرا كثيرا واجرا جافلا ؛ ولا جناح على المؤمنين ان يتفوا فضلا من ربهم من الباب المشروح

رايت ان الاستاذ اليزيدى هو الذى قام بإدارة الدراسة سنة ١٣٠١ هـ والاستاذ مشغول بأرباب النوازل المتكاثرين ؛ ثم كان نفسه لم تطب الا بمزاولة ذلك فلازم بنفسه ؛ فودع الاستاذ اليزيدى ومكنه شرطه ؛ وجزاه خيرا ؛ ثم انتصب لما هو بصدد ؛ ثم لا يجد منه المتداعون الا ما فضل عمن اوقات الدراسة ؛ وقد سمعت انهم اذ ذاك يتجمعون امام باب المدرسة ينتظرون فراغه من الدروس ؛ هذا مع ان الاستاذ ضعيف البنية جدا ؛ هزيل نحيف من امراض لازمته منذ زمان ؛ لا يجد متعة للحياة ؛ وقد حكى لى العم انه كان يقول الامن يعطينى صحة كاملة وجسما قويا فاناؤله كل هذا المجد ؛ ولكن مع هذا الحال لم يطق ان يتخلف عن درس واحد ففضى بهذا كل هذه السنة ١٣٠٢ هـ

الاستاذ مع رؤساء إليمغ

كان يعسوب جزولة ذلك العصر سيدى الحسين بن هاشم مولعا بكل ما يزيد فى العالى لبنة ؛ فيزيد الى ارباب الصوامر والعوالى ؛ ارباب الدفاتر والاقلام ؛ فكان حوله منهم حالة كبيرة ؛ من بينهم الاستاذ المترجم الذى يفد اليه منذ كان بمدرسة تانكرت تلميذا فى الرضانات لدرس البخارى وفى ١٢٩٣ هـ حين ودع والده الحاج عبد الله واستاذ ابن ابراهيم الى الحج اعتذر الى الرئيس بانه يتخلف فى رمضان تلك السنة ؛ فابى أن يقبله فقال له الاستاذ ابن ابراهيم انه سيأتى فى رمضان فكان ذلك باذن استاذ اكيده عليه ؛ ثم قال له استاذ بعد ؛ كان يمكن ان تنفل قبل ان يالفك الرئيس واما الان فلاثم كان ذلك دين الاستاذ الالفى فى كل الرضانات حتى لحق بالمالا الاعلى .

الاستاذ يتصل بالسلطان

جاء السلطان مولانا الحسن سنة ١٢٩٩ هـ الى سوس فنزل اذاء تزيت فاهرع اليه كل من له اعتبار من الرؤساء والعلماء ؛ فكان صاحب الترجمة ممن ادى الحق الذى عليه لصاحب العرش المغربى ؛ فزاره مع طلبته ؛ ثم فى سنة ١٣٠٠ هـ سافر هو والقائدان سعيد المجاطى ؛ والحسن البيرانى الى الحمراء فادوا التحية هناك فى ٢٤ - جمادى الثانية ؛ فوصل الجميع بصلات حسنة خصوصا الاستاذ فانه اعتنى به اعتناء زائدا ؛ ومن بين ما اتحفه به كسى كل من يتعلق به من اهل داره ذكورا واناثا ؛ طلب منه - كما سمعت - ان يقيد ذلك فنقل له الجميع ؛ واذا ذاك كتب له ولجميع المرابطين ذلك الظهير الشريف الذى نشرناه تحت رقم ٦ - فى الملحقات بترجمة الجدى سيدى عبد الله بن سعيد فكانت هذه الحفاوة التى لاقاها من السلطان هذه السنة هى التى حدثت الى ان يعود الى زيارته ثانيا سنة ١٣٠٣ هـ والانسان اسير الاحسان

ما لبثنا الاستاذ منذ ولبته الاول ؛ فصاحبنا فى كل تلباته المختلفة ؛ وفى جميع مقاماته التى يترقى فيها ولاشك ان القارىء يدرك سمو هذه الهمة الغلة التى هى كلها تطلع الى المرتبة العليا التى لا يعلى عليها ؛ وبرهن على هذه العبقرية كل برهنة ماحكاه العم ان الاستاذ على بن عبد الله صلب صاحب الترجمة كان يقول للاستاذ حين اقبل على تشييد المدرسة كل القبال ما نصنع نحن بمدرسة جديدة ؛ والمدارس المبنية فى القبائل كثيرة جدا ؛ وما يعمرها الا امثالنا ؛ ولا توصد ابوابها دوننا ؛ فباى شئ تقوم هذه المدرسة اليوم او بعد اليوم ؟ مع ان المدارس لا تقوم الا بمعاونة قبيلة من القبائل ؛ فقال له الاستاذ ما بنيت هذه المدرسة الا لاجرب هممنا لاعرف العن رجال مقتدرون ام لا ؛ ولكى يعرف الناس بعد من انت ؟ هل انت رجل مقتدر نهاض بالعظام ؛ اوانت خائر العزيمة ممن يردهم خيال ويرهبهم ظل ؛ وينظرون بنفخة واحدة ادراج الرياح ؟

هذه هى همة الاستاذ ؛ وهذه قدرته التى برهن عليها بفعله وقوله ؛ ولكن ربما يحسب بعض القراء ان التجارب التى اكتسبها من عمل طويل ؛ وان الدروس التى تلقاها من عقود كثيرة مرت به ؛ هى التى شجذت همته ؛ وادته انه لا يفوز فى الحياة الا المقدمون المغامرون ؛ فتكون تجارب شبيبته وكهولته هى التى اوحى اليه الفكرة العليا التى ينفذها فى شيخوخته ؛ ولكن كم يطول السبب ان عرف ان هذه الهمة النافذة ؛ وان هذه الاعمال الخالدة ؛ وان هذا الاقدام الذى لا يلتوى انما ذلك من شباب نشيط مغامر تواق الى المعالي ؛ والله وودع هذه الحياة قبل ان يتسلى قمة العقد الرابع ؛ فلئن كان الاستاذ يحيا الشورى ؛ والقاتح الشهير اسكندر المقدونى ؛ قاما بما قاما به ؛ فيما يقارب هذه السن ؛ فان لهذا الاستاذ من الاعمال التى يتأتى لمن كان فى وسطه ان يقوم بها ما يراحمهما به فى شرفهما هذا بمتكبر عريض مع مراعاة الازمنة والامكنة ؛ وما يمكن فى كل عصر ؛ وما صاحبنا الاصنو سيدى يبورك بن عبد الله بن يعقوب السملالى فى همته وفى علمه وفى قصر عمره .

كنا غادونا الاستاذ بين تلاميذه فى مدرسته بوالى الدروس سنة ١٣٠٢ هـ ثم فى ١٣ - من ربيع الاول من سنة ١٣٠٣ هـ غادر المدرسة ؛ وقد استتاب والدى فى موالة الدروس مع الاشراف على صنوه على بن عبد الله الذى هو خليفته الرسمى فسافر مع القائدين المذكورين ليحسدوا التسحية لصاحب العرش ؛ وقد لازمه ذلك الهزال ؛ ولكن ذا الهمة النافذة والنفس الكبيرة ؛ لا يبال بجسده ؛ فى قضاء مهمته .

واذا كانت النفوس كبارا تعبت فى مرادها الاجسام

فرجع القائلان بعد ان لم المرام ! ولشرفا بالثول بين يدي صاحب الجلالة مولانا الحسن قبلي الاستاذ وراهم هناك مع لمة من اصحابه ! وداؤه يلح عليه وربما عالجهم بمرهم لم ينجح فيه ! ثم ازداد عليه مضض فاحس بدنو الاجل فطلب ممن معه ان يخرجوا به من الحمراء ! فنزلوا به في قرية صغيرة في احوال نامصلوحت ! وهناك جاءت الدقيقة الاخيرة ! فلفظ الاستاذ محمد بن عبد الله النفس الاخير .

قضى الامر ! ونزل مالميس لبنى آدم طاقة ترده ! فافاق رفقائه ! فمالوا بالاستاذ الى مقبرة صغيرة ازاء تلك القرية فواروه فيها ! ثم جمعوا متاعهم فرجعوا ادراجهم الى الخ ! وهم يندبون سعدهم ! ويبكون جدتهم ! ولا يدرون باي وجه يردون على اهلهم ! وبأى طلعة يطلعون على الخ وقد غادروا بدمه الوضاء بنامصلوحت ! وحفروا هم له بايديهم هناك ! ثم افردوه في رمس تسفى عليه الريح والموار .

وهم نعى الاستاذ المدرسة ومن حوالها ! فقامت القيامة ! واسود وجه النهار وهم في صحو يكاد يقطر غضارة ! فاقبل والده الحاج عبد الله مطرق الراس عليه غيرة ترهقه فترة ! يفصح جبينه بما لم يقدر لسانه ان ينطق به استسلاما للقضاء فادى حق التعزية وقوبلت وفود المعزين الذين تواردوا من كل جهة من الالبيين وغيرهم ! بنفوس تعرف ماهو التجلد ! وكيف يكون الاحرار الاباة ! في امثال هذه المواقف الجل ! وكان من بين الواردين الشيخ سيدى المدنى الناصرى ! فسمعت انه قال لسيدى الحاج عبدالله ! وقد شاهد منه نزوة ! حق على من رزى بمثل هذا النابغة مثلك ! ان تطير عليه شعفات قلبه ! فنطق لسان بما يكنه ! وان كان لسان المعزى ينطق عادة بغير ذلك وكانه ينشده بلسان الحال ماقاله بعض الالبيين بعد ذلك العصر .

نعزيك لا انا جهلنا مقام من	نعزيك فيه بين من عانقوا الموت
ولكننا نمشى على سنة مضى	عليها جميع الناس ان دفنوا ميتا
فنامر بالصبر الجميل واننا	جميعا لفي حزن عظيم كما انتا
والسنا نتلو العزاء واننا	على جزع كنا عليه كما كنتا
اسلوى وقد فات الذى كان عدة	عليها مدى اعمارنا نحذر الفتوتا ؟
وكيف التسلى والذى منه نشاة	لاحيائنا قد صار فى عالم الموتى ؟
فوورى والاشخاص منا شواخص	فمن ذا الذى من بعده يرفع الصوتا ؟
فاى لبيب ليس يعذران راي	صراخ الالى يرزون ذلکم الميتا ؟
فما كل مرموس كاستاذنا الذى	له همة لم تدر فى عزها حتى ؟

تجاليده الاستاذ تنقل الى الخ

كان الشيخ الوالد رحمه الله من الاستاذ بمنزلة اليد لاختها ! فهما لدنان سنا وهمة وتطلعا الى المعالي ! فالتحم ما بينهما التحاما ! فقد رايت كيف ناب الوالد عن الاستاذ فى المدرسة البومروالية ! ثم ناب عنه فى المدرسة الالغية فى رحلته هذه التى التحق فيها بربه فقام الوالد وصنو الاستاذ على بن عبد الله فالتحقا بالحمراء فباتا فيها ليلة واحدة ريثما تم لهما تابوت ! فمرا بمرمس الاستاذ فوضعا تجاليده فى التابوت فاقبلا يفدان السير ! فدفعاه هذه امله فى وسط المقبرة القاسمية ! ثم جمع اهله همتهم على تأسيس قبعة عليه ! فنزل الشيخ الوالد كبر ذلك ! ولكن لم يلبث قبو القبعة ان سقط ! فكان القدر يهل فى ذلك موعظتين

اولاهما ان ما اسسه الاستاذ بيده فى ايامه ! واشاده فى صدور تلاميذه وخلفاء من بعده خالدا مخلدا ! هو قبته الخالدة الدائمة التى لاتمسخها الاعاصير الالغية ! والقواصف (تيفرميت) العاتية ! ولا تمتد اليها يد الدهر وان تطاول فمن كالت له هذه القبعة من المجد الموثل ! فكيف يتوقف بعد على ما لا يد ان ينهار اما اليوم واما فى الغد ؟

والاخرى ما نهت عنه الشريعة باحاديث صحاح لامغمز فيها لغامز ! ولا يمكن ان يرد باعمال المتأخرين الالدين ! وحين يابى الاحياء ان يقفوا عند نهيا فان اروع المولى ليجار الى الله فى عليها ان لاتبقى متصلة ببذعة من البذع فجاءت الاعاصير الالغية ! والقواصف التفرميتية تؤمن على دعواتها فمالت على الجدران اسفلها هباء منشورا ! وما لاسس له فلا بد ان ينهار ! والمعدوم شرعا كالمعدوم حيا

اخلاق الاستاذ

كان الاستاذ كما رايت محفوظا فى كل ماتمسه يده ! وقد جعل الله الهمة فى عمره ! وانزل اليمن على عمله فبنى وائل وولد وعلم ! وكل ذلك فى التنى عشرة سنة منذ فارق المدرسة التانكرتية سنة ١٢٩١ هـ الى منتهى ١٣٠٢ هـ وقد كان الشيخ الوالد كثيرا ما يذكر ذلك ويجعله مضرب الامثال فى المعطوفين الذين اخذ الله بايديهم ! ووفقههم حتى فعلوا ثم بقيت افعالهم خالدة فاسمع ما قاله الوالد فى رحلته الحجازية حين ذكره للاستاذ على بن عبد الله خليفته فى المدرسة

متبعها شقيقه محمدا	من كان فى الهمة فردا او حدا
من يفعل الخير الذى قد فعله ؟	يعمل فى العمر القصير عمله

قد خلف الذي عليه يجري
لأنه اكرم من كريم
قد فاق بالجد والاجتهاد
فقاتهم وسلموا في السبق
وهو الذي قد شاد في بلدنا
وغرس العلم له تلامذة
وحبس الاحباس ثم خلفا
فهذه الثلاثة التي ذكر

في حال موته بغير ذكر
بأي عزم مقعد مقيم
اقرانه من زمن المهاد
من مثله في الغرب اوفى الشرق؟
مدرسة شادت له كل ثـ
عديدة لهم فهو نافذة
اولاده ينتجون الشرفا
لفاعل اجر بها وان قبر

وسمعت من الاخ المرحوم سيدى احمد : وكان ممن ينصف الرجال ولا يبعظهم حقوقهم : ان سيدى محمد بن عبد الله هو الذى اسس لآل سيدى صالح ما فرعوا فيه الى الان : وهم الان ديار متعددة : واسر شتى : قال وكل ما في ايدى هذه الاسر استحدثه الاستاذ في ايامه القصيرة : ثم لم يستحدث من الاملاك بعده عشر العشرات ثم يفيض سجلا من الثناء على الاستاذ : فصاحب الترجمة محفوظ من هذه الجهات افلا ترى ان ملاك ذلك كله اخلاقه ؟ افلا يكون ايضا محفوظا من جهتين ؟

فقد سمعت ان قضية كانت في يده لبعض اناس من آل دو كدير : فادلى بعضهم برسم زور : فرده الاستاذ : فاجتهد الآخر بكل ما في امكانه ان يقبله الاستاذ : والاستاذ يرده عليه ثم قلب له ظهر المجن : فصار يتوعده لعل ذلك يؤثر فيه فيقبل رسمه : فكان الاستاذ ازاء ذلك كحائط من فولاذ : لا يتأثر باى شئ : وهذه ناحية اخرى نعرفها من خلقه بهذه القضية :

وكذلك جرت له هو بنفسه نازلة مع سملاي : اشتهرت في ذلك الحين كل الاشتهار : فظهرت انه صلب الارادة ثبت حاذق لا تتمشى عليه الحيل : وذلك انه دابن سماليا في بعض المساجب بحبوب بثمر اكثر مما في السوق ثم اجله وللجل حظ من الثمن ثم لما اخصب الناس راغ السملاي : فقال انما ارد الحبوب بوجهها : فصار يدلى ببعض فتاو من فقهاء يفتونه بما ذكر فيها انه باع بالغلاء لمن كان مضطرا : في حين ان هذه ليست اخت تلك : فاستفتى هو بدوره علماء آخرين : وبيّن لهم ان هذا الانسان ذو املاك تدابن عليها : فافتوه بلزوم الثمن : ثم قام الرؤساء السملايون وهم يعرفون للاستاذ مكانته فالزموا ذلك الانسان ان يغرم : فالتجأ هذا الى رئيس ايلغ سيدى الحسين فارسل الى صاحب الترجمة ان ياتيه برسومه : لينظر اهى صحيحة ام لا : فارسلها اليه الاستاذ : فاعرض سيدى الحسين عن القضية : ومكن السملاي من الرسوم فاحرقها : ثم دالت الايام على سيدى الحسين : وقد حاصرت القبائل

اواخر ١٣٠٢ هـ او اواسط هذه السنة : فالتصل بامطار محمد المجاطي : فكان اول ما اشترطه عليه امطار محمد بين شروط ان ينصف الاستاذ ابن عبد الله في قضية : فارسل اليه في الحين : فقال له الاستاذ اعطني رسومي اولا : فقال له سيدى الحسين ان الرسوم قد احرقها المدين : ولكنى ساقف معك بغيرها : فقال له الاستاذ : مادمت تريد ان تتصلنى فالتى ايضا قول لك ان ماوصلك من الرسوم الما هي نسخ منقولة من الاصول : واما الاصول فمن الرسوم فهاهى ذى عندي : فعلت ذلك احتياطا فجعل سيدى الحسين دعوا هما في يد الاستاذ سيدى احمد بن ابراهيم السملاي العلامة الشهير : قال سيدى الحاج احمد اليزيدى فعرضى الاستاذ بن عبد الله وانا اذ ذاك بالانحصار : فصاحبنا فبتنا عند الاستاذ السملاي : فحكم بصحة دعوى الاستاذ والزم السملاي بالغرم : وكتب له بذلك فقال الاستاذ ابن عبد الله لسيدى الحاج احمد اليزيدى الذى كان واسطة بينهما : سل الاستاذ السملاي كم اجرته في القضية فقال له الآخر : مثل لا ياخذ من مثله اجرة : انما اجرة امثالك فيما بيننا هو التعاون على النوازل : والتناصر على احقاق الحق فيها وابطال الباطل :

هذه الحكاية تربنا نواحى شتى من اخلاق الاستاذ : فنرى منها انه لا يغلب ولا يهني هامة ولو لرئيس ايلغ الذى كانت له سطوة هائلة اذ ذاك ونرى ايضا احتياطة في الرسوم فادركنا انه ممن لا يخدع ولا يقع له بالشئ فهاهى نواح اخرى نعرفها زيادة على ما تقدم

والاستاذ لطرات صالحة : وقد راي من ولده استاذنا عبد الله وهو ابن اربع سنوات ما حمله على ان قال ان ابني هذا لجرى : فكان كذلك : فكانها السلف له ستر الغيب ومن اوتى العقل فقد اوتى الفراسة التامة : والتوسم في كل ما يعلن امامه (واتقوا فراسة المومن)

وكان رحمه الله في الدروس جهورى الصوت فصيحاً : حكى بعض سامعيه انه لم يبعد له ثانيا بعده : على ان لصنوه الاستاذ على فصاحة كذلك فخرى بها الامثال :

آثاره

لا ادري اى آثار اخرى ينتظرها القارىء عن الاستاذ : بعد ان راي في كل ما تقدم اعمالا خالدة : لا تصدر الا عن رجال عبقريين : فمثل الاستاذ الذى افرغ ايامه القصيرة في التعليم ينبئ ان تتطلب الآراء في صدور اصحابه : فما بعدهم له من الر : واما آثار قلعه فلما يتفرغ لها من كان مطوقا بمثل ما طوق به : فقد اظهرنى ولده استاذنا عبد الله حفظه الله انه كان مفتوح

ولكن كمال يتولى لوالده لادرجه الله في مدارج العرفان ؛ وجعله في عالم البرزخ
مطبوعا لكل فان يظهر لي اني نصرت في حقا ؛ ويستقل ما اخترت من طيب
العلوم في حقا ؛ فتفكرت في وجه يتحقق به كمالك ؛ وتحصل عما قريب ان
شاء الله آمالك ؛ فرايت السبيل الى ذلك هو كمال الادب والجد في الطلب
فهما شاهدان عدلان على استحقاق المدعى ؛ مايمد اليه يده ويدعى ؛ ولذلك
اوجبت عليك القيام بها ازيد من غيرك ؛ غير ملتفت الى سير غيرك في سيرك ؛
واذا علمت - اصلحك الله من انا ومن انت - تستقل كل ماجدت به بعد
واجب الادب ومننت ؛ واذا علمت ان جدك الصديق رضى الله عنه انما فاق
سائر المسلمين بالصدق الذي وفر في صدره ؛ من تعظيم النبي صلى الله عليه
وسلم وقدره حق قدره ؛ تبليج لك صباح الفلاح ؛ وتيسر لك في هذا الامر اعمال
الفلاح ؛ فتح الله منا ومنك البصائر وظهر بفضل العقيم الظواهر والسرائر
وهو حسبي ونعم الوكيل ولا حول ولا قوة الا بالله العلي العظيم ؛ والسلام عليكم

من هذه الرسائل ومن نفسها ؛ تفهم ايها القارىء نفسية الاستاذ وكيف
الربيه ؛ وكيف احترامه لاشياخه ؛ وكيف نظرتة الى جميع المسلمين ؛ وكيف
يحب من التلاميذ ان تكون نظرتهم الى ما بينهم والى سواهم ؛ وامورا كثيرة ربما
لقد فهمها مما تقدم ؛ فرحم الله الاستاذ الذي وان كان تيجاني المشرب على يد
الشيخ سيدى الحاج الحسين الافرانى ؛ لايعرف للتعصب لذلك معنى ؛ وقد
رايت في ورقات الفتوح فيها والذي كتابا في شيخه سيدى سعيد ابن همو ؛
ذكر فيها ان صاحب الترجمة هو الذى حثه على تالفه ؛ وسماه له (المبدى -
المعبد في ذكر الشيخ سيدى سعيد) فمن ذلك ترى اولئك الرجال يعرف كل
منهم لآخيه فضله ولايعرف الفضل لاهل الفضل الا ذويه

واما آثاره الشعرية ؛ فكثير منها شعر الفقهاء كما قاله استاذنا سيدى
الطاهر الافرانى فلنسق منها ماتاتى لنا ؛ وامكن ان يقبله الادباء .

فمن ذلك قطعة حائية وقفت عليها بين اوراق للفقيه سيدى الحسن
التياسينتى يخاطب بها استاذه سيدى محمد بن ابراهيم ؛ ويتشوق الى افران
(وفيها بعض اصلاح لبعض الالفين) :

اذا صاحب من افران ربح	هفا بالقلب من صدرى جنوح
يشم بها اربعا من حماهم	فيبدو منه نحوهم جموح
فاصبر ما اطيع فيرتضى بسى	تفكرهم فازفر او اصيبح
ابيت على التملل في فراشى	كان الجسم عمته جروح
وذلك كله من اجل شوقى	الى من وجهه الاسنى صبيح
ابى الثانى وشيخى من حبانى	فاغدو في جداه كما اروح
محمد نجل ابراهيم مجده	عظيم من ابى بكر صريح

الآثر بالسيادة واراداهما
لادنا بالعلوم وليس يقدو
جزاء الله ما يجزى عليهما
له عمل بمعلمه صحيح

وقال ايضا يخاطب سنوه الاستاذ على بن عبد الله وهو اذ ذاك صغير
بعد ما كتب اليه اخوه هذا ماله :

الحمد لله فان ظهر لسيدى ان يتصدق على بربع رطل من السكر فحيلا
فقد جاء الى سيدى محمد اليزيدى ؛ ولم يجده عندي

على بن عبد الله

فاجابه : الحمد لله وصل الله وسلم على سيدنا محمد وآله وصحبه اسلام
الله على كاتب الحروف اعلاه ؛ وقرب بها زعمه وطره وادناه

وبعد ؛ فها هذا الجفا مع الواسطة العظمى صلى الله عليه وسلم وعلى آله
بعد الصلاة عليه ؛ فسيحان من خلق اقواما للفظاظلة والجفاء ؛ وخيلتهم ظنونهم
ذلك الصلح من عدم المداينة واظهار الوفاء ؛ كلا ان الادب مفتاح كل وزامه ؛
والله صلى الله عليه وسلم اعظم العالم آدمى وامامه ؛ (لقد كان لك في رسول
الله اسوة حسنة) والسلام عليكم

مداعبة

فسارة ذو سرقة	وتارة ذو درقة
وحيث غيب طرقه	بعث نحوى ورققة
وقصد بكل ذ	اك ان يصون ورقه

وكتب اليه ايضا :

سلام عليك يا غل الشقيق والنس
قد يراك ان العلم حصن وسائس
ومفتاح هذا الحصن فيما علمته
وجنقه الرحمن عند الاخ الحصنى

ومن شعره ايضا :

اذا الله اودع الانامل حكمة
بعد حروف من قصور جزاؤها
بوضع السطور فالعطية جلست
بجنة عدن سلها حيث ملت

وبعث الى تلاميذه وهم سبعة وقد سمعهم افتتحوا الدرس بالصلاة على
النبي صلى الله عليه وسلم ؛ كما هي عادة الشيخ ابن ناصر ومن اقتفى اثره ؛
باسبعة من سعد سبعة جمعهم
ظفروا بامر نعم ما الامر
فتحو الندى بذكر من لو جال في
صخر الجنادل دكت الصخر
تلك الصلاة على النبي فياها
من لذة لم تحكها الخمر

وقال يحسن تلاميذه على الاعتناء بالمقامات الحريرية ؛ ويصلها لهم ؛
ويدكر ان من فاز بفهمها يسهل عليه قول الشعر ؛

اذا رمت نظاما مقفى محبرا
فزودوا مقامات الحريري على الوسع
فان الذى قد فاز من فهم ما بها
سيترع فى اشعاره اسهل النزع

وقال يخاطب نداماه على الشراب ؛

انشثوا يا خير قوم
ادب المجلس شعر
عجبا كيف حشرتكم
ان كاسا دون شعر
ولكم ارجو من الله
ملحا اذ ما حشرتكم
طبق معنى ما نشرتم
ولشرب الكاس حشرتكم
حتفل لو قد صبرتكم
هـ مناكم ان صبرتكم

وكتب على نسخة التصريح فى آخرها ؛

انعت فى تملك التصريح
بالله فاحفظه امن تملكه
واجعل الاهى من الاولاد
نفسى وما اجمعه وروحى
من بعد ربه ولازم مسلكه
مالكه او اخوتى فى النادى

وقال ايضا ؛

تكلف الاسفار للاوطار
من عادة الاكياس فى الرجال
فى شدة الحر وفى الامطار
بشرط ان تكون فى الحلال

وكتب الى الشيخ الوالد ؛ وهو اذ ذاك على قدم التجريد فساح مرة ؛
فاذ رجع الى البلد كتب اليه ما نصه ؛

سلام كما المسك والعنبر
على من له فى ابتدا سيره
ابى حسن من بغرته انى
ارانى الزمان بشاشته
والبسني حلة طرزهـا
الى آخرها
على من بادران وصم بر
مهابة عال على المنبر
كسار بقلبي لم يجبر
بوصلكم الا برك الاكبر
سلاما سلاما على المخير

هذه نماذج من اشعار الاستاذ ؛ وقد اعتنى بجمع غالبها تلميذه سيدى
العزبى الساموكنى فى كراسة صغيرة مع مقطعات مما قاله لآخيه الاستاذ
على فى بدايته

الآخذون عنه

(١) الاستاذ الطاهرى بن محمد الافرانى

- (٢) سيدى ابراهيم بن محمد ابن عم المتقدم
- (٣) الاستاذ العربى الساموكنى
- (٤) الاستاذ ابو القاسم التاجار مولى
- (٥) الاستاذ محمد بن الحاج الافرانى
- (٦) صليو الحسن ابن الحاج
- (٧) الاستاذ الحسين الناطاروسنى
- (٨) الاستاذ المكي اليزيدى
- (٩) ابن عمه الاستاذ محمد بن عبد الله اليزيدى الكبير
- (١٠) سيدى الطيب الركبى
- (١١) الفقيه سيدى احمد الصمامى
- (١٢) سيدى الحسن بن عبد الله السمالى
- (١٣) سيدى محمد بن ابراهيم الاخصاصى خديمه
- (١٤) سيدى محمد بن الحسين البعمرانى
- (١٥) سيدى علي الامر حسينى
- (١٦) سيدى الحسن بن ابى بكر الاغوديدى
- (١٧) الفقيه سيدى الحسن التياستى
- (١٨) سيدى مبارك النافىشتى
- (١٩) سيدى الحاج بلقاسم الزاوى
- (٢٠) سيدى محمد بن اليزيد السمالى
- (٢١) سيدى محمد بن الحسن الكسالى
- (٢٢) اخوه الاستاذ سيدى علي بن عبد الله
- (٢٣) سيدى سعيد الاعطيانى
- (٢٤) العم ابراهيم بن احمد
- (٢٥) الاستاذ سعيد بن عبد المومن
- (٢٦) سيدى ابوبكر الاكيوازى
- (٢٧) الاستاذ المولى الماسى
- (٢٨) الاستاذ عبد الله باولا

فهؤلاء من استعصمهم العم ابراهيم ؛ وهنالك من ربما نسيناه وغالسيب
هؤلاء اخذوا عنه فى متعلباته ؛ ثم انتهوا الى المدرسة الالفية التى تولاها بعد
هذا الاستاذ اخوه على فلازموه ايضا حتى تخرجوا مع عشرات آخرين ابراهيم
فى ترجمة الاستاذ علي بن عبد الله ان شاء الله ؛ ولاستثنى الا اثنين منهم
هما اللذان لم يأخذوا عنه الا فى المدرسة البومرواية سيدى محمد بن اليزيد
السمالى ؛ وسيدى محمد بن الحسن الكسالى ؛ وهؤلاء كلهم فقهائهم وان كانوا
متفاوتين فى درجات التحصيل ؛ وسرى ان شاء الله فى ترجمة كل واحد

غوره ! وفي النار ان وجدناها كيف نزعها ! والله يسر ولا يعسر
 ثم اننا لم نسردها الا اكابر اصحابه الذين يستحقون ان ينسبوا له
 والنقاية المختارة ! الا ما كان من محمد بن ابراهيم الاخصاصي وسيدى عبدالله
 باولا ! والحاج بلقاسم فانهم ليسوا من النقاية ! وانما ذكرناهم لانهم الفيون
 واما نخالة المدرسة وذلك الطغام البليد الذي لا تخلو منه اية مدرسة فلا تعرض
 لهم بذكر ! ولا تشغل انفسنا حتى بالتفكير فيهم ! لان من فتح له باب المجد
 على مصراعيه ! ثم لم يلج فيه ! او اتحت له اجنحة يحلق بها في مناط النجوم
 ثم قصر بنفسه فاحر به ان ينسى اليوم كما نسي نفسه بالامس (فاليوم ننساكم
 كما نسينم لقاء يومكم هذا) وهل التاريخ الا يوم العرض الاول الذي يسبق
 يوم العرض الاكبر ؟

اذا ما اهان امره نفسه فلاكرم الله من يكرمه
 ثم ان الاستاذ صاحب الترجمة اعقب من الذكور ثلاثة احمد وعبد الله
 وعبد الرحمن وكلهم ممن حمل تراثه واسترى تراجهم امامك ان شاء الله .

عن أبي

ثم اقف له على مرآة من تلاميذه ! الا مرثية رفيقه الشيخ الوالد الذي
 اقلها من خطه مع ماصدرها به ! ونص ذلك باختصار :

وبعد ، فهذا رثاء لعلامة زمانه . ورافع راية الدراية في اوانه . الفقيه
 الشبه . الاخر النزيه الابن ابي عبد الله سيدى محمد بن عبد الله بن صالح
 بزاية (تحت الحصن) بالغ . قد قلته حين اصبنا برؤية فقدته وذهب ربنا بعده

فمن للعلا وللمحاسن والوفاء
 وللرفد والارشاد والقصد والندى
 وللغوص في بحر العلوم بفلكتها
 وللسقى في النادى الندامى بديهة
 يمل الندامى ما هداه وانه
 فنفس عصام سودته وعلمت
 لتبك عيوننا الفقيه محمدا
 وكيف وقد بدا بمجياه للورى
 ومن بعده بدت غياهب ظلمة
 فلولا على صنوه وشقيقه

(١) مأخوذ من قول الشاعر .

تمل الندامى ماعداني فاننى

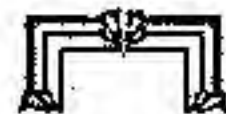
(٢) نفس عصام سودت عصاما

بكل الذى يهوى نديمى مولع
 وعلمته الكر والاقدام

الثابت بنا الاحزان من كل وجهة
 وابرز للالام شمسا وقذوة
 فبشقى صدور المؤمنين بنوره
 فمن شاء فليومن ومن شاء فليكفر
 ايارب لوره شيا بلا خلفا
 وسرا وترياقا لخيلا لهم شلى (١)
 لما فيه من اسرار ربه والشفا
 فذا القول قول الحق حقا من الشفا

قوله المؤرخ سيدى علي بن الحبيب فيه

ومنهم الفقيه العلامة سيدى محمد بن عبد الله الالفى امام عارف معترف
 له بالبلغة والبراعة مع نفس عصاية وفكرة اياسية . حافظ للترتبة . ادبا
 ومروءة . ال رواية كثيرة . مشارك في فنون . من فقه وعربية وادب . انتفع
 به خلق كثير في وجهته وهو اول من اختط المدرسة العلمية ببلده . فعملها
 بالواقع التدريس الى ان اشتهرت واشتهر تلاميذها . مستفتى في المشكلات
 لصلته الرب العالية ! فاعترف بارشاده الخاص والعام . (ومن يساجل
 صوب العارض الهطل) علما وحلما .



(١) الالام كالا سباب . لغة لى الالام : كالا سحاب

الشيخ الحاج علي الدرقاوي

نحو ١٢٦٨ = ١٢٢٨-١٢٢٨ هـ

نسبه

علي بن احمد بن محمد بن احمد بن محمد بن سعيد بن محمد بن احمد
ابن عبدالله بن سعيد .

هذا هو والدي الذي بسببه خرجت من العدم الى الوجود ؛ وله علي - كوالد - واجبات تحتم علي ان اؤدي حقها ؛ وما هو اؤكد الواجبات علي الانسان ان لم يكن حقوق الآباء علي الابناء ولكنه يصعب مع ذلك علي من اراد ان يتحرى الحق في مثل هذا المقام ؛ ان يذكر لابييه كل ما يعرفه كل معاصر له قبل ان يعرفه هو من شيوخ مجد ؛ ونباهة ذكر ؛ ان يجد بين يديه - امام من حجب اليهم السقاء كل شي - مسلكا يخرج منه سالما ؛ لانه اما ان يطنب واما ان يوجز وكلاهما شطط عند بعض الناس ؛ فالطنبون يتهمون بالتحيز ؛ والاشادة بمعال يؤول اليهم فخرها ؛ ويصيرون كأنما يجرون النار الي قرصهم - كما يقولون - بل يقال لهم مادح نفسه بقرئك السلام ؛ والموجزون يتهمون عند قوم آخرين بالعقوق وغمط والديهم واسلافهم ماكانوا هم اعرف الناس به ؛ ولذلك يسلك من يسلك هذه الطريقة عقبة كاداء صعودا قلما ينفذ فيها نافذ الا ارضى قوما واستخط آخرين ؛ خصوصا في هذا العصر الذي افتضحت فيه طرق التصوف بكثرة الكذابين الافاكين ؛ الذين اطالوا الاكمام وأرسلوا العذبات ؛ وادعوا مالم يكن لا للخليل ولا للكليم .

كيف يمكن اليوم لمثلي ان يجلو علي انظار هذا العصر صفحة نقية من التصوف الخالي من الرياء والشعوذة والافك والبهتان ؛ كما يعرف به كل الناس الشيخ الوالد رحمه الله ؛ ثم يجد من ينصف ويزن بالقسطاس المستقيم ويتأني حتى يدرك معي ما ادركته ؛ قبل ان يخزني بحمة عدله ؛ او يصل الي والي من ارسل في ترجمته يراعي بنبله ؛ فان هذا العصر وأهله خلقوا من العجلة ومن السير السريع ؛ واقتبست عقولهم من سرعة السيارة والطيارة ؛ فصاروا يحكمون لاول نظرة ؛ ثم لا يتهمون أنفسهم في احكامهم ؛ وان اتيتهم بعد ذلك بالف دليل وبرهان .

لكني رغم كل هذا اقدم علي ترجمة هذا الصوفي الكبير ؛ فامشي رويدا رويدا ؛ واستقرى حياته من عهد بالهد ؛ الي ان ووري في اللحد وساؤيد ما

اسوقه باستقصائه واستقالته من اصلي مواعده ؛ وساجعل نفسي حرا فيما اقول ؛ واجهر بالحقيقة التي اعرفها رضي من رضي وخط من خط ؛ جهر من يقول ما عرفه كما عرفه من غير مجمعة ولا لورية .

انني الان كمؤرخ يجب علي ان اصنع بالذي اعلمه ؛ واشيد به للتاريخ فاوجز ان اقتصي المقام الايجاز ؛ واطنب ان استدعي الحال الاطناب ؛ واجعل في ذلك رائدي ضميرا ابيا حرا لا يغمط الحقائق خوف ان يتهم بالتحيز ؛ ولا يقبل كل ما يحشره من يعرف بما لا يعرف الا بتثبت وتبصر وتأن ؛ ووزن بميزان العقل الذي فضل الله به ابن آدم ؛ ثم ما قصر عنه عقلي ؛ واعترفت فيما بيني وبين نفسي ان يدي تقصر دونه ؛ فاني اسوقه ان ثبت عندي وقوعه فادعه بين يدي القاري ؛ فله ان يقبله وله ان يرده ؛ ورضي الناس غاية لا تدرك .

ثم انه يجب علي كل مؤرخ ان لا يهتبل بآراء بعض ابناء هذا العصر من سداد الافكار الذين يابى لهم حولهم الا ان يجعلوا تخيلا كل ما راوه شيئين اثنين ثم لا يزالون يترددون بينهما حتى تضيق الحقائق ؛ وتشتبه السبل فان هؤلاء من انصاف العقلاء الذين لا ينبغي اعتبارهم ؛ وان كانوا يتوهمون عند أنفسهم انهم وحدهم عقلاء العالم .

هالذا اقدم اقدام من يقول مايعلم ؛ ويصيح به علي اسلات اليراع التي هي ابلغ ايصالا من الواحي ؛ لانها توصل ما اودعته في كل زمان وان تطاول علي حين ان الواحي لا يتجاوز آئه ؛ وانا معتصم بحول الله وقوته ؛ ومستوكل عليهما في توفيقي فيما انا قائله ؛ ومتحرى الحق فيه جهدي ؛ والله هو المطلع والالاف من الناس الذين يعرفون ما اعرف بكل ما ا قوله شاهدون ؛ ومن قال ما علم فما عليه من ملام .

ثم اعلن بكل صراحة انني ممن يؤمنون بالروحيات وبوجود ما وراء المادة واومن بتطور الروح حتى لتجسم ؛ واومن بان الكرامات والكشف المشهورات امس عند صوفيتنا اخوات ما يشبه العلم الحديث اليوم من استحضار الارواح وتسخيها ؛ حتى انها لتوزن وتصور ؛ وتاتي باشياء من بعيد في لمحة الطرف ومن لا يؤمن بما عند صوفيتنا امس ولا بما اثبتته العلم الحديث اليوم ؛ فليول هنا وجهه بسلام ؛ فما بعد الحق الا الضلال ؛ فليس في مسلاختنا ولنسنا في مسلاخه فقد ضرب بيننا وبينه حجاب مستور ؛ وانما قلت هذا لاعلن مذهبي كي استريح من ناس ضيقى الحواصل يريدون ان يجعلوا الاسلام ماديًا متعجرا سامحهم الله .

وضع الولادة

هجا ان من الناس من تكون الخطوة الاول من خطواتهم في هذه الحياة

فلانة من الفلانات ! فتبدو كرمز الى ان هذه الخطوة صدرت عن انسان غريب وان حياته ستكون كلها غريبة ! فان كانت لا تدرك غرابة تلك الخطوة الاولى بادىء ذي بدء كشيء يلفت الانظار ! ويغيب المعجب ! فان صاحبها لا يلبس ثياب يجيش بعد بسيل مائج من العجائب فتتبع العيون كل ما يتصل به قبل ! حتى تنتهي الى تلك الخطوة وما يحيط بها ! فتتجسم تحت نظره المبهور ! باثار صاحبها فينالها حظها من المعجب .

كان في الغ في عصر واحد : عظيمان كلاهما اسمه علي وكلاهما يقوم بعمل عظيم لا يقوم به الاخر ! فاحدهما الاستاذ علي بن عبدالله الذي ستقرأ في ترجمتهما نقراً : فتوقن انه من اعظم الرجال ! فلما تسمع البوادي بمثله وثانيهما صاحب هذه الترجمة : وسترى امامك ماستقف ازاء مشدوها ! وقد ذهب بك الاعجاب كل مذهب فكان من اغرب الصدف ان كليهما ولدته امه في مهمه قفر في جنوبي الخ : يتخذ منتجعاً للغنم في فصل الربيع : فتتبع نساء الاسر غنمهن يمحضن ويقمن بما يحتاج اليه الرعاء : فالاستاذ علي بن عبد الله نفسها به والدته في محل هناك يسمى تارين : وصاحب الترجمة ادرك امه الطلق في جانب آخر يسمى وينكرماضن هكذا تمخضت كل واحدة من (رقية) والسدة الاستاذ : وتأكدوا والدته صاحب الترجمة بما تحسبهما الحواضر ولدين عاديين : قد يعيشان وقد تميل بهما شعوب وهما بعد في المهادر : ومن ذا يعرف الا الله اذ ذاك ان ابن تارين سيكون من اعظم العلماء الادباء الذين سيفجرون من بحور العلم والادب ما تزرخر به الخ وما اليها : وان ابن وينكرماضن سيتكشف عن اعظم رجل مرشد ترفرف على هامته الوية الشهرة الخفاقة ويهتدى به آلاف مؤلفة من الناس : ويتدفق به الى الخ من المريدين وطلاب الوصول الى معرفة الله طوائف اثر طوائف : تموج بهم الطرقات : ما بين وادي نون الى درعة الى الحمراء الى الصويرة فهكذا تسقط حبة من يد انسان : فتدوسها رجلاه : فيجتمع عليها الثرى ثم تمسها بلة من ندى : فترسل من جذورها الرقيقة ما لاتزال تسمو به حتى تستحيل سرحة فينانة ملتفة الافنان : متسعة الظلال يتفياها في الهواجر اللوافج كل من احرقته (صكة عمى)

في الكتاب

كان والد صاحب الترجمة سيدي احمد بن محمد اميا : ولكن جده محمد ابن احمد كان من حفظة كتاب الله : فكان هو القيم على حفيده فكان اذا رجع من المسجد وفيه اذ ذاك الاستاذ سيدي بلقاسم فكان الذي تخرج به قبل ذلك الاستاذ محمد بن عبد الله في دارهم يكرر له سورة وقلما يدره كما يذكر العم ابراهيم يكثر اللعب : فهذه تخرج في القرآن : وعليهما جوده فمما روى عن صاحب الترجمة اذ ذاك ما حكاه احد رجال قريتنا : قال كنا نجلس في الممر

الصغير الذي هو مدخل مسجدنا فيمر بنا التلاميذ ! فكانا لنصاحك عليهم والقول لهم اعطونا من خبركم لندعو لكم بما اردتم ! فقال لنا سيدي علي بن احمد يوما ادعوا لي انا ان اكون شيخا كبير المقام ! قال فتعجبنا مما قال ! وما كنا ندرك مدلولاً لما اقترحه لاننا لم نعرف في بلادنا مثل ما يقول ثم ما انقضى كسر الفداء ومر العشي ! حتى شاهدناه شيخا كبير المقام ! فكانت امال الصبا واحلام الفجر صادقة في دور الرجولة عند متوع النهار .

في مدرسة تانالت

كان الاستاذ سيدي محمد بن بلقاسم اليزيدي يمت الى النبا برحم ! لاهم احواله : فكان اذ ذاك مشهورا بالتدريس في مختلف المدارس : فحين استتم صاحب الترجمة حفظ القرآن رات اسرته ان تسير بابنها في الطريق التي تسير فيها الاسرة الصالحة بابنها محمد بن عبد الله : فانها ارسلته لتعلم الدين كما يطلقه عوامنا على العلم في المدرسة : فترسل هذه كذلك ابنتها الى المدرسة وقد اختارت المدرسة التي فيها ذلك الاستاذ الذي يعلمون منه انه سيقوم بابنتهم احسن قيام : فكانت لهذه المنافسة المحمودودة نتيجة عظيمة : وعقبى يالها من عقبى واذا اراد الله ببلد خيرا تنافس اهله في العمل الصالح : وفي مثل ذلك فليتنافس المتنافسون .

في مدرسة المولود

كانت السنة التي التحق فيها صاحب الترجمة بتلك المدرسة هي ١٢٨٢ هـ وفي السنة التي بعدها انتقل الاستاذ بطلبته الى هذه المدرسة الاخرى ! وهو قبل اقباله المعروف على تلميذه الجديد : يتدرج به في مدارج المبتدئين ! وهو اذ ذاك دون بلوغ ! ولكنه حببت اليه العبادة منذ ذلك الطور فقد حدث عن نفسه انه كان وهو في تلك المدرسة : ينتقل احيانا الى مشهد سيدي الحاج يسري الصالح الشهير المتوفى عام ٨٨٨ هـ ويبعد قليلا عن المدرسة : فيتهجد فيه ! فطلبته عينه يوما فوقف عليه رجل مهيب مستنير : تشع منه الانوار : فقال له تعرفني ! فقال له لا فقال انا محمد بن عبد الله رسول الله : فقال له بماذا اعرفك يا سيدي ! فقال له تعرفني بان الظل لا يتراعى لجسدي : قال فكانت هذه اول مرة رايت فيها رسول الله صلى الله عليه وسلم .

في مدرسة تازروالت

مكث يوما الاستاذ سيدي محمد بن بلقاسم في المدرسة المولودية ! اذا باعوان الرئيس الايلي سيدي الحسين بن هاشم اوصلوا اليه استدعاء الى الشارطة في مدرسة تازروالت ! وكان هذا الرئيس اذ ذاك ذا شوكة وهيبة لا يمكن

معهما الخروج عن رايه ؛ فانتقل الأستاذ ومعه تلاميذه كلهم ؛ ومن بينهم تلميذه الجديد ؛ ومن بينهم ايضا سيدي عمر الاكضيبي ؛ وسيدي ابراهيم بن صالح اللذان صاروا بعد ذلك من اصحاب صاحب الترجمة حدثني الاخير منهما فاه لاذني ان من عادة صاحب الترجمة في المدرسة التازروالتية ؛ ان يصاحبه كل عشية بعد العشاء ونوم الناس الى مشهد الشيخ سيدي احمد بن موسى ؛ قال فانام انا ويبيت هو في التهجد ؛ قال وكان اذ ذاك مراهما وحدث سيدي عمر الاكضيبي ان سيدي ابراهيم بن صالح كان له تقدم اذ ذاك في المعلومات ؛ لانه كان سبق الى الاخذ بسنوات ؛ وسترى ذلك في ترجمته في (القسم الرابع) ان شاء الله فكان يعيد الانصبه (اي الدروس) لسيدي علي ابن احمد ؛ يعني صاحب الترجمة .

هذا كل مانعرفه عنه هناك في تازروالت ؛ وكفى بذلك دليلا على ما يبحث عنه فيه وهو بتلك السن ؛ حيث تمضي عنه الحلقة الاولى في التعلم .

في مدرسة تانكرت

لامر ما فارق الأستاذ اليزيدي تلك المدرسة ؛ ورجع الى داره فترق تلاميذه فالتحق سيدي الحاج احمد اليزيدي ؛ وسيدي ابراهيم بن صالح ؛ وسيدي عمر الاكضيبي بالمدرسة الادوية ؛ واما صاحب الترجمة فقد راي اهله ان يلتحق بابني عميه سيدي محمد بن عبد الله وسيدي الحسن النياسينتي في تانكرت ليستعين بعضهم ببعض ؛ فنزل في تلك المدرسة في بيت مع شرفاء من اولاد سيدي احمد بن موسى ؛ كانوا ثمانية اخوة دفع بهم جميعا والدهم الى المدرسة ؛ واحدهم هو الأستاذ سيدي عمر الشير ؛ وسيدكر ان شاء الله مع علماء اهله في (القسم الرابع) فتوى هناك صاحب الترجمة من عام ١٢٨٦ هـ الى عام ١٢٨٩ هـ فلاحظ انه الان شاد فيما يخله ؛ قد تفتحت قريخته فاقبل اقبال النهم الجشع على مختلف الفنون يلتهمها ؛ ولكن انزواءه عن الناس وانقباضه عن المجتمعات في زيادة ؛ وميله الى ماتشوق اليه روحه مما خلق له لم يزل في نمو وقد تلقن اذ ذاك الطريقة الناصرية من بعض المقدمين فيها ؛ ولا أدري من هو وانما ذكر ذلك في بعض رسائله استطرادا ؛ وكثيرا ما اتوهم انه الشيخ سيدي المدني الناصري الذي يجاور تلك المدرسة وقد كان المترجم ممن يحضر مجالسه في الصلاة على النبي صلى الله عليه وسلم .

في يوم من الايام اجتمع الطلبة بالمدرسة ؛ فقالوا الامن يقيم لنا حفلة فنندعو له بما اراد ؛ فاقامها لهم صاحب الترجمة ؛ وابن عمه الأستاذ سيدي محمد بن عبد الله والقائد سعيد المجاطي وقد كان هناك اذ ذاك يتلقى القرآن فسأل الطلبة كل واحد عن منيته ليدعوا له بها ؛ فاما صاحب الترجمة فذكر لهم مايدل على مقام عال في معرفة الله ؛ وقد انسييت العبارة التي تلفظ بها ؛ ولكنها تنحو هذا المنحى ؛ واما الأستاذ سيدي محمد بن عبد الله فقد ذكر مقام

الشفوف بالعلم والتفوق على الاقران به ؛ واما سعيد بن اطار محمد المجاطي فقال اني اطلب ان اكون قائدا على مجاط ؛ فسبق في القدر ان نلذ السهم فاستجبت الدعوة ؛ فقال كل واحد منهم مافي سميره ؛ هذه حكاية مشهورة متداولة الى الان .

بلاقاته بالشيخ سيدي سعيد المدري الدرقاوي

كان منبع الطريقة الدرقاوية من شيخها مولاي العربي الدرقاوي الشهم توفي عام ١٢٣٩ هـ ؛ فتخرج به كثيرون ممن لهم شهرة طالسة كالحيراني والهوريزي والملاي والدباغ والبدوي ؛ ومنهم لاشهرة لهم مع انهم من كبار اصحابه ؛ ومن بين هؤلاء الاخيرين الشيخ سيدي احمد بن عبد الله المراكشي صاحب الزاوية الشهيرة بازبض بمراكش ؛ وقد توفي في نحو عام ١٢٧٠ هـ فهذا تخرج مشايخ سوسيون ؛ وفي مقدمتهم الشيخ سيدي سعيد بن عمرو المدري الامي الذي تفجرت منه اسرار جلبت اليه كثيرا من علماء وقته ؛ كسيد الحاج الحسن التاموديزي ؛ وسيدي الحسن التيملي دفين قرية ارازان براس الولاية ؛ وسيدي خالد من افلاوكنس ؛ وسيدي الحاج احمد اليزيدي ؛ وسيدي الحاج صالح الاكماري وسيدي الطيب بن خالد الاكماري ومحمد بن احمد بن عبد الله المراكشي ومحمد بن احمد بن الحسين الكريفي والعلامة ابي فارس الازوري ؛ والحاج محمد البوزاكارني ؛ وسيدي محمد بن المظبوط الزمامسي ؛ وسيدي محمد بن ابراهيم الاقراني مدرس مدرسة تانكرت التي فيها الان صاحب الترجمة ؛ وغيرهم ممن سذكهم ان شاء الله في تراجمهم او نستطردهم في تراجمهم ؛ وكان من عادته ان يتتبع البلاد بالسياحة فيرشد العباد ويهتد الغافلين ؛ وكان من بين البلاد التي يطرقها بلد تانكرت ؛ فقد رايت ان عالما الاقراني من اجل اصحابه المعتنقين لطريقته .

حدث صاحب الترجمة عن نفسه قال مررت انا وصاحب لي بالشيخ سيدي سعيد ونحن فارغوا البال ؛ ولم نخرج اليه ؛ وهو جالس في مكان مشيد من الطريق فرأيناه يعد اليينا بصره ؛ فذهبنا لحال سبيلنا ؛ ثم في العشي سألنا اليه سائل السعد فاخلدنا عنه الطريقة ؛ فقال لي بعد ذلك ان تلك النظرة الاولى هي التي فيها ما فيها ؛ ثم حدث من كان جالسا مع الشيخ سيدي سعيد حين مر به صاحب الترجمة مع صاحبه اذ ذاك فقال ان الشيخ اتبعهما بصره مليا ثم قال ان هذه الذات نيرة ؛ فما اليها بسر معرفة الله تعالى ؛ وفي بعض رسائل المترجم مالهه ؛

(وقد كنت حين لقني شيخا مستغرقا فيه في الذكر من ذلك الوقت قبل قيامي من بين يديه وبعد ؛ وليس لي شغل سواه قياما وقعودا وعلى جلبي حتى اني لا اقدر ان اطعمه حتى في حال الاكل الى ان صار خادما من غير ارادتي

ثم لم يعش عن صاحب الترجمة الا ثلاثة ايام مع شيخه في بعض قري
لأنكرت ؛ حتى اصابه ما يسميه الصوفية في اصطلاحهم بالجذب ؛ قالوا
يعترى من فاجأ روحه ما لم تستانس به بعد ؛ فتغمره موجة تياره فيفان على عقله
فلازمه ذلك ايما وقد فقد شعوره ؛ وانقطع عن الاكل والشرب ؛ واذا العقه من
معه شيئا من الحليب ؛ لا يلبث ان يجيش فيقذفه ؛ وقد غلبت الحرارة على
بدنه حتى انهم يفتسونه في نطفية ماء بارد ؛ ثم لا يزيد ذلك الا التهابا ؛ ثم
بعد لاي افاق من غشيته ؛ واسترد شعوره ؛ فصار الكون كله - كما قال - امام
عينيه هباء في هباء وقد ألم بهذا كله في بعض رسائله ؛ كما ألم به ايضا في
رحلته الحجازية اذ قال فيها :

على شفا يورثني الشقاوة
يهدى الى معرفة الجليل
في نيل معرفته الكمال
لدى والنقصان والكمال
بالله والوصاف والاحوال
والقلب منى واله حيران
هذا وكان المبدى المعيدا
يرقى بنا لحضرة الاله
وردني عن سائر النفور
بذر لكل ما لديه قصدا
عنها فقال : ليس غير هدى
ترقى الى حضرة ربنا العلى
فلهجت نفسي برى ذكره
فيما يرى برؤية والرؤيا
ماوى ولا عن حسنه ملاهى
لكونها عن مقصدي عوائقى

قد كنت في غياهب القباوة
وكنيت صديان الى دليل
يجلو لي القلب لكى انالا
فيستوى الجلال والجمال
وتصبح الاقوال والافعال
بيننا فؤادى نحوه صديان
اذ قبض الله لنا سعيدا
فكان اخذا بنا لله
فكان لي القبلة في الامور
بنظرة اولى لديه شهدا
اخبرني بعيد الاستحواذ
فهكذا نسمع : نظرة الولي
تركت ماسوى الاله جهرا
وقبحت عندي ملاح الدنيا
وليس لي في غير ذات الله
فصلت عنى سائر العلائق
الى ان قال :

الى وصول خالق العباد
ومن غيوت النفس والاسقام
من التانس برب الكل
بشبه ولا بفهم منكما

ولم يزل بنا على الارشاد
فزال ما بنا من الآلام
ورجعت ارواحنا للاصل
ولذة الحضرة ليست تحكى
الى آخر ما قال

وقال ايضا في رسالته المسماة «عقد الجمان» في ذلك مانعه :

لما من الله علينا بملائكة شيخنا الاسعد ؛ وقبولنا الاوحد ؛ امام العارفين
الواج الواصلين ؛ سيدى سعيد بن محمد السلال طينا ؛ والمعدى وطنا بالاء
قاسة قدس الله روحه في اهل عليين ؛ واخذنا عنه الطريقة الدرقاوية السالكية
فلبث قلوبنا فلم تر ما يملأ اعيننا في الدنيا الا معناء وذكره ؛ وبعد ما اخذت عنه
الورد بثلاثة ايام او اربعة ؛ حصل لي مقام الفناء والجذب اوسرى سر الله في
ذاتي وروحي قلبا وقالبا ؛ ولما وقع ما وقع مما لم اره من سر الله ؛ ذهبت
وهذه عظيمة وفلت ما هذا ولكن ادركنى الله بالشيخ كان في قربنا ؛ فوصلته
فمر على الحال ؛ ولكن لما التقيت معه زاد على ما بي حتى انى لا يطيق ان اسمع الله
ورسوله صل الله عليه وسلم الا وذاتى تتمزق ؛ فلم اشعر بشى ؛ يلهينى عن ذكر
هيبى واجتمع عندي في ثلاثة ايام والحمد لله ما لا يجتمع بعبادة اعوام عديدة
امر الله العارف بالله الذى التقينا به ؛ فانا نعمل اعمالا عديدة ومجاهدة اكثر
مما عملنا معه ؛ من زيارة الصالحين الاحياء والاموات ؛ ولكن لم يشف ما بنا الا
بملاقاته في اقرب مدة واقل عدة ؛ لان العارفين بالله هم الاكسبر الحقيقى
والنعماء من التلى معهم لم يحتج الى كثرة عمل وتعبد ومن لم يلتق معهم فكمن
يفر في الحديد البارد ؛ يعنى ولا يقضى حاجته ؛ ولا يصل اليهم الا من اراد
الله ان يوصله اليه انتهى المقصود

في رعايا شيخنا المعدي

ان كل من لم يخالف هؤلاء الصوفية ولم يعرف اذواقهم ؛ يحمل كل ما
يرسمه عليهم على الافك والبهتان ؛ والمخرقة والتدجيل والشعوذة ؛ ويخطئ
ايهم جميعا في ذلك ولا يفرق بين الصادق والكاذب ؛ ولكن من خالطهم واستطاع
ان يعرف افعال الصادقين من الكاذبين منهم ؛ فانه يشاهد منهم الوقوف مع السنة
الافى فلبوا فيه على احوالهم او جهلوه ؛ ما يتيقن به انهم هم وحدهم الفارزون
بالاطلاع على دقائق الدين وحلاوة الايمان ؛ وانه ان لم يكن العارفون منهم من
رجال هذه الامة فلا رجال لها بعد ؛ وقد كنت انا وصاحبى الاستاذ محمد
الفارزى الكناسى كثيرا ما نتذاكر حول هذا ؛ ثم نجيل اعيننا في بعض ابناء اليوم
الذين يخططون خبط عشواء في الصوفية من غير ان يعرفوا عنهم ما يقبلون ولا
ما يردون ؛ حتى ان فيهم من ينكر الاشتغال بلاله الا الله ؛ والعياد بالله فكنا
لنستأول ان نقول فيما بيننا ؛ من جهل شيئا عاده ؛ ثم نرجع فنعدهم بسبب
ما نراه من ايماننا وعن شمائلنا من كثرة الافاكين الذين تصدوا في منصات
الروايا ؛ على حين ان بعضهم يحكى عنه انه لا يتفلسل من الجنابة ؛ وانه
واله مما هو متواتر عنه

ثم ما هذا الذى اختص به هؤلاء الصادقون من الصوفية ولا يوجد الا في
ايديهم لم لا يكاد منصف من ذوي المناصب يتذوقه من عندهم حتى تراه قد اضرع

عن كل شيء ونفسي يده من فخلطة منصبه ؛ ثم لا يطيب له العيش الا بالقطاع اليهم ؟

ما هذا الذي يبهر من يكون اعظم منكر على هؤلاء الفقراء الصادقين ثم يتهاوت عليهم بعد ذلك مستسلما تهافت النحلة على خابية العسل ثم لا تبالي ان كانت في بطن الخابية من المفرقين ؟

ما هذا الذي يشاهده من كان خاض في فنون العلوم المختلفة خوض الفهمين اللبقيين ثم لا يلبث بعد ان يلتقى مع احد هؤلاء الناس ان يعلن انه مذاق قط حلوة يتلج بها الصدر ؛ ويطمئن لها القلب ؛ مثل مذاقه حين التقائه باحد هؤلاء القوم ؟

ما هذا العلم الذي قال فيه بعض كبار العارفين من لم يتغلغل في علمنا هذا ثم مات ؛ مات مصرا على الكبائر وهو لا يشعر ؟

من هم هؤلاء المشايخ الذين ينبغون فينة بعد فينة ؛ وربما كانوا اميين ثم لا يكاد يتصل باحدهم من كان يعرف في نفسه رياء وسمعة ؛ وثقل اعمال الخير ؛ حتى يعود كثوب مر تحت يد القصار ؛ ابيض براقا يتلألا نورا ويتشعشع هداية واخلاصا ويستقيم في اعماله ومعاملاته حتى كأنه معصوم ؟

لا كذبك ايها القارى ؛ فاني لم ادرك من كل هذا الا شيئا واحدا ايقنته من نفسي ؛ وهو اننى اذا كنت مع هؤلاء الصوفية ؛ بشرط ان يكون الصوفية الصادقين كمن اعرفهم ؛ اجدنى لين القلب ؛ مائلا الى الاخلاص والى التواضع والعبودية خلاف ما اكون عليه حينما اكون بين يدي غيرهم ؛ وهب هذا الغير من الاساتذة المحدثين الذين يملئون المسامع بقال الله وقال الرسول ؛ ويزفرون زفرات الغيرة على هذا الدين الخفيف مع اننى في مبدئى اخالنى على قدم هؤلاء الاساتذة الاجلاء ؛ ولكنى مع ذلك لا يجد قلبى عندهم ما يجده عند الآخرين فهذا كل ما أدركه من نفسي ؛ ولا على فى غيرى

ذاق صاحب الترجمة من بين يدي شيخه الجديد ما ذاق ؛ وحصل له فى تلك الايام الثلاثة ما حصل ؛ مما لم ينل ذرة منه - كما قال فى رسالته المتقدمة - من مجاهدات كثيرة كان مشغولا بها قبل ذلك ؛ فعلمت اجنته بصحة شيخه فلم يطق ان يفارقه ؛ فنسى الجار والمجرور وابواب البيوع ؛ وجداول المناسخات فأتى مانسج حبه الجديد ما كان يجول حبه فى قلبه قبل اليوم

مجا حبا حب الالى كن قبلها وحلت محاللم يكن حل من قبل وصل الخبر الى الالفين بأن صاحب الترجمة مر به الدرقاويون اولئك الذين لا يلبسون الا المرقعات ويتطوقون بسبحات كبيرة غليظة ؛ ثم لا يكون شأنهم الا التقلب فى مختلف البلاد

يوما بحزوى ويوما بالعقيق ويوما بالعذيب ويوما بالخليص

فارتاح اهل الشيخ وخافوا على ولدهم ان يجرن وقد صعب اولئك الجاهل الهله - كما يحسبهم الناس اذ ذاك - ولا بد ان خير ذلك الجذب الذى حصل له يصلهم فلا يكادون ان الجنة مسته وكل من يعرف قلوب الوالدين فى مثل هذه الاحوال لا بد ان يقدر ذلك الموقف قدره ؛ (ان المحب بسوء ظن مولج)

باني والده حتى عرف ابن مستقر اولئك الذين طاروا بولده ؛ فركب يده ولحق بالشيخ المعزى ؛ وهو مع اصحابه بماسة ؛ فطلب منه ان يامر ولده بالرجوع معه بعد ان تكلم مع ولده فما اجار جوابا ؛ فقال الشيخ للوالد لا بأس ارجع مع والدك فلا خير الا فى ذلك ثم قال الوالد انى لا اريده الا للمعلم وان كانت درجة الفضل من العلم فليطلبها ؛ ففضى الامر ؛ فرجع الوالد والولد فترادفوا فى البهلة .

صاحب الترجمة

حاول الوالد ان يسمع من ولده كلمة واحدة تخرج من فيه منذ لاقاه ولكنه لا يسمع امامه اطراق الراس ؛ وضم الشفتين ؛ وذلك ما يسمى فى اصطلاح الصوفية الصمت وقد كان صاحب الترجمة تلقى من شيخه ذكر الاسم الاعظم (الله) من اول يوم مع شروطه التى هى الصمت والعزلة وهجر النوم ؛ والافلال من الطعام فاقبل على كل ذلك ؛ وابتدا فى ذكر اسم الله وهو لا يزال بين يدي شيخه فى المجلس الاول - كما ذكره هو عن نفسه فيما سقناه قبل من رسالة له - لهذا لم يجد له والده ما كان ياله منه من المحادثة ولكنه اكثر عليه وهما مترادفان فآله المسجى فكان ذلك سبب هذه المحاورة اللطيفة ؛ قال الوالد ؛ بالله عليك يا ولدى ماذا رايت فى هذه الطريقة الجديدة التى اعتنقتها وهى طريقة جديدة العهد فى بلادنا هذه وما كنا نعهدا فى بلادنا هذه ؛ وما كنا نعهد الا الطريقة الناصرية وهى التى نالها وباللها آباؤنا واجدادنا ؛ اوليس بمجيب ان يخرج الانسان من المعتاد مع ان الناس يقولون ؛ العاقل يتبع الناس ؛ والاحمق يتبع الناس ؛ فقال له الولد ؛ وما ذا ظهر لك انت يا ولدى فى البيع والشراء فى قسي القطران الذى تاتى به من قبيلة ايت رخا وتسافر به الى قبيلة ايت صواب حتى يبيعه ؛ وهل كان المعتاد فى اهالىنا الاتجار بالقطران ؟ وهل كان آباؤنا واجدادنا يعرفون ذلك ؟ اوليس ايضا يعيب ان يزاول الانسان مالىس معتادا عند اهله مزاولته ؟ فقال له الوالد ؛ اننى يا ولدى اخترت هذه التجارة لقلة راس مالىسها وكثرة ربحها ؛ فأتى بذلك القطران املا دارنا لوزا ولينا وزيبامنا سبداه به فى قبيلة ايت صواب ؛ فهذا يا ولدى ما حملنى على اختيار القطران ؛ ومخالفة عادة اهلىنا فى ذلك فقال له الولد ان مثل هذه الطريقة الدرقاوية عندي مثل هذا القطران عندك ؛ فان العمل فيها ايضا قليل وما يجده القلب من ورائها كثير ؛ ولا يملك مثل غير .

هكذا استدارت المحاور : وراى الوالد ان لا يعرج ولده : فهو الى ايناسه
احوج لئلا يرجع على عقبه فيلتحق ثانيا باولئك المجانين البله كما يزعم فيهم
الناس *

في مدرسة أدوز

رجعت المياه الى مجاريها : فراجع صاحب الترجمة دراسته : واستتمام
معلوماته وقد التحق بالاستاذ سيدى محمد بن العربى الادوزى : اما فى اواخر
١٢٨٩ هـ واما فى اوائل سنة ١٢٩٠ هـ فاقبل على التحصيل بكل مستطاعه وتحت
يدى كتب كثيرة كتبها اذ ذاك : وهى كلها دراسية لانه الان وقد شدا : وتطاول
الى تسنم القمم العليا فى الفنون اعوزته الكتب فاستعار له اهله من الخزائنة
الحضيكية بعضها : فاقبل هو على استنساخ كتبه الخاصة شأن الطلبة اذ ذاك
والمطبوعات كما ظهرت ولكنها لاتزال قليلة : ومن بين الكتب التى كتبها بيده
الدردير على المختصر : وايسر المسالك على الالفية : وقد ملا طوره بفوائد نفيسة
وبالشواهد وتفسير الكلمات اللغوية فيها فهى نسخة قيمة مصححة وشرح من
شروح السلم : وشرح للخزرجية وشرح المحلى على جمع الجوامع : والرحلة
الادوزية لاستاذ ابن العربى : واضاءة الادموس للهلالي وكراسة فيها ابيات
متفرقة فى النحو مما يحفظه عادة من يقرأون الالفية وغير ذلك مما تشئت بين الاوراق
لان هذه المنسوخات كلها لم تجلد فصاعت من بينها ورقات وكراريس : ومن ذلك
تدرك همته : وقد بذل هناك منتهى جهده وقد كان نفسه ما كان حصله فى
السنوات المتقدمة : فلم يزل مشابرا حتى كان رئيس المدرسة فهما واتفانا للفنون
واكبابا على التصلع : وقد اخذ من مختلف الفنون التى يعنى بتدريسها الاستاذ
الادوزى فاتفق عليه النحو واخذ عنه التسهيل : وقد حفظها كلها اوجلها اذ ذاك
- كما ذكره الاستاذ سيدى محمد بن مسعود - ويدل على ذلك انه كان يدرسها بعد
- كما ستري ذلك - وبلغ ايضا فى الفقه شأوا بعيدا يدل عليه مؤلفه الشلحي الذى
ترجم به مجموع الامير : وقد اخذ هناك ايضا البيان والاصول واللغة : وكان
مستحضرا لضبط الالفاظ : متقنا للتصريف وقد عرف له استاذة هذه المكانة
السامية التى ترقى اليها بما لزمته واجتهاده : فرآه وحده اهلا لاستنابته على موالاة
الدروس للطلبة فى رحلته الى الحمراء مع سيدى الحسن بن احمد التمكدشتى
سنة ١٢٩٣ هـ

حكى لى سيدى ابراهيم بن صالح رحمه الله قال خرجنا لنودع الاستاذ
اذ ذاك ونحن نحو مائة وستين من الطلبة : فحين حق الوداع واصطف الطلبة
اقبل اليهم الاستاذ فقال : ان سيدى على اكرام - وبذلك يدعى هناك اذ ذاك -
يتولى التدريس فى مقامى الى ان ارجع ان شاء الله : قال فرجعنا ثم خلص بعض
المتكبرين من الطلبة الذين ينفسون على سيدى على هذا المقام - نجيا بينهم فقالوا

والله لا نقبل ان يقوم هذا الم رابط فى مقام الاستاذ : فلئن توجه الى المجلس
واراد ان يتصدر : لجرى لنا ما لا ينسأ ابد الابدين : قال فاستترفت سمع ذلك
فصبرت حتى وصل وقت الدرس فولجت عليه بيته : فمنعته من الخروج الى
المجلس العام : ثم كان سيدى ابراهيم بن صالح قال لى التى مع الناس قليلين من
الطلبة ففتحنا عليه فى غير المجلس العام ذالية اليوسى وذلك غالب ظنى الان *

قلت وقلت على رسالة صغيرة ارسلها الى اهله فى هذا الحين لهما :
من لى بن احمد بن محمد الى والده : السلام والرحمة والبركة *

اما بعد فادعوا لنا بصلاح الحال والمال : ونحن والحمد لله بالسلامة
والعافية : ونرجو ان تكونوا كذلك : والفقيه ذهب الى مراکش وجعلنى خليفة
على الطلبة لتذاكر معهم لكن لم يتفقوا فنذاكر من اراد حتى يرجع ان شاء الله
والعاسل اننا نقرأ لم نمكث : فلاتشوشوا بالكم لان هذا المكان من اراد القراء
يقرأ ابدا : سواء حضر الفقيه ام لا : ونحن والحمد لله لم يخصصنا شئ من درهم
ولا دين ولا ادم ونحضكم على شراء الوصيفة ان امكن : فان للتأخير آفات او اقرا
على السلام على الاخت وقولوا لها يرحم الله المرحوم الذى قضى نجه

هذه رسالة نقلتها من خطه : وقد وقعت عليها صدقة من بين رسوم اسان
الاسان من اسرنا وهى تحقق لنا ماتقدم من حكاية سيدى ابراهيم بن صالح
الذى كان رفيق صاحب الترجمة الخاص فى زمن الدراسة : وقد تقدم ان كان
يعلم له الانسبة ماشاء الله : ثم لم يتكبر سيدى ابراهيم اليوم ان يجلس ايضا
الى ابيه لياخذ عنه متابعة لاذن الاستاذ : وقد كان سيدى ابراهيم هذا مشاركا
فى الهمم لسيدى عمر الاكفسي : كما اننى سمعت ان صاحب الترجمة كان فى
مشاركته سيدى الحاج احمد اليزيدى وذلك من قلة البيوت وكثرة الطلبة وحدث
بعضهم المذكور انه كان يمنع رفيقه ان يدخل الى بيتها صاحب الترجمة فحدث
مما رواه الانسبة : قال ويجلسان معا فى براح : وربما يكون الجو باردا
فيما هما ما ينالهما من البرد : وكثيرا ما يتأسف بعد ذلك حين صار من اللماز
لصاحب الترجمة ويقول واحياء ما كنت اعامله به اذ ذاك : وحكى ايضا ان
صاحب الترجمة كان كلما سمع من نادى باسم الله يسقط مغشيا عليه : ثم
لا يستيق الا اذا صلى له على النبى صلى الله عليه وسلم مرات فى اذنه : وكان
معان الطلبة يتعمدون ذلك فينادون باسم الجلالة امام بيته : وقد كان حينذاك
سفر صوته : وفارق الزواة المعتاد منه ثم قال سيدى عمر فكنت منذ رايت منه
هذه الحالة الجديدة اكراه مجالسته واحمل ذلك منه محامل اخرى : وفى يوم
جاء اسان من دار نائية عن المدرسة : فاستدعى الطلبة فامتعت انا من الذهاب
معه : وما معنى الا كثرة كلام سيدى على اكرام ولكن حدث الطلبة بعد رجوعهم
انه لم ينس ذلك النهار بيئت شفة : وانه راجع ايضا صوته والزواة : قال
ثم من ذلك اليوم القى القياسا دائما حتى غادر المدرسة *

قلت ان الصوفية يقولون ان من الاحوال التي تعترى من يتلقى فسي المقامات انه يجعل مقاماً يسمونه (مقام البسط) فيغلب عليه البشر وكثرة الكلام حتى ليعده من لا يعرف حاله من اهل الهديان ؛ ثم ان تجاوز ذلك المقام انطوى عنه ذلك البساط ؛ ثم لا يزال تتقلب به الاحوال واختلاف المقامات ؛ حتى يتمكن فبعد ذلك يصير حاله حالاً دائماً لا يتأثر باى شئ ؛ هذا مايقولونه نحكيه عنهم واهل مكة ادرى بشعابها .

وحدثني سيدى ابراهيم بن صالح قال رايت فى حين ونحن بالمدرسة الادوزية سيدى عليا اكرام كثير البكاء والزفرات ؛ بسبب وبلا سبب وكثيرا ما القاه بغتة ؛ فاجده على هذه الحال فتحينته يوما حتى كان فى بيته فدخلت عليه وانا اقول فى نفسى انه بلاشك راي النبي صلى الله عليه وسلم ؛ فاستهواه الشوق فدام عليه ؛ وهذا افضل من يواخيه الانسان فى الله فسلمت عليه فقلت ان طلبتى عندك ان نعقد الاخوة بيننا لله ؛ والناجى منا ياخذ بيد صاحبه ؛ قال فماكاد يسمع ذلك حتى اجهش بالبكاء ثانيا وغلب على حاله ؛ حتى رحمته ورايته لايجبى بكلام فخرجت فتركته ؛ وفى يوم من الايام استدعاني ؛ فقال اليوم نعقد ذلك العقد الذى طلبته متى ذلك النهار ؛ فهذا ماعرفناه عنه رحمه الله وهو فى ادوز ؛ ولولا سيدى عمر الاكصبي ؛ وسيدى ابراهيم لجهلنا كثيرا من احواله فى تلك المدرسة ؛ كما جهلناها فى المدارس الاخرى .

سافر الاستاذ سيدى محمد بن العربى الى الحمراء ؛ وصاحب الترجمة يدرس مع بعض الطلبة ؛ ثم بداله فالتحق بأهله ؛ فركب على بغلتهم فالتحق ايضا بمراكش ؛ وقد مكنه والده دارهم يشتري بها مايريد من الكتب ؛ ولكنه لم يشتري الا قاموسا من المطبعة الحجرية القديمة ؛ وقال هذا كل ما احتاج اليه ؛ ثم اشترى لاهله مايعوزهم ببقية الدراهم (وهذه النسخة لاتزال عندنا)

ثم فى اواخر سنة ١٢٩٤ هـ ظعن عن ادوز وقد ودعه استاذاه واجازاه باجازة كانت محفوظة عندي بخط الاستاذ ؛ ثم نقلتها فى كنانة ثم عدا الفار على الاولى وتقلبات الاحوال على الثانية ؛ ونحن فى غرارة الشيباب سادرون ؛ لم ندرك بعد قيمة المخطوطات ؛ فنحن الآن وقد توقفنا عليها لم نعتض عنها الا الاسترجاع والحوالة

فى فض النوازل وقسم التركات

ها هو ذا صاحب الترجمة قد رجع الان من المدرسة موفود الحظ ؛ فرموق السعد مشهودا له من اساتذته بالتبريز ؛ وبالتفوق فيما اخذ ؛ وقد سارت الاخبار بذلك وتحدثت به الركبان ؛ فلا بد ان الناس سابرون غوره ؛ ومفتشون عماورا . اكتمه لينظر اصدق من شهدوا له بالتفوق ام كانوا من الكاذبين ؟

صادف امامه قضية متشعبة بين اولاد عمه ا سيدى ابراهيم بن سليمان وفيها اعباس تشاكس حولها الورثة وقد كان الاساتذة سيدى الحاج ياسين وسيدى اهل المجاطى وسيدى محمد بن عبد الله الالفى وسيدى الحاج محمد الزيدى توارثوا عليها ؛ فلم يتفق لاي واحد منهم ان يفض ختمها ولا ان يهل عقدها ؛ فحين رجع صاحب الترجمة رفعوها اليه وحكموه ؛ فوافق ذلك ان لزل عليهم اصحابهم من مجاطى ليتعاونوا معه على ذلك ؛ فيرغمون على العلي من اياه فمالح القضية ؛ وسهل الله امرها بتساهل الورثة فيما بينهم ؛ فتم امرها . وقد رايت ماكتبه لهم اذ ذاك ولكنه غير مؤرخ على عادة فقهاء اهل هذه البلاد الذين لا يأتون بالتاريخ ؛ ولكن المهود انهم لا يفرطون فيه فى رسم الفاصلة مثل هذا ولكن هذا لم يقدر تاريخه ؛ فذهب المجاطيون الى دارهم ؛ وهم يقولون عجبنا من فقهاء جديد من الخ لا يزال صغيرا فض دعوى متشعبة عجز الاساتذة المسلمون عن فصلها ؛ بهذا اخبرنى من سمع منهم اذ ذاك

وكذلك فصل ايضا نازلة لبعض ايت (امتضى) حكموه فيها ؛ فاراهم فيها واهل الحق ا فرجعوا مستبشرين ؛ هكذا قدر له ان تجول خيله فيما يجول فيه اهل عصره فى هذا الحين وفقهاء قطره الذين يجعلون ذلك هجراهم ويتسابقون اليه لم لم يعرف له انه جال فى مثل هذه القضايا بعد ؛ لان الوادى التى قطع على اهلها سري ذلك ان شاء الله فيما ياتى

من التجار

اقلت سنة ١٢٩٥ هـ فانت على الرطب واليابس بمسفتها ؛ فلامحصول ولا فخر ولا رخص ؛ فعركت الناس عركا حتى لم يتخطها من الناس فى هذه البلاد الا من مدله العمر وخرقت له العادة ؛ فقد صارت هذه البلاد كراس الاربع الايام كان من ممر وادى (درعة) ازا تامانارت ؛ فانه اتى بمحصول جيد فالتكف اليه الناس كلهم ؛ وقد كان الفقيه سيدى محمد بن على الكوسالى ممن عاصر صاحب الترجمة فى المدرسة التانكرتية ؛ وكان تاجرا كبيرا ؛ ذا اموال يقارض بها الناس فالتكف به صاحبه هذا ؛ فقارضة ستين ريالا او مائة الشك من العم المخير فتوجه بها الى نخوم معدر وادى درعة ؛ فاشترى هناك زرا وشبهه ثم صار يبيع شيئا فشيئا ويحوز هناك تمرا جديدا ؛ قال العم وكنت ادفع للفقيه الكوسالى حتى تمت الحاسبة وانتهت المعاملة فكان هذا هو شغل صاحب الترجمة فى غالب سنة ١٢٩٥ هـ والشغل عند اهاليها افضل مايتحل به الرجل ؛ وبنه به شانه ؛ ولا يستحي رجل اياك ان فى النزول الى مزاولته ؛ فبذلك البيع للفقيه العجيد ان يكون ممن مارس التجارة ؛ والرجل من يطبق ان يدبر كل شئ من له لم يكمل فيه عمله بالنجاح

كان الاستاذ سيدى محمد بن عبد الله قد اكب على التدريس منذ رجع من المدرسة ؛ والتدريس وبث العلم اسرع لرفع الشأن لكل فقيه فقد كان التحق بالمدرسة البومروانية بعد مدارس في مسجد قريته فعلا له بذلك ماتعبط به اسرته ؛ ويتمنى المتمنون لو كان لهم مثل ذلك الولد الفقيه فتعطر بذكرهم الاندية وتدوى بصيتهم الاحاديث .

هذا فقيه آلا قد رجع ؛ وهاهو ذا قد جرب في تينك القضيتين ففلج فيهما سهمه ؛ افكانت اسرتنا تقنع منه بان يكون لها تاجرا يزاحم في الاسواق ويقايض في البيع والشراء ؛ مع ان ذلك وان كان لا ينقص به في عرف اهلينا شرف الرجل وان كان فقيها ؛ ولكن لكل مقام رجال ؛ فهؤلاء رجال اسرتنا اخوان فقيهمها متوافرون فليبيعوا وليشتروا وليقايضوا وليزاحموا في الاسواق ؛ ولكن الفقيه الاول به في نظر الاسرة ان يسلك طريق ابن عمه سيدى محمد بن عبد الله الذي تسدر في المدرسة البومروانية ؛ فحدث بذلك شيئا جديدا من آل عبد الله بن سعيد ؛ فليلتحق هو بمدرسة اخرى ؛ حيث يبث العلم ويهذب النفوس ويصل الافئدة حيث يكون للاسرة من فقيهمها شأن كشأن الاسرة الصالحة من فقيهمها وليس هذا الذي اقوله من بنات يراعى ؛ بل هو من صدى احايث كانت الجدة (تكدا) والدة صاحب الترجمة - تملها على في نحو سنة ١٣٣٥ هـ وانما اسألها عن ذلك التاريخ ؛ فكننت اراها تكبر زوج بنتها الاستاذ سيدى محمد بن عبد الله ؛ وتتمنى من فقيهمها الذي هو ابنها ان يسلك طريقه ؛ ثم قالت ولكن ماكنت اعرف انه خبيء له هذا انخير الكثير ؛ والمجد الباذخ الذي جاء بعد ذلك من غير طريق سيدى محمد بن عبد الله التي كنت لا اريد ان يتخطاها ؛ تعنى بذلك كونه شيخا مرييا ؛ فساق لها ولاسرتها بذلك من الشرف اضعاف ماسلقة الاستاذ سيدى محمد بن عبد الله لاسرته .

التحق فقيه الخ الجديد بمدرسة (فو كرض) فاجتمعت عليه ثلة من الطلبة يدرس معهم المبادئ ؛ ومن بينهم العم ابراهيم والفقيه المدونة الايفشاني ؛ وسيدى مولود الصوابي والحاج محمد البوزاكاني ؛ وآخرون ؛ واخال ان التحاقه بتلك المدرسة كان في اواخر سنة ١٢٩٥ هـ لان الاستاذ الطاهر بن علي اخبرني انه رأى رسم حبس كتبه صاحب الترجمة وهو هناك مورخا بسنة ١٢٩٥ هـ وانعم صمم على انه ما التحق بها الا في مفتتح سنة ١٢٩٦ هـ والامر سهل ثم انه مع اشتغاله بتعليم الطلبة ؛ قد جعل لمن كانوا ينتابون المدرسة من العامة مجلسا وعظيا ؛ قال سيدى بلعيد الصوابي - وكان يحضره اذ ذاك - ان ذلك الوعظ اشبه بوعظه يوم تصدر للتربية

المسلة في تلك المدرسة ؛ لم اعاد معهم الثانية فوضت فيها بنسبة شهر ؛ فاذا برسول الاستاذ سيدى محمد بن عبد الله يطلب منه ما ياتي .

في المدرسة البومروانية

رايت في ترجمة سيدى محمد بن عبد الله ما حمله على ان استناب صاحب الترجمة في البومروانية ليتم له السنة ؛ فادار الدروس وتابعها ؛ كما كانت بين يدى الاستاذ وقد جاء اليه تلاميذه الذين انقطعوا اليه في المدرسة المشقة فكان من بين من يخالعنه من تلاميذ الاستاذ سيدى محمد بن عبد الله ؛ الاستاذ علي بن عبد الله الذي رجع بسببه وبمعاونته الى الدراسة بعد ان كان سمى همة الى التجارة . والاستاذ احمد الزمامى وسيدى سعيد بن علي الاعضياني وسيدى الحسن التاطاروسى وسيدى العربى الساموكنى وسيدى الطيب الركيبى وسيدى الحسن بن عبد الله بن محمد السملالي ؛ فكان يدرس مع هؤلاء السادس زيادة على متون المبتدئين : الالفية والرسالة والمختصر والتسهيل والقامات العربية ؛ فكان يجول معهم بهمة المعروفة عنه بعد ذلك في كل ما ياوله ؛ سبعة اشهر تامة الى ان تمت الدورة السنوية فالتحق بالغ ؛ والتحق بالامام بالمدرسة الالفية عند استاذهم الذي بنى لهم هذه المدرسة الجديدة وكانت السنة ١٢٩٧ هـ .

العرم على المشارطة في المدرسة الوفاوية

رمت الركاب من بومروان ؛ فجزى الاستاذ ابن عبد الله صاحبه هذا على ما قام به هناك ؛ ثم صار يفاوض الوفاويين على ان يشارط عندهم في مدرستهم ابن عمه هذا المترجم ؛ فتم بينهم الامر ولكن اجل ذلك الى ان يرجع الناس من موسم (تازروالت) وقد اظل يومه ؛ ولكن حالت امور جديدة بينه وبين هذا العرم (وتحدث من بعد الامور امور) كما يقول الحكمي

الطريقة تنقض عليه ثانيا فتطير به

قد يحسب القارىء ان صاحب الترجمة قد نفذ يده من الدرقاوية ؛ وانه نسي شيخه فاعرض عنه مع انه ما كان يقطع زيارته في كل حين ؛ اذ هو بالمدرسة الادوزية ؛ وبعد ذلك وانما اراد ان يجبر خاطر والده ؛ فرجع اليه بعد ان اكتمل من الاخذ بادوزيم حدثه الاقدار حتى شارط كما ترى ؛ وقد كان اخوانه الفقراء زاروه بطائفتهم حين كان بالمدرسة البومروانية وفيهم الفقيه الكبير الذي تجرد اذ ذاك وانقطع الى الزاوية المعبرية ؛ سيدى الحاج الحسن التاموديزلي فحين ولوا ارسل اليه هذا السيد رسالة عاتبه على ما هو فيه ؛ وحثه على ان ينقطع ؛ وتمثل له في الرسالة بقول العراقي ؛

والفتى من سلبته جملة لا الذى تسلبه شيئا فشى .
 ربما كان هذا البيت وحده هو الذى استشاره من جديد ؛ حين تسوق
 موسم (تازروالت) ثم مضى منه قدما الى الزاوية المعدنية حيث تجرد وانقطع
 بين يدي شيخه ؛ واعطى للتصوف نفسه فسلبته الطريقة الدرقاوية جملة بعدان
 كانت تسلبه قبل ذلك شيئا فشيئا .

ومن لم يجد فى حب نعمى بنفسه وان جاد بالدنيا اليه انتهى البخل
 بهذا اختتمت صفحة من نصف عمر صاحب الترجمة ؛ واستقبل سنة
 ١٢٩٨ هـ بما استقبل به الغزالي يوم طلق الدراسة بالمدرسة النظامية ؛ بادية
 العرب ؛ حيث لاقاه الاستاذ ابوبكر بن العربي ؛ وكان عهده به وهو بالنظامية
 وفى مجلسه اربعمائة عمامة من اكابر الناس وافاضلهم ؛ يأخذون عنه فقال له
 وقدراى عليه مرقعة ؛ وعلى عاتقه ركوة ؛ ويده عكازة يامام اليس تدريس العلم
 ببغداد خيرا من هذا ؟ قال فنظر الى شزرا وقال : لماطلع بدرالسعادة فى فلك
 الارادة ؛ وجنحت شمس الوصول فى مغارب الاصول

تركته هوى ليل وسعدى بمعزل وعدت الى تصحيح اول منزل
 ونادت بى الاشواق مهلا فهذه منازل من تهوى رويدك فانزل
 غزلت لهم غزلا رفيقا فلم اجد لغزلى نساجا فكسرت مغزلى

وقد انشد له ايضا حول هذه المقام فى لقاء آخر :

قد تيممت بالصعيد زمانا وأنا الآن قد وجدت الماء
 من سرى مطبق الجفون واضحى فاتحا لا يردهن العماء

وقفتا قصيرة بالقارى .

احب منك ايها القارى ؛ وقد ماشيتنى منذ اول هذه الترجمة الى ان طويانا
 صفحات غيرة ليلة من حياة صاحبها ؛ ان تقف معى هناو قفة قصيرة نفكر فيها
 قليلا فى الذى يتراى لنا عنه ؛ افليس انه محفوظ فى كل هذه السنوات
 التى يتلقى فيها ؛ حتى ختم ذلك بحظوة عظيمة غبطه عليها اصداقؤه ونفسها عليه
 حساده ؛ يوم اناله الاستاذ ابن العربى الادوزى تلك الشهادة العليا بين جماهير
 من اقرانه ؟ ثم لما توجه الى مجالات فقهاء عصره ؛ وجد ايضا مكانا فسيحا
 واسرة لها مكانتها بين ذويه ؛ ثم لما جال فى مجالات التدريس فى المدارس
 كان نزعها فيها لا يقصر عن نزع ابن عمه الاستاذ محمد بن عبد الله لانه لا يرضى
 ان يخلفه فى منصبه ؛ ولا يتنازل ضميره الى ان يذر تلاميذه الذين هم افلاذ كبده
 الا فى يد من يراه كنفه فى الالتقاء والفهم والتفهيم ؛ ثم ان كل هذا لم يستهو
 صاحب الترجمة ؛ ولا استمال نظره ؛ ولا اعاره لحظة من فكره افلا يدرك من كل
 هذا القارى الكريم ان تلك الروح الوثابة التى تهاها ما بين جوانحه ؛ غير تلك

الارواح التى تجول فى كثير من فقهاء عصره الذين لا يكاد احدهم يشيم ومضة
 من حظ او يجد مضمة حبيبة مريثة من مدرسة والقبالة صغيرة من بضعة تلاميذ
 هلى يقولون انى اسعد الناس ؛ واحظى العلماء بالفضل الورىف من العلم الشريف ؟
 حقيقة ان ما يغنى فيه الفقهاء اعمارهم من فنى النوازل بالشرح الحليلى
 والاصحاب فى المدارس وهى من المساجد التى لا يعمرها الا من آمن بالله واليوم
 الآخر ؛ ومن تعليم التلاميذ وتهديبهم وارشادهم ؛ ووصل الامانات الدينية
 والعلوية والثقافية اليهم كل ذلك فيه اجر عظيم ففى مثله يتنافس المتنافسون
 وفى السابق اليه يعتمد المتعاطلون ؛ ولكن امثال صاحب الترجمة الذى خلق
 لغير هذه المجالات وراينا همته تحفزها الى مقامات اخرى غير هذه لا بد ان يكون
 هناك شىء وقع عليه بين اولئك الفقهاء وحظى به بين اركان تلك الروايات ؛ لم
 يجد مثله بين الفقهاء ولا لحنه فى مجالس المدارس

فليت شعري ما الذى وجدته هناك ؛ ولم يجده فى المدرسة ولا فى علومها
 الفلانة ؟ اخال ان هذا الذى وجدته هناك ويجده كثير من الفقهاء الذين القوا
 بالاسلام وراهم فاقبلوا على مصاحبة الفقهاء ؛ يتجلى لنا فى هذه الحكاية الالهية
 رجل سيدى سعيد بن هوو الشيخ المعدرى الى داره يوما فقال لريدته
 الفقيه قال له الهشوكية ؛ اخرجنى واستديرى بالحائط فانك ستجدى عالمة
 دعة فى طريقنا حديثا ؛ فذاكرتهما فخرجت فوجدت صاحب الترجمة والفقيه
 فى الحاج الحسن التاموديزتى ؛ فجلست اليهما بعد ما سلمت ؛ وهى
 خيلون ذرة يسى - فلما تحتهما الحديث فانجر بهما الى ان وصل الى معرفة الله
 تعالى ؛ فحلفت بهما الفقيرة الامية الى سماوات عجزا عن مطايرتها اليها ؛ فسكتا
 لم قالت لهما ؛ انما اردت بهذا العلو فى المذاكرة ان تعرفوا انتم معاشر العلماء
 العارفين الذين لا يحسبون ان لله علما الا ما فى تلك النقطة الضئيلة التى تظنون
 اعماركم تجولون حولها فى مدارسكم ؛ ان من الناس من تعجزون عن مجاراة
 مع اله لم يلم بنقطة من هذه ؛ وارتدت ايضا ان تدركوا حق الادراك انكم معروفون
 عندنا لانحنى عنا منكم خافية ؛ فالنصفون منكم يدركون انهم خالون من سر
 انوار القلوب ؛ ومن ذوق حلاوة الايمان ؛ وان هذه العلوم التى يفتشونها
 ويقصرون عليها اعمارهم ويحسبوننها غاية ؛ على حين انها انما هى وسيلة للمقصد
 من معرفة الله ما اتهم بالمراد من انوار القلوب وحلاوة الايمان ؛ ولكن مع انصافهم
 هذا ؛ وادراكهم لكل ذلك حق الادراك ؛ يحسبون ان غيرهم لا يدركون منهم مسا
 ادركوه من انفسهم من عدم معرفتهم لله وعدم استنارة القلوب ؛ والشراح
 الصدور ؛ فقال لها سيدى الحاج الحسن ؛ وكيف معرفة الله ايها الفقيرة ؟
 فقالت انكم انتم العلماء ؛ وانكم احق من يسأل عن مثل هذا لانا العامة الامية
 التى قل حياؤها فشرت بهدياتها حتى جاوزت الحد ؛ فقال لها سيدى الحاج
 الحسن لابد ان تسكمنى ؛ فقالت لا ادري ما تقول ؛ الا ان ولدا هدى يوما ايقظه

من لومه فقال لي يا اماء : انك ايقظني من لومة عذبة حلوة لذيذة جدا جدا ؛ فقلت له كيف عذوبتها يا بني ؟ فسكت مليا ثم قال نامي يا امي هنا مثل تدويها فكذلك انا اقول لكم من اراد ان يدوق معرفة الله فليرحل الى الله بالكلية ؛ فان المعجب قديما قيل : من عرف نفسه عرف ربه .

هذه هي الحكاية حكاه من حكته له تلك الفقيرة رحمها الله ؛ وربما زادت جملة او نقصت ولكن هذه هي الروح

وبعد ؛ فان من بين الناس من تتعلق روحه بهذه الناحية ؛ ويتكون ذلك منه من صغره كما رايته من صاحب الترجمة الذي تجلت منه هذه الناحية ؛ وهو بعد في الكتاب ؛ ثم ما كاد يلتقي باصحاب هذه الجهة حتى انزعج فيهم كان له معهم تعارفا قديما ؛ وكان ذلك ميدان الحديث الشريف .

(الارواح جنود مجنونة ؛ فما تعارف منها ائتلف ؛ وما تناكر منها اختلف) .

في التجريد وخرق العادة

لبعض الصوفية احوال عجيبة لاتزال الى الان محمولة في اعين غالب الناس على الغرابة ؛ وعلى الخروج عن المعتاد ؛ وبها تقوم في كل عصر حرب زبون ومجازبة عنيفة بينهم وبين الفقهاء الذين لا يجدون فيما عندهم من مختلف الفنون ما يبررها خصوصا المحدثين منهم الذين يترأى من سيرة صاحب الشريعة صلى الله عليه وسلم ما لعله لا يوافقها فيما يرون ؛ فهؤلاء الفقهاء والمحدثون يحملون على من يلبس هذه الاحوال الغريبة حملات متوالية زاخرة بالحجج والبراهين والادلة ؛ ولكن الآخرين سائرون في طريقهم ؛ معرضون عما حولهم وهم كالصخور التي تجثم في ضفاف البحار فلا تكاد موجة تصطدم واياها حتى تنكسر على جنباتها ثم يستحيل ماؤها زبدا ورشاشات متطايرة ؛ قلب معنى النظر اياها المؤرخ منذ تأسس التصوف في القرن الثاني واستقل كعلم خاص ؛ له مبادئه واصطلاحاته وتأليفه المدرسة ورجاله الذين يتفانون فيه ؛ ويظلون ويبستون في تتبع دقائقه ومقدار تأثير كل دقيقة من دقائقه في نفس المعتنق للتصوف المتبع لمقامات التي تقع في مختلف هذه القرون وترى ما هناك راي عين ؛ فيتضح لك ان ما يستغرب في ذلك الوقت ؛ يشور به على القوم الفقهاء والمحدثون دائما ولكنهم بعد انجلاء المعركة يخرج اصحابهم وهم كما هم لم يتأثروا بقلامة ظفر من ثورة هؤلاء

ومن بين ما يواخذ به هؤلاء اصحاب التصوف هذا الذي سموه التجريد بالتجرد عن كل ما في ايديهم وعن كل ما هم فيه ؛ حتى يأمروهم بترك هيئات حسنة ؛ وشارات عرفوا بها الى هيئات اخرى وشارات زرية تخطاها الانظار

فيلقي دون ابصارها ؛ والى الوقوف مواقف ذل وانكار للذات ؛ فقد يامر الشيخ وان يجول في مرقعة غليظة بين القرى وبين عارفيه ؛ حتى يزول منه ما يملحه من من كان معروفا في قومه بلباس حسن ومروءة وعز وعلو همة ؛ ان يطلق كل ذلك الدائمة على مثل ذلك ؛ وربما امره ان يتعرض للناس للتكفف وان يجهر بذلك في الاوساط التي كان عرف فيها بما عرف ؛ ويسمى ذلك عند مشايخ التربية (خرق العادة)

اعلم صرخات الفقهاء والمحدثين باستنكار ذلك ؛ واستبشاعه بين المسلمين فيقول المحدثون لم نر اقل رسول الله صلى الله عليه وسلم ؛ امرا احدا من اربابهم وهو شيخ الربيع واستاذهم وقديوتهم ان يفعل مثل ذلك ؛ وهذه احوال رسول الله صلى الله عليه وسلم كلها ظاهرة بين ايدينا لانجمل منها ولو طرعا ؛ افلا يسمع من ارباب الناس اليوم ماوسع رسول الله صلى الله عليه وسلم امس ؟ والمراد من المسلم ان يحس بالشرف وعلو الهمة وعزوف النفس ؛ لا بالفسحة والاسفاف والحقارة ؛ واي مسلم الف الحقارة الا التحفها حتى امام الكفار واعداء الدين .

ويقول الفقهاء ان عرض الانسان ومروءته وشرفه لهما توجب المحافظة عليه ؛ فالتجريد المحافضة على دمه ودينه وماله فباي دليل وباي نص يستدل من يامر بخرق العادة التي هي كما يقول علماء الاخلاق كسجف رقيق متى انتهك فهيئات ان يامر بعد ؟ فكيف يربي انسان انسانا في الدين الاسلامي بهتك المروءة والتوقيع الناس في الاسواق بالتكفف وباذلال نفسه ؛ مع اننا ما امرنا الا بعكس ذلك هذا ما يصرخ به المحدثون والفقهاء ويسهبون به في حججهم ويسوقون ما يسوقون مما يشهدوا ذهبوا اليه .

واما الصوفية فان بعضهم غالبا يجيبون بالافعال ؛ فان من يامر شيئا ان يفعل ذلك لا يلبث بعد حين ؛ ان ينقلب جوهره ويتبدل حاله ويظهر بطلان امره ؛ لم لا يستدير دورة الزمان حتى يترأى في عصره كشمس انكشفت عنها السحاب السود في يوم صحو فتشرق في عليائها على الكون ؛ حتى تعشأ انوارها اللماعة كل الناس ؛ حتى اولئك المحدثين والفقهاء فانهم لا يكاد معظمهم ممن الناصلين ينكر ما ناله كبار الصوفية بعد هذه التربية

واما صوفية آخرون فانهم يصمدون الى المحدثين والفقهاء ؛ ويقولون لهم لقد ابدعتم النجعة واكثرتم حول ما لا تعرفونه صرخاتكم ؛ فاننا اولا نعلمكم على لفظ ما يقوله الشاعر :

لو كنت تعرف ما اقول عذرني او كنت اجهل ما تقول عذرني
لكن جهلت مقالتي فعذرني وعلمت انك جاهل فعذرني

ثم اننا لانكثر معكم الجدل ؛ ولا نجاذبكم ادلة وحججا انتم ادري الناس

من لومه فقال لي يا اماء : انك ايقظتني من لومة عذبة حلوة لذيذة جدا جدا ! فقلت له كيف علوبتها يا بني ؟ فسكت مليا ثم قال نامى يا امى هنا مثل تدويها فكذلك انا قول لكم من اراد ان يدوق معرفة الله فليرحل الى الله بالكلية ؛ فان العجب كل العجب فيمن ادعى انه عالم مع انه اجهل الناس بمعرفة نفسه وبمعرفة ربه وقديما قيل : من عرف نفسه عرف ربه .

هذه هي الحكاية حكاها من حكته له تلك الفقيرة رحمها الله ؛ وربما زادت جملة او نقصت ولكن هذه هي الروح

وبعد ؛ فان من بين الناس من تتعلق روحه بهذه الناحية ؛ ويتكون ذلك منه من صفه كما رايته من صاحب الترجمة الذي تجلت منه هذه الناحية ؛ وهو بعد في الكتاب ؛ ثم ما كاد يلتقي بأصحاب هذه الجهة حتى انزعج فيهم كان له معهم تعارفا قديما ؛ وكان ذلك ميدان الحديث الشريف .

(الارواح جنود مجنونة ؛ فما تعارف منها ائتلف ؛ وما تناكر منها اختلف) .

في التجريد وخرق العادة

لبعض الصوفية احوال عجيبة لاتزال الى الان محمولة في اعين غالب الناس على الغرابة ؛ وعلى الخروج عن المعتاد ؛ وبها تقوم في كل عصر حرب زبسون ومجادبة عنيفة بينهم وبين الفقهاء الذين لا يجدون فيما عندهم من مختلف الفنون ما يبررها خصوصا المحدثين منهم الذين يتراعى من سيرة صاحب الشريعة صلى الله عليه وسلم ما لعله لا يوافقها فيما يرون ؛ فهؤلاء الفقهاء والمحدثون يحملون على من يلبس هذه الاحوال الغريبة حملات متوالية زاخرة بالحجج والبراهين والادلة ؛ ولكن الآخرين سائرون في طريقهم ؛ معرضون عما حولهم وهم كالصخور التي تجثم في ضفاف البحار فلا تكاد موجة تصطدم واياها حتى تتكسر على جنباتها ثم يستحيل ماؤها زبدا ورشاشات متطايرة ؛ قلب معنى النظر اياها المؤرخ منذ تأسس التصوف في القرن الثاني واستقل كعلم خاص ؛ له مبادئه واصطلاحاته وتأليفه المدروسة ورجاله الذين يتفانون فيه ؛ ويظلون ويبستون في تتبع دقائقه ومقدار تأثير كل دقيقة من دقائقه في نفس المعتنق للتصوف المتتبع لمقامات السلوك فيه ؛ تأمل معنى منذ ذلك العهد الى الان ؛ تجد هذه المجاذبات العنيفة التي تقع في مختلف هذه القرون وترى ما هناك راي عين ؛ فيتضح لك ان ما يستغرب في ذلك الوقت ؛ يشور به على القوم الفقهاء والمحدثون دائما ولكنهم بعد انجلاء المعركة يخرج اصحابهم وهم كما هم لم يتأثروا بقلامة ظفر من ثورة هؤلاء

ومن بين ما يواخذ به هؤلاء اصحاب التصوف هذا الذي يسمونه التجريد بالتجرد عن كل ما في ايديهم وعن كل ما هم فيه ؛ حتى ليأمر ونهم بترك هيئات حسنة ؛ وشارات عرفوا بها الى هيئات اخرى وشارات زرية تتخطاها الانظار

فانفس دون ابصارها ؛ والى الوقوف مواقف ذل وانكار للذات ؛ فقد يامر الشيخ وان يقول في مرقعة غليظة بين القرى وبين عارفيه ؛ حتى يزول منه ما يملحه من من كان معروفا في قومه بلباس حسن ومروءة وحر وعلو همة ان يطلق كل ذلك المارومة على مثل ذلك ؛ وربما امره ان يتعرض للناس للتكفف وان يظهر بذلك في الاوساط التي كان عرف فيها بما عرف ؛ ويسمى ذلك عند مشايخ الشريعة (خرق العادة)

نعلم صرخات الفقهاء والمحدثين باستنكار ذلك ؛ واستبشاعه بين المسلمين فيقول المحدثون لم ارقط رسول الله صلى الله عليه وسلم ؛ امرا احدا ممن يريهم وهو شيخ الربيع واستاذهم وقدوتهم ان يفعل مثل ذلك ؛ وهذه احوال رسول الله صلى الله عليه وسلم كلها ظاهرة بين ايدينا لانجهل منها ولو طرعا ؛ الا لا يسع من اربى الناس اليوم ماوسع رسول الله صلى الله عليه وسلم امس ؛ والامر ان من المسلم ان يحس بالشرف وعلو الهمة وعزوف النفس ؛ لا بالفضة والاسفاف والحقارة ؛ وان مسلم الف الحقارة الا التحفها حتى امام الكفار واعدا الدين .

ويقول الفقهاء ان عرض الانسان ومروءته وشرفه لماتعجب المحافظة عليه فان احب المحافظة على دمه ودينه وماله فباي دليل وباي نص يستدل من يامر بخرق العادة التي هي كما يقول علماء الاخلاق كسجف رقيق متى انتهك فهيئات ان يامر بعد ؟ فالف يري انسان انسانا في الدين الاسلامي بهتك المروءة والتوقع للناس في الاسواق بالتكفف وباذلال نفسه ؛ مع اننا ما امرنا الا بعكس ذلك هذا فاصرخ به المحدثون والفقهاء ويسهبون به في حججهم ويسوقون ما يسوقون بها يشهدا ما ذهبوا اليه .

واما الصوفية فان بعضهم غالبا يجيبون بالافعال ؛ فان من يامر شيئا ان يفعل ذلك لا يلبث بعد حين ؛ ان يتقلب جوهره ويتبدل حاله ويظهر بطلان امر ؛ لم لا تستدير دورة الزمان حتى يتراعى في عصره كشمس انكشفت عنها السحاب السود في يوم صحو فتشرق في عليائها على الكون ؛ حتى تعشوا الوارها الجماعة كل الناس ؛ حتى اولئك المحدثين والفقهاء فانهم لا يكاد معظمهم من المتصلين بذكر ما ناله كبار الصوفية بعد هذه التربية

واما صوفية اخرون فانهم يصمدون الى المحدثين والفقهاء ؛ ويقولون لهم لقد اعدتم النجعة واكثرتم حول ما لا تعرفونه صرخاتكم ؛ فاننا اولا نعلمكم على لغة ما يقوله الشاعر :

لو كنت تعرف ما اقول عذرني او كنت اجهل ما تقول عذرنا
لكن جهلت مقالتى فعدلتني وعلمت انك جاهل فعدرتنا

ثم اننا لا نكثر معكم الجدل ؛ ولا لجلالكم ادلة ؛ حججنا احدى الناس

كيف تلقى والها لسائلكم سؤالين اولهما لوجاء طبيب فقال لكم ان مريضكم هذا لا يسلم من مرضه المزمن الذى منعه الحركة الا اذا بترت يده او فطنت عينه فحينئذ يبرأ ويقوم ! لم انه سبق له ان عامل بمثل هذه المداواة مرضى كثيرين فبرلوا ! اكنتم تدفعون اليه مريضكم وتجاوزون له ان يداويه بما ذكر وبما تبين انه دواء شاف من مداويات له متقدمة ؟ ام تقولون له ان رسول الله صلى الله عليه وسلم لم يفعل ذلك ويقول له فقهاؤكم ان نصوصنا لم ترد بمثل ذلك ؟ فما كان موقفكم مع ذلك الطبيب الذى ادركتم صدقه هو موقفكم معنا فاننا انما نقصد بما فعلنا ببعض المريدين لاكلهم تطهير نفسه من الكبر الذى هو اخو الشرك وان نسلك به مسلكا يتلقى فيه دروسا يخرج منها بالاخلاص التام فى اعماله وذلك هو قصدنا الوحيد ! ثم لم نبال بالمروءة التى تقولون هتكناها لعلمنا بان الغاية تبرر الوسطة كما ان ذلك الطبيب لم يبال ببتر اليد ولا بفق العين فى جانب الشفاء الذى يحصل للذات كلها ! على ان المروءة التى يامر الدين بالحفاظ عليها ليس منا من يقول بهتكها وانما هى بعض عوائد فى اللباس وامثاله تغير لعل ماوراءها يتغير ! كما شرع تقليب اللباس يوم تصلى صلاة الاستسقاء على انه لم يتخذ اشيا خاذلك ضربة لازب لكل مريد ! بل انما يأمرون به من يعلمون انه لا يداويه الا ذلك ! وطرق التربية شتى لا تنحصر ! والاشياخ انفسهم يختلف تربيتهم فى مثل هذا اختلافا كثيرا ! كما تختلف طرق التداوى بين هيئات الاطباء فى مستشفيات متعددة وذلك كله بحسب ما جربوه من انفسهم ! ونحن نقول ان كل شيخ يربى مريديه على النمط الذى تربى به ! ومن اين لنا ان تكون تربيتنا ! ونحن نقر بعدم العصمة كترية النبى صلى الله عليه وسلم الذى وفقه الله ! وعصمه فى كل احواله ! وتولى تربيته وتاديبه فأحسن تاديبه فان ادركتم ايها المحدثون والفقهاء محور هذا السؤال ! وكنه ما نريده وراءه عرفتم متجهنا فاسترحتم وارحتم على اننا نشكركم على اعتنائكم بنا ! واخذكم بحجزتنا حتى لانفارق السنة ! فجزاكم الله خيرا .

والسؤال الثانى : اننا رايناكم تكثرون علينا فى اتخاذنا حياة مخصوصة للمريدين ماداموا يتربون تحت انظار مشائخهم ! فتقولون ان النبى صلى الله عليه وسلم لم يخص اصحابه بهيئة مخصوصة ! ولا بشارة يتميزون بها عن غيرهم ! بل المسلمون كلهم فى هيئاتهم كقداح السهام فى الكنان ! لا يفضل بعضهم على بعض الا بالتقوى هكذا تقولون ! ولكننا نسائلكم فانصفونا فى الجواب ! اوليس ان لكم ايضا ايها الفقهاء حياة اخرى خاصة بين المسلمين ؟ فما يكاد احدكم يتاهل للتصدر ويتساقا الى صفوف العلماء حتى نواه انتحى ناحية فيخرج اليها بالزى الخاص الذى احتكره العلماء لانفسهم ! فما كان جوابكم هو جوابنا فقد علمنا ان قدوتكم فى ذلك : ابو يوسف ! ونعم القدوة ابو يوسف ! ولكن

انما لا يقولون فلان قلنا لكم ان قدوتنا الجديد والقرال وامثاله ! فتقولون لنا بدوركم نعم القدوتان الجديد والقرال ! فيها احوالنا العلماء لعلنا لا نلتقى نحن وانتم فى الوسط لتدركوا ما عندنا ! مثل ما ادركنا ما عندكم ! فتتعاونون على دفع العبث التم بترية ونحن بترية ! التم بترية فلواهرهم ونحن بترية بواظلمهم فان ذلك الرب واسهل لانعام ما نريده جميعا ! وقد امر الله بالتعاون على البر والتقوى ! والتعمير لكل طائفة بلباس خاص امر اجمعت عليه الامم ! فزى الكشاف وزى الاطباء ومعاوليهم وزى الجندي ! وزى البحريين والطياريين ! يخالف بعضها بعضا فلماذا يلام هؤلاء القوم وحدهم ؟ فهلا انصغتم ؟ فان الانصاف من قسم الاشراف !

هكذا يحتاج الفريقان ما يحتاجان ! ثم يحتاجان فيقبل كل واحد الى شانه وكل حزب بما لديهم فرحون وربك اعلم بمن هو اهدى سبيلا ! وان كان الحق بين الطرفين لا يلقى على ذى عينين

طرق اذان اسرة صاحب الترجمة اثناء سنة ١٢٩٨ هـ ان ابنها الذى كانت تظن اليه كما نطقت الاسرة الصالحة الى ابنها الاستاذ محمد بن عبدالله وتتمنى ان يراه ان يدرى مثل ما ادركته تلك الاسرة من وراء ابنها الاستاذ من مسجد جامع ! والمرءة من ابد : صار يدور فى الاسواق ويتكفف الناس فيها فيمديده وهو يقول اطعموني فانى اموت جوعا ! وهو فى اسمال رقاع متلونة كانها قوس قزح ! وقد لعل وراء كتفه جراب مثقوب من اصله ! يلقى فيه كل ما امتدت به اليه الايدي ولكنه سرعان ما يسقط وراءه ! فيتبعه الصبيان زرافات ! والهمج الرعاع الذين من دابهم ان يتجمعوا فى امثال تلك المواقف

لواترت هذه الاخبار الى الاسرة حتى صدقت بها ! من بعد ان كان ذلك عندها رابع المستحيلات ! فتار ثأرها ! واسودت الجواء فى اعينها فى وسط النهار حتى كانها فى غيابات الجب ! وقد علمت ان ما يقال محقق ! فلا سبيل الى تكذيبه !

طوى البسيطة حتى جاءنى خبر فزعت فيه بلا مال الى الكلب حتى اذا لم يدع لي صدقه املا شرفت بالدمع حتى كاد يشرق بي واهلنا السعيدون ابعد الناس عن مقامات التكلف واعل الناس عن ذلك همما ! واكثر الناس فى البعد عن ذلك استنكافا ! واستف ترب الارض كي لا يرى له عمل من الطول امره متطول ولذلك استبعدوا لصور ان ابنهم الذى يعلمون منه ما يعلمون يسلف الى

ذلك أو تنزل به همة اليه ؛ ولكن لما تعقلوا ذلك والتفى الرب ؛ سبق الى اذهالهم ان ابنهم بلاشك ممن اساءتهم العين ؛ او طافت بهم بعض لغات السحر او المتبه مسة من جنة ؛ والا فلا يتصور في انفسهم ان يتنازل الى ذلك ولله مسكن من عقل اولاده من تمييز

اذن الشيخ سيدى سعيد المعبرى لتلميذه هذا ان يجول فى الاسواق وان يخرق فيها العادة ؛ فجال أولا فى بعض اسواق (ازغار) ثم فى سوق (اساكا) ثم فى موسم تازروالت وقد صادفه هناك الاستاذ الحاج داود الكرسيقى وكان ممن له المام ببعض افعاله الصوفية ؛ وما يقصدونه بها فلم ينكر عليه ؛ ثم صمد الى الاسواق التى تجاور الخ حيث اهله ومعاريفه ؛ فجال فى سوق الجمعة بسملالة وهى اذ ذاك كما ابتدأت ثم فى قبيلة ايت وفقا ؛ وهو فى كل ذلك ملازم للمصمت لا يسمع منه الا عبارات التكف لا غير وقد قصده فى ايت وفقا سيدى محمد المدونة الابشائى تلميذه الذى كان اخذ عنه بالمدرستين ؛ الفوكرضية والبومروانية فطلب منه الدعاء والحق عليه ؛ وقد علم انه لم يفعل ذلك لحرق اوطلب دنيا ووجه وان ذلك لما فعله لتخلص به نفسه من شوائبها فاجابه هذا حين الخ عليه فى الدعاء ؛ لا اربحك الله ؛ وعينه شاخستان ؛ كانه مجنون حقا .

ادعو عليه وقلبي يقول يارب لا لا

لقد صبر اهله ؛ وبلغ الحزام الطبيين (١) فذهب اليه اخوه محمد مع رجل اخر فاسراه وحمله على البغلة واتيابه مكبولا الى الدار ؛ وهو على حالته ؛ لا يجير الجواب لايه ولا لاه ؛ ولا يتكلم بسوى عبارات التكف والاستغاثة ؛ والصراخ بان الجوع كاد ياتى عليه .

حكى لى والدته (تاكدا) رحمها الله انها اذ ذاك كادت تتمزق كبسدها وينفطر قلبها اذ سمعت به ينادى ان السغب يقطع احشاءه ؛ قالت فلادع كل ماتمله يدى ؛ وامكن لى من الطيبات الا قدمته اليه ؛ فاملا جانبيه باللحم الجنيذ والبيض المسلوق والسمن الممزوج بالعسل واللوز المطحون والتمر الجيد والزبيب والجوز وكل ما عندنا ؛ ثم لا يعير ذلك كله التفاتا ومتى غفلنا عنه ؛ وقد اودعناه فى بيت ينفتح الى سطح الدار فيصرخ الامن يفتا جوعتى الملتهة الهاججة ولو بقطعة من الخبز المكرج (٢) فاننى يا عباد الله اكاد اهلك جوعا ؛ قالت فنبادر الى ايوانه الى البيت ايضا ؛ ونحن نتقطع على ولدنا العالم الذى صار مجنونا يتخبط .

ذلك وقد صح عند الاشارة انه امامعين واما مجنون ؛ فبادر والده فذهب

(١) الطبى بضم فسكون ؛ الحلة الزائدة فى آخر الضرع ؛ وذلك مثل مشهور فى اشتداد الشىء

(٢) كرج الخبز ؛ اذا يبس وقسده

بدرجته الى فريخ الزاء مدرسة فوكرضى لا سمعه من ان ما اصابه ربما جاءه من تلك المدرسة ؛ هكذا صار صاحب الترجمة فى واد واهله فى واد فى صبيحة يوم وقد اطل الفجر على الكائنات فافاض عليها من اواره فاستثار كل ما فيها فاقبلت كل الامهات الى ابناها ؛ ليزددن بهم قرة عين ؛ وبهجة النفس الا تلك الام الرزولة فى عالمها فانها دخلت عليه البيت لتستجد ايضا من لظراها الى ولدها زهرات اخرى متطلبية ؛ قالت لى فمادخلت حتى نادانى وهو اول كلام سمعته منه = يا انا ما هذا الذى فى رجل ؟ فقلت انه كبل ياولدى ؛ فقال او هيلكم فلماذا وضعتم على الكبل ؟ وماذا عراني ؟ فقلت آه ياولدى انك ياولدى جعلت فلم تجد بها من ان تكبلك ؛ فقال عجباً او كنت كذلك ؟ ولكننى الآن استرددت شعورى قالت فتاب الى من الفرح والسرور ما الله اعلم به فسرت اسأله حتى اذعن ما قال فاقبلت مسرعة الى مطبخ الداروفيه نساؤنا مشتغلات بالقداء فاعلمت بشران فارحيت الدار كلها فرحا فاقبلنا جميعا مستديرين بولدى على وقد حضر قين القرية فاماط الكبل فازال كذلك ولدى ما عليه من اللباس الخلق فانيته بكسوته البيضاء من صندوق فلبسها وارتدى بردائه ووضع العمامة على راسه فارسلنا الى الاستاذ الفقيه سيدى محمد بن عبدالله ؛ فحضر عندنا فاقبعت حفلة كبيرة حضرها الحيران والاقارب فاقبل المهنون يهثوثنا بشفا ولدنا ؛ ولكن والده

... لم يزل ملازما للفراش من مرض كان الم به ثم ازداد بما وقع اوله ... فى صباح يوم لعله اليوم الثانى ذهب ليزور الاستاذ سيدى محمد بن عبدالله فلم اشعر حتى هرولت الى امرأة من القرية فصارت تناديني وصوتها يهتج الى الآن رايت ولدك قد استدار بشية (تلات نيت عيس) ويدكرى الوالة جهرا ؛ وقد ذهب عنك ايضا قالت فقامت قيامتى ولم اتحصل الصبر فاهوىك ببغلتنا اجوب بها الطريق الى المدر لا سترد فلذة كبدى من ذلك الرجل المذنب الذى افسده على قالت فراح على الليل فى (تيغمى) فبت هناك على أسرة من معارفنا ؛ ثم تعقبني من اخبرني بان زوجي والد اولادى قد خرجت زوجه اثر خروجي من الدار ؛ فكنيت اذ ذاك اشقى نساء العالم وانكاهن مصيبة فهذا ولد العالم الذى هو كل منيتى وآمالى فى حياتى قد عانه العائتون ولم فيه مرام الحاسدين الشامتين ؛ حتى اختل عقله فتكذب اهله فصار يجول فى البلدان والها حيران ابله كانه هداوى من الهداويين ؛ وهذا زوجي وقطب اسرتى واب مهجتي قد مات عني فوفقت فى حيرتى لا ادري اتقدم الى الامام لاقتش عن ولدى ؛ ام انكس على عقبى لاشهد ماتم زوجي ؟

هذا ما حكته لى رحمة الله عليها فاها لا ذنى ؛ وكانت ثرة الحديث متممة ان وجدت من يكون عندها من المنصتين ؛ وكنت اذ ذاك قد بدأت اقتش عن اخبار والدتى هذه ؛ فبسر الله لى من عندها من ذلك لبدا لطيفة ؛ هذه الحكاية منها .

وقد الم صاحب الترجمة بذكر ما وقع اذ ذاك فى رحلته الحجازية عند ذكره لشيخه المعبرى ؛ فقال بعد ان ذكر ما حصل عليه بملاقاه معه ؛

ترك ما سوى الله هجرا
وقبعت عندي ملاح الدنيا
وليس لي في غير ذات الله
فصلت عن سائر العلائق
بدلت احوالي بخرق العادة
وكان في تخريقي العوائد
ولست تعرف الذي ثم سوى
تصير راقضا ومرفوضا اذا
فاختلف الناس فذا يقول
والبعض قال انه مسحور
وعند جل الناس كنت احمقا
فكل من جهل شيئا عاداه
من بين فرث ودم يسقينا
ذاك بفضل الله لا بغيره

فلهجت نفسي برى ذكرا
مما يرى برؤية والرؤيا
ماوى ولا عن حسنه ملاهى
لكونها عن مقصدي عوائق
لطلب الاخلاص في العبادة
افضل ما يجنى من الفوائد
بقوله ان كنت تارك سوى
ماقرب الاخلاص ممن نبذا
جن قاين القيد والحبول ؟
اين رقى المسحور والبخور ؟
فلم يكن فعل لديهم منتقى
وكل من عرف شيئا ناداه
لبن معرفته يقيننا
يوتيه من اراده لخير

قضى صاحب الترجمة مآنبه اليه شيخه ووفاه شروطه المشروطة عند اهل ذلك الفن بكل دقة فمثل ثانيا بين يدي شيخه وقد انخرط في سلك المتجربين بين يديه : لا يتنفس الا باذنه ؛ ولا يلتفت يمنا ولا يسرة الا باشارته وهو طوع يديه كيفما قلبه انقلب وقديما قال الشاذلي لاستاذة مولاي عبد السلام : اننى اغسلت من علمي وعملى الا ما ياتيني على يديك ؛ وقال الجيلاني البغدادي في عينيته المشهورة : يوصى المرید بما يكون عليه عند شيخه :

وكن عنده كاليت عند مفسل يلقبه ما شاء وهو مطاوع

وقال الشريشي في رائيته المشهورة :

ومن لم يكن سلب الارادة وصفه فلا يطعم في شم رائحة الفقر

ومن شروط هؤلاء المريدين ان من قال من المريدين لشيخه منهم له لا يفلح ابدا ؛ ومن اجل نظره يعلم ان هذا الشرط يتخذ اساسا في كثير من الجمعيات والتنظيمات كالجندي وشبهها ؛ فلا يختص به الصوفية المربون لاصحابهم ؛ فعلى هذه الوتيرة سار صاحب الترجمة مع شيخه ؛ فيخدمه ويقوم بين يديه ويكفيه مع اولئك المتجربين كل ضروريات زاويته ؛ وكثيرا ما يقول بعد ذلك لتلاميذه حين رجع شيخا مرييا ؛ ليس العجب ان يستسلم الواحد لشيخ يحبه عالا ؛ وانما العجب منا نحن الذين استسلمنا لشيخ امي ثم وقفنا الله فراعيناه بكل ادب والحمد لله ؛ وقد اخبرت ان شيخهم وصلهم يوما في هاجرة تذيب دماغ الضب ؛ وتعيش اعين الحرباء ؛ وهم يحصدون زرعاً للزاوية في بسيط المدر ؛ وقد سالت اصابع من كانوا قبل لا يالفون مزاوله المهن دما

صاحب الترجمة والنامودي زنى وامثالهما ؛ فلم يلق الشيخ امسالا عليه فقال والله لولا ان الذي لطلبه وهو وحده سبب اتصال ذات ما سببنا ؛ لا يحصل لكم الا بهذا ؛ ما كان في صدري قلب يستمسك حين يراكم على هذه الحالة واخبرت ايضا ان الشيخ خرج يوما في حمارة فيط ؛ فرأى صاحب الترجمة يمشي مع الزاء حائط وقد ادركته الشمس ؛ فتناول رداءه من فوق ظهره فجعله عليه ثلثة ثياب وخرج الحرارة من غير ان يوقفه ؛ ومما وقع له في هذا الصدد انه كان سائعا مع اخوانه المتجربين فوصلوا (ارازان) براس الوادي ؛ فالتفت اليه اهل القرية ان يطلبوا من الله الاعانة بالامطار ؛ وقد فسدت المزروعات وروپ الياس الى القلوب ؛ فقال الفقراء للمترجم اننا نربطك في هذه المهمة فوجه كله الى ربه ليغضى هذه الحاجة ؛ فسرعان ما انهلث الامطار حتى انكفى الناس فقال الفقراء هذه كرامة كبيرة ؛ ولا بد ان تكرم الفقراء على العادة لشكرنا على ذلك ؛ فصار كل واحد يقترح منيته فهذا قميص وهذا ثعل الى ان تكون من ذلك كله ما يكون لمن جميعه ست ريات حسنة ؛ وهى الاذالك خصوصا في هذه البلاد المقلبة مال له بال ؛ فخرج المترجم الى سوق هنالك ؛ فوقف ينادي

الامن يمد لي لله ست ريات ؟ يكرر ذلك جهارا فكان الناس يمدون اليه فريشا فريشا فيقول انما اريد الست ريات دفعة واحدة ؛ فسرى التعجب في السوق ؛ حتى اخبر بذلك تاجر من سكان تلك الجهة متمول ولكنه ماهر رماة ؛ فالتفت الى الغرائب ان جمع ذلك في يده فقام حتى مده للمترجم ؛ فكانت اية الكرم من اخنها عند كل من يعرف الرجل ؛ فاشترى كل الفقراء منهم ثيابا تلك عادة الفقراء ؛ ان يكرم الفقير اخوانه متى ظهر عليه شيء يسره من ربه او كرامة ؛ او كرامة اظهرها الله على يده ؛ ولعل ما فعل كعب بن مالك يوم اربعة الله بالتوبة ما يستانس به لذلك حين خرج عن بعض ماله

واخبرت ايضا انه اجتمع مرة مع اخوانه المتجربين في بسيط المدر يحصدون لشيخهم ؛ فجالوا في المذاكرات حتى طابت القلوب ؛ واحسوا كلهم بسكينة ازات على قلوبهم ؛ فقال قائل ان هذا الوقت وقت طيب ؛ وربما يكون مقلبة استجابة دعاء فليقترح كل واحد مافي قلبه لندعو الله جميعا بالاستجابة ؛ فقال المترجم مقترحى انا ان لا افقد طوال عمري من يعيش على ذكر الله وطاعته الى ان اموت .

واخبرت ايضا ان صاحب الترجمة رأى مرة اذ ذاك نفسه كانه راجع برعى سالمة كثيرة فقص رؤياه على اخوانه الفقراء ؛ فقال له بعضهم - وسمعت الله سيدى الحاج الحسن التامودي زنى - ان رؤياكم يا بنى عبد الله بن سعيد لا تبدو الرعى والمراعى التى اولعتم بها اشد الولوع اباعن جد ؛ ثم سقطت الرؤيا الى شيخه ؛ فقال ان ذلك رعايته للخلق ؛ وتلك طوائف الر طوائف لتهاى عليه من كل جهة ؛ وكلها تصدر من يديه بالرى الذى لا يفادر عطشا ؛ فكان من المصادفات

ان الفقير سيدى محمد ابكى التالكرلى الافرانى حضر مرة فى موسم من مواسم صاحب الترجمة الاول بالغ ؛ وقد اقبلت الطوائف يوم الاحد تترى من نواحي الخ ؛ فما يفرغ من واحدة حتى تقبل اخرى ؛ وقد ملأت ارجاء الخ باذكارها المرتلة العالية الى عنان السماء ؛ فعد منها اكثر من خمس عشرة طائفة ؛ فى كل طائفة عشرات او مئات من الوافدين ؛ فمال الى الشيخ وقال له : الاتذكر الرؤيا التى كنت رايتها فى زمن تجريدك ؛ واولها لك الشيخ بما رايناه اليوم عيانا ؟ فهذه بشرى عظيمة اذكرك اياها ؛ فتهلل وجه صاحب الترجمة فجزى الفقير الافرانى بهدية عظيمة .

في السياحات

ان مما يقول الصوفية انه مما يصقل القلوب ؛ ويجلو مراهاها ويهذب النفوس السياحة ؛ ولذلك يجعلونها فى رأس قائمة شروط الطريقة ويقولون بقدر ما تبعد عن شواغلك بين اهلك ومعاريفك تبعد عما يحول بينك وبين ما يقربك من ربك ؛ ويستدلون لذلك بان الله وضع السياحة ازاء التوبة والعبادة فى قوله تعالى «التائبون العابدون الحامدون السائحون الراكعون الساجدون الامرون بالمعروف والناهون عن المنكر والحافظون لحدود الله وبشر المؤمنين» وهذا على قول من يفسر السياحة هنا بالسياحة المعروفة ؛ وقد غاب عن هؤلاء المستدلين بالآية ان المفسرين فسروا السائحين بالصائمين استنادا لحدِيث وذلك ليقبى سياق الآية ؛ قالوا فوصف هذه مرتبته بين اوصاف المؤمنين ينبغى ان لا يفرط فيه المؤمنون ؛ وان يجعل كاساس من اسس الايمان ؛ وكمرأة يترأى منها للمريد ما يكثر به اعتباره ولا مقرب الى الله كمثلى الاعتبار الكثير والتفكير الحى فى مخلوقاته ؛ وتفكر ساعة خير من عبادة سنة ؛ على ان للسياحة اثرا محسوسا فى تكوين الاخلاق والرجولة ؛ ولذلك نرى الشعوب الحية تأخذ بالتجوال ابناها من شرح الشباب .

بين قرى سوس مع شيخنا

مضت بقية عام ١٢٩٨ هـ والنصف الاول من عام ١٢٩٩ هـ وصاحب الترجمة فى طائفة شيخه يتقرون قرى سوس بالارشاد وتعليم التوحيد ؛ فكانت لهم سياحة الى افران بمجاط حيث وقعت لهم قضية مع الرئيس على نذبوهوش سنذكرها فى محل آخر واخرى الى راس الوادى حيث تلقاهم الفقيه سيدى الحسن التمل نزيل (ايرازان) لقاء اذاه الى ان يعتنق التصوف على يد سيدى سعيد بن هو وقد ساله سيدى الحسن بمن يقتدى بعده ان فقدته فدلّه على صاحب الترجمة فى حكاية سنتعرض لها ان ذكرنا هذا الفقيه فيما ياتى ان شاء الله ؛ وقد بقى صاحب الترجمة يتعهد دائما قبل ان يتصدر فى دست التربية وبعده الى ان

توفي هذا عام ١٣٠٨ هـ وقد اخبر احد الزكّرين انه مازى من شططته لنفسه واخرى من كل المواقف جميعا ؛ ولادت فيه محبة الله فالتسبب اهلها واولادها ونفسه هي لا يبال بمطعم ولا مشرب الا رجلا واحدا ؛ قال ؛ طرقتى وقد كنت يوما واقفا على صهريج قريتنا ؛ وقد وصلتى نوبة السلى بين الجماعة ؛ فبلغت شدة اذا به اسمع هيلة يجرها ؛ وقد اندر على من تشبه لصاحب قريتنا فيما ان سمعت هيلته حتى ملكت على مشاعري ؛ فقلت مشدوها ؛ فليست الله الذى يندفع من الصهريج فوقفت فى مكانى حتى مربى الرجل وهو فى مرفعه واليه فوره على كتفه والعكازة بيده ؛ وهو لا يلتفت وعلى محياه الوار تلالا كانها الوار الشمس فى الجو الصاوى ؛ فتبعته لعل اساله من اين هو ؟ وهل يحتاج الى طعام ؟ وما مقصودى وراء ذلك الا ان اشاهد محياه مرة اخرى ؛ فمال الى ظل شجرة ازاء القرية فاضطجع وغطى وجهه ؛ فوقفت عليه اسالته ؛ وهو لا يجيبني ؛ ثم اجترأت فمددت يدي فزحزحت غطاء وجهه فنهض لى بهذه الجملة « ما كان ينبغي لك ان تسال الاعن امور دينك وما تتوقف عليه ان وقفت على يدى رايته » هذا كل ما قال ؛ ثم غطى وجهه ثانيا فذهبت الى الدار فالتسبب بالامام فلما بالرجل لا عين ولا اثر فبقيت فى قلبى نكتة منه لم لم تمسح الا سنوات ؛ فوصل اليها الشيخ سيدى الحاج على بطائفته ؛ فاذا هو ذلك الرجل بعينه ؛ فاول من التحق به فى القرية ؛ واحمد الله على ذلك ؛ اقول انك صاحب امر عظيم المرجوة فى هذا الحال ورايت كيف كان حاله فى طور التجريد ؛ فلو كان اذا ساح وحده فقد رايناه كانه احد رجال كتاب (روحى الرياحين) لواء الكورين فى (الرسالة القشيرية)

في حياته

كان الشيخ سيدى سعيد المعبرى اتصل بشال زاوية جبالة المدراوى بن ابيه شيخه ؛ وقد كان الشيخ مولاي الطيب بن العربى زار سوس عام ١٢٩٧ هـ وهل بمشهد سيدى احمد بن موسى فكان بالمعبر عند سيدى سعيد ؛ ولذلك لم ينس الشيخ المعبرى يدال جبالة فاحب ان يرسل ولدا من تلاميذه ليحضره هدية منه الى مولاي عبد الرحمان الذى صار خليفة لوالده ؛ فارسل سنة ١٢٩٩ هـ واسط عام ١٢٩٩ هـ وجعل صاحب الترجمة مقدمهم .

اخبرنى الرجل الصالح سيدى الحسن التامكونسى انهم مروا به فى اوانان ذهابا وايابا كما حدثنى سيدى بلعيد التيزكىنى ان هؤلاء مروا الاذالة يدالمة فبالوا فى مدرسة سيدى منصور كما مروا بهم ايضا فى الاياب ؛ ثم ساروا على طريق الجديدة فالبيضاء فالرباط فزمرور فطلعوا الى زاوية جبالة وهم يسرون بالارشاد الفقراء ؛ فما يقومون من حلة الا وقد عينوا لهم حلة اخرى يزلون فيها ؛ اخبرنى الاستاذ الهركة سيدى الحاج على من اولاد اولئك الشرفاء

انه كان في ذلك الحين يأخذ بعض المختصر عن نزل براويتهم من العلماء الزائرين ؛ قال فكان من حظي ان اخذت ايضا دروسا عن سيدي الحاج علي السوسي ؛ ثم قال رحم الله سيدي الحاج علي فقد نفع الله به البلاد والعباد ؛ اخبرني بذلك في احدى زياراته للحمراء في حدود عام ١٣٤٠ هـ وقد لقينته في زاوية القصور ؛ ثم حدثني ايضا بمثل ذلك سنة ١٣٦٢ هـ وقد تغدينا في دار ولده وجلس معنا مليا .

وفي ذلك الحين حفرت البير التي تضاف الى اهل سوس هناك ؛ فقد راي صاحب الترجمة اهل الزاوية يأتون بالماء من بعيد ؛ وتناهم من ذلك مشقة وصعوبة ؛ فقال ليس الماء قريبا هنا في الارض ؛ فقالوا بلى ولكن لم نجد من يحفر عنه ؛ فانتدب لذلك هو ومن معه ؛ فصاروا يحدون في الحفر ؛ فلما حفروا ماشاء الله طلع صاحب الترجمة فاضطجع اذاء البير وبعد هنيهة انتفض من مكانه ونزل فتناول المعول من يد من معه فمال على حرف البير حفرا فصاروا يقولون له ماتصنع ؟ ان الماء يستنبط من تحت لامن جانب وهو ساكت لا يجيبهم - وقد دخل ايضا في الشروط التي بينها الصمت كما بينها فيما تقدم - وبعد حين تدفق الماء من الجانب تدفقا ؛ وبشق الانفس تناول من في البير ما كان فيه من الاثاث قبل ان يغمر الماء ارضها ؛ وسمعت ان مولاي العربي او مولاي الطيب على اختلاف في الروايات في السنة المحدثين وقف عليه في تلك النعسة ؛ فقال له انكم تتركون الماء في جانب كذا ؛ فاراه الناحية فكان ذلك سبب ما فعله وسمعت ايضا ان مولاي العربي او مولاي الطيب على اختلاف الروايات التي نسمعها ؛ وقف عليه في الليلة المقبلة ؛ فقال له انك اجريت لقريتنا الماء الحي الدائم ؛ وسنجرى في قلبك كذلك ماء حيا دائما ؛ هذه الحكايات كلها سمعتها تتداول بكثرة وكل ذلك ممكن والله اعلم ؛ واما الذي صح عندي من جهة السند فهو ما اخبر به سيدي محمد بن سعيد المعدي ابن شيخ صاحب الترجمة قال ؛ بينما والدي ووالدتي في تلك الايام التي كان فيها سيدي الحاج علي في جبالة جالسا في مشرقة دارنا يوما وبين يدي والدي شعر تنقيه للطحن وقد جلس اليها الوالد ؛ وهما في كلام متنوع اذا بابي تبدلت سحنته وقف شعره واحمرت عيناه واخذته رعدة فريعت منه امي لما تراه منه دائما اذا وقع منه مثل ذلك الحال ؛ وكثيرا ما يقع منه ؛ فقالت له ماذا ؟ وما الذي اصابك من جديد ؟ فقال لها الآن دفع سيدي علي اكرام سوبذلك يدعي اذ ذاك صاحب الترجمة بين الفقراء - ابواب حضرة الله فولج ؛ وقد جعل الله مقامه على مقام سيدي علي الجمل ؛ هذه الحكاية ارويها باسانيد صحيحة متعددة ؛ وقد كان صاحب الترجمة مولعا بمطالعة كتاب فيه اقوال سيدي علي الجمل ؛ وكان في كوة من زاوية شيخه ؛ وكان شيخه كلما راي الكتاب في يده يقول له «تلاقيتما ثانيا يا عليان» او كما يقول له

هذا ما كنت اسمعه من الفقراء يدور حول صاحب الترجمة وهو في جبالة دارا فقراء جبالة الفسهم فيوردون حكاية اخرى ؛ يقولون ان اهل سوس هؤلاء انما يستل كبر من لغاس مما تسخن فيه الاوضة عادة الى جبالة ؛ بل يقولون ان سيدي الحاج علي حمله فوق راسه من سوس الى جبالة ؛ حتى حصى حجر راسه بذلك ؛ فعاد اصلم وهذه الحكاية لم اسمعها الا من جهة اصحاب هؤلاء الشرفاء ويمكن ان يشترى هؤلاء الفقراء هذا السطل بغاس او من مكان آخر في باب ؛ فيذهبون به الى الزاوية واما انهم اتوا به من سوس فبعيد واما كون صاحب الترجمة يحمله فوق راسه فحصى شعره بذلك فعاد اصلم ؛ فخرافة من الناس الذي يولج به من يصاحبون ابنا الزوايا ؛ ممن يريدون ان يجعلوا لمن يعمل في الخدمة سرا ظاهرا وربعا عاجلا ؛ حين يستشهدون بفلان وفلان انهم جاءوا الزاوية وفعلا وفعلا فكانوا سادة قومهم ؛ وصاحب الترجمة لم يحصى حجر راسه اذ ذاك ولم يكن اصلم ؛ الا اذا حدث فيه قليل مما يعتاد في بعض الناس من شيوخه (نعم) انه ثبت عندي انهم اتوا حافلة بذلك السطل الكبر

رسالة من صاحب الترجمة الى شيخه

عنه انك ما سمعنا مما يحكي عن صاحب الترجمة وهو هناك ؛ ولكننا اذا اردنا ان نكتب قصصا لما يقوله هو لشيخه في هذه الرسالة فانه يحكي لنا

وما يحكي عن الفتي مثل نفسه فحدث بما قد ذقته زمن الوصل
ادم من لسلي الرقيق بكاسها فعدت صريع الكاس والاعين النمل

الرسالة

من علي بن احمد الملقب بالدراوي ومن معه من الفقراء سيدي الحاج علي وبيدي ابراهيم وبيدي محمد بن الحسن وبيدي مبارك وبيدي ابن محمد الذين ساءوا الى دار الشيخ مولاي العربي ومولاي الطيب واولادهم ؛ الي خا وفتونا واستاذنا وملاذنا وسندنا وعمدتنا وقررة عيننا وانسا وعزنا وحرانا وروحنا وفرحنا ولزجة قلوبنا ومنيتنا وغاية مرامنا من لاحت شواهد شروق شمسنا ؛ وليلجت من سماء العرفان بدور انسه ؛ وما زال مرتقا لسما اعمال والعالى في يومه من بعد امسه ؛ حتى كانت قدمه على قدم من كان يركع وسجد في رعبه وكلف لاوقد ادى الثمن وجاد بنفسه وقلبه ؛ واحسن العمل في معناه وحبه ولذلك كان طيبا للقاء العضال الذي يتبعه الوبال وكل من يسكن عليه بعينه يشكبه بالترياق بعد ما ظن انه اشرف على الهلاك والاضلال فهذا السيد الجليل هو الذي القادنا من الظلام الذي اسبل علينا الجرافع وداوى

بشربائه فينا السم النافع ! ولعلنا السع الخرق على الراقع ومدانا في شبكته واقع
 وأنا في ذلك الوقت يافع ! صارت تتزايد على القواطع فسل سيفه القاطع فقطع
 به كل ناطق وصامت وسامع ! لا يغادر صغيرة ولا كبيرة الا ترى عليها باللامع
 فجازه الله الجزاء الذي هو لانواع الجزاء جامع وانالنا على يده ما خلقناه من
 الاخلاص الساطع : من اشارت اليه الايدي بالبنان بانه حامل راية العرفان على
 رؤوس الشهود والعيان سيدنا الشريف مولاي سعيد بن محمد احمد اللسه
 عاقبتنا بكم آمين بسلام مزخرف بروائح المحبة والتشوق للذين هما اعطر من
 المسك والريحان : تزفه سبحانه الى حضرتكم المرضية وخلواتكم الربانية
 مادام وجود واجب الوجود : الذي هو المعبود (وبعد) فليعلم سيدنا اننا وصلنا
 الى دار اولاد الشيخ بسلامة وعافية في الطريق والحمد لله : ودخلنا يوم الثلاثاء
 الرابع والعشرين من غشت فوجدناهم بسلامة وعافية والحمد لله : واول من
 لقيناهم بعد الدخول : الذي تقول لنا هو وارث سرمولاي الطيب وهو ذو الحاجة
 منهم الشريف الاصيل الجليل النبيل : الذي التقى السخى النقى الوفى الحفى
 الذكى الودعى اللبيب الحبيب الاريب الاديب النجيب : سيدى ومولاي عبده
 الرحمان ابن مولاي الطيب : فرحب بنا اى ترحيب وسالتنا عن احوالكم واستقصى
 الاخبار استقصاء الطيب فاخبرناه بسلامتكم وبشوقكم بالبراءة وبما فى رؤوسنا
 حتى شفى الغليل وبرى العليل : وكل واحد منهم لقينا بما تصدر قلب البلد
 سواء الصبيان والعيالات من الاحرار والعبيد : وحتى فرحست بنا الاشجار
 والاحجار وتلاطمت علينا لجة الانوار والاسرار وقد شاهدنا ذلك عيانا على فقد
 الاعيان : وذرنا مولاي الطيب فى بيته فو الله ياسيدى لقد كان على ماوصفته
 به فى حياته لما دخلنا بيته كاد لحمى وعظمى يتمزقان : حتى اشرفت على الغيبة
 وكيف لا وخال مماته كحال حياته (ولانحسبن الذين قتلوا فى سبيل الله امواتا
 بل احياء عند ربهم يرزقون) والحاصل انزلونا منزلة الملوك : وكانوا لنا خداما
 وان لم تكن اهلا للخدمة تمسكا بالحديث (سيد القوم خادهم) واعطيناهم
 الزيارة التى اتينا بها : وهى ثلاثون ربعا : عشرون بوجهها وعشرة فى رياتين
 والله لقد راينا ذلك اقل القليل ولكنهم اهل القبول : جزاهم الله خيرا عنا ووقاهم
 ضيرا وقد سمعوا بالجلال الذى وقع فى بلدنا (١) حتى كان ذلك اكثر بنسبة
 بلدنا : ولكن الهدية على قدر المهدى : كما قالته النملة لسيدنا سليمان على
 نبينا افضل الصلاة والسلام : وعلمنا منهم ان قلوبهم لم تتعلق بالدنيا ولا بمن
 اتى بها : بل كان احب منه عندهم الذى اتى بوجه الاخلاص لانا راينا كذا وكذا
 من الفقراء جاءوا على وجه الله ما اتوا بشئ بل ربما اتى بعضهم باولاده ليعيشوا
 عندهم : فرفدوه هو واولاده : وجعلوه فى عين التعظيم : والحاصل ان احوالهم

(١) مسغبة ١٢٩٩ هـ

احوال الكمال فمن الى شئ فلسفه وامامهم فاستغلون فى القلوب عن ذلك
 والحمد لله بلى الخير فى مكانه كما قلت لنا : فى الوقت الذى مات (١) مولاي
 الطيب : رايت الاولياء اجتمعوا واقاموا مولاي عبد الرحمان مقامه : وقد صبح
 ذلك القال بقله ومناما وسلم منا ياسيدى على جميع اخواننا واخواننا فان
 شوقكم قد قطع اكبادنا : فهانحن ان شاء الله متى خرجنا من الزيادة لنوجه الى
 البلد ونسبح على الاخوان : كما قلت لنا : حتى نصل فى الزمان الذى اراد الله
 ولو فى مارس : وادع لنا ياسيدى وجل فينا : فوالله لقد راينا قلوبكم كانت
 معنا ابدورا بسونا فى السفر كما رايتونا فى الحضر : جزالة الله بكل امر
 ظاهر او باطن حسي او معنوي : نرى فتياكم فيه متى وقفنا عليه وسلطنا فيه
 الامارة لله : هكذا يكون الاشياخ يرعون المريدين فى السفر كالعطر والحمد
 لله الذى كمل علينا الوصول الى هذه الدار الذى احببته لنا وامرنا به وارسلنا
 اليها جعلنا الله ممن يستمع القول فيتبع احسنه والسلام .

هذه هى الرسالة والقارى لا يتم قراءتها حتى يخرج منها بامور كثيرة من
 احوالهم : فكما يفهم منها ما شاهده كاتبها هناك : ويرى منها نظر هؤلاء
 اهل الله الى مولاي عبد الرحمان الذى نعلم عنه فى آخر حياته (٢) ما نعلم : يفهم
 منها الامام العظيم الذى يحمله هذا العالم صاحب الترجمة لذلك الامى الذى
 اسما : وهو النافذ على قلوب كثيرين من علماء اهل زمانه : فنعرف لذلك كيف
 كان : وكما يفهم ايضا منها نظريات اخرى لاتغفى عن يالف ان يستشعر
 من الله الهواطن من الظواهر : مما لا فراغ معنا الا نحتى نعرض له فانه
 يكون ان يفهم هذه الفكرة الروحية التى ماجت على المترجم فاسته كل شئ
 كان : قبل من المدارس : حتى كان لسان حاله ينشد امام هؤلاء العلماء
 الذين غادرهم فيما هم فيه

فمن اين يدري الناس انى توجهنا

فاس

فى الالة احاديث كثيرة مختلفة : وقعت لصاحب الترجمة مع رفاقه
 حين حلوا بفاس مرجعهم من جباله : ويورد بعض ذلك على صورة الكرامات ولكن
 لم تكن فى ذلك الآن حتى على قلن : الا ما كان من خلوة اختلوها هناك فى محل
 معروف لى خلته مدرسة الوادى - ان امكن ان يجد فيها غريب ماوى - فخرج احد
 الفقراء فاقصاه صاحب الترجمة ان يتقلب فى السوق بالجهر وهو واقف عددا
 خاصا من الخبز وان لا يقبل دون ذلك العدد : فصادف بعض التجار الكرام فقال
 له لك مثل ذلك كل يوم : مادمت انت ورفقاؤك فى فاس : والا ما اخبرنى به

(١) تولى مولاي الطيب ١٢٨٨ هـ

(٢) ايام ثورة الربيع

بعضهم والله صحيحاً ! ان بعض الفاسيين دخل الى خلوتهم تلك فسمعهم في
مذاكرة من مذكرات ارباب القلوب - كما تسمى في اصطلاح الصوفية هؤلاء -
فاعجب بما يقولون وكلهم يتكلمون باللغة العربية ان كان بعضهم يعرفها وهو
غير بعيد ؛ والا فبماذا يتخاطبون مع من في الطرق من الشياطين الى ان يرجعوا
اليها ؟ فاقترح عليهم ان يكونوا اضيافه فاضافهم مرات في داره وهذا الفاسي
احد الرؤساء في الطريقة الحراقية بفاس من اصحاب سيدي الخضر السجعي .
ثم وقفت في نونية التعريف بالشيخ لابن مسعود على مايلي

وراهم شيخ بزاوية وقد	وجدوه في ركن من الاركان
فراى من اهبة جدهم مرقه	فاتوه للتسليم واللقيان
سالوه كيف الحال سيدنا فقا	ل انا اعتزلت هنا لصمت لسان
لذكر ثم رايتكم فذكرت من	احوالكم صاحب الرضا الصمداني
اعنى الامام الدرقي العربي كـ	سنت رايتهم بمحجة الرضوان
ناهيك من حال يذكر حال صـ	سحب العارف المذكور قطب الان

وقفت على ذلك فعلمت انه يشير الى هذه القضية التي وقعت لهم بفاس
واخبرني الشيخ سيدي محمد العطار الحراق حين نزولي بفاس مفتتح
عام ١٣٤٣ هـ بما علمت به ان لصاحب الترجمة ورفقته اتصالا بالحراقيين هناك
وذكر ان تحت يده رسالة كتبها اليهم الشيخ من الطريق بعدما ارتحل مع اصحابه
عنهم الى سوس ؛ كان وعدني بها ولكن الصبا وغرارة الشبيبة منعاني من ان
اتردد اليه حتى افوز بنسخة منها ؛ وهذا الذي اضافهم من هؤلاء الحراقيين
بالاربيب

ثم وقفت بعد كتابة هذا على رسالة للشيخ كتبها الى اصحابه الذين
بزاوية مراکش يلم فيها ببعض ذلك وقد صرح فيها بان ذلك الحراقي خليفة
سيدي الخضر ؛ ونصها

اخواننا في الله المتجردين السيد الحاج محمد البوالطبي ومن معه من
حضرة مراکش سلام عليكم ورحمة الله تعالى وبركته وبعد فلا بأس والله الحمد
عندنا وعند الفقراء جميعا في كل جهة في سوس والمتجردون سائحون الى جهة
فم تأملت عند سيدي احمد بن يوسف ؛ ثم الى الوكوم وزكيط ؛ ويرجعون ان
شاء الله في يناير ؛ وسيدي سعيد التاني معهم في السياحة ونحن في البلد
بخير وعلى خير والحمد لله ونرجو من الله ان تكونوا كذلك ؛ وهانا ارسلت
هؤلاء السادة ياتوننا باخباركم ويأتوكم باخبارنا لا غير ؛ واما الامور فكل شيء
في رؤوسكم ولا نحتاج ان نذكره لكم ان كنتم بعقولكم ؛ لان العاقل يفعل في
الخير مالا توصيه عليه ؛ وغير العاقل لا يفعل شيئا سواء وصيته ام لا ؛ وتعمير
الزاوية بالذكر في كل ليلة مطلوب منكم ؛ وانتم اولي بذلك ؛ فقد وصيبت
سادتنا اهل مراکش في براءتهم على ذلك ؛ فانتم اولي بذلك ؛ وكذلك ان تعرضوا

الناس هل ذكر الله والورد والقلوب لعباد الله ؛ فانتم اولي ان تفتشوا عن الناس
وتجذبوهم الى الورد بكل ما يمكن فذلك هو المقصود بالزاوية لا بناؤها فقط ؛
وسيدني الحسن الركايسي يلزم الرحامة لا يفرقهم وقوموا بالطريقة كما كانت
فقد مرهم اساسها وبنائها وما يضرها وما ينفعها وما يصلحها وما يهدمها واياكم
والعائل في الطريقة ؛ فانكم احتجت للمقال والحال ولا تتركوا واحدا منهما
وتولوا اربابا للفقراء واكثروا من ذكر الله والصمت والعزلة والجوع والبركوا
الهرول مع الفقراء فانكم ان سلحتهم يصلحون في العين والزمو الصديق في
القول والفعل ؛ واياكم والكذب وازهدوا فيما في ايديهم فلا يرون فيكم الطمع
الذي يفسد المحبة ؛ فكل ما كان عندكم من الفلوس فلا بد ان يروا الشيء الذي
يرقموها فيه لتلا يظنوا انكم تجمعون الدنيا ؛ فان النفس لا بد ان تظن
الظنون ان لم تشاهد (قال بل ولكن ليظمن قلبي) فالفقر اذا ذكر الله تعالى
يعرف كل هذا بقلبه ؛ ولا يحتاج الى تنبيه ؛ واياكم والشهوات فالدنية موضعها
في اليأس ولا في الفراش ولا في الماكول فالطريقة ابتداءها الجلال والتهالها
الاحمال فظنوا كل منسب لله تعالى وجميع عباد الله ؛ واياكم وسوء الخلق
بالطريقة كلها ادب والادب مع الحق ومع الخلق وقد قال مولانا سيدي مولاي
المراد الدرقي رضي الله عنه ؛ زينوا وجوهنا يا فقراء بترك الطمع ولا تفرقوها
بعدا ؛ فانهم العاقل لا يتقدم الفقراء الا ان اتصف باوصاف الكمال ؛ من
هم ؛ والاشرة الصمت وكثرة الجوع فحينئذ يتقدم امامهم ويكون امامهم
هذه العلية من الاخوان ؛ فيمد الناس من نور همته في مقاله وحاله ؛ فكل من
راد ان يخلص معه يسوقه الى حضرة ربه ؛ رغما عن انفه احب ام كره ؛ فقد كنا
في حضرة سيدي سعيد بن محمد المعدي السملالي حين ارسلنا الى زيارة
مولانا العربي في جبالة كل من رانا اوسع بنا واهرى ان جلس معنا لا يقدّر ان
يفارقنا ؛ وكانوا يشاققون اليانا من بعيد لافي الذكر ولا في المذاكرة وقلوبنا
في الملكوت كما قال سيدي علي الجمل ؛ على في الحانوت وعلى في الملكوت
وقد قال لنا خليفة سيدي الخضر في فاس ؛ وقد قبضنا ثلاثة عشر يوما اذ قلنا
له لمشي « والله ما اتى بكم ربي الا لا غير وكنا نغيب في كل ليلة ونهار في
الذكر والمذاكرة ووقعت لنا في فاس كرامات كثيرة وخرق العادة لا ينشأ الا من
خرق العادة ؛ كما قال في الحكم « كيف تخرق لك العوائد وانت لم تخرق من
نفسك العوائد » والفقير المتجرد تمكن من كل خير ان اراده الله للخيرات ؛ ومن
وجد من يعمر معه وقته لله ؛ فصار ينظر الى غير الله فذلك والله هو الاحمق
فالزاوية للفقير الصادق بمنزلة الكعبة الشريفة للمصل ؛ فهو قريب من ربها غاية
القرب ولذلك يعمل اهل الله الزوايا للذكر لاستحضار القلب مع الله تعالى فاذا
كان واحد عند الكعبة الشريفة ؛ وجب عليه تعظيمها غاية باقاة ما بنيت له في
كل وقت وحين ؛ واصل تسميتها بالزاوية ؛ انما هو كونها موضعا لله تعالى
لان الزاوية في الاصل ركن بيت فقط ؛ وحالة الذكر ان يجلس في ركن بيت

يذكر الله فيه ؛ فهذا هو الغالب على الذاكر ؛ فلما صنع الموضع كله للذكر سوى بالزاوية ؛ وحينئذ فكل من اقام بالزاوية من الفقراء ولم يشتغل بذكر الله تعالى فيها فهو ظالم (ومن اظلم ممن منع مساجد الله ان يذكر فيها اسمه وسعى في خرابها) وهانحن وصيناكم هذه الوصية التي صلت لكل فقير يكون في الزاوية اية كانت ؛ فاتخذوا هذه الوصية ولا تهملوها ؛ فالحق يقويكم وايانا جميعا على الخيرات ويقينا واياكم من جميع المضرات آمين في تاريخ ليلة الجمعة ٢٨ ١٠-١٣٢٧ هـ

في محاوراة الشيخ كنون

اشتهرت عند الناس قاطبة تلك الحملات التي كان شيخ الاسلام علامة فاس في النصف الاخير من القرن الماضي الحاج محمد كنون ؛ ويعلم كل من له ادنى اتصال بالاستاذ الصوفي سيدي احمد بن الخياط ما كان لاقاه من استلذه هذا ؛ وما كان يسمعه من التنديد على ما كان يلابسه من احوال الصوفية وجرأة كنون في ذلك الميدان كان لا يدانيه كل من له اتصال بالصوفية ؛ خصوصا من اتصل بالدرقاوية ؛ التي فيها مظاهر تستثير من الاستاذ موجات جارفة هائلة لاتبقى ولا تذر ؛ حتى انه يبادر صاحبها بضربه بلجام بغلته وسط الطريق

استوى الشيخ كنون يوما على كرسيه في القرويين ؛ وقد استدار به مئات فئات من الطلبة ؛ فصار يخب في درسه ويضع ويفسر ويشرح ويقبل ويرد بفصاحته الشهيرة ؛ وذلاقتة التي تفوق بها على اقرانه ويستميل عينه فينة بعد فينة رجل في عرض المجلس عليه مرقعة بيضاء لاتنتهي رقعة منها الى رقعة بسبب وفي عنقه سبحة غليظة الحبات حمراء كانت كريات المرجان الكبيرة وهو يزدلف الى صدر المجلس ازدلاف من يفهم ما يقرر ؛ ويمد بصره الى منبر الاستاذ مد من يعرف هاتيك المسائل التي يقبل فيها الاستاذ ويدبر ويخلق بها في سماوات مجلسه بين سوادى القرويين ؛ فكان الاستاذ وقد لاحظ سمة ذلك الرجل ؛ وقد ظهر له منه انه عارف بما يقال عراه عجب ان يرى من كان في ذلك الزى يفهم ما فيه الدراسة ؛ فلما انقضى الدرس وسلم الطلبة على الاستاذ كما هي العادة ؛ اقبل اليه في اخريات الناس صاحب المرقعة فسلم عليه بدوره ؛ فقال له اراك بين الطلبة تتبع ما نقرره ؛ فهل تعرف مانحن فيه ؟ فقال له نعم والحمد لله ؛ فكان الاستاذ القى عليه من مسائل الدرس فاعجب بجوابه ورباطة جاشه ؛ وقوة جنانه فقال له حين انت بهذه المثابة فلماذا اويت الى هذه الحالة المزرية التي لا يتزيا بها الا اهل الرياء والسمعة الذين يريدون ان يتظاهروا بانهم على قدم الجنيذ ؛ مع ان بينهم وبين ما فيه الجنيذ وامثاله من الرعيل الاول ؛ ما بين السماء والارض فقال له صاحب المرقعة اما هذا الذي فهو ذى المساكين الذين لا يريدون علوا فسى الارض ولا فسادا ؛ واما حكمك

بانه لا يتزيا به اليوم الا اهل الرياء والسمعة فحكم غير مقبول ؛ الا من لسه الاطلاع التام على كل سرائر اصحاب هذا الزى ؛ ومن الذي يزعم لنفسه ان له هذا الاطلاع التام ؟ واما قول سيدنا انهم يتظاهرون بانهم على قدم الجنيذ واتباعه ؛ فقد اتى على القوم من حيث يحسب انه يقدح فيهم ؛ لانه لما شهد انهم بالتشبه بالجنيذ وامثاله فقد كفاهم بذلك اهتداء ورباحا ؛ لان التشبه بالكرام رباح ؛ ومن تشبه بقوم فهو منهم ؛ واما قوله ان بينهم وبين ما فيه الجنيذ بعد ما بين السماء والارض ؛ فان ذلك لا يضرهم لان عليهم ان يسيروا في الطريق وان ينتحوا ذلك الدرب ؛ وكل من سار على الدرب وصل ؛ وان يبدلوا جهودهم واما ان ينالوا كل ما يطلبون فذلك من الاقدار على ان هذا الكلام الذي صدر من سيادتكم يدل على انكم ممن يقولون بان فضل الله قد انقطع ؛ فطوبى لاصحاب وجفت الاقلام ؛ مع ان هذه الدعوى من اخذ بها وتمسك بجبالها فلا شك ان رايه فائل لامحالة ؛ وهو من المدحضين عند المناظرة ؛ وانت ايها الاستاذ ان حكمت بان فضل الله قد انقطع وان امثال الجنيذ والتستري ومالك بن دينار وابي علي الدقاق وعبد الرحمان السلمي والقشيري ومولاي عبد السلام بن عيسى والتشاذلي قد انقطعوا ؛ وان ما كانوا معروفين به في ذلك العصر قد انقطع فسي هذا العصر ؛ فماذا يكون جوابكم ايها العلماء الجهابذة اذا وجه اليكم آخر مثل هذه الدعوى ؛ وقال لكم هذه العلوم الفقهية والدينية التي تخوضون فيها ان بينكم وبين المكانة التي كان فيها ابن القاسم واشهب وعبد الرحمان بن الحكم وعبد الله بن وهب وابن حبيب بعد ما بين السماء والارض ؛ وقد كان بين ما تقررونه في دروسكم ؛ ان الاجتهاد قد انقطع اليوم ؛ وانكم انما تمثلون اولئك المجتهدين كما يمثل الماء النجوم ؛ فاذا كان التشبه كله رياء وسمعة فقد وقع العلماء فيما ينسبون اليه صوفية اليوم ؛ فما كان جواب علماء اليوم كان جواب صوفية اليوم

هكذا افاض الرجل - صاحب الترجمة - في هذه المحاوراة كما حكى ذلك احد رفقاءه المتشبتين وقد كان المترجم ممن اوتى الجواب المسكت وحسن الفصل والقول الفصل في امثال هذه المقامات ؛ وممن رزق الحكمة وفصل الخطاب في المحاورات ؛ حتى ان اصحابه ليعدون ذلك من كراماته ؛ فلا يقال له كلام الا اتى فيه بجواب مقنع مسكت ؛ وهذه المحاوراة صحيحة الا ان اختلاف رواياتها تجعل السامع المتشبت واقفا ازاها وقوف الحيرة ولكننا فعلنا بتلك الروايات التي بعضها يزيد على بعض او ينقص ؛ ما فعله الزهري بحديث الافك الذي مزج فيه بين الروايات ؛ وادخل بعضها في بعض وهي لعمر الحق محاوراة عجيبة يكفى من شرف الشيخ كنون ومن انصافه ؛ انه لما راي من صاحبها كلاما طويلا ابى الا ان يخضع مع سبر الشيخ كنون ازا كرسيه طويلا - وقد جلسا حين المحاوراة - فقال له المرء فقيه نفسه ؛ وعند الله علم السرائر ؛ فقام

وذلك على عكس الحالة المعروفة المشهورة عن كئون حين يحتدم في امثال هذه المواقف فانه ربما يتناول صاحبه بلسانه اوبيده ؛ ولعل الله راف بذلك القريب فنجاه من ذلك الجيش الجرار المتموج في القرويين ؛ فلو ان الشيخ كئون اشار اليهم لنال الغريب نكال شديد ؛ ولله الحمد على السلامة .

تلك هي زيارة صاحب الترجمة لفاس اذ ذاك ثم لم يرها بعد الى ان لحق بربه ؛ وقد اكرمت فاس مثواه ؛ ومن ذا الذي يصدر عن فاس الا ولسانه يتدفق على اهلها شكرا ؟ الا من فيه عرق ينزع الى النفاق ؛ فتراه يتمعر ان ذكر المومنون ودار المومنين بخير

في سلا

ان لاهل سلا قديما وحديثا آداب حمة ولطفا يأسر العواطف واخلاقا تؤهلهم الى ان يحافظوا على كل غريب ؛ مادام بين ظهرانهم نازلا ؛ ثم يزودونه عند ارتحاله وبعده حسن الاحدودة وذكر طيبا خالدا .

مر صاحب الترجمة ورفقته بسلا ؛ فنزلوا في الزاوية هناك مرجعهم فبعد ارتحالهم صاروا يقولون لمن ورد عليهم - كما اخبرني به مخبرون - عجا من فقراء سوسيين مروا بنا ولهم مقدم له مذكرات قوية ؛ فجسمه اضال من الديك واقواله كامثال الجمالات الضخام ؛ واخبرني آخر من السوسيين انه بات في زاويتهم ؛ فتذاكر كبار الفقراء في احوال صاحب الترجمة هذه ومما راوه منه اذ ذاك ؛ فقال لهم فقير من النساء ؛ وهل تعرفونه عيانا ؟ فقال له احدهم لو كانت تلك الناحية من القبة تتكلم لانبأتك عن احواله واذكاره ومذاكراته في تلك الايام التي قضاه مع رفقته هنا ؛ فقد كان لايفتر عن ذكر الله سرا او جهرا واذا جاء دور المذاكرة استولى على المشاعر واستثار القلوب حتى لانشعر بانفسنا ذلك هو اثره في سلا ؛ وذلك الثناء هو الذي يتبعه السلويون الابرار كل من الم بهم وكل اناء بالذي فيه ينضج ؛ ولاينبتك مثل خير .

بين الفقراء في سوس بعد موت شيخنا

استأثر الله بالشيخ سيدي سعيد ؛ وهذه الرفقة هناك في هذه السفارة فتوجه الحاضرون الى سياحة بمجاط تحت رئاسة سيدي الحاج الحسن التاموديزتي ؛ فوصلت هذه الرفقة المعذر ؛ ثم توجهوا الى تاموديزت فارسلوا الى اخوانهم ليتلاقوا هناك ؛ فصادف ان جاءوا هم ايضا ذلك النهار الى تاموديزت فالتقوا هناك - كما حكى لي كمن اخبره من حضر - بفرح عظيم وبشر آخر صوفي لايمت الى بشر الناس العام وما رأى كمن سمع ؛ ثم اجالوا امورهم بينهم فظهر لهم ان ينقلوا الشيخ سيدي سعيدا من مدفنه بتانكرت الى المعذر حيث اهله ؛ فذهبوا اليه ليلا فنبشوه فساروا به حتى وضعوه في مقبره اليوم وسط ساحة زاويته .

سيدي الحاج الحسن خليفة الشيخ

فأدرك سيدي سعيد اصحابه من غير ان يعين لهم خليفة ؛ وكانوا الجوعاء الفقراء ؛ وقد ذكر له ذلك في مرضه ؛ فمأزاه على ان يسأل لهم ان الشمس اذا طلعت لا تخفى على احد ؛ ولكن الفقراء المتجردين راوا ان يعينوا فيعابيلهم من يتقدمون به ؛ ويجمعون عليه ؛ ويكمل به سفار الفقراء ؛ ويتول رفح راية الارشاد العام كما كان شيخهم يفعل في القرى ؛ اجالوا القداح في ذلك حين اجتمعوا كلهم في مجلس عام فاشار سيدي الحاج الحسن الى صاحب الترجمة ؛ فقال له هذا لا والله ما لنا لها باهل ؛ فكما انه لا يحق لابن ابي فحافة ان يتقدم بين يدي رسول الله فكذلك لا يحق لي ان اتقدم بين يديك ؛ لسناك ولعلمك ؛ ثم انطلق على الفقراء ؛ فقال لهم ان سيدي الحاج الحسن هو نائب الشيخ ولا يعنونه هذا الامر ؛ ولا معنى في كثر القال والقليل ؛ فاتبعه كل الفقراء فاصبح التاموديزتي ولصاحب الترجمة من بين من ياتمرون باوامره فجالوا في سياحات في ارجاء متعددة احداها الى حاحة ؛ وقد اخبرني من رآه في تلك السياحة والطالعة في طريق ؛ وهم مابين متذاكرين او متجادلين في العاديات ؛ وهو مشتد على كل من يطرق الراس متفكرا ؛ وعليه مرقعته وهيضورته ؛ فلم يخرج في هذا الدور ايشاها كان عليه في زمن شيخه وكذلك ساحوا ايضا سياحات اخرى غيرها ؛

اراه

القطع خبره عن اهله منذ ذلك اليوم الذي خرج فيه صباحا الى المعذر ؛ فخرجت جنازة والده العشية الى المقبرة ؛ ولم يطرق آذانهم عنه بعد خبر وفاته ؛ فمروا الى لوجه الى الغرب - وذلك ما يطلق على ماورا - مراكش في تلك الليلة فاصبروا منه ؛ ففي يوم كان احد اخوته يعثر عند (تيزرا ايفولوسن) فابصر سوادا مقبلا من القبلة فامعن نظره فاذا بصاحب الترجمة مع فقير او فقيرين جاءوا من جهة تامانارت وقد فارقوا الفقراء الذين ساحوا الى اقا ؛ فاطلقوا اخوه لوج العثر واقبل ركضا يشب وثبات المستعجل النشيط المرح الذي ملأه السرور كل مشاعره ؛ فصاح على امه بعد ولوجه باب السدار البشارة البشارة اني هل جاء ؛ فطارت امه ؛ فأول ما قالت لابنها اجر الى الغنم التنا بكبش تملك الوالدة من ولدها على ثقبلا وعناقا وضما وطالما امتعت النظر في وجهه ولو كان لا يزال صغيرا لسمته الى حجرها ؛ ولكن شبعمرو عن الطوق فالتفت بكسوة جديدة ؛ فاراد ان يجبر خاطر الوالدة فاماط مرقعته ؛ فلبسها فطابت نفسها وعادت اليها الروح ؛

ثم بعد ايام ودعها ؛ وقد وعدنا على التردد اليها احيانا فصار يختلف بين اهله وبين الفقراء عام ١٣٠٠ هـ واللذين بعده الى ان كان ماسند كره

فراحت معي أيها القاري، حالة صاحب الترجمة في هذا الدور الذي بقى فيه بين الفقراء بعمود شيخه؛ كما رأيت أحواله أيضا قبله وهو تحت يد شيخه؛ فلاشك أنك تدرك من كل ما رأيت أنه ممن يؤثر الخمول؛ ويقنع بالعزلة؛ وممن ينفذ على نفسه قول الصوفية: الخمول كله نعمة والظهور كله نقمة؛ فقد عرض عليه أن يكون نائب الشيخ؛ وكان غالب الفقراء لا يبتغون به بدلا؛ ولكنه نقض اليد من ذلك وقتع بأن يكون تابعا لامتبعوا؛ ثم صدق قوله بفعله؛ فدام نحو ثلاث سنوات على ما عاهد عليه أخوانه؛ هذا مع أنه يحكى عن نفسه أنه منذ توفي شيخه كانت هوائف والهائمات تستنهضه لارشاد العباد فما كان يلتفت إلى ذلك خوف أن يكون من الشيطان الذي لا يوم من مكره وقد حكي عن نفسه أنه سمع عام ١٢٩٩ هـ وهو في قرية اينشادن قائلا يقول له: (زد هان اردن ران ادتر ايدن) (أي زد أمامك فان القمح سيزداد) كما وقع له مثل ذلك من رسول الله صلى الله عليه وسلم؛ وقد رآه كما قال عيانا في مسجد قريته في ثاني الاضحى عام ١٣٠١ هـ ووقع له مثل ذلك كثيرا؛ ولكنه يتهرب ويأبى الظهور كل الأبناء؛ وقال إن ذلك كان على اذاك كنقل الجبل؛ فيقنع أن يؤدي تلك الوظيفة من ارشاد عباد الله تحت يد سيدي الحاج الحسن فكان في تلك السنوات يبذل جهده في الارشاد مع بذل جهده أيضا أن ينسب ذلك إلى هذا السيد لا له؛ هذا ما كان نوى وعزم عليه؛ ولكن إذا اراد الله أمرا هيا أسبابه.

في لغتنا الشلحة مثل يضرب (يان واش كاي تيلينغ افولوسن افياسن امان) معناه (أما يكون في الدجاج منحوس واحد فيهرق ماءهم) يعنى فيبقون عطاشا؛ والمقصود بذلك أن الجماعة التي تضم قس صوفوها من يفسد عليها رأيها؛ فأنها لا يلبث رأيها أن يفسد الجميع؛ هذا بعينه ما وقع لهؤلاء الفقراء الذين طلقوا الدنيا واقبلوا على ربهم بكلياتهم؛ فان فيهم من ليس مقصوده ذلك كما يكون بين كل جماعة من يشذ عنها وعن مبادئها وان تزيا بزيتها

جلس اصحاب سيدي الحاج الحسن مرة للمذاكرة؛ وفي يد المترجم كتاب يذكر فيه؛ فجرت عبارة صوفية اختلفت فيها اذواق الحاضرين فتداولوها؛ وكان الغالب في ناحية المترجم في أخرى فتجادبوا المسألة بأدب ووقار على عادتهم دائما وكان فقير طالب يسمى ابراهيم بن الحسن الایعداني المجاطي حاضرا للمذاكرة؛ وكان ممن لم يقدم تهذيب التصوف ان يستل من اعماق صدره ما كان الفه بين رجالات قبيلته من مراغمة من يجاذبونه بعنف وبطش؛ فلم يلبث في ذلك المجلس ان قام مسرعا من مكانه؛ فمد يده إلى خد المترجم فطمه ونزع من حجره الكتاب؛ وهو يقول له: في كل مرة يامدعى

نلج في المذاكرة ولأبى أن لطاطي، الراس لسادتك؛ وبأبى لك ادعائك إلا أن يجاذبهم الحبال كالك لا تعرف مقامك ولا منتهى قدرك؛ فقام المترجم واعلمين بالنوبة فقال هل راس اللطم فقبله؛ ورجع إلى مكانه مطرقا؛ ومما قاله الفقيه ابراهيم بن الحسن الایعداني من أن صاحبه لا يسلم في المذكرات اخلدوا بأمها إراء بيله وبين رئيس الفقراء الشيخ سيدي الحاج الحسن إذا كانا يتذاكران وهما من الاقران وسيدي الحاج الحسن لا ينظر إلى ذلك نظر الایعداني فكان هذا ومما قاله يريدون أن لا يروا احدا يتكلم امام خليفة شيخهم اصلا؛ كان ذلك مما يدل على أنه لم يدخل بعد في نطاق الاجماع الذي وقع على الخافسيدي الحاج الحسن خليفة للشيخ سيدي سعيد المندري؛ وحول العقول امثال الایعداني موجودون في كل طائفة

الر هذه اللطمة تم للمترجم ماتم لما استراه امامك فقد طارت اللطمة والله يا سيدي الذي يتفرع بين اركان بناء متماسك؛ فيهتز بفتة فيسقط مما يملك وينشقق ما ينشقق؛ ويبقى ما يبقى فقد امتعض الفقراء مما جرى من الایعداني الا قليلين ممن هم على رايه فتشقى الشقاق بين القلوب سرا؛ من غير ان يكون لذلك نالر جهرا؛ ورحم الله ابا العباس القباج اديب الرباط إذ قال

رجل الرجال من الرجا ل اذا تنافرت القلوب

ان كان هذا في مطلق الجماعات التي تملكها قوانينها ومبادئها؛ فكيف بقلوب الفقراء الصوفية التي لا يضمها غير العاطفة والشعور

الشيخ ميرزا بيلدتم

اخبر العم ابراهيم قال بينما نحن في ٢٦ من رمضان ١٣٠٢ هـ اذا سيدي الحاج الحسن التاموديزلي وطائفة من الفقراء معه كبيرة؛ منها اخونا علي الزاوا قرية ابي سليمان؛ فبيتناهم بدارنا فنزل اليهم الاستاذ سيدي محمد بن عبد الله الالفي؛ وفي اليوم الثاني اقترح عليهم ان يبيتوا عنده ثم سافروا في ٢٨ من ايلول على قائه خلف؛ ففي وقت صار يتحدث إلى الوالدة ويخبرها بأنه عالم على الزواج في المدر وعلى الإقامة هناك؛ وقد خطب إلى رجل فخطبه؛ قالوا يريد أن يكون معه احد اخوته الاعراب ليستعين به على ما لا بد منه من الاعمال فنارت الوالدة في وجهه؛ وقالت له والله ما أنت بمفادنا؛ ولا بتارك القرية اهلك وموطن أبائك على كل حال؛ ثم اتصلت بزوجة ابنتها الاستاذ سيدي محمد بن عبد الله فاستعانت به في محاولة استئصال تلك الجدور من صدر ابنتها على بكل ما أمكن؛ وقالت أكون امه ارى منه قرة عيني وفائدة كبدى وأبى هل مستغفلة من الاماني ما الله اعلم به؛ حتى اذا اجثت منه الثمار قلب على هذا إلى مبعده لا راء ولا يراني؛ لا والله لا يكون الامر على ذلك؛ فقال

الاستاذ الى اخينا علي فالح عليه ان لا يفارق الخ ؛ وقال له فيما قال ؛ فاذا ذهبت انت عني فمع من اسكن هنا ؟ ابقى هنا في غربة وحدي ؟ وانت تعلم ان من له نصيب من العلم يكون غريبا ما لم يكن معه من يعرف قدره ؛ وهل يقدر قدر العلماء الا آخرون ؟ فاعتذر اليه اخونا علي بانه خاوي الوفاض ليس عنده ما يعتمد عليه في هذه البلدة الشديدة الوطأة في الحياة ؛ قال واما في المعدر فهناك من سأتزوج من عنده ؛ فاجعله بادى بدء معتمدا ثم هي بلدة سهلة الاشغال قريبة المنافع لا يحتاج فيها الى ما يحتاج اليه هنا ؛ فقال له الاستاذ انا كفيل لك بكل ما تتوقف عليه ؛ الى ان تستقل بامرك فان كان هذا هو عذرك ؛ فهو عذر زائل منذ الآن هكذا اخذ الاستاذ بحجزته من جهة ؛ وتأخذ بها امه من جهة اخرى ؛ ليقتضي الله امرا كان مفعولا .

قال ؛ فلم يكن لـ اخينا علي من ان يسلس لما طلب منه وقد راي الامور تتيسر ؛ ومن علامات الاذن التيسير كما يقول الصوفية في بعض الرسائل للمترجم انه صلى النبي صلى الله عليه وسلم فالزمه ان يقوم الى ارشاد الناس ولا بد ؛ قال كان ذلك من اصعب الامور على الى تلك الساعة فزال تلك الصعوبة عن قلبي ؛ فتشوفت الى ذلك كل جوارحي وكان ذلك في وقت السحر ؛ ثم عند طلوع النهار اتصل بانسان يسمى سعيدا من ايت سليمان من سكان قريته فلقنه الورد وهو يقول له نفتتح امرنا بك واسمك سعيد فلعل الله ان ييسر جميع الامور فتسعد كما يحكيه الفقير سعيد نفسه وقد تاخرت وفاته بعد شيخه اذ توفي نحو عام ١٣٣٠ هـ وكان هذا الان في آخر العام ١٣٠١ هـ ثم انه رجع الى اخوانه عند التاموديزتي الى ان جاء في رمضان ١٣٠٢ هـ كما ترى قال العم ثم ان اخانا عليا قال ان كان الامر هكذا وكانت السكنى لا تكون الا في الخ ؛ فلنبدا منذ الآن في تاسيس الزاوية ؛ ففي اول شوال اثر العيد ١٣٠٢ هـ صار خدمة ينقلون احجارا الى مكان الزاوية وقد اختار ذلك المحل لبعده عن القرية ؛ وقد قال ان الفقراء لا يليق بهم الا مكان مبتعد عن الناس وكان مكان الزاوية لامرأة تسمى تابوريشيت فاشتره من عندها الاستاذ سيدي محمد بن عبد الله ثم ابتدا البناء في اواسط شوال ؛ فكانت الزاوية الداخلية القديمة اول ما بنى اذ كان بناء ساذجا على الكيفية التي تمشي عليها المترجم في جميع ابنيته كلها ؛ لايهتم الا بالمحتاج اليه فقط ؛ من غير تزويق ولا تقويم ولا تصحيح واذا ذاك قال الاستاذ ابو الحسن الالفى :

بيت اتيج الخير من وجهاته	فاتح ما ينكا الحسود القالي
مشوى السعادة والسيادة والتقوى	ومزار كل مهذب مفضل
سلم اله العرش اركاننا له	بقيت على تقوى وعن افضال
وادم به ذكر الحبيب وكل ما	يحدو القلوب الى المرام العالي
واجبر به كسرا بدا من ديننا	وانضح به رينا بثوب الحال

والمترجم في اول رسالة له امام بما وقع له في هذا الطور ؛ مما اشرفنا اليه فالاول ان لسوق كلامه عليه حول ذلك ؛ نصه

الحمد لله الذي يتكرم على عباده ويفضل ويولي من يشاء من عباده بفضلته ولا يسأل عما يفعل ؛ الذي معرفته هو اقرب لعباده من جبل وريدهم فذلك احد من طلبه معرفته بجده اول لحظة ؛ كما قال لسيدنا موسى حين قال له ابن اجدك يارب ؟ فقال له من اول قدم رفعته لاني موجود معك والى ما افترقه انت وهذا المقام لا يفهمه الا من وصله ؛ وقد كنا قبل وصولنا اليه لجاهدنا في النار في غير الحضرة ؛ فلما فتح علينا وجدنا انفسنا غرقى في الحضرة الربانية ؛ والما السحاب على بصائرنا فلما انجل وجدناه كمالا جاد الحق وزهق الباطل فصرنا والحمد لله في الحضرة الربانية والتبوية جامعا لهما في الهمة قويا فيهما القوة الكبيرة ؛ الى ان تجل لنا رسول الله صلى الله عليه وسلم ليلة اول شهر الصوم الثاني لعيد الاضحى عام ١٣٠١ هـ وانا على الوضوء انظر طلوع الشمس مسرعا في ذكر الله فقال لي اعطيتك الاذن العام والخاص ؛ فمن ذلك اليوم لم يفت همي لاصلاح العباد ؛ وارشادهم الى العزيز الحميد فقلت الورد في ذلك اليوم لهم بعد ما كان ذلك شاقا على نفسي ؛ ولا اقدر ان انظر الى احد فضلا عن ان اريه ؛ وقد كان شيخنا سيدي سعيد المعدي ارسلني الى ابي السوار مع فقير ؛ فقال لي اعطيتك الاذن في الطريقة عام ١٢٩٩ هـ فقلت له لا اريد الا الحق واما الخلق فلا طاقة لي بهم فقال لي هذا الامر وصله الوقت ؛ فلم ارد له جوابا ؛ ولكن وجدت ذلك الامر كالجبل على الجبال ؛ فمضينا من المعدر فرحنا الى (ايتشادن) وذلك الامر هولنا ؛ فسمعنا هناك يقول لي بالمجمية (زدهان اردن ران ادتزيادن) (١) وذلك خطاب الله تعالى لاني مستغرق في حضرته ولكن قلبي لم يلتفت الى ذلك الى ان وقع الاذن الثالث للبول ؛ فاجتمعت همي لذلك من غير ارادة مني لان الاذن اذا وقع من اللالة من الشيخ ومن الله ومن رسوله صلى الله عليه وسلم لابد ان يتكون المادون فيه دائما على الف المادون وعلى غيره ؛ فوقع لنا كما قال مولاي العربي ببركة الاذن جاءنا اهل الخير فربحوا منا وربحنا منهم ؛ وانقطعوا عن الدنيا وتعلقوا بالله وذلك هو الربح الكامل ؛ وهذا المقام هو الذي كان عند السادة الاولين يردون الخلق الى الحق ؛ الى ان يعرفوه حق معرفته ؛ كالامام الغزالي والشاذلي ومولاي عبد القادر الجيلاني انتهى المقصود من الرسالة

هذا ما ذكره المترجم عن نفسه اخبرنا ان لسوق فيه كلامه بعينه لان المرء عليه نفسه ؛ ولا يعبر عن حالة الرجل مثل بنائه ان اعمله

(١) الى زده امامك فان الجمع سبزداد

قرأت الأسباب التي دفعت المترجم الى تسنم تلك الدروة ؛ وليس لنا بعد ذلك ما نقول ؛ الا ان الفقهاء يقولون ان من رأى من نفسه اهلية للقضاء او الامامة او العدالة او لمرتبة من مراتب الدين ؛ كالوعظ والارشاد ثم لم ير من تتوفر فيه اهلية لذلك من معاصريه او مساكنيه ؛ فانه يجب عليه وجوبا عينيا ان يقوم لذلك وان يقبل وظيفته ولا بد ان عرضت عليه وان يطلبها ان لم تعرض عليه بل زاد بعضهم انه يجب عليه ان ينال ذلك ولو بداههم ؛ هذا مانعرفه عند الفقهاء ثم القينا انظارنا واجلناها فيما بعد هذا الحين من حياة المترجم وشاهدنا تلك الجهود العظيمة التي يبذلها في تعليم التوحيد ؛ ومكارم الاخلاق للناس حين يتبع القرى يستقرها واحدة فواحدة ؛ فيجمع الكبير والصغير والذكر والانثى فيعلم الكل الدين ومبادئه وشروطه ؛ وكيف فضائل الاسلام وتعاليمه القيمة من غير ان يتوصل من وراء ذلك بدرهم يوعيه او يتطلب رئاسة يترقى اليها بذلك ؛ ومن غير ان يقتصر على المنتسبين اليه من مريديه بل كان يجمع اليه جميع المسلمين ويجعلهم سواسية في التعليم الديني العام ؛ ثم انه امضى في ذلك كل عمره الممتد من عام ١٣٠٢ الى ١٣٢٨ هـ وهو لا يعرف مللا ولا سائمة ولا لمسجرا من معاناة ذلك التعليم ومما لا بد ان يقاسيه من يشتغل بتعليم طبقات متشاكسة الطباع ؛ متنافرة الاخلاق ؛ ثم هو وراء ذلك كله قد ايد بالتوفيق وعائين الاعمى قبل البصر من عمله ذلك نفعا عاما ؛ اجمع الناس على انه لم يقم به من معاصريه احد كقيامه به اذا عرفنا كل ذلك ونحن لا بد عارفوه مما سيأتي من باقى ما تتبعه من حياته ؛ فاننا سنجد من قاعدة الفقهاء نفسها ما يبرر تصدره لذلك الحال ؛ ونراه وجوبا عينيا قام به ؛ على حين ان كثيرا من رجالات عصره وفقهائهم ناسون لذلك او متناسون وبحسبنا ان نجد له مبررا مما عند الفقهاء ثم نذر الصوفية وما يذهبون اليه ؛ فالفقهاء لا يمكن ان يحملوا على اقرانهم هؤلاء ما وجدوا فيما بين ايديهم مبررا يستخرجون منه برهانا وحجة لان الجميع على وفاق ؛ وبراهينهم ومقدماتها متحدة النتائج ومثل هذا القيام للتعليم العام للعامة جعله الغزالي فرض عين على كل ذي علم ؛ وذاك نفسه هو غالب ما يشتغل به المترجم

رايت ان اول يوم اتصف فيه بالشيخة هو الحادى عشر من ذى الحجة عام ١٣٠١ هـ وان الفقير سعيدا كان اول من تلقى منه وكان رسول الله صلى الله عليه وسلم يحب الفال الحسن ؛ فكان اسم هذا المريد البكر عند شيخه ذليلا ناصعا على ان السعادة ستلحقه باجنحتها الموفورة الخوافى والقوادم ثم تتابع آخرون في السنة نفسها فكان كل من لقنه الورد يشبث على مبدئه ؛ وفي الذين دخلوا اذ ذاك في باب الصوفى الكبير سيدى الحسين بن مبارك المجاطى من

(بالانفصال) كان عابدا كرم الجاهدات لا ينالم ولا يظفر ؛ فلا في عينا وقد كان اتصل بالسيد المدنى الناصرى فللقه الطريقة الناصرية ؛ قال ابن مبارك فبهيت ما شاء الله ولم اذكر السكينة والطمانينة القلبية التي يذكرها الصوفية في كتبهم فسكون ذلك لسيدى المدنى فقال انى كنت من ارباب هذا الميدان ؛ والناس الذين للناس ما يابدين تبركا ؛ ثم قال شلطلت في مسجد من مساجد دولدار بالانفصال بالشيخ فللقنى ؛ ففى الحين وجدتنى منقطعا الى الله ؛ وقلبي قد حلقه الطمانينة فاستجاب الله دعائى فى الحين ؛ هكذا يلتقى الشيخ بعباس يحدون هذه ما سلسيلا يكرعون فيه ؛ فيعلون له من الشأن ما صار يتعالم بتوالي الايام حتى كان ما كان مما نحن ذاكروه .

ذلك ما استفتح به المترجم عام ١٣٠٢ هـ ثم اتىها بتأسيس زاويته ؛ وهو الآن قد رفع عقبرته بالناداة اليه ؛ وقد بدا منه لاهله حال غريبة كلها نشاط فكل به ما كانوا القوه منه من خمول واطراق ؛ ايام كان يمضى وليدا في مرفقه بالانفصال بغير خوصصة نفسه ؛ فقد كان عهدهم به على هذه الحال ؛ ثم هاهوذا اتى بهم بوجه اخر واول ما فعله تأسيس زاويته ؛ والتصدر لتلقين الاوراد والادب ؛ فها هو كله غريب عجيب عندهم وقد جبر الى بلدته مالم تكن تعرفه فان كان صلوة الاستاذ محمد بن عبد الله جرقبله المعارف بارسنتها حين اسس الزاوية ؛ فذلك امر سهل وهو معروف عند كل احد ؛ ومن الذى يجهل العلوم بعد انشائها من المسلمين ؛ ولكن هذا الرجل الآخر جاء من جديد بنحلة جديدة لم نعرفه فى الخ وقد كانت انباؤها احدثت ما حدثت حين اعتنقها وحدهم ذلك ؛ ثم القى عنه هيائه الجميلة ؛ فجال فى مرقعة غليظة وسبعة طويلا ومما كان منسجمة مجلوة ؛ فكيف يكون الحال اليوم عند اهل القرية ؛ حين لزل من قهرهم يؤسس زاويته ؛ وما معنى الزاوية ؛ ويعلن انه شيخ يتصدر الزاوية المريدين ؛ وما معنى الشيخوخة ؛ وما المقصود بالتربية ؛ كل ذلك عجيب على اهل القرية كما يعجب منه ايضا بعض الفقهاء وخصوصا حين يرى الرجل نفسه من خمولة المتراكم فجأة ؛ ومن اطرافه لراسه فيتقدم الى الميدان رافع الراس وهالحن اولاء لتنازل فنشاركه هذا البعض من القراء فى عجبهم ونظير بمظاهر العجب وليلقى من بعيد ننظر هل هذا الرجل صادق فى دعواه هذه فيمسا سيأتى من سيرته التي سنتتبعها ؛ ام هو كمدعين آخرين نعرفهم فى هذا العصر بالفساد ؛ كما نعرفهم فى بعض العصور المتقدمة بواسطة التاريخ فكثيرا فأسرع من يلبسون مظاهر مثل هذه الالوان التي رايناها لهذا الرجل فيزعمون جميعا انهم ما قاموا الا عن اذن من الله ورسوله ومن شيوخهم وانهم ما قاموا الا لنفع العباد ؛ ولهاذيب النفوس ولكنهم لا يلبثون بعد ان يتجبحوا الشهرة والاقبال ان يلبسوا العباد ويفرقوا فى شهواتهم الى الاذان ؛ فليسان كل السان لا عظم فيه يدبره كيف يشاء ويلفظ به من الدعوى امثال الجبال الغظام ولكن عند الاعمال

تظهر الرجال ؛ وعند الآثار تظهر الرجل المستوية من العنقاء ؛ وعند المصبات تظهر التراكات ؛ فما عبر عن الحر كعمله وآثاره لانه لا يمكن ان يستقيم الظل والعود اعوج ؛ ولبعض الالفين ؛

خيل السباق تتساوى في ابتدا ولا يرى السابق الا في المدى
كذلك الرجال كل يزعم لكن لدى الاعمال كل يعلم

يتزوج بزوجه الاولى

في تلك الجلسة التي انعقدت في دار الاسرة من الاستاذ محمد بن عبد الله ومن ام المترجم في عشية يوم ٢٨ رمضان حين قرر ان يبقى بالبلد ؛ قرر ايضا ان تنظر له سيدة كريمة يقترن بها ؛ ومعلوم ان الامهات يعتقدن انه لا يعقل الابناء بعقل متينة الا الاقتران ؛ فذكرت اولاً بنت للحاج ابراهيم الايفشاسي فقيل انها مخطوبة ؛ وقد تم امرها لابن عمها محمد بن الحاج محمد بن احمد ثم ذكرت بنت (حوكا) اخت الحاج ابراهيم فاستنكفت حوكا ان تزوج ابنتها ممن عادته ان يتجول في البلدان ؛ ويتكفف في الاسواق ويمشي في مرقعة ويجرسبحة غليظة ؛ وهو ابله يترك داره وعمله واهله ويصاحب هداويين يصرخون بالاذكار في كل فج ومن كل ثنية وقد طلق عمله وسمته الذي يعرف به امثاله من العلماء ؛ وحين كان يالف ان يطلق حتى نفسه وامه واهله ؛ فالاقرب منه ان يجز ايضا وشيكا ذيل الطلاق حتى على من تزف اليه ؛ هكذا تقول حوكا وتعتذر لمن ارسل اليها وسيطا في الخطبة ؛ وهو الفقير مسعود بيلوش التيبوتي بلديها وجارها ؛ ولكن عزيمة الفقير لم تقل بتلك الاعذار ؛ فلم يزل بالمرأة حتى اخطبت فعقد النكاح يوم عيد الاضحى نفسه من هذه السنة فزفت الى زوجها وكان الاستاذ محمد بن عبد الله والطالب الخير الحاج صالح بن احمد من اعمام المترجم شاهدي عقد النكاح ؛ والمستلمين للشوار على العادة ؛ كما في عقد النكاح المكتوب فيه اثمان مجهزة به السيدة بخط الاستاذ المذكور ويوجد نص ذلك في الجزء الثالث من كتاب (من افواه الرجال) وكان الزفاف الى الدار الجامعة للاسرة وسط القرية لان البناء المحدث من شوال ليس فيه الا بيت واحد فقط ياوى اليه بعض فقراء جدد قد حدثوا في هذه السنة عند المترجم وكان ياوى معهم الى ذلك البيت يتذكرون فيه ويذكرون ؛ وقد حدثني العماد الاستاذ ابن عبد الله جاء في عشية من تلك الشهور يفتش عن المترجم فوجده مع اصحابه في ذلك البيت في ظلام قتاده حتى خرج اليه ؛ فقال له او كنتم في ظلمة ؟ فقال لاباس ؛ والمتيسر هو الذي يقنع به ؛ ولم يتيسر لنا الآن مانسرج به من الزيت لقنديل فارسل في الحين الى الفقراء انا من زيت يسرجون به

أثر الحياة الجديدة

سائرنا حياة المترجم من هذه في الكتاب فالمدارس فمقطعة الى العسبر فسباحته ؛ فجعلنا معه وهو في مرفقته متجردا عن كل شئ ؛ لم هاهو ذا الآن اراء في هذه السنة قد ظهر بمظهر اخر جديد وقد اسس مركزه وتزوج وتعدر للتوسعة ؛ وطلق ذلك الغمول الذي كان خيم عليه في كل حياته المتقدمة فيروز واعظا مرشدا ؛ وشيخا مربيا اراء لا يزال يصاحب مرفقته كما كان قبل ام ليس ايضا لهذه الحالة الجديدة لبوسها ؟ لان من يتصدر لتزهد الناس ووعظهم والاخذ بنواصيهم لا بد له من حالة تعلن بلسان حالها ؛ انه غير محتاج الى ما في ايديهم ؛ ولا منشوف الى ما في جيوبهم والا كان ذلك كحباله من حبال القلبي يفر الناس بادي يده اكثر مما تهدلهم وتغود ازمته ونحن نعلم من حال النبي صلى الله عليه وسلم انه كان ذا حياة مستحسنة في قومه ؛ لا تتفحبه معها العيون ؛ ولا تشتمز منها النفوس بل كانت له حلة يتجمل بها للوافدين يوم قعودهم وتلك لاشك حالة لا بد منها لكل من يرشح نفسه لمثل ذلك المقام فلذلك اريد ان اري كيف يسلك المترجم في حياته الجديدة ؟ واية حياة سيهرز بها ؟ فقد كنا نعرف منه احوالا تستغرب في العادة قبل هذا الطور وما كانت بلاريب الا ان هذا الطور الجديد ؛ مثل ما وقع له في حادثة قبل ان يلتبس بحاله الجديدة فقد سافر مع الاستاذ محمد بن عبد الله الى (تيمكيدشت) فكان الاستاذ في شارة حسنة ؛ وبزة تأخذ بالابصار وهو على بقلته كالنجم الثاقب في عياله قال خادم الاستاذ اذ ذاك السيد الحسين المانوزي والد اعمار بلقاسم الارزيبي في اليوم كان معنا في تلك السفرة سيدي علي بن احمد وهو في مرفقته وسبحته ومما لفته بملا الجواء بهيلته لا يفر عنها طوال الطريق ذهابا وايابا فهذه هي الحياة التي كانت للالم ذلك الطور في حالة التجريد فانها لاشك غير ملائمة لهذا الطور الجديد ؛ الذي يقتضي تبشير الناس وتاليفهم بلسان حاله ؛ لا تنفخهم بمجرة الرقة ولا تستمد قلوب وعقول كثير من الناس الا مما تثار به ابصارهم وقديما قال العرب ؛ «البس لكل حالة لبوسها» فكما ان لكل مقام مقابلا ؛ فكذلك ان لكل مقام لباسا ؛ فالفقير المتجرد الذي يعرض عن كل احد لا يقبل الا على عريته له ؛ فانه لا يبالي بغيره اقبل ام اعرض انس ام نفر ؛ فلا له مرفقته التي تلطف بها مشونة الاهتمام باللباس في كل وقت ؛ من تجديد وغسل وماتل ذلك بخلاف من نصب نفسه للناس فانه لا بد ان يكرن مثله مثل الناس فيى العادات المألوفة التي لابس بها ؛ ليكون ذلك ادعى الى تاليف القلوب والاتصال بالناس ليتمكن التاليف المطلوب .

حقا ليس المترجم للحياة الجديدة لبوسها فراجع اليهود من لباس قومه الوسط وداخل الناس وجالسهم وواصلهم ؛ فلا يترك مجتمعا في القرية ولا في

جيرانها الا الم به مؤانسا اولا ثم واعظا مرشدا ثانيا ؛ وكان مع ذلك فلما يمارق
الاستاذ محمد بن عبد الله في المذاكرات العلمية مباحثة ومراجعة ؛ فعاد الى
الميدان العلمى كما كان قبل ان تستهويه الطريقة ؛ كما كان ايضا يلقي ورده
لكل من آنس منه قبولا ؛ وما تلقين الورد الا انخرط المرء في جماعته ليتمكن ان
يربيه كيف يشاء وقد صار من انقطعوا اليه من اصحابه يسمونه شيخا ؛ حتى
تسرب ذلك الى العوام كلهم ؛ فصار الشيخ كانه علم عليه وحده في تلك الناحية
متى اطلق فلا يسمى الاب به عند اصحابه وعند غيرهم ؛ هكذا تلبس بحياته الجديدة
فتغيرت هيأته التجريدية التي ما كان زجء فيها الا انصواؤه تحت لواء شيخه
المربي ؛ والصوفية لا يشترطون تلك الحالة الا لبعض من لا يزالون تحت نظر
الشيخ ؛ ممن يونس منهم الشيوخ رعونة نفس ؛ فيداوونها فيه بما جربوه
عندهم فصح دواؤه واما من سلم منها او من تخرج من عند الشيخ فلا لباس ان
يلبس كل ماتيسر ؛ كما هو معلوم في الرؤية الشريشية وامثالها من الكتب
التي تحوم حول التربية الاصطلاحية كما يسميها القوم ؛ كذلك تغيرت ايضا
حالته الاجتماعية ؛ فراجع المؤانسة وملابسة الناس لان مقصوده لا يحصل الا
بذلك ؛ ويد الله مع الجماعة على كل حال ؛ كذلك استجد له اصحابه اسما
جديدا وسموه به فلا ينادى ولا يذكر الا باسم الشيخ وهو نفسه قد نصب
نفسه على تلك المنصة ؛ منحة المشيخة ؛ ولذلك ندخل في غمار الناس فننعتهم منذ
الآن بالشيخ كما اشتهر به اشتهارا غريبا في كل الجنوب منذ هذا الحين

الشيخ يسبح إلى آقا

كان الشيخ سيدى سعيد المعدرى قد بذر بذور طريقته في قبائل كثيرة في
سوس في انحاء مختلفة ؛ فكانت تانكرت ومجاط الى تامانارت فاذا من مسارحه
ومثوى اتباعه ؛ وبعده صار اصحابه الكبار يتعهدون الفقراء هؤلاء ؛ فكان
خليفة الشيخ سيدى الحاج الحسن التاموديزتى ومن اليه ؛ وصاحب الترجمة
ومن اليه والكل على مبدا واحد يختلفون الى الفقراء تذكيرا للعهود واستنهاضا
للهم ؛ فلهذا ذهب راجلا في صفر سنة ١٣٠٣ هـ بعد ان مضى عرسه بقليل
يتعهد من بجهة آقا ؛ فبقى هناك الى ان مضى عندهم عيد المولد ؛ وكانى باحد
القراء يتعجب ويقول ؛ ان الرجل غريب حيث لم يستهوه ما يستهوى من
يكونون حديثى عهد بعرس ؛ ولكن يجب ان يعرف ان الشيخ يظهر انه من
رجال لا تظمن نفوسهم كثيرا لما تظمن اليه نفوس كثير من الناس فلمجلس
واحد يقضيه فارغ البال مستجمعا لقلبه مع اخوانه في المبدأ اعظم بهجة وسرورا
مما يستهوى كثيرين في مثل موقفه ذلك ؛ من المراشقة والمغازلة في مخادع
الفوانى ؛ ومتى اشتغل انسان بناحية وغمرته بما كان فيها من رواء وبهاء
فهيئات ان تبقى منه لفظة اخرى الى اية ناحية سواها ؛ الا ريثما يؤدي من
الحقوق ما ينال به الخيرية التي اوما اليها سيد المرسلين صل الله عليه وسلم
حين قال خيركم خيركم لاهله وانا خيركم لاهلى ؛ ولا لباس ان تلقى في اذن بعض

الحضريين المترفين ان التعيين هكذا الر عرس حديث في ملئى من الازل
ليس بها يستكره في عادات اهاليها ؛ والبر بالاهل اما يطلب من الرجل
بحسب بيئته التي يقطن فيها ؛ وما كان مقبولا متسامحا فيه فلا يبعة هل من
اعطى فعله ؛ ولذلك يعلم ان تعيين الشيخ اول عيد ثانيا من امراته الجديدة
لا لباس به عندنا في البيئة الالفية التي لم تعود شهور العسل

براجع التدريس

كثيرا ما ترى هؤلاء الذين ذاقوا من بين الفقراء المختبين المخبين ما لم
يدققه ما بين الطلبة المماريح المماريح المفاكية ؛ ووجدوا ما بين ايديهم والاهل
مذاكراتهم وبين طيات احوالهم مالم يكن يخطر لهم على بال حين يجولون في
سور العلوم المعهودة فتراهم وقد انتشوا بما انتشوا به ؛ مما عجز عنه بعضهم
اذ قال ؛ «لو يعلم الملوك ما نحن فيه لجالدونا عليه بالسيوف» لا يجدون بعد ذلك
من انفسهم ميلا الى خوض هذه العلوم التي يسمونها العلوم الظاهرة والرسومية
الا اذا اضطروا لذلك ؛ فتراهم يقتحمونها كما يقتحم المرء الخالس ارضا
سائكة ؛ والحق يقول من يقول ؛ «ان التصوف اذا سبق تمكنه في فكر الانسان
بحث من اعماقه جذور محبة العلم المتعارف والميل اليه» حتى قال ابن عرفة
«كل من رايه ينتاب الصوفية من طلبة العلم فاعلم انه لا يجي منه شيء» ويرحم
الله ابا اسحاق البليقي دفين الرحبة القديمة بالحمراء ذكر الله الحمراء
بكل خير اذ قال ؛ «من اراد الله به خيرا شغله اولا بالعلوم حتى يتمكن فيها
ثم بعد ذلك يدبقة من التصوف فيكون سعيدا» او كما قال هذا ما يقال في
الصوفية والعلماء ؛ لا يزال كل واحد منهم يسعى الى غاية واحدة يوم كان التصوف
لم يشب بعد بكل هذه الشوائب التي اذهبت رواءه وقلبت المقصود منه التي
لقد اذ يوم كانت ايضا هذه العلوم لما يسف اربابها هذا الاسفاف المخزي
على ان العلم جهل ؛ وحتى كان متعلمه يتعلم الجهل والفلسفة والمنهجية
والاخرى من اصلاح نفسه ؛ وكان ذلك يوم يتقارب الفريقان ثم الى الوادي
فانهم على الغرى واختلط الحابل بالنابل واستنت الفصل حتى القرعى (١) فذهب
روا التصوف والعلم معا ؛ فاختلقت النيات فضر بين الطائفتين بسور من
حديث لا اتصال بينهما ؛ فما ظنك بنظرة الصوفية الى هذه العلوم واهلها ؟
اولا انهم لا كمثل نظرة اصحاب هذه العلوم اليهم والى ما هم فيه ؟ فيكفر
بعضهم ببعض ولكن ان شاع هذا في صوفية المتأخرين وفقهائهم فقد يشد بعض
الافراد من الفريقين فيعلم كل واحد مالاخر من مكانة لا تنكر ؛ والشيخ من هذه
الافراد القليلة من الصوفية التي وان تبجحت التصوف وخاصة في كل مخالفة
لم تلغى يدها كل النفوذ من العلم واهله فقد رايته تصدر في مدرستى
فوكورعى وبومروان بعد ان التحق بالتصوف واتخذ شعارا وجعل مبداء دارا

اعظم على الشيء ؛ لعمري الغرى كفى ؛ جدول الماء استندت ؛ جرت والفصل جميع
فصل ؛ شعار الابل والغرى ؛ التي اصابتها القرع والجمل الثلاث امثال هربية

وسترى معنا ايها القارى اعماله الخالدة حول العلم لنشيطا واعالة فى الباقي من حياته التى امامنا ؛ وها هو ذا اليوم لم يكد ينلقى بعد رجوعه من افارسالة كتبها اليه رفيقه الاستاذ محمد بن عبد الله حين توجه الى مراكش تركها عند العم ابراهيم وفيها انه سيخلفه على الدراسة الى مرجعه ؛ حتى طار الى المدرسة فتصدر فى منصة التدريس فى العلوم التى تدرس فيها كلها والاستاذ وان اوصى بالمدرسة لصنوه على الا ان الشاب الفرهد (١) لايقوم مقام القارح الصبور هكذا عاد الشيخ ايضا مدرسا يستنير بفهامه امثال الاستاذ سيدى العربى

الساموكنى وسيدى الطاهر الافرانى الشاعر المفوه والفقيه الحسين التاطاروسى والفقيه احمد التازيمامتى والعلامة احمد بن صالح الافرانى والجهيد الشهير بلقاسم التاجارمونتى والفهامة المكى اليزيدى وخليفة الاستاذ على شئون داره ومدرسته العلامة الكبير على بن عبد الله وكثيرين ممن كانوا اذذاك نجوم المدرسة الالقية والفظاحل المتفوقين فيها ؛ وهم مشحودون اذهانا متمرنون مباحثات مامتهم الا من يتقى ويعلم انه كبش الكتبية حقا ؛ وقد استفرغ فيهم استاذهم محمد ابن عبد الله كل جهوده حتى خرجهم كاسنان المشط ذكاء وتفوقا وتحقيقا فيبين يدى هؤلاء تصدر الشيخ يتابع لهم دروسهم فى النحو والفقه واللغة والادب وكل ما يتعاطى هنالك من العلوم ؛ لكنهم فى اثناء اجتهادهم مع الشيخ استاذهم الجديد دهمهم نعى الاستاذ الاكبر سيدى محمد بن عبد الله اواخر ربيع الثانى فسافر الشيخ مع صنو الاستاذ سيدى على بن عبد الله فاتوا بتجاليد الاستاذ وهو مقترح الشيخ الذى اصبح اليوم كبير الخ بعد ذلك الاستاذ المنعى ؛ فعز عليه ان يبقى مجهول القبر فى ضواحي تامصلوخت فاتوا به فى صندوق ؛ ومما يتعلق بذلك انهم باتوا فى قرية سيدى ميمون فى قبيلة كسيمة فاودعوا فى قبة الضريح الصندوق الذى فيه تجاليد الاستاذ ؛ فباتوا ولم ياب بهم احد من اهل القرية وفى الصباح غدا اليهم رجل من سكانها مبكرا ؛ فقام بافطارهم وقال لهم ان له بنتا تتراى لها اخيلة الارواح ؛ فرات تلك الليلة روح الاستاذ ابن عبد الله فقال لها عجباً لكم نبئت عندكم فتبقوننا بلاضيافة فسالت من هو فافضى اليها بانه صاحب الصندوق الذى فى قبة سيدى ميمون ؛ وكان الرجل غير عارف بان مع الرفقة صندوقا فكان الشيخ بعد ذلك يداعب ويقول اننا معشر المرابطين اعتدنا بين الناس التكف فان استعف عنه احيانا قام به امواتنا ثم يحكى الحكاية متبسما

لازم الشيخ المدرسة كل سنة ١٣٠٣ هـ مدرسا ؛ فجال جولات الافذاذ فترات منه المسوغات للابتداء بالنكرة وصور الطلاق ومقامات الحريرى ومسائل الحجب والفرض والتعصيب ؛ من كانت تعرفه قبل ١٢٩٨ هـ فاذا هو هو لم يزد تصوفه الا مايزيده المسن لظبا الصارم الخدم ؛ وبعد تمام السنة سلم الوديعة الى ربها والقى المقاليد الى العلامة ابى الحسن ابن عبد الله (ان الله

(١) بضم تين : القوى

بامرهم ان يؤدوا الامانات الى اهلها فودعه الاستاذ شاكرا فعله فى تلك الليلة لم اقل كاجرة المشارطة الى الراوية خمسا وعشرين غرامة من الشيخ ؛ فكانت اول مداخل الراوية من العيوب منذ اسست ؛ لم تزايد الخير الى ان كان ماكان ينهض بهمة عليا الى ما هو بصدد

ان الشاية من السياحات التى قام بها الشيخ بعد تلك التى ذكرناها الى انا ؛ هى سياحته الى قبيلة املن ومعه طالفة من مريديه الجدد كسيدى الحسين ابن مبارك المعاطى وسيدى بوهوش الدوكاديرى وامثالهما من قدام مريديه الذين ارتفعوا منه الرشقة الاولى ؛ كما كان فيها ايضا كثير من اخوانه ممن ينسبون الى سيدى سعيد المعدرى فجال هنالك فى املن بالارشاد الخاص والعام هو كان يفيض حديثه علينا به سيدى بلعيد الصوابى ؛ قال طرقت اذ ذاك تلك القبيلة الى رجوع الشيخ منها فوجدت احاديث المنتديات كلها تدور حوله ؛ فسمع فى سبع ماشاهده الناس من قلوبهم اولحين تارت بكلامه تاراعجها وانما اصروه لانا من احوال الشيخ حيث يباين صنيعه فى سياحته ماكان مع من المرابطين الذين يسيحون بزعم ارشاد الناس ولكنهم لايرضون عن اهل القبيلة الا بغير املاء جيوبهم وانتفاخ وقاضهم فجاء هذا الشيخ الجديد الى املن ؛ فانه عزوف عن قبول ذلك بعد مايقدم له فضلا عن ان يعرض على اهل القبيلة ؛ من الملاكما هى عادة المرابطين السائحين ؛ وكل شغله الشاغل فى املن الناس الوحيد وارشادهم الى ربهم وكف ايديهم عمن مدها الى اى انسان الا بها يرشاه الله ورسوله ؛ بيت ذلك بلسان موثر ووعظ يلقى الصبور والصدور ؛ قال وكان ايضا مما اثار عجب الناس العجائب تلك الهبة التى اثار بها الناس الفقراء الدقاويين ؛ ولم يكن قط اهل هذه البلاد يسمعون بها فضلا عن ان يروها ؛ فكان مجموع ذلك مما اثار زوبعة هالجة من التعجب من الشيخ قال فوجدت اناسا كنت اعرفهم ناصريين قد استحوذ عليهم الشيخ فهدوا اليه ايديهم ؛ فاعتنقوا طريقته فصاروا يحكون لى مايدوقونه بعد ان التفتوا معه من طمانينة وسكينة واخلاص ؛ مما كانوا لايتدوقونه قبل اليوم مع قيامهم باذكار كثيرة ومجاهدات لاتنقطع ؛ قال فقلت لهم اننى كنت اعرفه قبل اليوم حين كان مشارطا عندنا فى مدرسة فوكرض قال ومن كان اخذ عنه اذ ذاك الفقيه سيدى موسى الاسكاورى الكرسيلى والرجل الصالح سيدى الحاج الحسن من ايت عيسى (١) التافراوتى وغيرهما من كبار القبيلة واعيان املن قال لم كان ذلك هو السبب الذى حدا بى حتى وفدت عليه بالغ فالتقطت الى خدمته وتقيدت بالاحسان فى حضرته (ومن وجد الاحسان قيما تقيدا) وقد ذكرت كل ماحدثنى به فى جزء من كتاب (من افواه الرجال)

ثم ان هذه السياحة كانت فى اوائل ١٣٠٤ هـ فرجع الشيخ الى الخ لم

(١) هو والد هذا التاجر الحاج شاكب السوسى المشهور فى البيضاء بكل خير

صار لا يلقى في زاويته الا يوحيات ! ثم يخرج الى القرى المجاورة يندر عشيرته الاقربين ! فيبيت ويظل يعلم الناس التوحيد وما يجب لله وما يجوز وما يستحيل والقواعد الخمس كلها واحكام الصلاة والصيام والزكاة ! فكانت عادته التي افتتح بها حركته هذه ! ثم دام عليها الى ان كفته كافته ! انه يتتبع القرى قرية قرية ! ثم ينادى مناديه ان يجتمع الناس في المسجد ذكورا واناثا ! ويامر بعدم الاختلاط بين الجنسين وكثيرا ما يكون الرجال داخل المسجد والنساء في فناءه ! ثم يطلع اذا كان الوقت ليلا الى مافوق السطح ان وافق الفصل ذلك ! فيبقى يعظ الناس وهو يلون مواظبه بين تبشير وانذار وبين تعليم ونهي وامر ! وهو يتخلل ذلك باذكار اصحابه ! او بالصلاة على النبي صلى الله عليه وسلم ! وكثيرا ما يامر من يحفظ قصائد الوعظ المنظومة ان يقوم فيتلوها على السامعين بغنة خاصة ! وهو بين ذلك يسكته احيانا فيتم ما اراد بكلامه فيتكون من مجموع ذلك تأثير غريب في قلوب السامعين ! وهم مبهورون حين يسمعون من الشيخ ما كانوا لا يسمعون قط من عالم ! ولا يقوم به بين الناس قالم ! والعلماء في غفلة عن هذا الواجب كانهم لا يحاسبون به امام الله

بهذه الحالة كان في اثناء سنة ١٣٠٤ هـ يتقرى القرى الالغية والتي تجاورها قرى الالغيون ومن جاورهم من ذلك الرجل الذي كانوا يسمعون به ابله ذامرقة وسبعة غليظة وعكازة طويلة عالما جديدا ومرشدا كبيرا ! ومهتبلا بالدين اهتبالا غريبا ! وقائما بتعليم ما كان كل الناس جاهليه ثم لا يجدون من ينتدب احتسابا الى ان يعلمهم اياه مجانا من غير ان يطمع فيما بأيديهم ثم كان بين ذلك يلقن ورده لمن اراده وقد اندفع الناس كلهم وراءه فاما العامة فينتفعون بما يعلمهم اياه مجانا ! واما الخاصة وطلاب اذواق الطريقة فلهم منه مجالس اخرى ! وكان الشيخ لا يحدث الناس الا بما يفهمون عملا بما ورد : «حدثوا الناس بما يفهمون اتريدون ان يكذب الله ورسوله؟»

هكذا اندر الشيخ عشيرته الاقربين واسمعهم مالم يكن قط لهم في حساب لانهم لم يالفوا قط من علمائهم ان يتصدر واحد منهم لذلك ! ويجعله كل همه ويجعل على عاتقه القيام به في المنشط والمكره فادرك ذوو البصائر منهم ! ان الرجل رجل آخر وان قيله احسن قيل (ومن احسن قولا ممن دعا الى الله وعمل صالحا وقال انني من المسلمين) فشكروا له ذلك وعرفوا له قدر هذا المجهود الذي يبذله في نصحتهم ! فكان منهم يريدون قد اعتنقوا طريقته وسلوكوا نهجه فسرعان ما تكونت له منهم شيعة تقابل شيعه اخرى تتكون ايضا شيئا فشيئا من الناحية الاخرى ممن يزددون عمله ! او لا ينشرون به صدورا ! اما حسدا واما جهلا ورجما بالغيب سنة الله في كل من يتصدى لامر كان ما كان ! حين لا بد ان ينبعث ازاءه من يخالفونه على خط مستقيم ! ولذلك حكم عظيمة لا تخفى عن ذوي الالباب وبضدها تتميز الاشياء

قد سحب الناس اذيال الظلوث بنا وفراق الناس فينا قواهم فرقا
فكاذب قد رمى في الحب غيركم وصادق ليس يدري انه صادق

سياحات اخرى كبيرة

في منتصف عام ١٣٠٤ هـ تكون بين يديه اتباع ينقبون على الاربعين ! ما منهم الا من القى قياده له على شرط اهل التربية الاصطلاحية ! فيطلبه ماشيا وهو مطاوع ! ولا يقول له لمة ! فانضم الى هؤلاء الاربعين مثلهم من اخوانه اسحاب سيدي سعيد ! فخرج من الخ في ثمانين عدا ! فمر باب صواب وقد كان ساح اليها قبل هذه المرة فتكون له فيها بتتبع قراها اتباع ! من بينهم الفقيه المسمى سيدي محمد بن ابراهيم ثم صمد الى جهة قبيلة اداو زكري ! فكان مما هب الله له ! ان كان رئيس القبيلة راي في منامه رؤيا بان سعيدا سيده فيسعد على يديه ! فاذا بالشيخ نزل بمدرستهم فصادف فيها رؤساء القبيلة فلم يكذب يراه ذلك الرئيس صاحب الرؤيا حتى رسخ في ذهنه ان هذا تعبير رؤياه ! ثم لما جال الشيخ في ميدان ارشاده ونشر بزه ! فرأى الرايون انه من طراز آخر غير ما كانوا يعتادون ! ايقن ذلك الرئيس بصحة رؤياه ففرق في الحس الى اذنيه في اكبار الشيخ ! فاتبعه كل الناس فصار الشيخ يتقرى قرى القبيلة ! وكل رجالها لا يفارقونه ! فكان الجميع الجماء الغفير ! فكانت هذه الرؤيا اساس محبة تلك القبيلة الزكرية لجناب الشيخ ذكورا واناثا من لدن ذلك العهد الى الآن ! ومما زادهم فيه محبة انهم اقترحوا عليه ان يكوّنوا للزاوية خداما ! يندرون لها من اموالهم ! كما صنعوا لزاوية الشيخ سيدي محمد بن يعقوب التاتلي ! فعزف عن ذلك على عادته في مثل ذلك مما علمهم به فسلم البابهم ومن زهدت فيما بين يديه استحوذت على ما بين جنبه *

فلا ترج الود ممن يرى انك محتاج الى فلسه

وكان الزاهد سيدي محمد الزكري يحدث عن هذه السياحة ! لانها هي كانت سبب انقطاعه الى الشيخ وكان واعية ضابطا ! قال بينما نحن في قرية فترينا اذ تواترت علينا الاخبار من كل جهة بان رجلا عظيما ظهر بها فورا ! فقام في الناس بالارشاد والتعليم والنهي والامر ! والتبشير والالذار والادب والجليل ! يستحوذ على قلب كل من جلس اليه ! اوسع من مواظبه ولا يدخل قرية الا اجتمع عليه من فيها ! فيسال كل واحد على حدة عن ربه وعن دينه وعن نبيه وعن امور دينه كلها ! وهل يعرف من الحلال والحرام ! كان ذلك شغله الوحيد ! ثم يقول الناس ان العجيب منه انه لا يمل ولا يهجر ولا يهبط من وراء ذلك كله انه لا يقبل من احد شيئا ! قال هكذا تدفقت احاديث الركب ! فشغلت بطرافتها وبالعجب مما لتطوى عليه من لم يصلهم الشيخ

بعد بطائفته ؛ ولم يزحف اليهم بعد باستئله ؛ قال وقد كانت الطوائف الناصرية
 اذذاك كثيرة ؛ ولكن عرف الناس كلهم ان العطاء لا بد منه ؛ كزيارة تقديمها كل
 قرية الى السيد الناصري ؛ عادة ورثها الاحفاد عن الاجداد ؛ فيستثقل الناس
 ذلك العطاء الا من كان حسن النية ؛ وقليل ما هم ؛ قال ثم لما ولج قبيلتنا
 وشرع يتتبع قراها ؛ انقاد اليه كل الرؤساء ؛ فتعود كل قرية نزل بها موسما
 حافلا يحضر الرئيس الاكبر الحاج محمد الاومريي فمن دونه ؛ والناس اتباع
 رؤسائهم ثم راح الشيخ الى قريتنا فبمجرد ما القيت عليه بصرى خلبني نور
 وجهه وملكت مشاعري انوار تتالق من اسرته على حسب تعبيره فنفضت
 يدي من تلك الساعة من كل ما عندي فالقيته ظهريا ؛ فطلقت مالي وداري وكنت
 بعد عزبا فانساني ما رايت كل ما كنت فيه قبل تلك الساعة ؛ فلم ارجع بعد الى
 الدار ؛ بل بقيت في سطح المسجد شاخص البصر الى وجه الشيخ وهو يعظ
 ويلقن الاذكار ؛ ثم حكى غريبة وقعت له مع الشيخ اذذاك ملخصها انه كان بعيدا
 من مجلس الشيخ ؛ ثم لم يشعر بنفسه حتى وجد انه ازاء ركبته ثم قال انه رد
 على بعض الناس ما لا قدمه له ؛ فقال له بلطف رده الى جيبك ليكون فيه ان شاء
 الله بركة ؛ قال ثم خرجنا من قبيلتنا مع الشيخ ؛ وقد اصطحب اناس من تلك
 الجهة مع الشيخ كنت انا احدهم ؛ والحاج محمد ازبابو الايلاني الذي كان له
 شأن عظيم بعد هذا الحين في قبيلة ايلان ؛ ثم نزلنا مع راس الوادي حتى
 هلمنا بزاوية سيدي الحسن التيملي بايرازان ؛ ثم استدرنا الى هشتوكة فالمعذر
 قال ومما سمعته من الشيخ في تلك السياحة انه قال لرجل واحد نلتقي معه ممن
 كانوا يشتاقون الى من يدلهم على الله ثم لم يجدوه افضل عندنا من ملء الارض
 ذهباً ؛ ولا قصد عندنا في كل هذه الجولات الا ان نصادف من يتعالى الى معرفة
 ربه ؛ لنهديه الصراط اليها ؛ فهذه هي مهمتنا ومبدؤنا وغايتنا التي لها خلقنا
 وفيها نمضي حياتنا (وقد ذكرت ما حدثني به هذا العاكي في جزء خاص من كتاب
 (من افواه الرجال) ثم بعد ان رجع من هذه السياحة الكبيرة ساح ايضا الى
 ايفران قاداي فايبي او كادير وقد صادف قبولا عظيما في فايبي او كادير كان هو
 السبب حتى اسس هناك زاويته وصار اهل القرية كلهم من اتباع طريقته الى
 الآن ؛ وقد وقعت له في هذه السياحة امور مع فقهاء وغيرهم اختصرنا من ذكرها
 لانها مكتوبة بتفاصيلها في كتاب (من افواه الرجال) كما كان ساح ايضا في اول
 عام ١٣٠٥ هـ الى هشتوكة قاداوتانان وقد مر على مشهدياتي السحاب فاخذ عنه
 اذ ذاك سيدي علي التتاني المقرئ المشهور ثم مر بمدرسة ايسقال حيث اخذ عنه
 سيدي سعيد التتاني الذي كان فيما بعد احد عمد طريقته ؛ ثم مضى قدما في
 طائفة كبيرة الى ان وصل السويرة ثم رجع ادراجاه ؛ وقد كتبت ايضا تفاصيل
 ذلك في ذلك الكتاب والحمد لله مما رويته عن سيدي محمد الزكري وغيره من
 قدماء اصحابه .

هكذا كان مفتتح اوليات الشيخ ؛ كان كله عجباً في همته وفي انقياد

الناس له ؛ ولم يفتن على قيامه الا قليل حتى التشر اصحابه في القبائل التي
 كان زارها ؛ والتجردون بين يديه يترايدون حتى ان بعض الالفين من جيرانه
 يتناجون سرا بانه ساحر ؛ لما يروونه من القياد الناس له ووطنهم عليه وهم
 كثيرون ؛ والحقيقة انه ساحر ولكن سحره سحر الصوفية الاقداد الذين
 يستحوذون على الافئدة باذواقهم العجيبة ؛ لم يفودون السحود ببره غير ملتفتين
 لما في صرته .

ان الاسود اسود الغاب همته يوم الكريهة في المسلوب لا السلب

وكان خروجه لهذه السياحة السورية بعد عيد المولد سنة ١٣٠٥ هـ
 ورجوعه في اوائل رجب او في اواسطه ؛ وقد صادف حين رجوعه عقيقة اول
 مولودة له ؛ فتتابعت الطوائف الى الخ من التمليين والصوابيين وغيرهم ؛ وفي
 كل طائفة عشرات ؛ فكان ذلك اعظم دليل لدى الالفين على ان الرجل غير من
 يعرفونهم من بين ظهرانهم من فقهاء كتاب الرقي والتمايم ؛ وانه من صنف آخر
 ولكنهم لم يهتدوا الى صنفه ؛ لانهم بعيدون عن احوال الصوفية الذين يمثل
 الشيخ دورهم احسن تمثيل .

تجاوزت اكناف السماء تساميا فكيف يرى من يبصرون مكانيا ؟

يؤدي فريضة الحج

كان سما للشيخ عزم الى ان يؤدي فريضة الحج وكان ربما ذكر ذلك
 في سياحته السورية التي رجع منها وشيكا ؛ ويذكر عنه في ذلك مرة ابيه
 ولكن كيف يحج ؟ وليس في يده مال ؛ وهل يطير البازي بغير جناح ؟ او يلطخ
 الحرب بغير سلاح

كان لرجل غني من امانوز يسمى ابراهيم ؛ ولد يسمى محمدا ابراهيم
 لقب بذلك ؛ فعزم على بعث ولده هذا لاداء فريضة الحج ؛ ولكن لكالة حسب
 الابناء من الآباء لم يطق ان يرسله الا مع ثقة يشق به امانة ودينه وكاله سمع
 بان الشيخ يهتم بالحج فجاء اليه وعرض عليه ان يصحب ولده وان لا يهتم وراء
 ذلك بشئ ؛ فقال له الشيخ ان كان هذا منك عزيمة ؛ فلا أحب انا الا ان تسلفني
 بالوقوف عليه ؛ ثم يرد عليك كما هو ؛ فاتفقا على ذلك فتيسر الصعب امام
 الشيخ ورأى عناية الله به عظيمة فبادر الى التهيؤ من يومه ؛ وقد نهضت همم
 الآخرين فقاموا لوجهته ؛ وقد اراد الله ان تبقى تلك الرحلة خالدة فوق الشيخ
 فكيفها نظما من يوم خروجه من الخ الى ان دخله راجعا ؛ فبقيت في مبيتها
 واخذت منها نسخة وهي على ما هي عليه من عدم التنقيح فخرجتها ونقحتها
 ونشرت لبعض معانيها الفاظا ملائمة بحسب الطاقة مع المحافظة التامة على
 مقاصدها الاصلية وعلى غالب الفاظها الاصلية ؛ وربما زدت بيتا او بيتين او

أكثر لائمام معنى ماذكر! أو مبحث لعرضه فجاء بذلك كله رحلة الفية حسنة مفيدة! وهي تناهز لمان عشرة مائة بيت أو أكثر وقد سلك فيها الشيخ مسلك الاسهاب! فيصف كل مارء وصفا تاما! فلندكر منها بحسب منازلها ملايسر ملاحظين للاختصار! وقد كنا سمينها «اصفى الموارد فى تهذيب نظم الرحلة الحجازية للشيخ الوالد»

يقول فى اوائلها :

الحمد لله الذى سددنا
والف القرشيين فى الشتا
اكرمنا بنعمة الايمان
وارسل الرسول بالبشارة
ويقول بعد ابيات كثيرة :

فى عام «شسه» (١) وبيوم اثنين
خرجت من بلدنا وقت الضحى
وفى القلوب حرقه الفراق
ان الفراق قطعة العذاب
قد جرع الاخوان بالتشيع
فمنهم الحائر والولهان
لكننى ودعتهم لله
ورجعوا والدمع فى المحاجر
وبعدهم لم يزل الفقيه
يز (٢) بشعبان لقيت يمنى
والبين قد ابدى الاسى واوضحا
وانما يسلى رجى التلاقى
بل كله عند ذوى الاحباب
كاس المرارة لدى التوديع
ومسبل الجمان والسكران
فليس عن ودائعى بساهى
كانه منتشر الجواهر
اخو العلا السميع النبىيه

الى آخر الفصل الذى ستجده فى ترجمة الاستاذ سيدى على بن عبد الله الالفى الذى هو المقصود هنا! وبعده الابيات المتقدمة فى ترجمة صنوه الاستاذ سيدى محمد بن عبد الله! ثم بعد ذلك كله نجد ماذكر فيه الحاج ابراهيم الايفشانى! وستراه بحول الله فى ترجمته ايضا! ثم ماذكر فيه الاستاذ احمد الزيمامى! وستراه فى ترجمته ايضا! ثم قال وقد نزل فى ذلك اليوم الاول فى تازروالت عند سيدى ابراهيم ابن صالح الشريف

وكل واحد نوى التشيعا
ثم حدا الحادى بذاك اليوم
فارتحل الركب بنا سيرا الى
لم تقبل النفس له الرجوعا
بنا فودعت القرى وقومى
زاوية الشيخ طفاوة العلا

(١) ١٣٠٥

(٢) ١٧

سيد احمد بن موسى قاعدى
من ابيات الاخلاق ووصفه
بانه المحفوظ بالعناية
ذولسك وورع وزهد
لجل لذل الشيخ لعم الولد
اسمه ابراهيم لجل صالح
وكان هذا اول المراحل
فكل ما اشتته نفس النازل
وفى الصباح كنت فى صباح
فانهز رب الدار بالحب ومال
وارسلت امه خاتما السى
وهذه ما اوصلته لقبته
الخص احباب لديه لازلين
وعلمه وعقله ولطفه
واله الموسوم بالولاية
وعلمه وسنة ورشد
والشبل فى المخبر ذاك الاسد
ولم يخالف قط غير لاصح
لركله فيل خير لائل
تناله اليد بلا ملول
فى ذكر اهل الخير والعلاج
والحب فى الله دوام الاتصال
لكى يزار قبر سيد قصى
ازرته فيها فجا لربته

ثم قال وقد نزلوا فى اسكا عند الابلايين

لسم حللنا اسكا فرحبوا
فكبرت السننا احسانهم
قلنا لهم احسانكم ان تطفوا
فقبلوا ثم وفوا ففدروا
بنا وفى ثانى المبيت رغبوا
بطلب اصغوا له اذا هم
تيران فتنة بكم تنطقوا
فهبت الريح لهم فنصروا

ثم قال وقد نزل فى المعدر مسكن شيخه سيدى سعيد

لسم الى منبع عين سرنا
وهرگز السر وخير الامكنة
موطن شيخنا السعيد الاسعد
وجنة تلالا فى دهرنا
وزهرة الدنيا بهلى الازمنة
شيخ المشايخ الامام الاوحد

ثم اطلال النفس فى احوال شيخه! وسترى ماذكره فيه حين تقرا ترجمته
وهذه ايات فى (القسم الثالث) ان شاء الله! وقد تقدم فصل عن هذا المكان
فقد ذكرنا ما وقع له يوم ملاقة شيخه ثم قال بعد ما اطلال

الى العنان لدى فيه الكلام
بدا شىئا نزلت ظهرا
من المراحل الى خير الانام
فانتعش القلب لديه جهرا

الى ان قال عند الرحيل من المعدر الى ماسة وكانت ماسة احب بلاد الله اليه
فى سباحاته لما يناله فيها هو واصحابه من التشفيف والغافة! والغافات اعيايد
المرادين (كما يقول الصوفية)

وبعد ما زلنا فريخ الشيخ
منه لامة بحصن السالية
ماسة موضع الكمال طسرا
من كان من اهل القلوب يدري
رايت مرة بها اذ سحنا
وتلك لي الاولى بذاك حنا
فكم بها من جملة الاحباب

الى ان ذكر ان من هناك كان رجوع من شيعوه من اهله

منها اثني الفقيه سيدي علي
قد حصل الفراق والجمان
فرجعوا مع الزمامي احمد
ثم ذكر نزوله في المزار بقبيلة كسيمة ازاء اكادير
كذا ابو سالم الحب العلي
يتشر اذ توادع الاخوان
خير نصوح للفتى المسترشد

منها ارتحالتنا الى المزار
جيران وادي سوس اهل الخير
ثم حللنا دار سيدي الحسين
وكلهم لم يدري ماذا يفعل ؟
للمرط ما بهم من الحب لنا
واكرموا ثلاثة الايام
وعندهم رايت في المنام
سلطاننا سيدنا المولى العلي
في غاية الفرح في منزله
فقال مذ خرجتم فرحت
وقام في خدمتنا بنفسه
فاولت بملك الملوك
ومن هنا رجع عنى الشبيقيق
وهو باهل الله ذو اعتناء
ومعه بعض من الاخوان
فرجعوا بمركب البغال
ثم الى السويرة الكراء
ثم ثلاثا صد وادي سوس
اياك ان يسئل فلا تعبر به
ولم يكن يهلك في الوديان
لدى احبة عزيزي الجاري
اهل المحبة لنا والقيصر
مقدم لديهم بكل زين
عند نزولنا وما ذا يعمل ؟
فزال ما بنا لديهم من عنا
غاية مايكون من اكرام
بشرى رايت ملك الاسلام
ابا على نجل سيدي علي
مرحبا بنا بوسط اهله
وكل ما اشتهيتم ابحت
مفضلا بقلبه وحسه
لحبه سلوك ذا السلوك
الصنو ابراهيم افضل رفيق
ولطريق القوم ذو اقتفاء
فرجع الكل الى البلدان
كانت لنا حاملة الاثقال
حمارة وناقاة حمراء
تبا له من معبر ذي بوس
كيلا تكون راسبا في قلبه
الا المجربون بالظفيان

للالة ما منهم امان
ومعنا في قطعة احباب
الا على البقلة وهي تطفيف
والصنو عبد الله كان راكبا
لاله وبضعة من قلرا
فتعب الكل بهذا القطع
وفعل واد ليس فعل النحو
يعمل في معموله بسيلسه
وكل ذي عقل وخذن حزم
فليقطع البر لرأس الوادي
فهو يرى جميع ماكان يشا
من ملابس ومفرش ومشرط
لان ما في ذلك من عمارة
ومن ردالة لفوق سيري
الا الامان انه مكفون
ولا يجوز نبشه من قبر
ولم يخلف وارثا فاشتغلوا
هوامهم اهوى بهم في الهوى
والحكم للغالب لا للنادر
اما الصلاة فمن الرجال
واديهم يذهب بالابدان
فارتكب الاخف من فريسن
وبعد قطعنا شكرنا شكرا
وكلنا زار فريخ سيدي

البحر والسلطان والزماني
لولا هم تطففت اسباب
وكل من معي اليها يعطيف
فرس بعضهم فكان السبا
قد الزعموا ان يقصدوا ام القرى
وبعضهم اشقى به للشرع
ان كنت ذا عقل وحلف صحو
الخلص فالنصب برفع رجله
فلا يطالب قطعه بعموم
معاذى الضفاف في البوادي
من فجره الى حنادس العشا
وماكل وكل خير يجتبي
اضفت على السكان حسن الشارة
كل الاماني لديه في القري
بسبعة لديهم مدفون (١)
معروفهم هو عظيم النكر
بنقض عهد الله فيما عملوا
اسرع بهلك من اليهم اهوى
بلادهم تعم بالبنادر
قليلة فكيف بالعمال
وجهلهم يذهب بالاديان
والويل اهون من الويليين
في حصن منكب وصلنا الظهرا
ابى القنادل بشوق الزيد

ثم ذكر نزولهم ذلك في اودير ثم في ايت امر : واثني عليهم وذكر انهم
غار العاجين : ثم في ثمار حيث دار القائد المحجوب اذذاك : ويقول في ذلك
ويذكر ما وقع له معه :

لم ال المحجوب من عمال
مرامنا البيع لبقلة لنا
ومثلها يحبها العمال
قبل طلوع الشمس قد طلعتنا
حاجة وهو من ذوي الافعال
عل بنقده نلم شملنا
وعندهم قد توجد الاموال
لكن من الدخول قد منعنا

(١) ضمن هناك التعمير العام الذي يعني بسبعة اكلان المبالغة في
مؤارة الميت وتحييته من الانظار

وشددت حجابها علينا
فابوا التقريب والترحيبنا
طال بنا الوقوف ثم ملنا
نقبل كل ذلك بالافراح
وكان عنده الكثير الفقهاء
لم يدر ما يفعل وهو ضيف
نحن ذوو زاد وهذا الصيف
لموضع في خارج قد ملنا
شيئنا من الوعظ لهم فاذنا
بعد الصلاة نظروا ما يعمل
لكي نبيت احسن البيات
فقيل لي سلم عليه حينما
لانه من خارج بمعزل
فقام للدخول بعد المغرب
وليس يجترى عليه احد
حاجبه يقوم ليس يجلس
يرعى له بطرفه الخواطر
وكل من كان بتلك الحضره
فجل ادا بهم الظواهر
فقلت امشي فتلاقيت معه
فدخل الدار بغير رد
فدخل الكل ونحن كنا
الى ورا العشا وقد نعشنا
جاء الينا حاجب محبوبه
اتفق اللفظ مع المعنى كما
فقال قم فسيدي يدعوكم
وذلك انه جرى في النادى
ان قال بعض الفقهاء ها هنا
بالعلم والصلاح والخيرات
فاستسمنوا بظنهم ذا ورم
فحسن الوصف باذن العاهل
فقال للحاجب قم فات بسبه
فقلت في الحين بقصد الوعظ
وجدتهم في قبة مصنوعة
واذ راني زال عن منصته

وسددوا رماهم الينا
واثروا الاقصاء والتأنيبا
الى الجدار ثمت احتلنا
من ربنا الفاعل بانشرح
عرفنى من بعضهم ذوو النهى
رجاء شئ من لدنه حيف
نبئت حيث لا يكن سقوف
مع جميع الفقهاء ؛ وقلنا
اذ ان مغرب فقالوا امنا
من حيلة يجنى بها المؤمن
مع جميع الفقهاء السادات
يريد ان يدخل كيما يعلمنا
عنا لدى الصلاة قرب المنزل
والناس منه في هوى ومرهب
كانما يخطر منه اسد
يلازم العبوس ليس ينبس
وكيف ان اشار بالظواهر
فلبه انتشى بتلك الخمرة
وفسى بواطنهم المناكر
مسلم فلم يرد ان يسمعه
سلام من سلم ؛ بل بالصد
تحت الجدار وبه انسا
تحت الجدار ما راينا الكنا
وافق حقا اسمه محبوبه
ترى وسبحان الذى قد قسما
لاكان من ياسيدي يجفوكا
وهم يجولون بكل واد
فلان من فضله الهنا
ووعظه يطير بالمهجات
ونفخوا وهما بغير ضرم
فاشتاق ان ينال خير نائل
لنستفيد من سنا مطلبه
له بحالى اولا واللفظ
بزينة وفرش مرفوعة
يشير بالجلوس في اريكته

مرحبا بقلبه وقاله
فهو كالقلب وهم كالجسد
فقلت اذ رايتك قد اقبلنا
ليس سهيل للكلام غير ان
فقال لي اهلا بنصح الله
فقلت للحاضر من رعيته
هل اتم تالمرون طورا
فقال كلهم ا الحسن نهمل
فقلت ان امر بالخصم لكم
فابتدورا بقولهم لوامرا
فقلت للقائد هل انت ترى
فكل من ترك في حكومتك
في سائر البلدان اذ حكمتنا
ضيعت دين الله في احكامنا
ان الفريضة عمود الدين
فقد رايت من يحول داركنا
احسن كونك عاملا ولا
بالوعظ والضرب وقتل الحد
الشيخ خليفة الامام الاكبر
فارسل الرسول للمؤذن
فقال من لا يرد الصلاة
من غريبا وحسنا وكل ما
فقلت تهل مسجدا في الداخل
فقد قد وعدت بالبناء
فرح المجلس والاسماع

وقال كل مرحبا اذ قال به
مبتدرون ان اشار باليد
وكان للنصح له مستقبلا
رايت نفسك بنصحنا فمن
جاراك عن نصحك لي الهني
ومن بناديه من اهل طائفة
نهي ا اذا نهاكم او امرا ؟
منه الاوامر اذا ما تقبل ؟
اتركون في الوقوف شغلكم ؟
بالعشر اديت بوقت امرا
من الذنوب ما عليك في الورد
اي صلاة فهي في رقبته
عليهم جهلت او علمنا
وهي عظيم ذاك في اسلامنا
كما رووا عن النبي الامين
تركها بله بنى جواركنا
تجعل في الصلاة ذاك العملا ؟
وذلك في الدين تمام الجسد
فانت بالتنكيل في ذاك حري
فجاء في الحين فورا لم يسر
اعلم به فلن يرى النجاة
يرده لها الى ان ينعمنا
تجمع فيه مع كل داخل
له بدا العام بلا مراء
وفي الصباح حصل الوداع

لم ذكر الهم بالوا عند انسان آخر ؛ ثم الى دار القائد الحسن النكفاني
وكان له معرفة بالشيخ وقد كان الم بداره في السياحة السورية المتقدمة
وعن الهم يقول فيه :

يا هذا لآخر اخينا
مرحبا غايه ما ترحيب
وذلك شئنا لكل
ان قال النكفاني
يا حنة وطيب
قد كنت قبل ذا بشهر رحنا

في صحبة صحت وان ليلا
ومفضلا بنم وطيب
عادة اهل المجد اهل الفضل
فالشر منه الخلق والطفافة
لانت به اصوله والفرح
لديه بالاخوان حين سحنا

فكان ان وصيت عن بناء
فالآن قد وجدته مكمل
في اليوم الاول لنا برضا
فكان دائما به يصل
وهكذا فلتكن العمال

ثم ذكر بعد ذلك سيدي عبد الله النجار من اصحاب الشيخ المعدي
وما جرى له مع شيخه : ثم الى السورة ويقول في ذلك :

ثم ارتحلنا بعد للسورة
نزولنا فيها لدى اجلة
رباطهم احسن به مكانا
ينسى بحسنه لك الاوطانا
مع الذين فيه من كرام
وكان قطب جمعهم للـ
خديم اهل الله حيث كانوا
سواد عين مقلة الاحباب
اخلاقه علت به ذرى العـ
القي به عند اللقاء الفرح
يتابع الانعام والمثونة
واهل داره على الدوام
اغنى اخا الكمال سيدي عمر
وهو الوقت على السورة

ثم اطال الكلام حول السوريين : وفي ذلك مناظرة بينه وبين فقيهه هناك
يفهم الصوفية : ثم ذكر كيف اکتروا في الباخرة ومقدار الكراء فقال :

ثم لبنا خمسة وعشرة
ولم نزل مدتنا المختارة
تاتي لقصد سعة المبرة
لان ما يركبها الحجاج
ثم انت فصار سيد السي
فقال لي وكيلها النصراني
غيرك بالخمس من ريسال

(١) كذلك بنى المسجد في دار القائد المحبوب المتقدم في الحسين
فالمسجدان عامران الى الآن ١٢٨٠ هـ

فللت الخمسة من اصحابي
فرجعت بدا الى اربعة
لم يفعل الوكيل ما قد فعله

ثم استطرد ان العمل لوجه الله الكريم بالاخلاص لا يصدر الا من موحد
عرف الله : وجمال في ذلك حتى ذكر الديانات : ثم ذكر حالة المسلمين اليوم
من لزوم اداء الصلوات فقال في اهل سوس ومن اليهم

ولبنى سوس من المغاربة
واهل (ولتيت) عليه جبلوا
فاقوا بذلك اهل سوس
فاقوا برغبة لدى التدين
وبحيا في النساء لايزول
وعفة ورافة ونيسة
وقلة من الحطام الفانسي
فهذه الخصال قد فازت بها
ثم بهم يمتد ظل الدين
جميع من بحوزهم قد وصفوا
يقر جيرانهم بذاكا
وذاك ظاهر وقد تبيننا
ذاك ومن كانوا جوار سوس
فاقوا كذاك غيرهم ثم كذاك
جيران اهل سوس في الحدود
فجل تر الاسواق والمداشرا
من كان في مخدع امه جهل
وذاك جهل منكر خصوصا
ثمت اهل المغرب الاقصى هم
جميع اهل الشرق اما قيسا
فبدونا اعرف بالاديان
وذاك كله شهير يذكر
وقد رايت ذلكم عيانا
وذاك كله بنسبة القرى
اما المدائن فقد كفى الورد

جد علوا في الدين منه غاربه
من ضمهم سهلهم والجبل
طرا : وابن الرجل من رؤوس
والزهد في الاكثار والتزين
ورثه فروعهم عن الاصول
وهمة كهمة الصوفية
وكثرة الخوف من الديان
(ولتيت) في كل ال شعبا
في كل ما يلي من القطين
بوصفهم وبهم قد شرفوا
اذ ادركوا من يمنهم ادراكا
والصباح لا يحتاج ان يبيننا
افضل في الاركان والاسوس
جيرانهم ايضا فحقق ما هناك
فاقوا جميع الغرب بالشهود
فقد غدا الفرق كصبح ظاهرا
كل الذي بدارها لم يتصل
ان كان عن ذي قدوة منصوبا
في الدين بين غيرهم تقدموا
بهم يقال بيس بيس بيسا
من بدوهم للحفظ للقران
في كل مجلس تراه يوتر
ثم اختبرت امره الزمانا
في الشرق والمغرب من غرافرا
في المدن امي وبعض في القرى

(١) ينسب حديثنا وليس ينسب

ثم قال حين يودعهم السويرون :

لثمت ودعنا هناك الصحبـا
وكل من تلقاه في السبيل
تبركا بالنية المستحبة
والدين مهما خالط القلوبـا
وكل قلب لايلين بالوداع
فليس بالمكن بعد ان يلين
حد التبرك بنا ومثل ما
ومن تشوق ومن عويل
سيف السويرة فمن هنا
ثم اتى دور المحاسبات
وليس بعد لك من مصحوب
فكل من تلقاه فهو طامع
فانت من يزور بالدراهم

لهم مستصحبين الربـا
يزور منا ذاترى الرسول
والكل قد اعل بشوق منجبه
فجر من شعابها السيوبـا
حتى يهم في الضلوع بانصداع
بل هو كالصفحة في الطود الرصين
ذكرته من الغليل والظما
عند مرور ذاترى الرسول
غادرت ذاك الصيد والشباكا
وقول هالك في العطا وهات
الا الذى خبات في الجيوب
منك اذا ساهلت او منازع
لكى ترى خير فتي مساهم

ثم حث على كثرة مد اليد : وعلى كثرة النفقة في هذا السبيل خصوصا في سكان الحرم حيث الضعف البادى واكياس الحجاج من منتجات الحاضر فيه والبادى : وذكر ان التكف من كل من رءاهم في الطريق وفي الحجاز متصل لم ينقطع : فلا بد من مد اليد بما امكن

وليس فى جميعها انيس
لكنما الانفاق بالاجمال
لانه يجعلهم فى الراحة
وهكذا الراحة بنت الراحة

ثم ذكر كيف ركبوا الباخرة : وقد اشتغل كل واحد بنفسه

ثم ركبنا فى ضحاء الجمعة
فقلت باسم ربنا مجراها
سفينة طويلة موسعة
فى بحرها وباسمه مرساها

ثم وصف السفينة وهى اول مرة رءاها فى عمره

وحيث اجريت العيون حولها
وشمت مالها من الكيفية
وجدتها اكبر ما بظنى
ان يبد من اوصافها لسانى
فلرعا كانه فى الطول
وعرضها حقا بخمس عشرة

ولوحها وطولها وطولها
وحركات سيرها الخفية
حيث استبنت سرها بعينى
فليست الاخبار كالعيان
ذرع الثلاثين على المنقول
من اذرع ان لم تلقها كثرة

فيها ثلاث طبقات تسع
سارت بنا فى وسط النهار
وغير دوخة ولا فتور
وجدت فيها صحة فى البدن
لاننى وافقنى هواؤها
فصرت اكل جميع ما اشأ
وكان هذا الوقت وقت الصيف
ونجمع الصلاة فى الجماعة
مع الوضوء دائما وكل ذا
لان همى كله فى السفر
فجاء ذا والحمد لله كما

الفين او الريد بل لا الشبح
بلا اهتزاز السفن الجوارى
كانما تجلس فى السرير
اكثر ما اكون بين المدن
وجوها واكلها وماؤها
بشهوة قد وافقت ما فى الحشا
والسير فى اليم كمر الطيف
مع القيام ان تحل الساعة
من فضل ربنا الذى لى الاذى
حفظ الديانات لنيل الطفر
احب كل سفر منهما

ثم ذكر مرورهم باسفى : ثم حمد السفر فى البحر واثنى على السفن التى تريح المسافرين براحتها ثم تبلغهم ما يريدونه بسرعة ثم ذكر مرورهم بالجديدة : فذكر طرقا من تاريخها : ثم ذكر ايضا البيضاء فوصفها ايضا ثم ذكر مرورهم بالرباط وسلا فقال :

ثم بدا الرباط فى جنب سلا
بينهما نهر كما التين
وكثرة الزوارق العوامـة
فبعضها يفرغ ما فى السفن
لكنها ان ولجت فى البحر
وذاق من شدة ما تراه

كدرتين فى جبين يجلى
يسمع ما يلج من سفين
على اشتغال اهلها علامة
وبعضها نزه من فى المدن
تعلو وتسفل كمن فى السكر
من موجها ان جائت المياه

ثم ذكر ان الرباط مبتدا ما يطلق عليه الغرب كما انه حد ما يطلق عليه الحوز المبتدى من الحمراء : ثم ذكر اناسا ركبوا من هناك فوصلهم وصافيا واثنى على همة بعضهم حين استصحب معه ولديه للحج : كما ذكر منهم آخر استصحب حليلته فذكر ان الشوق هكذا يكون وان الصابة الى زيارة المشاعر الدينية وقبر النبی صلی الله عليه وسلم هكذا يسطع اخلاصها فتنهض بالمال والاهل وتنسى كل شىء دونها

ايلىج المتيم الاخطارا
ويعرض الحوباء للمهالك
ويتمتع بلمحة وقد
امت يكمل الذى قد رءاهما

ثم يخوض فى العدا الشفارا
كما يواصل الالى هالك
جالس من حبه فى القلب القـد
ان كان من حب النبی فى لها

ثم ذكر ان الحج اليوم من اسهل ما يكون ! فالبواخر المريحة السريعة
الأملة تدرك بها الأغراض ! وابن هذا مما كان من قديم حين تجاب الفيافي المخوفة
ويكون الحاج في برقة على مشقة هائلة ! غير ان السلف مع تلك المشقة اكثر من
اهل هذا الجيل حجا ! وماذا الا من كثرة ايمانهم واخلاص طواياهم ! ثم ذكر
مرسى المراكش ثم طنجة ثم وصف برالاندلس - اسبانيا - وارسل زفرة على فقدان
فردوسه العجيب ! فذكر القرن الذي سد فيه دونه الباب عن الدين الحنيف
ثم استطرد الى امتداد الاجانب الى هذا البر ايضا ! فأنشئ على الذين نافحوا
ما نافحوا دونه ! كالسعديين والترك ! ثم ذكر بني السين الفرنسيين الذين
امتدوا اواسط القرن الماضي الى الجزائر فوصفهم بالقوة والسياسة والحيلة
وبتنظيم دولتهم ! فعلم ذلك بسرعة تمكنهم في البلاد ثم قال : ماديها الا من
استقامة حكوماتنا الى الراحة وتركها الجهاد ! ثم اشار للحديث الذي يلهم بان
كل امة تركت الجهاد : ولازمت اذئاب البقر فانها اهل للصغار والدلل ! ثم ذكر
ان تونس وقع بها ما وقع باختها الجزائر ! فلم يسبق الآن الا طرابلس الغرب
والغرب الأقصى في هذه الجهات ! ثم قال :

رجع بنا الى الذي تركنا فللحديث طرق يسلكنا

ثم ذكر ان بعض اهل نزل من هناك ليمتطوا سفينة اخرى وبقي هو لان
ليه المرور بتونس ليصل رحم احد قرابته انقطع هناك ! ثم ذكر سبته وذرف
عليها دمعة ! ثم ذكر وصوله لجبل طارق فاجرى بعض ذكريات عنه ! ثم ذكر
قدر المال الذي نزلوا به من الباخرة على الزورق ! ثم قال بعدما ذكر دخولهم
للمرسى في جبل طارق :

فاذ نزلنا ودخلنا في الزقاق
قد حلقوا جميعهم علينا
كاننا قردة في الملعب
ثم النزول كان في الاصيل
فحرت في المنزل كيف يوجد
ومن يذق قبل اغترابا يدرى
وليس في الجبل غير الكفر
فيل جميع المسلمين يطردون
قد زعموا انهم لصوص
سرنا وكل ما يهم المنزل
فرجع الكل اليه واقفين
فكانت الاوراق اوراق الدخول
لمت جزنا الباب والاوراق

دير بنا حتى غدونا في نطاق
وطرف كل شاخص الينا
ومن يشم زيا غريبا يعجب
قبل غروب الشمس بالقليل
ومن نومه ! ومن نسترشد
كيف يرى الغريب وسط قطر
سكنى ولا مسلم فيه ندرى
من الازقة ! لذا لا يوجدون
والله يعلم من اللصوص
اذا بصائح بنا ان اقبلوا
فناول الاوراق كل الواقفين
من لم يحز منها فماله دخول
لهد حتى دخل الرفاق

فلطئت اسأل عن القصور الذي
فهو يسمى عند كل سعيد
قد كان رفا للذي كان هناك
فخلف السيد في المقام
جننا اليه غرباء معلمين
فقام سرعا يفتش كما
وذاك ما يدل ان كان له
كنا «يج» (١) اصاحبا اخوانا
ولم نرد تفرقا فوجدنا
خمس ليل قد عزمنا المكثا
ويجب الربع لكل ليلة
ثم هناك ما يكون اعلى
وقيل ليس موضع فيه الغلا
وذاك كله من اجل الثروة
ديارهم جميعها قصور
كذلك الاسواق جمعا بنيت
فيدهش البصر مما ابصرا
تقول زهرة الدنيا باسرها
ازقة قد فرشت بالعود
كانما فرشت احسن القصور
اما نظافة الظواهر فلا
لو رزقوا نظافة البواطن
لكنما الدنيا لهم جنات
ولاغترارهم بها اجتبوها
فاقبلت عليهم اقبالا
لكن من دخل هاتيك القصور
فليس يرتاح الى العشاء
فعربات الخيل والبغال
ولست تسمع كلام صاحبك
وكل بنت من بنات الكفر
وكل من يريد الانتفالا
كذلك من يريد نقل الامعة
وكل ذبل بالمدينة وما

ياخذ امر الناس خبير ماخذ
خليفة السلطان مولانا السعيد
قبل فاعتق فزحزح الشباب
فكان من افضل الاسلام
بما اردناه من النزل الامين
يفعله لسيد من خدمنا
مع ربه اخلاص ما عمله
ونبتقى جميعنا مكانا
نزل به «يه» (٢) من ديار عدوا
هناك في جبلهم واللبثا
وذا غلاء ما سمعنا مثله
من ذا الذي كنا ذكرنا قبلا
نظير من قد سكنوا ذا الجبال
وما لهم من جاههم والقوة
كجنة لو كان فيها الحور
مثل عروس يوم عرس جليت
مما يفر كل من قد غررا
واتتهم بسرها وجهرها
والكنس من طبعهم المعهود
للوافدين يوم انس وجور
تسل فشانها لديهم قد علا
بالدين كانوا خير كل ساكن
لهم بها النعم والنيات
ثم حبوا في الحزم ما حبوها
ولم يروا من وصلها مطلا
وكان من فراشها له المرور
لما يصمه من الضوضاء
ترتج في الانهر والليالي
من كثرة الهز الذي بجانبك
تركب فوق عربات تجرى
ينقله ذو العربات حالا
فانها تنقله وما معه
بيده يرى بها نقلهما

الرحلة لفسها : فالذخيرة اليوم بريالة ونصف وريالين (١) والمز بنحو
خمس وعشرين ريالاً فرسبة بله النجاج التي بلغت خمسين في بعض النواحي
فمن رجباً تر عجباً

ثم وصف بيالهم فيها فقال :

بتنا بها بالبج البيات
لأننا لم نرد الغلاء
وذلك القبر على ضيق به
وذلك كل ما يحب المعبي
وانسى في البدو قد الفت
في قبر عود كلوى الممات
فهل نمد (ربما) كراء ؟
امتد كلنا به لجنبه
ان الفضول خلق اهل الفسي
صبرا ان اضطجعت او وقفت

ويقول في وصف ضبط المالطين :

فلهم الحزم على الدوام
قد نظموا الامور بالتوقيت
فكل من فعل شيئاً يسجن
ففيهم المسجون مدة العمر
مع عسكر مشمر مصفف
كانه في لبسه الدي (٢) وقد
يقف او يمشى على المزامر
ولهم خان فخيم فاخر
وعرباتهم تقاد بالخيول
فتلك مالطة وذى اخبارها
في كل ما يفعل للتمام
فانتظمت لهم على الوقت
بقدر فعله وما ان يفتن
او مات جيفة كجيفة الحمر
ملف مزوق مخفف
يظهر كثر وهو قل في العدد
فصوتها الناهى لهم والامر
حاطته فيما قدروا مفاخر
وانها في جريها مثل السيول
قد استنارت في الدجى انوارها

ثم وصف بعض حدود البحر الابيض الجنوبية والشرقية : ثم قال :

لمت لم نبت بها اكثر من
كانه موج علينا سدل
وفي النهار سار فلك قهقري
ليل طويل ضيق الجحر خشن
ارخي ليمطر علينا ويله
بنا الى تونس انس من يرى

ثم وصف المركب ومن فيه فيقول في الراكبين وفي اهل المركب :

تري الجميع في الصباح قائمين
كان ذاك هو فرض الصبح
وللك عادة لهم مستحسنة
بالفسل والتجفيف غير نائمين
اداءه سبب كل نجح
حسنة بالطبع اي حسنة

فهكذا كانوا متولدة العمل
لذا تراهم والرووس في السما
حقا لهم مقامه فخيم
لكنهم وما اشد جهلهم
اذ حرموا اتباع دين الحق
لكنها الاديان بالهداية
مد قريت اليهم كل الامل
كان كلا منهم ابن ما السما
لو كانت الدنيا لهم تدوم
قد اهلكوا انفسهم واهلهم
والرشد والخلق معا والصدق
من يهده الله يسدد رايه

ثم ذكر انه ركب سفينة اخرى الى مالطة ليتمكن له المرور بتونس فتبع
ايضا وصف السفينة وكم فيها من اذرع : وقال انها اكبر من اختها وقال انها
مدينة جارية على البحر :

فجملة القول لمن سيدري
لاتحسبن الوصف ان فيه غلو
فكل ما تسمعه عن السفن
فليس راء مثل من قد سمعا
ان هذه مدينة في البحر
فيعلم العلام ان ليس الغلو
فلاتكذب ما وعت منه الاذن
ولا الذي يجهل مثل من وعى

هكذا يقول لاهل بيته الذين يعجبون مما يسمعون من امثال تلك الاوصاف
وفي هذا الوصف ذكر ايطالية واسبانية وفرنسية وانكلترة : ووصف كل واحدة
بما وصله علمه : ثم ذكر ان العيد ادرکه في نواحي مالطة واليوم يوم الثلاثاء
قال والعجب ان التونسيين عيدوا يوم الاحد : مع اني راقبت انا بنفسى الهلال
ليلة الاثنين فلم يظهر مع صفاء الجو فكيف يمكن لهم ان يعيدوا برؤية الهلال
ليلة الاحد : والمحل الذي راقبت فيه الهلال يحاذي سواحل تونس : ثم قال
بعد ما ذكر كل هذا :

فانظر الى اختلاف اهل الزمن
لم يبق حتى الوهم في ذاك وقد
وما جرى للتونسيين سوى
صاموا بيوم جمعة في الابتدا
من قلة اعتنائهم بالسنن
روقب صحوا يوم سبت واحد
ان تبعوا الحساب دوما باستوا
فاستيقنوا الهلال في السبت بدا

ثم ذكر مالطة فوصفها على عادته وصفا مسهباً : كأنما القاري يراها :
وقد الم بالغلاء فيها فقال :

دجاجة برربعين ترخص
وعندهم صنف من المعزبياع
عشر ريالات ويدعى الضياع ؟
وليس في اسواقهم مرتخص
بعشرة ومن شري ادعى الضياع
فانها اشريسة لاتستطاع

يتعجب كما يتعجب اهل المغرب كلهم من هذا الغلاء ولكن ابنا اليوم واخر
١٣٥٨ هـ يشاهدون اعظم من هذا الغلاء في المغرب نفسه : بل في قرية صاحب

(١) لم في ١٣٨٠ هـ باكثر من مائة وعشرين ريالاً وعمل هذا يقال في الختم وفي غيره
(٢) الدي بنجح الدال : ولد الجراد

ثم اطل على تونس ! فلاقى تونس من رحلتنا ما لاقىه دائما من الرحالين
كالعبدى وامثاله الذين خلدوها بشنا عطر وجللوا اهلها وشيئا مذهبها من الذكر الجميل
قال :

عند الفصحى بعد البيات ليلا
تلاوات في البر مثل الدرة
كل غريب عندها حبيب
مدينة السر مع الصلاح
مدينة الاخيار والافاضل
والحسن والبهاء والجمال
مدينة الفنون والعلوم
في البحر بانت تونس كليل
في نحر حسناء كعاب حرة
وكل من سكنها اديب
والرشد والارشاد والفلاح
سكانها من فاضل لفاضل
اوصافها التي لها الكمال
والحفظ والتدريس والفهم

ثم وصف ابن عرفة في ستة عشر بيتا : ثم وصف جامع الزيتون في فصل
طويل : وذكر سواريه وان في بعضها ما يظهر كانه حروف لكلمات محمد وابي
بكر وعمر وعلي : وذكر نظافته وفرشه ومصابحه الكثيرة : فقد كان يتبعها
حسابا حتى ضاع عليه الحساب : وذكر ان المسجد حافل بالعلم والعلماء الاذكياء
وان من رءاهم فيها بلغوا الذروة في الذكاء ووصفهم بالتواضع وحسن القاء
الدروس : وان الاستاذ يلين الجنب للتلاميذ وانه يأخذ الكتاب حين التدريس :

وربما يراجع المشكوكا
فكل من يسأله يجيب
حتى يتم الدرس مثل ما ابتدئ
هذا ولا ترى سوى تواضع
وذاك طبع اهل تونس على
تواضع في ضمنه تسامح
اولا فيبقى عنده متروكا
بسرعة كالبرق اذ يجوب
بالفهم في المدرس كالزهر الندي
من سائل او باحث او سامع
ما قد رايته لدى كل ملا
تلاين يزيينه التصافح

ثم ذكر درسا حضره هناك برخصة اخذها : وما جرى له مع المدرس :

حضرت في صبيحة مدرسا
في جامع الزيتون يوم اثنين
والقصد ان احوز فضل العلما
والفضل بالاجماع عند العقلاء
فكان يدرس ابا الضياء
وهو لمن بجامع الزيتون
وهو كبيرهم على الاطلاق
كان يقرر لدى باب السلم
اجدد به لئلا ان يكونا
فكل وصف كان يوصف به
برخصة قدمها من انسا
فكان لي اسعد يوم زين
وان انال خير من تعلمنا
لاهل علم الدين لا للجهلا
درس الجهابذ بلا امتراء
قدوتهم في الفهم والفنون
حسا ومعنى ذاك بالتفاق
فكان في تقريره فردا علم
قطبا لمن سواء مكينا
فقد احدا ارفع من منصبه

كنا مع اليهود والنصارى
كل له دين وعادة فلا
لكن خير عادة للمسلم
الفتح بعادة النصارى ايا
ليس لهم في منظر ومسمع
صورهم في حالة اللباس
وحال اكلهم كاكل البقرة
ليس لمن يجهر بالاكل حياء
فعزلة وخلطة سواء
مجتمعين لم لاضرا
عادل كيف كنت يبدى العدا
في ملبس ومشرب ومطعم
كانوا على الاطلاق ليس شيا
حال شريفة وحسن مطلع
اقبح ما يكون عند الناس
في كثرة وسرعة مختصرة
بينهم فذاك مما ارتضيا
فالقصد ان يمتل المعاء

ثم وصف انسانا من هؤلاء رءاه يلتهم ما بين يديه وصفا عجيبا تعجب
نهن حين يصدر مثله من الشيخ الصوفي الوقور قال :

وقد رايت واحدا في المركب
والحفل كلهم اليه شاخصون
وفي يديه الخصى والخيز معا
وورق الخصى غليظ وطويل
بالطعم والخبز قطعة كما
فقلت ان المضغ واف بالمراد
اذا به يبلعه باسره
وهكذا كانا جن الرجل
وهو ينفخ كاحتدام الضرم
هذا ومقلته ترمي بشرد
كنت امامه فصرت اعجب
فلمت في الحين فامسكت القلم
اثبت للسامع هذي الطرفة
فربما حرمت الابصار
يلتهم الخصى التهام السلهب
وهم بلحظهم لديه غائضون
يقرض منهما بموسى قطعنا
مقدار شبر فيه او هو الطويل
يلقم فاه قنفذا ملصقا
يحصل منه قبل زرد ما يراد
في لحظة ثم انثنى لغيره
او خاف ان تنسد للطعم السبل
ان فتح الشدق لاخذ اللقم
متى اجيلت في وجوه من حضر
من صنعه والوجه منه اعجب
بعد صلاة وقراءة «السم»
يسمعه اذ لم يمتع طرفه
وتمتع السامع الاخبار

ثم كتب في اخلاق القوم من لباسهم وحلق لحاهم واعفاء شواربهم فصلا
وذكر ان هناك من يتشبه بهم من المسلمين : فقال :

وربما تجد من جابههم
ومن تشبه بغيره نسب
«ان الطباع تشرق الطباعا»
ما الكلب ما القرد وان كل قبح
من مسلم بالزى قد شابهم (١)
له وفي الصحيح حقا قد كتب
وذا مشاهد فلا نزاعا
اقبح من طبع جهول ما صلح

(١) كلما رايت اولادنا اليوم في هذه الهيئة المحدثه اقول يا ليت جدمم
يراهم فلعله يكف عما قاله

وكل ما يمكن ان يزيره
وبعد ما اتم درسه وقام
فبعد ان تمت توابع السلام
فقلت قد كان بصورة كذا
فجلت معه وانا لا احتلني
فاذ راي الفجر بدا في السدف
فمال لي مستجمع الاطراف
والناس كلهم مضوا سوى ابنه
وهو كبير السن قد يعتمد
ووسمه محمد النفرى

ذو قلم ان كنت معه لره
جميع من معه دلست للسلام
جالت بنا في الدرس افراس الكلام
تقريرها عكسا كما قد اخذا
الا الذى اخذت خير ماخذ
قابلى بطبع كل منصف
اذ ادرك الصورة بالانصاف
ينظر ان يعينه لسنه
وخير عمدة لشيخ ولد
من اسرة حسبها سننى

ثم ذكر ان هذا الاستاذ كان من قبل هذا الوقت مفتيا رسميا ثم اعفى من تلك الرتبة ؛ ثم ذكر كيف يكون المفتى عندهم ؛ وان محمدا هذا يعتنق الطريقة التجانية ؛ وان هذه الطريقة لها انتشار كثير هناك ؛ ولها زوايا كثيرة ثم قال :

بى رجب الشيخ السننى ترحيبا
فكان ان اخبرته بمسقطي
واننى ممن نجا الحجازا
فقام مع ولده المذكور
فقال لي ولده مكانكا
ومد لي كتابه كى يونس
فحين اوصل اباه رجعا
فكنت ليلا ونهارا ضيفا
تطوعا منهم واكرام غريب

وفتح التساؤل الترحيبا
وعن تعلقى وعن مرتبطي
كيما ارى بالحج ممن فاذا
يصحبه ببره المشكور
فسترى الرجوع منى انكا
وهل ترى مثل الكتاب مونسنا؟
ثم ذهبنا نحو دارهم معا
ارى من النعيم صنفا صنفا
هل مكرم ذا غربة الا اللبيب؟

ثم ذكر الجامع الزيتونى ؛ وانه من اعظم مساجد الاسلام ؛ وان فيه من خزانات الكتب فى نواحيه ثمانيا وعشرين ؛ تستعار منها الكتب ؛ زيادة على دار كتب كبرى كقصر فخم مفعمة بالكتب ؛ وفيها قاعة للمطالعة ؛ ثم ذكر ان مثل هذه الخزانات المحبسة موجودة فى كل المدارس هناك ؛ وقد افاض فى وصف دار الكتب هذه وصفا حسنا ؛ وقد أعجب بالصمت الذى يسود المطالعين فيها ؛ ثم رجع لذكر الجامع الزيتونى ؛ فذكر أن من جملة مآثره كون أبى الحسن الشاذلى درس فيه بمحل معهود ؛ ثم استطرد شيئا مما يتعلق بهذا الشيخ وتنقلاته ؛ ثم ذكر ان للشاذلى مقاما سنيا فى تونس ؛ وان له فى تلك المدينة مقاما منسوباً له يقصد كثيرا ؛ خصوصا يوم السبت يوم يحضر الفقراء فيذكرون ويتواجدون ؛ ثم ذكر الوجد واستدل له ؛ ثم ذكر انه زار هذا المقام فحدث هناك المقدم واثنى عليه ؛ وسلسل له كيفية التواجد الى الشاذلى ؛ فحمل صاحب الرحلة على من ينكر ذلك ؛ وان الواجب هو التسليم للاشياع ؛

قد ابدى ماشاء الله حول هذا الموضوع ؛ لم ذكر الله لى هنالك الناسا التى عليهم من بينهم عالم صالح ومن بينهم صوفى كبير القادر التى عليه كثيرا ؛ قال :

كدا لقيت جبل المعارف
شارب كاس الخمرة اللدنية
من عام فى مقام جمع الجمع
له من الفهوم والرفائق
ولو رايت صفوه لشربه
لقلت ذا الجنيد فى ذا العصر
السيد المبجل الشيخ السعيد
له اخ فى السن كان اكبرا
ولاخيه ولد على
لله دره لدى الافهام
يجلو بفكره صدى الاوهام
ولم يزل فى حالة ازدياد
لكونه ملازم القراءة
عسىما بسمة الصلاح
ههه نحو الدرى تعالت
فكان هذا للاسم الاعظم
يوسفه المعلوم والمشهور
سبب ذا ان اباه قد راي
قال رايتنى القن لديك
فقلت بكفبك الذى قد وقعا
فقال لا بد من الاشباح
فحصل السر على الكمال
فقلت معهم على المدام
اجلى لمار الوصل بعد الهجر
قد اصبحت المارها للجاني
والكون كله لنا اشجار
والدهر كله لنا اسعار
ولعن بن الحور والولدان
فلا تسئل عمن جنت اكفنا
فولس عادها ان تولسا
جامع الرحمان لم يبا

ومركز العلوم والطاليف
فى حضرة شريفة صمدية
وقام بالوتر حبال الشفع
رسوخ من كرع فى الحقائق
من بحر وادى عطفه وحيه
فازت به تولى غير مصر
ذوالشرف الايل والخلق السعيد
وفى المعانى والمذاق اصغرا
على منارة العلا على
يعجب بالحدس او الالهام
فهو به فى الكر والافدام
لترتب العليا وفى ارباب
مرتديا مشحج الجراة
منتجع الفلاح والنجاح
وكل همة لهم نالت
عنى مع الاب له المكرم
ينتج فى الحين بلا شعور
رؤيا فقصها على لسان
ذكر كدا فخذ يدى الى يدك
فى عالم الارواح فالقلب وعسى
تذوق ما قد ذيق فى الارواح
فى الحسن والمعنى على التوالى
وفى المعانى خصرة الكرام
فى روضة العشق براح الفكر
وزهرها لقاطفيها دان
قد غردت من فوقها الاطيار
والحب قد حلت له الازرار
فى جنة الاذواق والمعانى
من امل محبب ومن ملى
كل غريب عند اهلها رسا
فكل من يصلهم سيعبى

ثم ذكر حسن بناء تونس العاصمة الساعا وارتفاعها وزخرفة ؛ ثم البع
ذلكميرة على احتلالها فذكر كيف احتلها الاجانب ؛ وكيف احتلوا حتى وقعت
الحماية بيد اميرها ؛ ثم لم يجد بعد ذلك دفاع المدافعين ؛ ثم افاض في ذلك سجلا
ثم ذكر اسانا جلس اليه في مجلس «اخر يوم له بتونس ؛ فكان بينهما ملاك من
ناوهات وزخرات على ما كان مقدرا على الاسلام واهله ؛ وكان امر الله قدرا مقدورا
ثم ذكر بعض اشياء من جغرافية تلك النواحي وما يصاحبها ؛ ثم قال :

فبعد ان مضت لنا ايام بتونس كانها احلام
«يه» (١) تكون ثم كنت في الخميس

كرت بـ «الحاء» (٢) بمركب نفيس
لجدة من بعد عصر اليوم مسيرنا نجوب موج اليم
ثم وصف المركب ورئيسه ؛ ثم ذكر طرابلس فقال فيها :

احسن بها مدينة للخير ما مسها توسيح اهل الكفر
ولها مملوكة بعسكر به يخيف الترك من قد يجترى
خمسون وعشرون من الالوف يمشون في مرصوة الصفوف

ثم مر في وصف هذا الجند ؛ وكيف يمثلون قوة واعظم شكيمة الى ان قال :
امثال بهم جميع الطرق فلا ترى فيها سوى ذى الدرق
كذا المساجد الى الابواب (ما احسن المحراب في المحراب)
الى ان قال بعدما وصف بوارج عثمانية بالمرسى ؛ يذكر ما شاهد في المدينة :

صرت اجول في الازقة وفي وسط المساجد التي للسلف
اشاهد الهمم كيف تفعل والبذل للاموال كيف يعمل
فمر في وصف المدينة الى ان قال :

صليت فيها الظهر والعصر معا وزرت اهل الخير فيها اجمعا
جالست فيها عالما مفضلا يظهر انه من اصل ذى علا
طويل باع العلم والاخلاق مع تواضع لدى التلاقي
قد كان في زاوية الرباني المدني العالم الصمداني

فمر في ذكر الشيخ المدني ناشر الدقاوية في المشرق من اصحاب الشيخ
مولاي العربي ؛ فذكر ترجمته وتنقلاته ؛ ثم استطرذ ذكر ولده الذي لا يزال

ثم ذكر حيا في الاسطالة ثم في عشي اليوم راجع مركبه ؛ ثم ذكر شدة عظيمته
فوقها على ظهر البحر بين طرابلس ومصر ؛ يقول :

هذا ولم لقطع عباب البحر حتى راينا كيف وقع الدهر
والقسي والعبد على الركاب تسلط بالسقم والاصاب
سواي مع ناس قليلين حمى دهم بين السورى وسلمنا

ثم ارسي بهم المركب في موسى الصعيد ؛ ثم ذكر بعض الجغرافية لتلك
المنطقة مع ذكر البحر بين الابيض والاحمر وفتاة السويس ؛ ثم وصف مصر
وعدها ثم قال بصف قطع المركب للقناة

فبعد مغرب شمس برفق بنا بقنديل بذلك الفسق
فكون ذا الفسق مثل الوادي مسيح الاطراف بالاولاد
اندفع الرمل فلم يزالوا توسعه تزحزح الرمال

ثم ذكر انه بقى في البحر الاحمر ثلاثا ؛ ثم بدت لهم اعلام الحجاز ثم
راوا بعد فوصف القبر المنسوب لعلنا الى حواء ثم امتطى المظلة الى مكة والشوق يفعل
ثم ما فعل ثم ذكر لزولهم بجهة موضع الحديبية الذي وقعت فيه بيعة الرضوان
ثم ذكر المسالك بذي طوى ؛ فدخلهم الى مكة ؛ فطوافهم بالبيت الشريف وقد
الافى في هذا المقام بما افاض به من تباريح الشوق ؛ ولواعج الوجد

واخرج ما يكون الشوق يوما اذا دنت الديار من الديار

ثم ذكر كيف كان يجتمع مع صوفية في زاوية شاذلية هناك ؛ فيفعلون
بال ما كان يفعله صوفية المغرب من التواجد ؛ وفي اثناء الاجتماع قال له احد
الحاضرين ؛ اني ارى ما ارى وانت مقبل علينا ثم اذا وليت ولي عنا ؛ ثم اخرج
فأمران يأخذ حله وان يتخذ شيئا

وال هنا كانت عندي النسخة الاولى من الرحلة ؛ ثم لم الف على نسخة
اخرى تمت فيها الرحلة الا بعد ذلك بازمان ؛ ولذلك اف هنا فيما كنت انقله
من الرحلة (١) فانقل منذ الآن عما وصل الى مما حدث به الشيخ او من رافقه
فأقول :

ثم لما وقف الناس في عرفة وقلبتهم حصل شك في صحتها ؛ فاعادها
المرجم مع للة ؛ ثم ناز حول ذلك مائلا بعد رجوعه فافتى مفتون بصحة الاعادة
واخرون بعدم الصحة ؛ ثم توجهوا الى المدينة فتوفي اخوه الذي صاحبه الى
الحج فيها بين مكة والمدينة ؛ ولما وقف بين يدي القبر الشريف في المسجد

(١) خرجنا الرحلة نامة بالالة الكاتبة مع رحلتي ابي الشيخ سيدي محمد وسيدي
علا فجميع في مجلد

النبوى توجه الى الله ان يؤيده على الاستقامة ، قال : وكنت ارى ان ذلك خير ما يدعى به فى ذلك المقام ، فاذا بهالف من جهة القبر ينادى : « ان الفصل ما يطلب فى هذا المقام هو رضا الله الاكبر » وكان الشيخ يحكى هذا الذى وقع له هناك مرارا : ثم رجعوا الى المغرب فى سفينتهم فوصلوا السويرة فى الوقت المحدد وقد لاقاه اصحابه هناك : ثم فى دار القائد عدى بكنافة فقال لهم اننا لنسرى واحد من اخواننا هناك فى كل مالم ننس فيه انفسنا فى الحضرة الربانية : فقد وجدنا انفسنا هناك فى الحضرة الربانية كما كنا نجدنا فى الحضرة الربانية هنا ، فان الله لا تختلف حضراته باختلاف الامكنة ، ثم وصل البلد - الغاء فسالت اليه الطرق للتهنئة بالرجوع

محور حياته

ان حياة الشيخ منذ عام ١٣٠٣ هـ الى مختتم ١٣٢٨ هـ كانت كلها على وتيرة واحدة لا تغير فيها : جولان فى البلدان لا ينقطع وارشاد مستمر لكل من لاقاه من الخاصة والعامة : فيقتصر للعامة على ما يتوقفون عليه من التوحيد ومن تعليم الصلاة ومن تحرى علم الحلال من الحرام : ومراقبة الله فى كل احوالهم واما الخاصة وهم اصحابه الذين اخذوا عنه : واستسلموا بين يديه فانه يواخذهم على قاعدة التربية الاصطلاحية بالشروط الصوفية التى توجد فى رائية الشريشى والمباحث الاصلية : وعوارف المعارف والاحياء والحكم العطائية ورسالة القشبرى وكتب الشعرانى خصوصاً العهود : زيادة على تعهدهم بتفسير القرآن وبالحديث النبوى : وينهاهم عن (المنن) للشعرانى لئلا يالفوا الاهتبال باعمالهم الحسنة وعن (الذهب الابرين) فى اخبار سيدى عبد العزيز الدباغ لئلا يتعلقوا بعالم الكشوفات واقتناص العلوم من الروحيات وعن (المدخل) لابن الحاج لئلا يشغلوا انفسهم بمحاسبة الناس : وهكذا كان قيوما على حفظ اصحابه مما عسى ان يفترؤا به فهو يريد منهم العبودية المحضة والمعرفة بالله : فيعطيه من الاقوال بمقدار الملح : فى الوقت الذى يدلهم على التوجه بالقلب وعلى عمل الجوارح فيعطيه بها بمقدار الطعام : من غير ان يرهقهم باعمال الطاعات والنوافل وانما يحرص على تنويعها لهم بحيث ينظم لهم عمل اليوم واللييلة تنظيما سهلا لكنه معمور كله ، وسترى تفصيل ذلك فيما ستقرؤه بعد ، وترجمة الانسان حقيقة فيما عليه اصحابه فبذلك يعلم ان تربية الشيخ تتنوع بحسب الناس : فتربيته للخاصة من اصحابه : غير تربيته للعامة من غير اصحابه : فيعطى لكل ذى حق حقه فتيسر لكل الجهات التى يطررها بسوس : ولكل الذين يطرقونه فى زايته الالفة ان ينتفعوا به انتفاعا تاما : ادى به الواجب عليه نحو الامة ومن لا يعرف امزجة المرضى فاني يحصل التداوى على يديه : ومن جعل الناس سواء فليس لحمة من دواء - كما يقولون -

فى يوم الاحد الرابع من الشهر فى السباحات وكان من عادته التى ان يقبضها فى فضاء القبر بعد ان يمشى الى ان يتبع القرى مستعجلا فلا يكاد يترك فى قرية الا ان يمشى الى اهلها جدا : ومتى طلب منه اهل قرية ان يبيت عندهم فى ليلة واحدة منهم بان الحق الذى عليه لكل الناس يحضره الى عدم التريث والتمدد : وكان دائما يسبح فى طائفة المريدن المتجردن من اصحابه الذين هم فى قرية او ازيد او سوى من يلتحق بهم من الفقراء واصحاب القرى الذين هم فى قرية يدخلونها بذكر خاص يتداولونه فرقتين جهرة : وهو (لا اله الا الله) (١) بلفظ مؤنث لستقر كل اهل القرية فيلقون فيقولون : ثم يمشون فى المسجد ولا يدخلون القرى غالبا الا بعد العصر فى وقت يكون فيه يمشون ذاكرين الى ان تصل المغرب : ثم يقرأ الحزب فيسكنون فى قرية واحدة فيها اذكارا خاصة فرادى : لم يفتح مجلس الذكر قليلا لسم الله الرحمن الرحيم الى السجدة التى يرامى فيه العامة ان حضروا والا فحديث ليلة : ثم اذا طوى العشاء وتناولوا مائى به اهل القرية من العشاء توجهوا الى اهل القرية خاصة يعطهم ويذكرهم بلسانه او بلسان وعاط فيلقون بلفظ الرعدة باللسنة : وكثيرا ما يامر احد الوعاظ ان يطلع الى سطح المسجد على من يخطب بالوعظ : فتسجعه النساء من سطوح الديار من القرية : ويتجهن بلفظ ذلك فى ايام الصيف وكثيرا ما يمشى غالب الليل هكذا فيما يتبع المجموع من القرى : حتى اذا راي النساء اللالى الفن منه سماع الوعظ اقبلن الى المسجد فليكن من يمشى الى المسجد ويستمعن من الرجال : فيتوجه اليهن بصوته وبوعظه واما من يمشى الى المسجد يامر باجتماع كل رجال القرية امامه : فيسال كل واحد عن حاجته : وانما يصل به وعن مطعمه من اين يستمده امن الحلال ام من الحرام فيسألهم واحدا واحدا : وذلك يقع بعد طلوع الشمس : لان اصحابه يستيقظون غالبا فى وقت خاص فى السحر ولولم يناموا الا قليلا ، فيذكرون جهرا الى ان يناموا ويقرأوا الحزب : لم يذكرون جماعة حتى تصل الضحى عادة لا يقرءونها الا بعد ان يطلع النهار يعيل كل واحد منهم الى ما يقرؤه فى لوحة خاصة فى اذن واحد منهم ما يقرؤه ، فكل امي دخل معهم لابد ان يفتح الحروف

(١) كان المعتاد فى الطوائف الناصرية ان تدخل القرى بالصلاة على النبى صلى الله عليه وسلم : ولقد كان معهودا لطوائف سيدى محمد بن يعقوب ان يمشوا باعظيم الجود يامولانا بلخ المقصود يامولانا : ولعلهم ان يطلق الناس على هذه الطريقة عند منازلة اعمالهم حصاوا ودراسا ولديرة للسوروس : وهذا هو الذى يمشى الى عساكر العساكرين

النبوي توجه الى الله ان يؤيده على الاستقامة ؛ قال : وكنت ارى ان ذلك خير ما يدعى به في ذلك المقام ؛ فاذا بهاتف من جهة القبر ينادي : « ان افضل ما يطلب في هذا المقام هو رضا الله الاكبر » وكان الشيخ يحكى هذا الذي وقع له هناك مرارا ؛ ثم رجعوا الى المغرب في سفينتهم فوصلوا السويدية في الوقت المحدد وقد لاقاه اصحابه هناك ؛ ثم في دار القائد على بكنافة فقال لهم اننا لنسأى واحد من اخواننا هناك في كل مالم ننس فيه انفسنا في الحضرة الربانية ؛ فقد وجدنا انفسنا هناك في الحضرة الربانية كما كنا نجدنا في الحضرة الربانية هنا ، فان الله لا تختلف حضراته باختلاف الامكنة ، ثم وصل البلد - الفاء فسالت اليه الطرق للتهنئة بالرجوع

محو حياته

ان حياة الشيخ منذ عام ١٣٠٣ هـ الى مختتم ١٣٢٨ هـ كانت كلها على وتيرة واحدة لا تغير فيها ؛ جولان في البلدان لا ينقطع وارشاد مستمر لكل من لاقاه من الخاصة والعامة ؛ فيقتصر للعامة على ما يتوقفون عليه من التوحيد ومن تعليم الصلاة ومن تحرى علم الحلال من الحرام ؛ ومراقبة الله في كل احوالهم واما الخاصة وهم اصحابه الذين اخذوا عنه ؛ واستسلموا بين يديه فانه يواخذهم على قاعدة التربية الاصلاحية بالشروط الصوفية التي توجد في راية الشريفي والمباحث الاصلية ؛ وعوارف المعارف والاحياء والحكم العطائية ورسالة القشيري وكتب الشعراني خصوصا العهود ؛ زيادة على تعهدهم بتفسير القرآن وبالحديث النبوي ؛ وينهاهم عن (المنن) للشعراني لثلا يالفوا الاهتبال باعمالهم الحسنة وعن (الذهب الابرين) في اخبار سيدي عبد العزيز الدباغ لثلا يتعلقوا بعالم الكشوفات واقتناص العلوم من الروحيات وعن (المدخل) لابن الحاج لثلا يشغلوا انفسهم بمحاسبة الناس ؛ وهكذا كان قيوما على حفظ اصحابه مما عسى ان يفتروا به فهو يريد منهم العبودية المحضة والمعرفة بالله ؛ فيعطيه من الاقوال بمقدار الملح ؛ في الوقت الذي يدلهم على التوجه بالقلب وعلى عمل الجوارح فيعطيه بها بمقدار الطعام ؛ من غير ان يرهقهم باعمال الطاعات والنوافل وانما يحرص على تنويعها لهم بحيث ينظم لهم عمل اليوم والليلة تنظيما سهلا لكنه معمور كله ، وسترى تفصيل ذلك فيما ستقرؤه بعد ، وترجمة الانسان حقيقة فيما عليه اصحابه فبذلك يعلم ان تربية الشيخ تنوع بحسب الناس ؛ فتربيته للخاصة من اصحابه ؛ غير تربيته للعامة من غير اصحابه ؛ فيعطى لكل ذي حق حقه فتيسر لكل الجهات التي يطرقها بسوس ؛ ولكل الذين يطرقونه في زايتهم الالفية ان ينتفعوا به انتفاعا تاما ؛ ادى به الواجب عليه نحو الامة ومن لا يعرف امزجة الرضى فاني يحصل التداوى على يديه ؛ ومن جعل الناس سواء فليس لحمقه من دواء - كما يقولون -

عمله في سياحاته

ان اكثر ايام الشيخ يمضيها في السياحات وكان من عادته التي اتبعها من عادة شيخه سيدي سعيد بن همام المعدي ؛ ان يتتبع القرى مستعجلا فلا يترك بيت في قرية ليلتين الا نادرا جدا ؛ ومتى طلب منه اهل قرية ان يبيت عندهم اكثر من ليلة يجيبهم بان الحق الذي عليه لكل الناس يحلوه الى عدم التردد في مكان خاص ؛ وكان دائما يسبح في طائفة المريدن المتجردن من اصحابه ويصلون غالبا مائة او ازيد ؛ سوى من يلتحق بهم من الفقراء واصحاب القرى فاذا اقبلوا على قرية يدخلونها بذكر خاص يتداولونه فرفقين جهرا ؛ وهما (الله الله لا اله الا الله) (١) بغنة مؤثرة تستفز كل اهل القرية فيسلكون الشيخ واصحابه ثم ينزلون في المسجد ولا يدخلون القرى غالبا الا بعد العصر ثم يتوضئون ويصطفون ذاكرين الى ان تصل المغرب ؛ ثم يقرأ الحزب فيسلكون سوية يذكرون فيها اذكارا خاصة فرادى ؛ ثم يفتح مجلس الذكر قليلا لسم يتوجه الشيخ الى التحديث الذي يراعى فيه العامة ان حضروا والا فحديث الخاصة ؛ ثم اذا صلو العشاء وتناولوا ما اتى به اهل القرية من العشاء توجه الشيخ الى اهل القرية خاصة يعظهم ويذكرهم بلسانه او بلسان وعاظ يحفظون قصائد الوعظ بالشلحة ؛ وكثيرا ما يامر احد الوعاظ ان يطلع الى سطح المسجد فيعمل صوته بالوعظ ؛ فتسمعه النساء من سطوح الديار من القرية ؛ ويتحين الشيخ ذلك في ايام الصيف وكثيرا ما يمضي غالب الليل هكذا فيما ينفع المجموع نساء ورجالا ؛ حتى اذا راي النساء اللائي الفن منه سماع الوعظ اقبلن الى المسجد يامرهن فيعتزلن ويبتعدن عن الرجال ؛ فيتوجه اليهن بصوته وبوعاظه واما في الصباح فانه يامر باجتماع كل رجال القرية امامه ؛ فيسال كل واحد عن التوحيد - وعما يصل به وعن مطعمه من اين يستمده امن الحلال ام من الحرام ويستتيبهم واحدا واحدا ؛ وذلك يقع بعد طلوع الشمس ؛ لان اصحابه يستيقظون دائما في وقت خاص في السحر ولولم يناموا الا قليلا ، فيذكرون جهرا الى ان يصلوا ويقرأوا الحزب ؛ ثم يذكرون جماعة حتى تصل الضحى عادة لا يخرمون لها ابدا ، وبعد ان يمتع النهار يميل كل واحد منهم الى ما يقرؤه في لوحة خاصة لان لكل واحد منهم ما يقرؤه ، فكل امي دخل معهم لابد ان يفتح الحروف

(١) كان المعتاد في الطوائف الناصرية ان تدخل القرى بالصلاة على النبي صلى الله عليه وسلم ؛ وقد كان معهودا لطوائف سيدي محمد بن يعقوب ان تقول : يا عظيم الجود يا مولانا بلغ المقصود يا مولانا ؛ وليعلم ان لطلق الناس اناسياد دينية عند من اولة اعمالهم حسادا ودراسا وتدريبية للمدرسين ؛ وعند تقديم الداليج الى مشاهد الصالحين

والهجا : كما انه لابد ان يقضى ما عليه من الصلاة : امر لازم ولا بد ان يؤدي التبعات جهده ثم يقبلون الى الزوال فبعد الظهر يسافرون الى قرية اخرى ان كانت قريبة : والا فيخرجون في النهار قبل الزوال : وكان الشيخ لا يترك اية قرية امامه : وقد كان يلاقى في اول امره العنت من اهل القرى قبل ان يعرفوا مقصوده : فكم ليال قضوها سغيا تعمدا من اهل القرى : مع ان العادة السائدة في سوس اكرام ضيوف المسجد ولكن الناس سرعان ما عرفوا مغزى الشيخ فيتلقى من بعيد : وتتسابق الى ضيافته القرى : وخصوصا حيث يكثر من ينتسبون اليه كمريدين : وهي قبائل كثيرة في نواحي سوس ابثت فيها زوايا اصحابه التي وصل عددها عندي ٨٩ عدا

بهذه السياحات ملا الشيخ حياته وفيها ادى واجبه كداع الى الله باخلاص وذلك في الوقت الذي كان اخرون يدورون مثله في القرى : ولكن غالبهم يدورون لجمع حطام الدنيا الذي يظهر هو دائما الشتم والزهد التام اذاءه : حتى عرف بذلك عند كل الناس : وقد كان يجتهد في ان يهتدى الناس الى الصراط السوي : فلا يوفر احدا ايا كان : وقد اشتهرت له مواقف غريبة في ذلك ولولا حفظ الله اياه لكان في بعضها من الهالكين *

صلته في زاويته

كان يخرج من داره متوضئا قبل الفجر بساعتين : ولا يهمل المؤذن في السحر حتى يخرج فاذا ذاك يتوجه الى ركن في مصلى الزاوية يستقل ويذكر ما يذكر في السحر : على حين ان اصحابه يستيقظون اذ ذاك فقط فيتوضئون ثم يذكرون جهرا الى الفجر ثم يقرأ الحزب ثم يذكرون جماعة : والشيخ في محله ولا يمكن ان يفارقه الا في الضحى ثم يصلي الضحى : ثم ان كان عنده اضياف قام اليهم : والا انزل في مكان : الا في اوقات الحرث والحصاد فانه يكون احد الفقراء فيكون معهم في محل العمل : ثم يبكر بصلاة الظهر في اول الوقت بلا عجلة : ثم يجتمع باصحابه في المذاكرة الى العصر ان لم يكونوا في شغل من اشغال الزاوية ثم يعتزل في مكان خاص : اما لملاقة اضياف واما للمطالعة واذا قربت المغرب وقد توضا اصحابه صلى بهم وقرأ الحزب : ثم يذكرون اورادهم ثم يجلس ايضا الى درس قرآن او حديث او سيرة نبوية ، وبعد صلاة العشاء يذكر اصحابه ايضا جماعة : فان لم يكن عنده ضيوف يذهب الى دار الفقيه سيدي علي بن عبد الله حيث يبقى الى ان يبهار الليل : ولا يشتغل هناك معهم الا في المسائل العلمية مذاكرة او مراجعة : حتى ان علامة الخ اليوم سيدي عبد الله ابن محمد يقول انني ما استغفرت الا في المجالس التي كان خالي الشيخ يحضرها بعد العشاء في دار الفقيه : لانه يملأها علما ومذاكرة ومراجعة : واكون انلوهو آخر من يقوم ممن كانوا جالسين ثم اذا نزل الشيخ من دار الفقيه دخل داره وصلى ورده القرآني : وهو على ما اشتهر عند اهله وعند اصحابه خمسة من

الاحزاب : ما كان يترك هذه الخمسة حضرا ولا سافرا : لم يلمس المصاحف لم يوسا في السحر ثم يخرج الى اصحابه هذا هو عمله في زاويته غالبا *

ألف من اخلاقه

وقع الاجماع التام على ان الشيخ عمرى زمانه : بذلك كان يعرف عند ان اخرج بين اقرانه في عهد شيخه : ثم زاد فيه هذا الجهد الغريب حين توجه بقلبه الى ارشاد العباد الى الله واستنابتهم وزجهم في العبودية الخالصة وقد اذهت اخباره بذلك في الحواضر : حتى ان بعض كبار علماء فاس كان الخطيب في خطراته ممن ذاقوا من مذاقاته الصوفية يحكمون بانه اخر رجال الجهد في الطريقة : فقد بلغهم ما فيه من الحزم والعزم والاكباب الذي لا يمل فيما هو بسدده : فرزقه الله اصحابا كانوا خلقوا لهمة العليا : وصلهم الفقيه سيدي محمد بن علي التادلي دفين الجديدة بانهم عفا ريت سليمان : لا يصحرون ولا يكلمون ولا ينامون ومن رآهم بين يديه راي شابا فولاذيا مخلصا لسي نفسه واهله وكونه في الوجود : والشيخ يقبلهم بهمة كيف يشاء وهم مطاعون طاعة عمياء مع عدم ادعاء اية مرتبة باذكارهم وتضحياتهم وتعمقهم في الانابة الى الله اى انابة : فبهؤلاء يخوض الشيخ قبائل سوس كلها في شهور كثيرة في السنة : وكثيرا ما تكون لهم سياحات في الشتاء والصيف : وان لم يكن معهم الشيخ يقومون هم وحدهم بدوره الذي يقوم به في الارشاد والدلالة على الله : وقد كان سيدي سعيد التتاني وسيدي الحسين بن مبارك الجاوي وامثالهما من كبار اصحابه يحسنون تمثيل دور الشيخ في الهمة واستشارة القلوب الى الله فيتركون القرى التي يخرجون منها كما كان الشيخ تتركها هياما بالله وجوارا بذكر الله وقد كان الفقهاء والمتفقهون ومقدموا الطرق الاخرى يرون هذه الهمة فيسترقون ازاها فرقتين فمن مسلم بان ذلك فضل الله يؤتيه من يشاء ومن قائل ما قال الثعلبي :

رام عنقودا فلما ان راي العنقود طاله

قال هذا حامض لـ — — — راي ان لا يناله

ومن اخلاق الشيخ عزوفه ان يتبع بالهدايا ان خرج من عند رئيس : فقد خرج يوما في السويرة من عند الباشا عياد المتابهي فالبه بغشش بريال مغربية ويكون على العادة فيها مائتان : فامر اصحابه بردها له : فتحيل بعضهم ليدسها في متاع الشيخ ووقع له مثل هذا مع القائد الطيب الكتنا في حين خرج من داره مع اصحابه يوما . ولكن الشيخ العمرى حتى في الشبابة حين لا يتخذ : امر بردها امرا جازما : قائلا بلسان حاله : اننا نريد اصحاب الهدايا لنهديهم الى الله : لاهدائهم والشيخ الذي ينفق ما عنده على الناس ليردهم الى الله : كيف يقبل منهم مالا او يتطلبه منهم

لم ينفق الذهب المربى بكثرة على الحسا وبه فقر الى الذهب

ومن اخلاقه التي يواخذ بها اصحابه ولايسامحهم فيها المحافظة على عمارة اوقاتهم لاسيما في الفرائض الموقوتة ؛ فيؤنب بل يضرب بل قد يفرم مالا ممن تاخر عن الصف ؛ وقد ضرب مرة في تاكوكة من الاطلس كل الفقراء من طائفته الا ثلاثة لتخلفهم عن الصف ؛ وقد نزلوا تحت اشجار للقلولة في احدى سياحاته في جبل درن (١) ومتى صلى في زاويته يدخل الى الدار فيسال عن فاتتها من زوجاته وبناته الركعة الاولى في مصلاهن الخاص بهن ؛ فيقرصها لايمل من هذا التعهد ؛ وقد بات ليلة مع اصحابه في دار القائد عبد السلام الجراري وهؤلاء الجراريون يحبونه ويعرفون قدره ؛ وينتسبون للطريقة ؛ فتاخر القائد عن صلاة الصبح فانه في الجماعة على ذلك تانيا ؛ ثم امره ان ياتي بعشر ريالات فلما اتى بها امره ان يشتري بها حمارا ياتي بالحطب الى المسجد وعلفه على القائد ؛ وجعل الحمار امانة تحت يد موذن المسجد ؛ وبقي الحمار سنين وبات ليلة عند القائد المحجوب الكلوي بحاجة ؛ فلم يفارقه حتى امر ببناء المسجد في داره ليصل فيه مع اصحابه ؛ وكذلك فعل في دار القائد الحسن النكفاني وقد مر هذان الخبران في طريقه الى الحج ؛ وبهذا الخلق من الشيخ احيا الله في جميع النواحي التي يطررها الدين حتى رفرت اعلامه ؛ ثم يربي اصحابه تربيته هذه ؛ فكانوا اعاجيب في ملازمة الصف ؛ وفي المحافظة على اول الوقت حتى استهروا بذلك عند غيرهم

ومن اخلاقه عدم اهتباله بالتعصب لطريقته ؛ فيحاط كل اصحاب الطرق الاخرى كالناصريين والتجانيين ؛ ولم يسمع منه قط لمز لاية طريقة ؛ فقد قيل له يوما اي هذه الطرق الصوفية افضل ؟ فقال : المزية في الرجال الذين يلتقي بهم الانسان ويتربى بهم ؛ واما الاذكار فكلها اذكار ؛ وقد كان جاره الفقيه سيدي علي بن عبد الله الالفي عميد المدرسة وقرين الشيخ يذكره دائما بذلك ويقول اثناء مناقبه ؛ لم ار مثل الشيخ فانه قال لي لما ذهبنا لمراكش عام ١٣٠٣ اذهب بنا الى فلان بزواية مراكش التيجانية ؛ لتاخذ من عنده ورد اخيك وايك التيجاني ؛ ولم يعرض على قط ورده الدرقاوي ومن اخلاقه الزهد التام في لذائذ الحياة كيفما كانت ؛ فلا يطبخ في زاويته الاطعام واحد وهو الكسكسو الساذج الغليظ الذي يكلل في القصاع بالخضر الحاضرة من لفت وجزر وقرع وبصل او العصيدة التي تجعل الحرية في وسطها يؤتد بها ؛ ومن ذلك يتناول هو بنفسه ؛ وقد حاولت امراة من اهله ان تخصص له في بعض الايام طعاما ليأكل فنهرا على ذلك ؛ هذا مع كثرة الخيرات في الزاوية ؛ وعلى هذا ايضا يربي

(١) ومثل هذا التشديد في حضور الصلاة معروف عن عبد الله بن ياسين وعن الموحدين الذين يقتلون من ترك الصلاة كما في كتاب (التشوف)

وكان قليل الاكل قليل النوم فمتى اراد طعاما يتناول مما ليس اولوما في نفسه في اي مكان وعلى اي فراش ؛ وكان اية الايات في طعام نفسه من ان يتركها التي تعرض عليه ان لزل عند اصحابه ؛ حتى ان بعض خدمه ممن كان قائما يرحله له بعض الاطعمة الساذجة كالعصيدة ؛ بعد ان يراءى يتناول مما يرحله من الطواجن وامثالها ؛ ولكنه على كل حال لا يلزم حالة واحدة قائما ولا نائما ؛ بل يواكل مجالسه كانه احدهم اينسا لهم كما هي السنة وقد اذبح السورور على بعض المريدات من صواحيه الاخذات على فيتناول في طوائف ؛ وهذا الخلق كما اخذ به نفسه اخذ به كذلك اصحابه المتجردون فتراهم فترة بعد فترة يعلنون بينهم في بعض السياحات قليل الطعام الا في بعض اوقات ؛ بعد على كل واحد منهم بحيث تقيم عليه لاغير ؛ ثم يعمل هذا ؛ وهي لالزال طافحة بالاطعمة ؛ وقد ياتي من لا يتحرون الحلال بالطعام الى الشيخ فيقول لاصحابه كلوا وتبركوا فمتى سمعوا منه ذلك عرفوا انه امر بعدم الامعان او بعدم الاكل اصلا ؛ هذا دين الشيخ في نفسه ودينه مع غيره ؛ فقد ملكوا ازمة نفوسهم فيزهدون فيما يريدون ويتناولون مما يريدون في فترة ؛ يحصلون الصبر الجميل ان فقدوا مضوغا ؛ وما اكثر ماتتوا عليهم في ان قرى لا ترفع لهم راسا ؛ فيمضونها سغيا ثم لا يتأثرون بذلك وكثيرا ما يكون لهم الشيخ لا يحل للفقر ان ياكل من طعام من لا يتحرون الا اذا حلت له في ؛ اعلى حتى يجوع جوعا كثيرا يخشى عليه به العنت ؛ وهذا الزهد الذي ذكره من شمائل الشيخ يحيط به من كل جانب حتى في مسكنه ؛ فان بنايات زوايا الساذجة ؛ بناها الفقراء بنايات متعرجة لاتزال تتداعى بادنى سبب ؛ لانه في الحاجة الى زيادة بناء يامر كل الفقراء ان يبنوا سواء من عرف كيف يبني ومن لم يعرف ويقول ؛ يتعلم من ليس بمعلم ؛ وقد مر به الرجل الصالح سيدي الحاج هبة الله بن صالح وهو مع اصحابه في مثل هذا البناء ؛ فقال للشيخ ما هذا ؟ يكون البناء الذي يراى تاييده ؛ فاجابه ؛ اننا سننقى فيه اعمارنا على ما هو عليه ومن سيأتي بعدنا ان لم يعجبه فليبنه وفق ما يريد فقد كفيته مثولة عدم التراب والاحجار ؛ ثم البع ذلك قوله ؛ افنحن تاركون ما نيت بنا من ارشاد الله حتى نلحق اعمارنا ونفائس اوقاتنا في جدران تقوم وسقوف تصح ؟ ان اعمارنا انصر من ذلك وبمثل هذا الجواب فاه الشيخ ايضا وقد امر الفقراء ان يهرلوا ما سيحترق في مبدا اiban الحرث او قبله قائلا ؛ ان حرقنا نحن في ارشاد العباد لافى شق التراب ؛ وهكذا كل احوال الشيخ لا يبال الا بما لهب له نفسه وجعله محور حياته ومما يعتنى به الشيخ عناية زائلة نشر التعليم ولذلك اخذ كل اصحابه الذين يلازمونه بالتعليم الابتدائي المجدي المفيد ؛ من التوحيد وصحة العقيدة وما تصح به الديانة ؛ وما هو حلال وما هو حرام كما انه يرسل من فيه اهلية لتتبع الدراسة في الفنون الى المدارس ؛ فيعينهم ويعددهم بالكتب هؤلاء الاساتذة ؛ سيدي احمد بن محمد اليزيدي والعلامة سيدي الحاج مسعود

لم ينفق الذهب المربى بكثرتة على الحسا وبه فقر الى الذهب

ومن اخلاقه التي يواخذ بها اصحابه ولايسامحهم فيها المحافظة على عمارة اوقاتهم لاسيما في الفرائض الموقوتة ؛ فيؤنب بل يضرب بل قد يفرم مالا ممن تاخر عن الصف ؛ وقد ضرب مرة في تاكوتة من الاطلس كل الفقراء من طائفته الا ثلاثة لتخلفهم عن الصف ؛ وقد نزلوا تحت اشجار للقليلة في احدى سياحاته في جبل درن (١) ومتى صلى في زاويته يدخل الى الدار فيسال عن فاتها من زوجاته وبناته الركعة الاولى في مصلاهن الخاص بهن ؛ فيقرصها لايمل من هذا التعهد ؛ وقد بات ليلة مع اصحابه في دار القائد عبد السلام الجرازي وهؤلاء الجرازيون يحبونه ويعرفون قدره ؛ وينتسبون للطريقة ؛ فتاخر القائد عن صلاة الصبح فانه في الجماعة على ذلك تائيبا ؛ ثم امره ان ياتي بعشر ريالات فلما اتى بها امره ان يشتري بها حمارا ياتي بالحطب الى المسجد وعلفه على القائد ؛ وجعل الحمار امانة تحت يد موذن المسجد ؛ وبقي الحمار سنين وبات ليلة عند القائد المحجوب الكلولى بحاجة ؛ فلم يفارقه حتى امر ببناء المسجد في داره ليصل فيه مع اصحابه ؛ وكذلك فعل في دار القائد الحسن النكفاني وقد مر هذان الخبران في طريقه الى الحج ؛ وبهذا الخلق من الشيخ احيا الله في جميع النواحي التي يطررها الدين حتى رفرت اعلامه ؛ ثم يربي اصحابه تربيته هذه ؛ فكانوا اعاجيب في ملازمة الصف ؛ وفي المحافظة على اول الوقت حتى اشتهروا بذلك عند غيرهم

ومن اخلاقه عدم اهتباله بالتعصب لطريقته ؛ فيخالط كل اصحاب الطرق الاخرى كالناصرين والتجانيين ؛ ولم يسمع منه قط لمز لاية طريقة ؛ فقد قيل له يوما اي هذه الطرق الصوفية افضل ؟ فقال : المزية في الرجال الذين يلتقي بهم الانسان ويتربى بهم ؛ واما الاذكار فكلها اذكار ؛ وقد كان جاره الفقيه سيدي علي بن عبد الله الالفي عميد المدرسة وقرين الشيخ يذكره دائما بذلك ويقول اثناء مناقبه ؛ لم ار مثل الشيخ فانه قال لي لما ذهبنا لمراكش عام ١٣٠٣ اذهب بنا الى فلان بزاوية مراكش التيجانية ؛ لتاخذ من عنده ورد اخيك وايك التيجاني ؛ ولم يعرض على قط ورده الدرقاوي ومن اخلاقه الزهد التام في لذائذ الحياة كيغما كانت ؛ فلايطبخ في زاويته الاطعام واحد وهو الكسكسو الساذج الغليظ الذي يكلل في القصاع بالخضر الحاضرة من لفت وجزر وقرع وبصل او العصيدة التي تجعل الحرية في وسطها يؤتد بها ؛ ومن ذلك يتناول هو بنفسه ؛ وقد حاولت امرأة من اهله ان تخصص له في بعض الايام طعاما لينا فنهرها على ذلك ؛ هذا مع كثرة الخيرات في الزاوية ؛ وعلى هذا ايضا يربي

(١) ومثل هذا التشديد في حضور الصلاة معروف عن عبد الله بن ياسين وعن الموحدين الذين يقتلون من ترك الصلاة كما في كتاب (الشوق)

اولاده وكان قليل الاكل قليل النوم فمتى اراد طعاما يتناول مما ليسر اولوما اضطلع في اي مكان وعلى اي فراش ؛ وكان اية الايات في طعام نفسه عن الشهوات التي تعرض عليه ان نزل عند اصحابه ؛ حتى ان بعض خدمه ممن الفقراء كان دائما يرصد له بعض الاطعمة الساذجة كالعصيدة ؛ بعد ان يراه لا يتناول مما يمر به من الطواجن وامثالها ؛ ولكنه على كل حال لايلزم حالة واحدة دائما لانه قد يواكل مجالسية كانه احدهم ايناسا لهم كما هي السنة وقد يريد ادخال السرور على بعض المريدات من صواحيه الآخذات عنه فيتناول من طعامهن ؛ وهذا الخلق كما اخذ به نفسه اخذ به كذلك اصحابه المتجردين لسراهم فترة بعد فترة يعلنون بينهم في بعض السياحات تقليل الطعام الا لقيمات معدودات ؛ تعد على كل واحد منهم بحيث تقيم صلبه لاغير ؛ ثم تحصل القصاع وهي لاتزال طافحة بالطعمة ؛ وقد ياتي من لايتحرون الحلال بالطعام الى الشيخ فيقول لاصحابه كلوا وتبركوا فمتى سمعوا منه ذلك عرفوا انه امر بعدم الامعان او بعدم الاكل اصلا ؛ هذا ديدن الشيخ في نفسه وديدنه مسح اصحابه ؛ فقد ملكوا ازمة نفوسهم فيزهدون فيما يريدون ويتناولون مما يريدون بلاشره ويحسنون الصبر الجميل ان فقدوا مضوغا ؛ وما اكثر ماتتواي عليهم ليال بين قرى لاترفع لهم راسا ؛ فيمضونها سغيا ثم لايتأثرون بذلك وكثيرا ما يقول لهم الشيخ لايجل للفقير ان ياكل من طعام من لايتحرون الا اذا حلت له الميتة ؛ يعني حتى يجوع جوعا كثيرا يخشى عليه به العنت ؛ وهذا الزهد الذي ذكرناه من شمائل الشيخ يحيط به من كل جانب حتى في مسكنه ؛ فان بناءات زاويته ساذجة ؛ بناها الفقراء بناءات متعرجة لاتزال تنداعى بادنى سبب ؛ لانه متى احتاج الى زيادة بناء يامر كل الفقراء ان يبنوا سواء من عرف كيف يبنى ومن لم يعرف ويقول : «يتعلم من ليس بمعلم» وقد مر به الرجل الصالح سيدي الحاج عبد الله بن صالح وهو مع اصحابه في مثل هذا البناء ؛ فقال للشيخ ماهكذا يكون البناء الذي يراد تاييده ؛ فاجابه : «اننا سنقضي فيه اعمارنا على ماهو عليه ومن سيأتي بعدنا ان لم يعجبه فليبنه وفق مايريد فقد كفيناه مثونة جمع التراب والاحجار» ثم اتبع ذلك قوله : «افنحن ناركون مانيط بنا من ارشاد العباد حتى نمضي اعمارنا ونفائس اوقاتنا في جدران تقوم وسقوف تصحح» ؟ ان اعمارنا اقصر من ذلك وبمثل هذا الجواب فاه الشيخ ايضا وقد امر الفقراء ان يحرقوا ماسيحرت في مبدا ابان الحرث او قبله قائلا : «ان حرقنا نحن في ارشاد العباد لافي شق التراب» وهكذا كل احوال الشيخ لايبالي الا بما نصب له نفسه وجعله محور حياته ومما يعتنى به الشيخ عناية زائدة نشر التعليم ولذلك ياخذ كل اصحابه الذين يلازمونه بالتعليم الابتدائي المجدي المفيد ؛ من التوحيد وصحة العقيدة وما تصح به الديانة ؛ وماهو حلال وماهو حرام كما انه يرسل من فيه اهلية لتتبع الدراسة في الفنون الى المدارس ؛ فيعينهم ويمدهم بالكتب فهؤلاء الاساتذة : سيدي احمد بن محمد اليزيدي والعلامة سيدي الحاج مسعود

الوقاوي وسيدى محمد بن عبد الله الزينى والقاضى سيدى مسعود الشياظمى وسيدى الحسين الشيمولانى الافرانى وسيدى بريك بن عمر المجاوى وعشرات امثالهم هو الذى دفع بهم الى المدارس ؛ زيادة على زمرة من اهله كسيدى عبد الله ابن ابراهيم ؛ وسيدى موسى بن الطيب واخيه البشير وسيدى عبد الله بن محمد ويفعل مثل هذا فى العلماء والقراء الذين ينفعون فى المدارس ؛ فيجتهدون على عمارتها ويردوهم عن صحبة الفقراء فى السياحات ؛ كالعلامة سيدى محمد بن مسعود ؛ واخيه سيدى احمد وسيدى عبد الله ابن القاضى وسيدى عبد الله خرياش وسيدى مبارك الملىكى وسيدى عبد الله الرىكرانى وسيدى محمد بن العربى القارىء الاوصالى وسيدى على التتاني وسيدى الطاهر السماهرى وسيدى عبد القادر السباعى ؛ وامثالهم من العلماء الذين استهوتهم نفحات ما يرونه بين اصحابه فيحبون ان يتجردوا وان يلقوا وراءهم ظهريا ما هم فيه من التعليم فيكبح عزائمهم ويريهما ان ما هم فيه هو عين ما يطلبه التصوف منهم حتى ان سيدى عبد الله بن محمد يقول : اننى ما استفدت الا فى المجالس التى كان خالى الشيخ يحضرها القواد والرؤساء الذين انقادوا له ؛ كثيرا ما يهيمون ان يطلقوا ما هم فيه فيلمرهم ان يبقوا قائمين فيه بالقسطاس ؛ فاذا هم فى اعلى مجالات التصوف الحقيقى وقد اثنى يوما الاستاذ سيدى محمد بن مسعود على الشيخ بهذا واطال .

هكذا الشيخ يربى كل واحد فى بيئته ويرقيه فى محيطه ؛ ويراعى كل لون من ألوان الحياة ؛ فيخالط اهله فيستمدون منه ما كتب لكل واحد ؛ وقديما يقول الصوفية : «ان الشيخ الكامل هو الذى ليس لتربيته لون واحد» كما قال بعضهم فى حال العارف : «لون الماء لون انائه» وفى (الاخلاق المتبوية) للشعرانى ما معناه : ومن اخلاقهم - يعنى الصوفية - انهم يبقون من اتباعهم من كانوا ينفعون العباد من علماء الدين على ما هم عليه من الافتاء والتعليم ؛ ولا يرفعونهم من ذلك المقام ؛ لانه مقام محمود مطلوب ان يقوم به امثالهم ؛ وانما الواجب ان يقوموا فيه بشية حسنة او كما قال ؛ الى آخر ما فى كلامه .

هذه قبضة صغيرة من اخلاق الشيخ فى تربيته وفى احواله وفى اجتماعاته ويكفى من القلادة ما احاط بالعنق ؛ وقد بسطت اخباره هذه فى كتاب (الترياق المداوى)

الشيخ فى انظار معاصريه السوسيين وغيرهم

كان المعروف من الطرق الصوفية فى سوس الطريقة الناصرية وحدها ولا ريب ان هذه الطريقة قد اسست على السنة فى كل مظاهرها ؛ لامت فيها ولاعوج ؛ ولا يجد فيها اى قائل ما يقول ؛ وماذا يقال فى طريقة هادئة ناصحة مرشدة معلمة ؛ لا يعرف منها الا اذكار افراد يذكرها من تلقاها ، ثم لا اغراق فيها فى اجلال المشايخ الا لما ؛ وقد يجتمع اصحابها على الصلاة على النبى

صلى الله عليه وسلم ؛ ثم ما عرفت سوس هذه الطريقة الا بواسطة العلماء الذين تخرجوا من تاكمروت فرجعوا يؤسسون المدارس اذا كانوا علماء او بواسطة فقراء اميين ابوا فيعلمون الدين الصحيح فى الاسواق وفى المواسم وفى المجتمعات وهم كلهم معروفون بالاهتداء ونصح العباد والاخلاص فيما هم فيه ؛ ولهذا صارت سوس كلها قاطبة بلا استثناء ناصرية ؛ ياتى اولاد الشيخ الناصرى فيلقونهم قبيلة قبيلة باجلال عظيم واهتبال كبير ؛ فينفعون فى اصلاح ذات البين وفى فتح العيون العمى والاذان الصم والقلوب الغلف ، حتى ان الناس هذه الطريقة ونسأ فيها جيل بعد جيل من اوائل القرن الثانى عشر الى ان كاد يختم القرن الثالث عشر

ثم فيما بعد عام ١٢٦٠ هـ اتصل بعض فقهاء سوسيين بالشيخ الاديب الكبير اكنسوس فتلقوا منه الطريقة التيجانية كسيدى الحسن بن الطيفور الساموكنى نزيل تزيت المتوفى نحو عام ١٢٧٤ هـ وسيدى عبد الله بن محمد بن احمد الادوزى نزيل العوينة المتوفى نحو عام ١٢٨٢ هـ وسيدى سعيد الدرادكى نزيل كسيمة المتوفى نحو عام ١٢٨٦ هـ وسيدى احمد بن محمد من آل حسان الططائسى المتوفى فى نيف وتسعين من القرن الثالث عشر وسيدى الحاج الحسين الافرانى نزيل تزيت المتوفى عام ١٣٢٨ هـ وسيدى الزبير البعمرانى المتوفى نحو عام ١٣٥٠ هـ الاخذ عن السائح الرباطى وبهؤلاء الاساطين الكبار ابتدأت الطريقة التيجانية بسوس ولكنها فى مبتدا امرها لم تنتشر الا عند افراد قليلين جدا ، وقد كان اهلا الاولون يعززون بها ولا يعرضونها عرضا ، كما كلن الدرقلاويون يفعلون

وفى الوقت الذى دبت فيه التيجانية الى سوس دبت ايضا الطريقة الدرقاوية فكما كان لاكنسوس المراكشى يد فى نشر الاولى ؛ كان الشيخ المراكشى يد فى نشر الاخرى وهو الشيخ سيدى احمد بن عبد الله بن اصحاب الشيخ مولاي العربى ، ورد عليه من سوس اول الحاج مبارك التمارى الكلوشى ؛ وبوتكلاى الذى اسمه الحقيقى هو الحاج محمد البلقاضى ؛ ثم اسقط بعد حين سيدى سعيد بن هو المردى الثانى منهما الى ان كان السوسيون الذين يترددون الى الشيخ بمراكش سبعة ؛ لم يظهر منهم الا الشيخان سيدى الحاج مبارك العالم الجليل الذى له مؤلفات رابنا بعضها وقد خلفه بعد موته سيدى عبد القادر البعازيرى ؛ وقد كان للزاوية المباركية اتباع لم يكثروا ولكن الشيخ سيدى سعيد بن هو المردى الامى طفت ساحتها بكثيرين ؛ فيهم علماء خنازيد كالعلامة سيدى محمد بن ابراهيم التامانرتى والد شيخ العصر سيدى الطاهر بن محمد الشهير ؛ والعلامة الاديب سيدى الحبيب البوسليمانسى الجرارى ؛ وجنيد زمنه سيدى الحاج الحسن التاموديزتى والعلامة المدرس سيدى محمد بن المحفوظ الادوزى وكثيرين يملون نحو اربعين عالما كلهم تتلمذوا لهذا الشيخ الامى وبالشيوخ الامى سيدى سعيد بن هو هذا ظهرت الطريقة الدرقاوية باحوالها الخاصة التى لم تولف فى الناصرية ؛ كما لازمة المرافعة عند

المتجربين فقط وخرق العادة في الاسواق ! متى اريد ازالة الكبير ممن فيه الكبير وبالمجاهدات الدائمة ! وبخلق الازكار بالمدولة بين الاشعار وبين الهيئلة على نفعة خاصة ! وبما يقومون فيه حلقة واحدة مستديرة وهو المسمى عندهم ذكر العمارة وبالجهر بالاذكار في الطرقات وفي الاسواق .

بهذه الاخلاق ظهرت هذه الطريقة فقامت الناصرية واهلها فدها تعلن ان ذلك بدعة ! ولكن نشاط اهل الطريقة الجديدة وحسن نية معتنقيها ! وما كان عليه شيخها من روحانية قوية عجيبة ! وما تؤثره في كل من اليها كل ذلك فتح الطريق امام شيوخها ! فكان الشيخ يسبح باصحابه ! ويدل الناس على الله في ضمن طريقته وقد استطاع بعض من اعتنق هذه الطريقة ! وقد حجج ومهر بمصر ! ان ياتي من هناك من عند كبار العلماء بان هذه الطريقة التي تحمل مثل هذه الاحوال تعرف كذلك في الشرق من قديم ! وقد قرأت انا بنفسى هذه الفتاوى التي اتى بها سيدى محمد بن ابراهيم التامانارتى لما حج عام ١٢٩٣ هـ هكذا ابتدأت المعركة بين الطريقتين الناصرية والدرقاوية الاولى تدل بمظاهرها السليمة ! والثانية تدل باسرار روحانيتها ! ولاننس ماكان قلله سيدى على الجمل لمولاي العربى لما اخذ عنه وعلمه القدر المعلوم من لاله الا الله والاستغفار والصلاة على النبى صلى الله عليه وسلم ، قال له : «ان هذه الازكار اخذناها عن اهل الظاهر اهل تامكروت ! واما ذكر السر وهو الله فقد اخذناه عن اهل المخفية» يعنى سيدى العربى بن احمد بن عبد الله الذى اخذ شيخه عن الابى المحاسن جدود الاسرة الفاسية المجيدة المنجبة اليوم للمفكرين والزعماء والوزراء والخطباء وبذلك يعلم القارى ان الدرقاويين يقولون انهم لايعتنون بالمظاهر في الطريقة ! على اية حالة كانت ! فالسر فيما في القلوب لاما في القوالب ويقولون ان هذه المظاهر لا تقدم ولا تؤخر الفقير الا قليلا ، ولكن المدار على مافى التيات والقلوب ! ويقولون ما قاله المتنبي في الفرس :

وما الخيل الا كالصديق قليلة وان كثرت في عين من لايجرب
اذا لم تشاهد غير حسن شياتها واعضاؤها فالحسن عنك مغيب

وقد كان الشيخ سيدى سعيد لاميته لايدافع الا بالسنة العلماء الذين لايفارقونه ! فمتى جالس من يجاوله في تلك الاحوال التي ينكرها الفقهاء السوسيون ! اجلس في جنبه من يحضر من اصحابه العلماء ! وقد استطاع سيدى سعيد ان يتغلب بقوة حاله على كثيرين حتى ان سيدى الحسن بن احمد التمكدشتى انتقاد له يوم صالح بينه وبين قرينه سيدى الحسن التملى الايرازانى وبتأثره بحال سيدى سعيد اخذ عن مولاي المهدي الدرقاوى بمراكش من اصحاب سيدى محمد العربى المضرى او اخذ عنه قبل ذلك ! وسترى ذلك في ترجمته ان شاء الله ! وهكذا يقبل ويدبر ابطال الدين في ذلك العصر تحت

رايات الطرق ! كما يقبل ويدبر اليوم ابطال اخرون تحت رايات الاحزاب وكل يغمر بيئته ! فان كانت الطرق اليوم لايراه الناس بمثل النظرة التي يراها بها من كانوا امس ! فكذلك سيقع لهذه الاحزاب نفسها غدا ! والعامل من المؤرخين هو الذى يزن كل واحد بميزان بيئته وحده ثم لما تصدر الشيخ الالفى المترجم بعد شيخه ، وقد اوتى قوة روحانية وعلما واسعا وسعة اخلاق ومخاللة لكل الناس وحضور الاجوبة ! دفع بالطريقة الى الامام حتى صارت اعلامها تخفق في كل نواحي سوس ! لكونه يتتبع القرى ويجعل السياحات ديدله وقد توجه الى منفعة العامة ! والى منفعة الخاصة والى مخالطة العلماء ! والى طرقي الرؤساء ولكون كلامه المؤثر الذي يكتسى لونا خاصا مع كل هذه الفرائد التي يتكون منها الشعب ! فتح له ميادين متعددة في نفع العباد فمتى جلس السي مطلق العامة فانه لايجدهم الا في التوحيد والحلال والحرام والتوبة واصلاح ذات البين ! واقامة شعائر الدين ولايتجاوز ذلك في مجامعهم الى ذكر التصوف ومتى جالس الفقهاء والطلبة يتلون بلون اخر يستمد من العلم مع دعوته الى الله والى التوبة والى عدم الغرور بالهذر العلمى ! مع كثرة تعظيمه للعلم واهله واجلال مقامهم مادام في حدود النزاهة ، ومتى جلس الى الرؤساء يعظمهم وعظما بكسر شرة ما هم فيه من العنجهية والطفيان والادلال بالسلطة ونفوذ الكلمة ! وكل ذلك بتأن وتؤدة ! مع تسهيل طرق الانابة وفتح باب القرب الى الله امامهم حتى يدركوا ان ما هم فيه ان احسنوا ماملة رعاياهم ميدان من ميادين العمل الصالح واما اذا كان مع اصحابه وهم الخاصة عنده فانه يخوض معهم في كل مايرفهم في مقامات الصوفية الكبار ! ويهلب اخلاقهم ويفنيهم في ربهم ! كما هو المهود بين الاشياخ ومريديهم ! هذا حال الشيخ ! فانتسح نطاق شهرته وذاع له صيته يدوى في كل الجنوب واذا هذه الشهرة انفرج في عصره بما لم يتيسر لغيره فنشأ ازاء اتباعه الذين تزخر بهم الطرق الى زاويته الالفية واذا الذين يكبرون شأنه من غير اتباعه الاخصاء ! مالا بد ان ينشأ من اقوال تعذر حقا من بعض رؤساء الطرق غير الطريقة الدرقاوية حوله ! وذلك طبيعي ما دام البشر لا يخلو من ان يتنفس بعضه على بعض ، ومن حسنة يقولون ويصطادون ما يدعونون به كل مايقولون ! وغالبهم من الطلبة اصحاب الاهواء الفافلين السادرين في غلواتهم ! ولاسيما ان تلقوا اذكارا يثابرون عليها تلاوة فقط ! فحسبوا انفسهم بذلك من الصوفية الذين يحق لهم ان يزونا بموازينهم كل مايعن لهم فتراهم يقولون مايقولون ! لاعن تثبت ولاعن علم ! بل ولاعن عقيدة صحيحة عند بعضهم ثم يخالط اقوال هؤلاء الطرقيين والطلبة الاغمار اقوال فقهاء يتكلمون عن عقيدة وحسن نية ! وما مقصدهم الا ان يعلنوا للناس ما يعرفون انه السنة او انه البدعة فمن المجموع تكون اعسى ان يجده المطالع في كتب تاريخية معاصرة سوسية حين تترجم للشيخ الالفى الذي كان يسمع كل ذلك وتصله جليته وضواؤه من بعيد ! ولكن لم يكر يبالى ! ولاعرف منه انه دافع قط ولاجاب

ولا انظر ولا استأثر من ينافع عنه بل ذهب قدما الى ما كرس له حياته ولسان حاله يشهد ما قاله بعضهم :

لنا عند رب العارمة مقصد اليها قصدنا لا لدعد ولاليل

فلم يزل شأنه يعلو وصيته ينتشر ؛ وصوت اضداده القدام كالعلامة سيدي محمد بن العربي الادوزي يخفف شيئا فشيئا حتى كان مالا بد ان يكون من شغوف العاملين

هذا فان كان لهذه الطائفة الحسنة النية ما تواخذه به الشيخ من بعض مظاهر في طريقته ؛ فليس لهم ما يقولون في ارشاده العام وفي تعليمه لدهما الامة وذوده عنها بغيرة وطنية كان فيها فريدا في عصره ، فان هذه المواقف جعلت له مقاماً خاصاً لا ينكره عليه احد وهو لب حياته ؛ فهانجن اولاء الان وقد ذهب ذلك الجبل وانطوى سجله وصوت الشيخ لا يزال يدوي ؛ وما كان يقوم به هو الهادي الوحيد ؛ واما ما يتقوله فيه المتقولون ويظنه فيه الخراصون ويرميه به الجاهلون لحقيقة ما هو عليه او المتجاهلون فكل ذلك طار اليوم ادراج الرياح (فاما الزيد فيذهب جفاً ، واما ما ينفع الناس فيمكن في الارض)

بعض اقوال المثين عليه

قبل يوما في حضرة الشيخ سيدي الحاج الحسين الافراني رحمه الله في الشيخ الالفي شىء من بعض ما يقول من لا يتقون الله فيما يقولون ؛ فثار في وجه سيدي الحاج الحسين قائلا : «ان لم يكن الشيخ سيدي الحاج على رجلا اليوم في ميدان الدعوة الى الله فارنى رجلا آخر غيره»

وقال سيدي الحاج احمد الجشتي وقد جرى ذكر الشيخ «ان الشيخ سيدي الحاج على في مقام آخر غير مانحن فيه ؛ فقد فتحت له ابواب شىء في نفع العباد ؛ ولم يفتح لنا نحن الا واحد او اثنان»

وقال الشيخ سيدي المدني الناصري : «ما كنت ارى من سيدي على بن احمد الا انه سيكون ذا شأن فما هو ذا ابتدا فيما كنا نظنه فيه ؛ قال ذلك سنة ١٣٠٦ هـ والشيخ سيدي الحاج على اذ ذاك كما ظهر امره ؛ وطلع فجره وقد كان يلزم مجلس سيدي المدني في تانكرت حين كان وهو ياخذ عن سيدي محمد بن ابراهيم اعوام ١٢٨٦ = ١٢٨٩ هـ لا يتخلف عن مجلس الصلاة على النبي صلى الله عليه وسلم ؛ ثم ساح الى تانكرت في طائفة كبرى اهتز بها ذلك الوادي حوال عام ١٣٠٦ هـ فقبل لسيدي المدني في الشيخ فاجاب بذلك ، وقال الشيخ ما العينين : «لو كشف الحجاب عن همة الشيخ سيدي الحاج على ما تبعا احد» قال ذلك اثر ما زاره الشيخ في عزيت بعد نزوله فيها ذهب اليه بطائفة كبرى فاستقبله الشيخ ما العينين في بساط كبير انتظم فيه مئات من اصحابه ؛ فلما

خرج من عنده انضى بتلك القولة الى بعض اخصاله ؛ فاخبرني هذا بها

وقال الفقيه الصالح سيدي الحسين بن يهي التلمي المتوكي : «اشهدوا يا من حضر هذا المجمع اشهد ايها القائد ، وانتم يا خلفاء وجميعكم يا رؤساء قبيلة متوكة انه ما دى الحق الواجب على العلماء في عباد الله الا الشيخ سيدي الحاج على وحده» قال ذلك في مشور دار القائد عبد الملك في بووا بوض ، وقد بات هناك الشيخ ثم خرج ؛ وخرج كل الذين في دار القائد وخرج القائد وخلفاؤه فاصطف الجميع صفوفا صفوفا ؛ واقفين مطرقين ؛ فيصول فيهم الشيخ بمواعظه المؤثرة حتى تأثر كل من حضر ؛ وعلا نحيبهم ؛ وقد كان الفقيه ممن حضر فلم يملك نفسه ان قال ما تقدم

وسمعت سيدي الحاج على بن الطيب ابن مولاي العربي الدرقاوي بداره بفاس يقول : «رحم الله الشيخ سيدي الحاج على السوسي فقد احيا الله به البلاد والعباد وقد كان يعرفه قديما يوم زار دارهم سنة ١٢٩٩ هـ فاخذ عنه نبذة من مختصر خليل ثم صار يتتبع اخباره ؛ فيعجب بتربيته التي تبلغه اخبارها»

وقال سيدي احمد بن الخياط شيخ الجماعة بفاس : «ان التربية الاصطلاحية التي كان عليها مولاي العربي الدرقاوي قد انقطعت بعده حتى احياها الشيخ سيدي الحاج على السوسي في سوس ؛ وهو آخر الشيوخ الكمل في هذا الشأن قال ذلك مع انه لم يلاقه ؛ وانما سارت اليه باخباره احاديث الركبان

وقال سيدي الحسين الزرهوني دفين احواز الجديدة «رايت من رايت من مشايخ العصر ؛ ولكن لم ترعيني مثل الشيخ سيدي الحاج على السوسي فانه يربي اصحابه حتى ليحبهم من يراهم ملائكة ؛ وقد رايتهم شبابا ولكنهم في وقار الشيوخ ؛ وقد اقتطفوا ثمر التصوف ؛ واجتني غيرهم اوراقه» قال ذلك بعد رجوعه من زيارته عام ١٣١٦ هـ

وقال ابو الاسعاد الفاسي في الشيخ : «انه آخر اصحاب الجد في هذا العصر»

وقال الشيخ سيدي ابراهيم بن صالح : «ما وضعت يدي في يد الشيخ سيدي الحاج على حتى تيقنت ان مقامه اعلى من مقام جدي سيدي احمد بن موسى» وحدث الفقير احمد بن الطيب الزكري ؛ انه سمع من سيدي الهاشمي التيمكيدشتي انه قال له وهم يذكرون المشايخ : «اتريد ان اقول لك ما تعول عليه وتدع عنك الترهات ان الشيخ الدرقاوي بالغ قد وضع اليوم رجله على كل رتبة كما علت طريقته وحاله على كل الطرق والاحوال»

وقال الشيخ سيدي محمد العربي المظفرى لبعض من ذكر له احوال الشيخ الالفي عام ١٣٠٨ هـ : «ان هذه الاحوال التي ذكرتها لا يتصف بها الا العارفون

الأفلاك ! ولئن طال العمر بهذا الشيخ الجديد لتكسفن شمسك كل نجوم تلك الجهة»

وقال الشيخ سيدي محمد النظيفي : «هكذا يكون الفحول لا يخافون من احد ! فانني اتجنب دائما مخالطة اصحاب الاحوال لئلا تغيب عيني ببخارهم واما العفريت سيدي الحاج علي فانه لا يهاب احدا ! فقد جاء الى ليلقاني فهربت منه خوفا ان يشربني لقوة روحانيته ولغلبة حاله ومن هو مثيله في هذا العصر» تلك اثاره مما امكن لي جمعه من اقوال بعض معاصريه من غير اصحابه

واما اصحابه فانهم يرون له مقاما اعلى من كل المقامات ! والعجيب انني كلما جلست الى واحد من اصحابه لاكتب عنه مائة من الشيخ اسمع منه عجائب وغرائب عنه ، فما شئت من توجيه الى الله وحده بحيث لا يلتفت الى غيره الا بمقدار المأمور به من الاسباب المشروعة ! ومن مكاشفات وكرامات وخوارق وروحانيات ! وهذا شيء طال منه عجبى انا قبل ان يطول به عجب من سيقرا هذا بعد القد : وقد رايت كثيرا من اتباع المشايخ ! فماريت مثل اصحابه في اسقاط الدعوى وتعظيمهم له تعظيما لا يصل الى حد القلاو الا في قليلين جدا ولاجلالهم لقمه ! ولتمرنهم على سقوط الدعوى قل فيهم البارزون بعده السي السبعة حتى ان من برز منهم لا يرى لنفسه مقاما ! وهذا شيء رايت وخبرته وكنت به من المؤمنين وما راء كمن سمع ! اكتب هذا لاعت تحيز لعلمي ان الله يراني ويكتب عني ما اقول

قول المؤرخ سيدي علي بن الحبيب فيه

هناك اثنان ممن ادخ لعاصري الشيخ من السوسيين احدهما سيدي علي بن الحبيب التيجاني الطريقة ! وقد حاول ان ينصف الشيخ ! ولذلك ذكر كثيرا من احواله العجيبة والم بنواح كثيرة من حياته وثانيهما الفقيه سيدي محمد ابن احمد الاكراري وهو ناصري الطريقة ، وحين كان القاري ملما فيما تقدم بما بين الطرق في ذلك الوقت من تنازع السيادة ! وحين كانت الناصرية هي الطريقة القديمة التي شاخ عليها الكبار ! وشب فيها الصغار ! كان تعصب اهلها اعظم واكبر من غيرها ! ولذلك ترى مما قاله الفقيه الاكراري تحاملا فاهرا في جناب الشيخ وقد ورث ذلك عن استاذه سيدي محمد بن العربي الادوزي الذي كان ينادي في موسم سيدي احمد بن موسى على رؤس الاشهاد بان الدرقاوين مبتدعون ! ولكنه اخيرا غلب على حاله لما راي غالب من اخذوا عنه خرجوا عن طريقته الناصرية الى الدرقاوية ثم سقط في يده يوم يرى نفسه مصاهرا للشيخ الاكبر في الطريقة الدرقاوية على بنته سوانا ابن بنت سيدي محمد بن العربي اكتب هذا - ولذلك ارسل تلك الصيغة التي ضمنها تلك القصيدة التي تافف فيها من مصاهرة الدرقاوين ! وسترى بعض هذه القصيدة

في محل آخر

وهالك ما قاله الاديب علي بن الحبيب السكراتي :

ومنهم الفقيه العالم الرباني الشيخ الصمداني المربي الصوفي السالك ! سيدي الحاج علي بن احمد الدرقاوي من (تحت الحصن) السملالي الشيخ المشهور ! كان هذا السيد رحمه الله حاملا لواء الطريقة الدرقاوية في هذا القطر السوسي ! وله فيه تلاميذ لا يحصون عددا ! وزوايا كثيرة معمورة وكان في اول بدايته تعتريه احوال جذبية ! يمسى في حال ويصبح في حال آخر ! وكان يلبس المرقعة ويحمل العصا ويذكر في الاسواق بالجهر في الطرقات ويأخذ الفتوحات ولايبالي ! وكان له كيس مثقوب كلما طرح فيه شيء سقط الى الارض ! ويسأل الناس ويقول على عادة الفقراء «متاع الله» وهو في هذه الحال في بعض الاسواق اذوقف على الشيخ سيدي الحسن بن مبارك التاموديزي مع الفقيه سيدي محمد بن العربي الادوزي يتحادثان في ظل جدار ! فقال لهما : «متاع الله ! متاع الله» فضحك الشيخان ثم قبضا على جلايبه وقالاه : «ياشيخ هذا الذي انت فيه من دسائس النفس ! ما زلت لم تخرج عن هواها لانها لاتحب الا الاخذ ! ولكن ربها وعلمها هاك متاع الله هاك متاع الله ! فهل كانت تقبل منك ام لا) فاعرض عنهما ولم يبال بكلامهما وذهب ، (اقول ان الشيخ التاموديزي سبق المترجم الى هذه الطريقة ولا بد ان هناك غلطا فيمن كان اذ ذاك واقفا مع سيدي محمد بن العربي الادوزي) وعلى كل حال فهو شيخ الطريقة وعالم الشريعة والحقيقة ! ومثله لا تنقرع له العصا ! وكان في غاية من الكشف تظهر على يده الخوارق لقيته مرة بالركادة ! وانا حينئذ متقيد بالطريقة الدرقاوية اعل الله منارها ! وحانت صلاة العصر ! فقمنا للصلاة معه وهو امام وفي القوم الفقيه سيدي محمد بن مسعود المعدري وسيدي سعيد التتاني ! فلما فرغنا من الصلاة توجه الينا بوجه المنور ! فقال لي ياقلان ! قلت لبيك يا سيدي قال لي اعطاك كتاب الذهب الابريز قلت له نعم قال لي هل رايت فيه حكاية الشيخ عبد العزيز الدباغ مع تلميذه سيدي احمد بن مبارك المراكشي (هكذا مع انه سجل ماسي لامراكشي) حيث قال له الشيخ اتريد ان تزور سيدي موسى براس الدرب ! فقال له نعم ! وما نكره في زيارة سيدي موسى الخ القصة وقد كان في اول امره ترد عليه كثرة الفقراء ببلده وضاق به الحال ! قال ثم نويت ان ارحل منها الى المعدر ! فاستخرت الله في ذلك قال رحمه الله فلما عزمتم على الرحيل وقف على النبي صلى الله عليه وسلم وانا ببجيرة قرب داري ! فقال لي اتريد ان ترحل الى المعدر خوفا من الجوع ؟ قلت له نعم ! قال لي : «لا ترحل من بلدك وقال لي كل شيء يصلك الى هنا» وضرب بقدمه الشريفة الارض ! قال رحمه الله فطابت نفسي من يومئذ بالسكنى في بلدي فصارت الدنيا من يومئذ تزيد ونجى من كل جهة الى ان بلغ بنا الامر الى ماترون والحمد لله (قلت) قد اقبلت

الدنيا على الشيخ ببركته صلى الله عليه وسلم من كل جهة ؛ وكان لا يستقر بداره غالبا ؛ افنى جل عمره في الاسفار والسيارات مع طوائف الفقهاء وكثرة سياحاته الى جهة الشرق ؛ درعة وحوز مراكش وحاجة وادواتانان ؛ حدثني بعض فقرائه ان زواياه نافت على مائتين وكان معظمها عند الامراء والسلاطين والقبائل ؛ لا يكادون يصون له امرا ؛ وقد مرة على فقراء مراكش وبها يومئذ السلطان مولاي عبد العزيز بن الحسن ؛ فلقبه واحتفل به احتفالا كبيرا الا ان الناس قد اكلوا فيه القيل والقال ؛ ومعلوم في الفاضل قول الحسنة ؛ وهو في الحقيقة كمال للمحسود ؛

واذا انتك مذمتي من ناقص فهي الشهادة لي بانني كامل
فقد كتب له العلامة سيدي محمد بن العربي الادوزي بعد مصاهرته له في شأنها قوله :

بعثت اليك بعض كلى فان راغيتك كنت كلى راغيا يا اخي حكما الخ
(ثم ذكر القصيدة وجوابها الذي مطلعها : (جزاك اله العرش خير جزائه)
(ثم ذكر ان صاحب الترجمة رحمه الله لما لم يف بعهد الشيخ قال فيه ثانيا :
(لاتصاهر في سوس درقاويا الخ) (ثم ذكر القطعة الاخرى التي قالها ابن العربي لما ودع بنته ومطلعها : (فراق بنتي صعب الخ)

(ثم قال) : اخذ صاحب الترجمة علمه عن شيخه هذا سيدي محمد بن العربي الادوزي واخذ الطريقة الدرقاوية على شيخه سيدي سعيد المديري وبيتهم بيت علم وصلاح ؛ كان جدهم سيدي عبد الله بن صالح - بل هو عبد الله بن سعيد - في غاية من التقوى والولاية ؛ ثم حكى المؤلف حكاية استطرادية ثم انشد بعدها :

وما مات من ابقى ثناء مخلدا وما عاش من قد عاش عيشا مذمما

وله اشعار ونظم ؛ وقد نظم حكم ابن عطاء الله ؛ حكى ابن الجوزي في بعض مجالسه قال : «والله ما اجتمع لاحد امله الاوسعي في طريقة اجله» (ثم ذكر وفاة المترجم وغلط فيه اولا ؛ ثم اصلح الغلط في طرة الكتاب) ثم قال : وعهد الى ولده الكبير سيدي محمد بالخلافة بعده واوصاه ؛ (ثم ذكر وصية الشيخ المشهورة وهي شائعة ذائعة عند اصحابه) ثم قال : وترك اولادا اصلحهم الله اكبرهم سنا سيدي محمد وباقي الاولاد كلهم نجباء مقبلون على شئونهم وفيما يرضى الله ؛ نشأوا في حجر العلم والادب والتربية على شاكلة ايهم من التيقظ والتشهير عن ساق الجدة في الدين وتحصيل العلوم الشريفة ثم ذكر كلاما عن الغزالي في الذين يخالفون اباءهم الامجاد اتكالا على شرفهم

انتهى ما كتبه المؤرخ الذي حاول ان يخالف القول الاتي للمؤرخ الاكراري في بعض ما قاله عن الشيخ ؛ فرحم الله الجميع وباقي الابيات المتقدمة توجد في ترجمة الوالدة (رقية) في القسم الثاني ان شاء الله

قوة المؤرخ الاكراري فيه :

ومنهم شيخ الربيع ومحراب المتجردين وسلوة المتقشين ووزر المطرودين مربي الانام ؛ ومدير كاس الهيام ومذلل الانوف ومعدل الصفوف قانع الشهوات والمجل عن الغلوب الغلومات ؛ قاهر النفس ودافع اللبس ابو الحسن سيدي الحاج علي الدرقاوي طريقة العبالوي نسبة ؛ التحت الجبل دارا ومنشأ - يعني البيت الحصني - فرا العلم على العلامة الادوزي واخذ الطريقة على الفقيه سيدي سعيد المديري وعلى منواله حاك وبمسواكه استاك افنى عمره في الجهد والاجتهاد وجمال بطوائفه في البلاد ؛ يقيم اودهم بالدرة ويفطم بعضهم بالدرة ؛ يسوس كلا بالالتقوى ويكون لدا قلبه متنبه - كذا - فكثر لذلك متبعوه وازدحم على ورده متبعوه ؛ اخذ في نفسه اولا بالتقشف وازدان وقته بالعنف ؛ فلما امتلأت احواله بالاناس واطمانت محافله بالاناس ؛ قلب لهم ظهر المجن ومد شبك الروايا لما اتى وعن ؛ وقرا (القها ياموسي فالقها فاذا هي حية تسعى قال عدها ولا تغف) فانتبه الدنيا ونال منها المتى ؛ فجمع وعدد وبني وشيد وتكج وشاد واكثر السواد ؛ فخطب ابنة شيخه الادوزي ؛ فحياه ولم يقل مكنوزي وعين كمال النكاح وبرز الزفاف من غير كفاح كتب له الشيخ مانصه وذكر الابات التي اولها : «بعثت اليك بعض كلى الخ» فاجابه الصهر سيدي الحاج علي فقال ناسجا على ذلك المنوال ، الا انه ليس التكجل كالكحال - هكذا الكلمة بخطه قائلا ان الالف للسجع - (ثم ذكر الابات التي اولها : «جزاك اله الخلق خير جزائه» الخ) (ثم ذكر ما انتقده في الابات) ثم قال : «هذا شعر الفقراء» فلقبه قال في الجواب ؛ ليأتي بالصواب ويترك لفظه الظهر الذي فيه ارتياب (ثم ذكر ابياتا له هو مطلعها : فسمعا ابا الدلفاء الخ) ثم قال الشيخ - يعني ابن العربي - متشكيا وللقضاء مسلما وراضيا - (ثم ذكر ابياتا اولها : فراق بنتي صعب الخ) ثم ان الصهر لم يف بالعهود ولا ادى الموعد بل اهان المهرة وعصى للشيخ امره فجعلها من جملة العيال ؛ تطحن ودمعها سيال ؛ ومنعها من الزيارة وزاد في القحة بالنفس الامارة ؛ فتملئ الشيخ لذا وتمنى ان يفديها لو امكن الفدا ؛ فلما اعوزه الحال ولم تراع الحرمة الرجال ؛ قال رحمه الله (ثم ذكر ابياتا فيها النهي عن مصاهرة الدرقاويين بسوس ؛ مطلعها : لاتصاهر بسوس درقاويا الخ) ولنصرف عن الكر العنان طالبا من الله المنان ان يمدنا برضا الاشياخ والفران ويقل عثرات اللسان ؛ وما ذبره في ذلك البنان وحواه الجنان ؛ وبرزقنا معهم المجاورة في الجنان بجاء سيد ولد عدنان وعليه في كل حين التكلان ؛ مادام الملوان ودام النيران ؛ فصاحب الترجمة حج وصام وجال وهام وهزر والام وخاصم في الله وخام وصارم من استحق الصرام الى ان ادركه الحمام فادى الامانة ورضى باختتام وذلك في ١٠ - ١٠ - طلوع الشمس يوم

السبت عام ١٣٢٨ هـ فقال سيدي الحاج ابراهيم ايريلي «ايطاس (اي نام) الشيخ رحمه الله ورضي عنه «امين»

ذلك ما قاله المؤرخ وقد وجب التنبيه اولا الى ان الغلط وقع له في وقت وفاة الشيخ ؛ فانه توفي عصر السبت ٢٨ ذي الحجة عام ١٣٢٨ هـ ومن هذا الغلط الذي لم يسلم منه مؤرخنا لعدم تثبته تدرك ان الغلط يكون اليه اسهل في مجريات الظنون ؛ فقد افتتح الترجمة بذكر ماهو الواقع في احوال الشيخ ثم لما رأى اتساع نطاق دائرة الشيخ ظنه استسلم للشهوات ولو اراد المؤرخ ان يعرف الحقيقة لادركها فان المئات الذين يزورون الشيخ يرون كيف حالة زاويته في التقشف الى ان مات ؛ وانا اعلم واوقن بالمشاهدة ان اكل اللحوم وشرب الاتاي اللذين هما اذذاك من مظاهر الرفاهية لانراهما في دار الشيخ الا لماما وفيئة بعد فيئة؛ ولكن الذي حفز المؤرخ الى مقال كونه سلف الشيخ فانه تزوج اخت زوجته ؛ فاصاح الى تناجي النساء في مضاجعهن وقد بينا كل ما بين الشيخ واستاذ العلامة ابن العربي في ترجمة والدتي في هذا القسم كما بينا ايضا بعض ما يتعلق بتزوجها من الوالد في كتابي «الترياق المداوي» و«طاقة ريجان» واما الابيات التي اختصرناها فانها توجد في ترجمة الوالدة في القسم الثاني على انني اعذر المؤرخ فما كتب الا ما اعتقد، فرحم الله الجميع وجعل الجميع في جنة الفردوس على سرور متقابلين ؛ فانما العبرة بالنيات وهي من البواطن

بعض الامداح في الشيخ

يقول العلامة الكبير سيدي محمد بن مسعود من اكابر اصحاب الشيخ وممن استقوا منه عللا بعد نهل ؛ في اثناء قصيدته المسماة «اتحاف اهل الاعتقاد والوداد بما للطريقة الالغية من استنى الاسناد» يقول فيها بعد مدح نبوي كريم يخاطب الجناح النبوي :

مال سواك وسيلة لله ثم
شيخ الحقيقة والطريقة من غدا
صبح الظلام وحل نحر عاقل
شيخ الجلالة شاذلي زمانه
شيخى ابو الحسن ابن احمد من بدا
اعلى من الدين المنار واحييت
ذوهمه فعالة وعزيمة
وله الكرامات البواهر والتقى
اما الفراسة والكلام على خوا
وله من التصريف امر واضح
هذا على ادب يحيل به الامو

ثم سليل روحك غوثنا الصمداني
نور العيون وعين نور الآن
ملك المعارف فارس الميدان
فرد الاوان وسيد الاقران
في العصر شمس الائمة الاعيان
اثاره بعهاده الهتان
صوالة كالسيف يوم طعان
والعلم ليس الخبر مثل عيان
طر حاضريه فتاية الرحمان
لداخليه بدا على الاعلان
ر على مشيئته ربه المنان

يا اجل احمد يا عل علت بكم
الاهام الشهم يا ذا الهمة الـ
الجهاد منى بعد الجود ما
ان كان يخرج منهما المرجان والـ
فلكم لدى الارواح بالعرفان بلـ
اوما جلوت صدا القلوب بحكمة
وعسلت من ادراها وجوتها
فبقينا من خمرة نبوية
في ذا بهارى البدر في مجلاء او
بعد الكرام والسفاح الناس بالا
احسن رسم الدين بعد دروسه
وعسلت مرفوع الدعاء من هدى
وسرك الصلحت عصائب صلعنا
وبك المعارف والحقائق تجتل
فلمن اعان الرجال اول النهى
يا ذا وراء النفع يطلب شاهدا
هذا الامام المعارف القاسى ابو
قد قال ان شهود نفع الناس من
يعصم ما منحوا من السر الذي
واقد سمعت بشارة من شيخكم
قد قال انك في مقام الشيخ غسو
هذا الى ما جاء عن اهل البصا
يا من عليه الباب مسدود الخ
ثم باب الفضل والكرم الذي
في حضرة قدسية نبوية
فاذا الخطوب عدت عليك وارجل الـ
فاعطف لمن الفت مقاليد الوجو
هذا العباد وذا السناد وذا الفيا
هذا الذي ما امه ذو عسرة
هذا الذي نعو وجوه العاريف
فاذا افاد العلم فهو الشاغل
اخا الفئدة الرجال بهمة
بسطاد ارباب القلوب لحضرة الـ
شرفا وفخرا بالاخا للغرب من
برحت به في «الخ» ما ادراك ما

رأى سميت قدرا على كيان
سقماء بالغوث الكبير العالى
كعب وما هرم وما البهران ؟
بدر النضيد فذا ليس فان
به الجود للاشباح بالالوان
صمدية من سرك الصمداني
علقا نفيسا غالى الالمان
ازرت بما اروت بخمر جنان
يرتاب في شمس سوى العميان ؟
مداد في الاسرار والاعلان
وخبو نور الحق بالطفهان
خفضوه بالدعوى مدى الزمان
سسوسى من قاصيهم والدانى
صفا على رغم الحسود الشانى
منها عقود الدر والعقيان
بجلالة التخصيص للاعيان
زيد من الفر الكبار الشان
اهل الولاية واضح البرهان
خص الاله به ذوى العرفان
العارف الاسنى ابى عثمان
ث زمانه الجمل الرضى العمراني
ثر غيره فيما لكم من شان
واحظ رحالك في هنا وامان
من حل فيه ثوى اعز مكان
هذا على بابها الرحمانى
سعادى واشمتك انقلاب زمان
د وملكته سائر الاكوان
ث وذا حمى المستضعف الولهان
الا وباء يحفه اليسران
سن لنور طلعت كما السلطان
او فاض بالاحوال فالجيلانى
من هم فيه غدا مقود غنان
سمحبوب معنى الروح والريحان
شمس المعارف والهدى الربانى
(الخ) لقد اربت على البلدان

السبت ١٣٢٨ هـ فقال سيدي الحاج ابراهيم ايراني «يطاس (اي نام) الشيخ رحمه الله ورعى الله «امين»

ذلك ما قاله المؤرخ وقد وجب التنبيه اولا الى ان الغلط وقع له في وقت وفاة الشيخ ؛ فانه توفي عصر السبت ٢٨ ذي الحجة عام ١٣٢٨ هـ ومن هذا الغلط الذي لم يسلم منه مؤرخنا لعدم تثبته تدرك ان الغلط يكون اليه اسهل فسي مجربات الظنون ؛ فقد افتتح الترجمة بذكر ماهو الواقع في احوال الشيخ ثم لما رأى السماع نطاق دائرة الشيخ ظنه استسلم للشهوات ولو اراد المؤرخ ان يعرف الحقيقة لادركها فان المئات الذين يزورون الشيخ يرون كيف حالة زاويته في التقشف الى ان مات ؛ وانا اعلم واوقن بالمشاهدة ان اكل اللحوم وشرب الاتاي للذين هما اذذاك من مظاهر الرفاهية لانراهما في دار الشيخ الا لماما وفيئة بعد فيئة؛ ولكن الذي حفز المؤرخ الى ما قال كونه سلف الشيخ فانه تزوج اخت زوجته ؛ فاصاخ الى تناجي النساء في مضاجعهن وقد بينا كل ما بين الشيخ واستاذ العلامة ابن العربي في ترجمة والدتي في هذا القسم كما بينا ايضا بعض ما يتعلق بتزوجها من الوالد في كتابي «الترياق المداوي» و«طاقة ربحان» واما الابيات التي اختصرناها فانها توجد في ترجمة الوالدة في القسم الثاني على انني اعذر المؤرخ فما كتب الا ما اعتقد، فرحم الله الجميع وجعل الجميع في جنة الفردوس على سرر متقابلين ؛ فانما العبرة بالنيات وهي من البواطن

بعض الامداح في الشيخ

يقول العلامة الكبير سيدي محمد بن مسعود من اكابر اصحاب الشيخ وممن استقوا منه عللا بعد نهل ؛ في اثناء قصيدته المسماة «اتحاف اهل الاعتقاد والوداد بما للطريقة الالغية من استى الاسناد» يقول فيها بعد مدح نبوي كريم يخاطب الجنب النبوي :

مالي سواك وسيلة لله ثـ
شيخ الحقيقة والطريقة من غدا
صبح الظلام وحل نحر عاطل
شيخ الجلالة شاذل زمانه
شيخى ابو الحسن ابن احمد من بدا
اعل من الدين المنار واحييت
ذوهمة فعالة وعزيمة
وله الكرامات البواهر والتقى
اما الفراسة والكلام على خوا
وله من التصريف امر واضح
هذا على ادب يعيل به الامو

سم سليل روحك غوثنا الصمداني
نور العيون وعين نور الآن
ملك المعارف فارس الميدان
فرد الاوان وسيد الاقران
في العصر شمس الائمة الاعيان
اثاره بعهاده الهتان
صوالة كالسيف يوم طعان
والعلم ليس الخبر مثل عيان
طر حاضريه فثاية الرحمان
لداخليه بدا على الاعلان
ر على مشيئته ربه المنان

يانجل احمد يا علي علت بكم
انت الهمام الشهم ياذا الهمه الـ
انت الجواد متى يعد الجود ما
ان كان يخرج منهما المرجان والـ
فلكم ندى الارواح بالعرفان بلـ
اوما جلوت صدا القلوب بحكمة
وغسلت من ادراؤها وحبوتها
فسقيتها من خمرة نبوية
من ذا يبارى البدر في مجلاه او
بعد الكرائم وانتفاع الناس بالا
احييت رسم الدين بعد دروسه
ونصبت مرفوع الدعائم من هدى
وبسرك انصلحت عصائب صقنا الـ
وبك المعارف والحقائق تجتلي
قلدت اعناق الرجال اولى النهى
ماذا وراء النفع يطلب شاهدا
هذا الامام العارف الفاسي ابو
قد قال ان شهود نفع الناس من
بصميم ما منحوا من السر الذي
ولقد سمعت بشارة من شيخكم
قد قال انك في مقام الشيخ غو
هذا الى ما جاء عن اهل البصا
يامن عليه الباب مسدود انخ
خيم بباب الفضل والكرم الذي
في حضرة قدسية نبوية
فاذا الخطوب عدت عليك وارجف الـ
فاعطف لمن القت مقاليد الوجو
هذا العماد وذا السناد وذا الغيا
هذا الذي ما امه ذو عسرة
هذا الذي تعنو وجوه العارفيـ
فاذا افاد العلم فهو الشاذل
اخاذ افئدة الرجال بهمة
يصطاد ارباب القلوب لحضرة الـ
شرقا وفخرا بالادخا للغرب من
بزغت به في «الخ» ما ادراك ما

رتب سمت قدرا على كيوان
قعساء ياغوث الكسير العاني
كعب وما هرم وما البحران ؟
در النضيد فذا نفيس فان
له الجود للاشباح بالالوان
صمدية من سرك الصمداني
علقا نفيسا غالي الالهان
ازرت بما اروت بخمر جنان
يرتاب في شمس سوى العميان ؟
مداد في الاسرار والاعلان
وخبو نور الحق بالطغيان
خفضوه بالدعوى مدى ازمان
سسوسي من قاصيهم والداني
صرفا على رغم الحسود الشاني
منها عقود الدر والعقيان
بجلالة التخصيص للاعيان
زيد من الغر الكبار الشان
اهل الولاية واضح البرهان
خص الاله به ذوى العرفان
العارف الاسنى ابى عثمان
ث زمانه الجمل الرضى العمراني
ثر غيره فيما لكم من شان
واحظت رجالك في هنا وامان
من حل فيه ثوى اعز مكان
هذا على بابها الرحمانسى
سعادى واشمتك انقلاب زمان
د وملكته سائر الاكوان
ث وذا حمى المستضعف الولهان
الا وباء يحفه اليسران
من لنور طلعت كما السلطان
او فاض بالاحوال فالجيلاني
من هم فيه غدا مقود عثمان
محبوب مغنى الروح والريحان
شمس المعارف والهدى الرباني
(الخ) لقد اربت على البلدان

عظرت بطيبك بعد هترك الال
سلف لهم نالوا العلا بولادة الـ
ربى بحرمة النلى المبلى
ورثوا البر المجد عن اعيان
سليار جعفر اكرم الفتيان (١)
من فيض جود الواهب المنان

وبمناسبة ما ذكره العلامة ابن مسعود في هذه القصيدة ، وبمناسبة ما تقدم عن المؤرخين المذكورين : اثبت هنا بعض ما قيده ابن مسعود مما يتعلق بروحانية الشيخ : ومن هناك يعرف القارىء كيف الشيخ عند اصحابه : وقد ظفرت بهذه المقيدة وشيكا حين وصلت هذا الموضع من الترجمة : انقلها من خط ابن مسعود نفسه ومن هذا يعرف القارىء المكانة التى للشيخ عند علامة سوس ابن مسعود : بله غيره : قال مانصه :

«اخبرنى بعض الفقراء الاخوان انه كان في مرض شديد من علة القرحة المعروفة بقرحة النار : فلزم الفراش وعالج القرحة بالنار الا انه مازال ملازما للفراش بعد المعالجة فرأى شيخنا رضى الله عنه جاءه وهو يقظان غير نائم : فكتف الثوب عن وجه المريض بيده ونقل على يده ومسح بها موضع القرحة فعمل ذلك مرتين وخرج عنه ولم يكلمه : فنادى المريض امراته وقال لها ان الشيخ رضى الله عنه خرج من عندى فانظروا اين هو وانزلوه في محل الضيوف فقالت له ما رايناه ولا رآه احد فخرجت وفشت فلم تجد احدا ولا رآه احد من الجيران فظهر الشفاء عليه من ذلك الوقت : ولله الحمد مع ان بلدة الشيخ بعيدة من بلدة الاخ المذكور : بينهما مسافة قريبة من يومين

متى كان حكم الروح للجسم لم يكن
اذا ازدوجا وزالت الحجب التى
افاضت عليه الروح ما كان مودعا
بامدادها يسير فى الجو ماشيا
ليثقل من كثافة البشرية
تعوق من تنافر الثانوية
بها فارتدى بالخلة الملكية
على الماء والدنيا لديه كخطوة

وسمعت الاخ المذكور وغيره يقول : سمعت الشيخ رضى الله عنه يقول : ما من فقير ينتسب الينا (الاوهمتنا) معه فى اى موضع كان فى جميع حركاته (او كما قال)

ووقفت على رسالة ارسلها الشيخ رضى الله عنه الى بعض الفقراء فيها من جملة كلام له مانصه : وقد اشتقنا للملافة اكثر من اشتياق الوالدة لولدها المرضع ولكن الحمد لله قد بلغنا مرتبه فى ملاقة الارواح ، تغنى عن ملاقة الاشباح : ولذلك يسرى المدد من الاشياخ الى المريدين : ولولا ذلك لم يمكن احد ان يربى احدا ولم يعرف ذلك الا من ذاقه . وكيف يكون ذلك عند من يجد

(١) انظر فى ترجمة سيدى عبد الله بن سعيد ما يتعلق بهذه النسبة الجعفرية

ذاته تتمثل بذات مرديه : او بذات شيخه : وانما ذلك من غلبة الروح على الشبح وبذلك تقع المشاهدة النبوية عند جولان فكر اهل ذلك المقام بقلعة : وذكر الشىء بترك سواء هو الذى يقنى» انتهى الغرض منها

واخبرنى بعض الاخوان انه وقف على رسالة للشيخ رضى الله عنه بخط يده الكريمة : فيها من جملة كلام له مانصه : ولا تهملوا ارشاد عباد الله الى الله : فذلك الذى وصيناك عليه (لان يهدى الله بك رجلا واحدا خير لك مما طلعت عليه الشمس من حمر النعم) فلا خير اكثر من ذلك : (ومن احسن قولا ممن دعا الى الله) الى ان قال : وسلم منا على جميع الاحباب اينما كانوا (فهاهمتنا) معهم اينما كانوا والاحوال كلها بخير

واخبرنى بعض افاضل الاخوان : من المتجربين ان بعض من ينتسب لطريقة الشيخ رضى الله عنه ممن تلقن منه : لقي فى بعض الامصار بعض الامراء ممن كان بينه وبينه صداقة ومع الامير المذكور بعض من جاء من قبل السلطان رسولا اليه يدعوه الى حضرته : فذهب الفقير المذكور معهم صحبة الامير المذكور : فلما دخلوا اغلقت عليهم الابواب : وظهر للفقير انهم اريد بهم الحبس والنكال فاستغاث بشيخنا رضى الله عنه : قال فجاءنى الشيخ بنفسه رضى الله عنه واخذ بعضدى وقال : مالكم وللدخول فيما لا يناسبكم او ما يقرب من هذا ، ودفعه الى خارج الابواب : والحرس على الابواب كالعادة فى مثل ذلك ونجاه الله تعالى قال المخبر بهذه الحكاية : قد حضرت الشيخ رضى الله عنه يوما وقد فرق المتجربين رضى الله عنهم لجمع الناس الى موسمته على العادة : وكان فى الوقت خوف وفتنه : فقال لهم ما حاصله : لا يخطر ببال فقيرنا خوف اللصوص ولا السباع ولا الحيات ولا العقارب يشير الى انه لا ينبغي ان يظن توحده عن شيخه لانه معه سره وهمته دائما نحو ما تقدم عنه رضى الله عنه

واخبرنى الفقير المذكور ان رجلا كان من رؤساء قبيلته قال له : انه ورد علينا الشيخ مع الفقراء : ولم يكن فى الموضع من يهتبل بهم فطلبوا علف دابته فلم يجدوه فاتيتهم بمخللة مملوءة شعيرا ففرح الشيخ رضى الله عنه بذلك ، قال ومضت مدة عن ذلك : ثم لحقنى مرض لزمته منه الفراش ولحققتى منه شدة فظهر لى الشيخ وقد خرج الى من جدار البيت الذى انا فيه ويده المخللة التى ملاتها له بالعلف : قال فرفعتى من ضجعتى : واستندنى الى الحائط وجعل بينى وبين الجدار تلك المخللة وهى مملوءة شعيرا : ثم دخل فى الجدار فى الموضع الذى منه خرج : وجاءنى بحمد الله الشفاء فى الحال

واخبرنى بعض الاخوان من الفقراء ان بعض رؤساء قبيلته لقنه الشيخ رضى الله عنه الذكر : فنهاه عن مخالطة رؤساء القبيلة وامره بالاجتناب والانتكاف عما هو شأنه قبل الانتساب الى الشيخ وبعدما فارقه جاءه فى بعض

الايام رسول الرؤساء المذكورين يستدعونه الى مجتمعهم كالعادة فجاء اليهم ؛ فلما كان في الطريق احس ببطئه لتحرك عليه كانه يريد الاستفراغ ؛ فذهب الى محل قضاء الحاجة فلم يمكن له الاستفراغ فذهب اليهم فلما جلس اليهم لحقه مرض البطن ؛ فقام عنهم الى داره وبقي كذلك الى مضي سبعة ايام وهو بحال المرض المذكور معصور عن قضاء حاجة الانسان وفي اليوم السابع بقرب الزوال اخذته نفوة من المنام ؛ فرأى الشيخ رضى الله عنه قد خرج من بعض بيوت دارالرجل المذكور ؛ وجاء اليه ومسح بيده الكريمة على بدنه فانتبه ؛ ونظر في جوانب البيت الذي هو فيه كانه بحال فزع فسألته زوجته مابالك فحصل له الشفاء في الحالين ؛ وقام من فوره وذهب الى الكنيف لقضاء الحاجة انتهى ما نقلته (مع بعض اختصار) من خط الاستاذ سقته كتتمه لما هو في القصيدة الثونية ؛ ولعرفة ناحية اخرى عن الشيخ مما يتداوله عنه اصحابه وتتكب نحن الاكثار منه . لان ذلك يناهى بعضه سنن الكون التي لا يومن الابهاء عند غالب اهل هذا العصر . وان كان المومن يوقن بان الله قادر على كل شيء مما يغرق مادة تلك السنن

ومن امداح ابن مسعود في الشيخ قوله :

بالر بها لمراسع الزهراء تلقى المنى بالقاعة الوعساء
واجل بمرحها الفسيح الطرف واه رح ناعما بتواصل السراء
الخالتي كلفا بغزلان النقي او وصل كل خريدة غيداء
حسبي هوى فئة تظن وجوههم زهر النجوم تضي في الظلماء
نور السرائر في الاسرة لائح متبلجا فيهم لفرط صفاء
جلي مرايا القوم صيقل حكمة وهداية من عارف الغبراء
الشيخ قطب العصر سيدنا ابي الـ حسن بن احمد فارس الهيجاء
ياكمبة ياوى لساحة برها اهل القلوب وجلة العظماء
ياروضة من جنة بل حضرة تنسى نعيم الخلد بالالاء
يانجعة المرتاد يانور البلا د وملجأ الملهوف في الحوباء
طال التقاعد والتكاسل بالفتى فسعى لبابك سيد الكرماء
قصدي من الكرم العريض اغاثة بتخلص من كربة اللاواء
برحيل هذا القلب عن كدر العوا ثد والحظوظ وغفلة القرناء
وتعلق بالله في الاحوال والـ جمع المزبل لمعضل الادواء
انت الملاذ ومن يلوذ بك احتفى في دهره من فادح الاسواء
انت المعز لمن هواء هوى به لهزيمة الارجاس والارجاء
انت الطبيب لكل من جنحت به نفس تبوء به الى الرمضاء
انت الممد بنظرة يرقى بها قلب الحضيض لهمة قصاء
انت المنفس كربة المكروب يلهب قلبه بشماتة الاعداء
انت المسود والمتوج تاج اهم سل الله باب مصادر الاشياء

انت الخليفة عن رسول الله ما تهواه ينفذ دون ما ابطاء
انا غرس نعمة سادتي فليدركوا بالسقى حفظ صنيعه وذمء
حاشاكم ياسادتي ونداكم يزرى بفيض البحر والانواء
حاشاكم حاشاكم ان يحرم الـ مضطر من منن لكم بفضاء
والجاء اعظم والعوارف جمعة والعبد عبدك رافع الحوجاء
لولاكم ما كان يطمع في الندا عود تموء قواضل الآلاء
او لم تفيضوا من جدا نفحاتكم ما الحق العرجاء بالوجناء
حييت بنورك شرعة التوحيد وان تسخ الظلام بغرة وضياء
واقمت سوق العشق بعد كسادها فغدا بتاجرها رباح زكاء
وعمرتها حللا يفوح بها من الـ احسان والعرفان ريح كباء
ويح الجهول اما كفاه تبحر الـ سامي يصحبكم كما الحكماء
وتهذب الجلف الغليظ كما استحا ل الخمر ملتسما بحسن بهاء
هاذي عجالة راكض ناداء عى الحب للتفريد والانشاء
واليكها شيخ المشايخ ترتدى حلل الحياء تميز كالحسناء
بنت السبيل على كلال قريضة مقروحة تبغى جزيل حباء
فان ازدهت مما حوت من شرطي سب سنائها بصفاتك العليا
فمن اطباء جمال بركم فلا عجا ولا تكليف بعد فناء
لازال جودك وابلا ينهل للـ سعافين بالالطاف والنعماء
وحين اطلع على القصيدة شيخنا الاديب سيدى محمد بن الطاهر الافرائى قال في تقريلها :

لاحت فاعشت اعين البصراء شمس الدكا باشعة وسناء
اخفت نجوم قرائح لما بدت والزهري يحق نورها بذكاء
وسرت روائحها معطرة فما نفح الزهور مطيرة وكباء
وهمت بودق بلاغة وفصاحة ازرى بما يهمى من الانداء
وتبلجت بلوائح الاسرار مشـ ل تبليج الانوار فى الظلماء
وزهت بطلعتها على خود كنت اعطافها بالعجب والخيلاء
سرت قلوب العارفين لانها حاكت مديح معطر الانباء
مدح الكريم الشيخ سيدنا ابي الـ حسن ابن احمد قدوة العلماء
شيخ الهدى بحر الجدا من فضله اغنى عن الانشاد والانشاء
العارف الجهم المحاسن من له صيت سرى بشواسع الارجاء
وابانها الشيخ الذى دانت له شمس المكارم دون طول عناء
الثاقب الذهن الرفيع المجد والـ تعالى عن النسرين والجوزاء
ذاك ابن مسعود الامام محمد من معدر قد حل بدر سماء
ورث المكارم عن جدود كلهم غرر الدهور وكاشفوا الحوباء
بشراك انك نلت ماتبعيه من فيض ومن سر ومن نعماء

وحيث بالانوار والاسرار والـ
 ايه ابا عبد الاله فقد منحـ
 لها نزلت بها ازدهت وترجبت
 فاهنا بما اوليت من مولاك من
 وله فيه ايضا :

فما بالمطى في اراكة نعمان
 واما بها صوب الحبيب مرابعا
 بها نشر النسيم من كل نفحة
 منازل من اهوى منازل للصفاء
 اذا ماصبا نجد سرت نسمايتها
 وان غرد القمرى في غصن ايكه
 اكتم شان الوجد ثم ييشه
 وروى احاديث الهوى ورعيه
 واني لاسهل اذكارهم وما
 ولو ان ما الاضلاع منى تكنه
 وما سافنى وصل الغواني ولاهمت
 نجت الالهواء في حب من غدت
 وذلك امام الدين من شهدت له
 ابو الحسن ابن احمد الغوث من بد
 ابان دقائق الحقائق فاهتدت
 وجل بما حل به كل مسمع
 افاد وهذب القلوب فاصبحت
 مجالسه رياض جنة ازلفت
 وينقع من انهارها كل غلة
 وفيها شفاء كل قلب مكدور
 نتيجة خلوة مع الله جلوت
 فما شئت من معنى لطيف وحكمة
 ومن مدد يسرى بنور محبة
 ويرقى به من سفلى فرق مشئت
 ومن كلمات يفلق الصم وعظها
 ليصبح من بعد الغواية واضح الـ
 على قدم التجريد للحق سالكا
 وعلم واشار بمال ومهجة
 على سنن العلم القويم لحجة
 وعوجا بها وهنا لمكنس غزلان
 سقتها غواذى المزن من سح هتان
 يغار لها نضير زهر وريحان
 نسيت بها فردوس حور وولدان
 تملى بها لبي وروحي وجثمانى
 اثار بلابلى بتسفيريد الحان
 من الدمع غرب ذوسكوب وتهتان
 فتهتاج لوعتى بجيران غسان
 ازيد به الاصابة هيمان
 برضوى لذاب من حرارة اشجان
 دموع محاجرى لفرقة خلان
 محاسنه فى العصر زينة اكوان
 معالى الهوى ان ماله فيه من ثان
 تفضائله كالشمس فى سطع برهان
 اليها النهى من حسن لفظ وتبيان
 من الدر ما انسى جواهر تيجان
 كزهر النجوم زانها حسن ايقان
 تدار بها مدام حب وعرفان
 بها سلسيل لاحميم ولا ان
 ضليل عن الخيرات فى الارض حيران
 طرائفها لكل غرثان صديان
 منقذة تزهو على عقد مرجان
 كما سرت الصهبا فى عقل نشوان
 لاوج فناء الجمع منزل احسان
 ينبى بها لله كم من فتى جان
 سزهادة موسوما ببهجة ايمان
 بعزم وصدق فى تبلى رهبان
 وحزم وجد عن بصيرة يقظان
 بها سلك الهداة من كل ربانى

اناس من التوحيد صيغت نفوسهم
 هم الانجم الزهر السواطع للعلا
 هم القادة الاخيار شم ججاج
 لهم فى السهول والنجود موطن
 هم القوم لايشقى جليسهم ومن
 هناك الهلال موذن بتمامه
 اشمس الهدى بدر الفتوة مقتدى الـ
 خلفت الامام الشاذلى بهديه
 واحييت من رسم الطريقة ما عفا
 وشرفت من تلك البقاع معاقلا
 طلعت بها سعد السعود وزهره
 ليهنأ بلاد الغرب انك ناشئ
 تطفلت بالقريض ابغى امتداحكم
 ولو مدلى فى الباع سرت نحوكم
 ولكنها الاقدار تعدل بالفتى
 «اهم بامر الحزم لو استطيعه
 بقيت لاهل الدين روحا تمدهم
 وازكى سلام طيب النشر فانسج
 وله فيه ايضا :

ياسيدا من نوره الوضاح
 زانت بك الايام غرة اهتدت
 الف التحايا من الهك يفتدى
 تسقى نديم الروح فى نادى الندى
 تزاد منه معارف ولطائف
 ماذا يعد الشعر من شرف ومن
 هبنى بسطت القول اوصفت النـ
 من لى بعشر العشر من اوصافك الـ
 فاعذر ضعيفا مفحما قصرت به
 ضاقت به سبل الكلام وضاق وقـ
 لازلت شمس الدين صيب رحمة
 وله ايضا يخاطب اصحاب الشيخ:

اسادتنا صاحب الامام الرضا القطب
 سلام عليكم من محبين ان نات
 ابى الحسن الالفى يأسلوة القلب
 بهم دارهم فالجمع فى وحدة الحب

ويهلون الهم لفرط الشوق
فمنوا بفضلا عليهم بزورة
بقيتم نجوما للهدى بسائلكم
تراج غشاوة الخطوب عن اللب

وله فيه ايضا :

ليهنكم يا ال الخ مفاخر
سموتم بدورا بل شمو سابتوركم
فابناكم للعلم والفضل والهدى
تفتق زهر الفضل من بعد مارتق
اله حباكم في العلا قصب السبق

وله فيه ايضا :

نسمات الرضا وروح سلام
شيعنا الاوحد الهمام امام الـ
شادل الزمان روح الكمال
تهندى دائما لمفخر الخ
عصر قماع كل غي وزين
ت ومحبي الهدى وطارذ نزع

وله فيه ايضا :

سلي الله الحمى من تحت حصن
هناك من الامجد كل ندب
هناك احبلة يسلو فؤادي
وهم روحي وريحاني وانسي
فلا برحت مرابعهم رياض
غزير الوبل من هطال مزن
وركن في النوائب اي ركن
بذكرهم فيجل الكرب غنى
وجنة بهجتي وجلاء حزني
بساحتها ثمار الوصل نجني

وله فيه ايضا :

تلك شمس القلوب بانث فتاهو
علاني فالاسم عين المسمى
وتلاشي بنوره كل شيء
ياغريبا هم الكرام اصيخوا
بلسان عن حضرة القدس ينشئ
ارحموا العبد منة واقبلوه
ياعل بن احمد من به قد
وتعطر غربنا بشذاه
يااماما قوت القلوب واحيـ
له در السعيد شيخكم قد
عارف اثر عارف وشموس
ان في القول لاتساعا ولكن
فعليكم تحية وسلام
ام سبي اللب سمع قول الفتى «هو»
بحديث من طاح عنه سواء
صار عيني اذا انا اياه
لعبيد يهدي اليكم ثناء
منكم واليكم منتهاه
فهو ضيف لكم وفكوا عنه
طاب سوس وذكره وسناه
وبانواره استنار دجاء
ساء المعارف من مفاض نداء
طاب فرعا وطاب اصل جناه
نخبة الشاذلي طاب ثراه
لات حين استقصائنا ادناه
يعبق الكون دائما من شذاه

وله فيه ايضا :

اقول لمن قد شفه الوجد ماتبعي
انخها بنال احمد فعليهم
فلذ بحماه واحتفظ بجنابه
محل مهذب الخلاق بالتقوى
وتصبح في روض المعارف نائرا
فاجابه الشيخ بقوله :

ايا طالبا سر المعارف في الخ
وداوم على ذكر الاله تر الذي
وجاهد وراقب ثم شاهد جماله
ففين السوى عن عين قلبكم الخ
تقر به العينان من كل ما تبغى
يلوح على الاشياء طرا بلا زينغ
وله فيه ايضا :

ياسيدا اطلعت بالسوس طلعتيه
حيثك عني صبا نسيمها ارج
يستوهب العبد ان يرعاه خاطرهم
فاهتز من طرب بل ازدهى تيه
تحيى به نفس هم كاد يفنيها
كيما ينال لى مولاه تنويها
وله ايضا يخاطب اصحاب الشيخ من المتجربين :

ياسادتي الغر العظام الشان
اصحاب عارف عصرنا الالفى ابي الـ
هبت على اشباحكم وقلوبكم
منوا بدعوة صادق متوجه
للعبد بالتوب الصحيح مع المفا
فالعبد محسوب على ابوابكم
وله فيه ايضا :

حي ربح الرباب من تحت حصن
وبوادي العقيق فيه فخرج
واقرا غنى تحية من مشوق
وتمل من الجمال ونب عن
عاقه ان يزورهم سوء حظ
وله فيه ايضا :

ان فاتك القطب ذاك الشاذلي فلذ
فقر من الله بالرضوان واقتعدن
بدا خليفته الالفى ابي الحسن
لدروة العز نائيا من المحن

ذلي من كؤوس ودادهم فتصافي
كيف الحياة بلا شعور القلب من
فاجعلك من اتباعهم ان شئت ان
ان الطريقة قد تبلغ بدرها
من لم يرد من عند منبعها فلا
مد ذقت من رشقاتهم انسيبت من
قد تيموني من جمالهم فلا
فهم فؤادي واللسان وكل ما
فهم جمال الكون اجمع لا يرى
ليس النجاة بكف غيرهم وان
فهم الدواء لغيرهم حتى غدوا
لاسيما مثل الامام القطب سيب
قاله كل محامدي جمعا في
وبابه القى الرحال لعنني
وانا على لسن القريض اريخ ان
فانا له حسان مدح دائم
فليعلم الثقلان اني عبد اهـ
اصحاب قطب الكون من في الخ قد
فيه القريض اذا اقول يلذ لي
لا يحسب الشعراء اني مثلهم
قاله يعلم والملائكة الكرا
وجميع من قد ابصروا ما كان في
اني كمن يشي على الدائم في
وكن يطيل المدح في غيم همي
وكن يشيد بنور شمس الحفت
هل في البحار وفي الغيوت وفي الشمو
اني يحيط بمائها الشجاج والـ
فاذا يكون المدح حقا صادقا
مثل الامام امام هذا الجيل من
وابان هذا الدين صحوا مشرقا
وازاح عن الباب من يلقي ولو
واري العيون من الخ نورا ساطعا
فالمدح فيمن كان هذا بعض ما
وان استعار المادحون من الريا

وتري الهوى وسط المنى متلافا
روح الهداية للذي قد سافا ؟
يحيا فؤادك تنتعش وتلافي
في الخ تكشف في القلوب سجاها
يزلن طول حياته مهيا
بين الآوان قراحها وسلافا
كف تعير لغيرهم اطرافا
عندي وما اعتده اطرافا
من لا يراهم غير ما قد عافا
نال العلوم وعاشر الاشرافا
الصاد ثم الدال ثم القافا
دنا ابي الحسن الذي قد صافي
سها منية القلب الذي قد زافا
القي القبول لديه والالطافا
لا يغتدي قولي لديه غرافا
متطلب من فضله اتحافا
لله من قد مولوا من سافا
رفع اللواء وارشد الاطرافا
فاشي اذا ما حكته افوافا
القي كلامي في المديح جزافا
م ومن هم قد البسوا الانصافا
الخ الهدى وعلى سناه اشافا
امواجها ان تغمر الاسيافا
بالغيث حتى افعم الاكتافا
بضياتها من كونها الاعطافا
س سوى القصور لمن غداوصافا ؟
سوهاج من انوارها اوصافا ؟
فيم شأ الاخلاف والاسلاف
فتح القلوب وزحزح الاصدافا
متلا لا ببريقه خطافا
عرضا ولو في ساعة اسدافا
نحي الظلام عن النهى فتجافي
فيه قصير مجحف اجحافا
في شمائل ومناظرا ولطافا

او من عزيمة باسل متدرع
ماذاك اجمع ما يؤدي ما هنا
تحكي كما يحكي الصدا من شعبة
لكن ما قد كان حقا يجتلي
مازال مكتما وليس يراه من
سر من الاسرار يلقيه الالـ
واذا يمس كلام صاحبه القلوب
فينيرها نور الهدى فيكون حا
لا سعد الا ان تكون نظيرهم

* * *

يامن به عاد الفؤاد لا منه
لك ما يفوق حقوق من نجلا وقد
انقلت من سنة تملد سجعها
واملت من رسنى الى جهة الهدى
فباي شكر يلتقي من كان من
من لم يفق لم يدرك ما غفلاته
ما اغفل المستدمنين هواهم
لكنه هيهات ان يستيقظوا
يضع الهناء مواضع النقب التي
مثل الامام اما منا من دابه
خواض كل تنوفة ركاب كـ
ماقصده الا انتشال القافليـ
كم من جهول غافل في اهله
لم يدرك كيف الرشدا وكيف الهدى
سبقت سعادته فقيد لداره
فيسيمه رغما دواء شافيا
من ياب تطيب العيا بجنبه
فاذا بذاك الغفل عاد كانه
ادر العيون تر الالوف وكلهم
عادوا رؤوس الدين بين هداته
هذي يد الغية تسدي الى
كل ينزل في منازلنا
هذا يرى الفردوس منزله وذا
والكل راض والمقاصد واحـ
فتراهم زمرا اذا ما يرضعون

من بعد ان ذاق الجسو وعافا
نحيت عن قلب العبيد غلافا
زمتا طويلا سمت فيه تلافا
واريتني كيف الهدى اشرافا
جرف القواية والضلال تلافيا
وان ارتقى العلماء والاشرافا
وان ادعوا وتنكبوا الانصافا
ما لم يلاقوا واعظا لطافا
كانت لكل مضرة اهدافا
وعظ الوري فيعلق الاشنافا
ل هواجر في عمره الافا
من وهزه بعظاته الاكتافا
جعل الهوى في جانيه سلافا
ضخم الكرادس لايميد : معافي
شيخ المشايخ حاملا الطافا
والطب يغدو تارة عفافا
يبصر طبيب عيائه كتافا
ما قط عاشر همدا اجلافا
من هؤلاء تحولوا اشرافا
من بعد ان كانوا هم الاطلافا
الاقوام تهدي منهم اصنافا
ول من ثمار نظيره اقطافا
ك يرى له من دونه الاعرافا
ما ان ترى في الممرعات عجافا
ن لسر شيخهم الهني الاخلافا

يتوارثون عليه هبما لم يصـ
الله اكبر هكذا كنا سمعـ
كالتسائل ونجمله المرسى ان
لكن يفوقهم الامام الشيخ قطـ
بعزيمة فعالة قوالة
يلج البيوت على بنى الغفلات رغبـ
فيربهم نهجا الى خلافتهم
هذى المفاخر لا مفاخر قصعة

يا ايها الشيخ الذى فخرت به سفن السعادة لانتى اجدا
دم للطريقة قائدا فى رتبة عليا تربي الفرش والصفصافا
وعليك منى يامام تحية ممن حباك الفضل والاتحافا
وارع العبيد القدم من بعد لكى يسقى بكأس محبة فيصافى

لا ين مسعود فى هذه القصيدة نفس يريد ان يحلق به ؛ لو انه نقض القصيدة
وراجع بعض الفاظها ؛ لكن الخطب فى ذلك سهل من امثاله الذين يلغون ما يلغون
هل عواذنه وهى من قصائده التى خاطب بها الشيخ بعد رجوعه من السياحة
الاخيرة ؛ اعطاها له فى المهد ثم بقيت فى مبيضتها الى ان ظفرنا بها ؛ وكذلك هذه
التي يليها فقد ارسلها الى الشيخ فى مرضته التى توفى فيها ؛ وقد سمع بانه ابل
من مرضته ؛ وهى :

ليها الورى طرا بابلالك السعد
ولاح لها من نور وجهك نورها
لقد ضجت الافاق وانهد من قوى
بشكواك يافرد الوجود وزعزعت
مرضت فامرضت القلوب وحل فى
وخلنا قوام الدين قد حان حينه
فعمدا لمن بالبرء رد حياته
واض الى افراحه كل مشهد
غدوت معافى يا امام فعوفيت
وعاد ابتسام مستطاب مؤثر
فى اليوم عاد الجو ابيض مشرقا
وعاد الغرار بعد طول تسهد
فهلى عيون الناس يغمرها الكرى
واصبح فى تلك المعالم نافع
فماشتت من قوت القلوب تجيش من

بها انتعشت من بعد ادوائها وزا
وما شئت من حب النبى وصحبه
وما شئت من روح يروح عن قوا
وما شئت من ريحان نور يرف فى
وما شئت من معنى شهود يريك فى
كذا فلتطب اعمار زهر تارجت
بهم يحتفى من سامه الدهر خسفه
حمى الله لاجوار جار ابى دوا
بهم فى دجنات النوائب يلتجى
بهم تنجلي الحوباء والخزى والردى
لهم همم تفرى الطباق وترتقى
هم اسرتى ونصرتى وبغزهم
وهم مقبى وفيلقى ومقاولى
وهم كرشى وعيبتى وبحبهم
فيا عاذلى كن عاذرى فى تولهى
اخالك مختل المزاج وكيف لا
فرد سلسيلا واغتنم فرصة من الـ
ولا تغتر بالدهر يوسعك الجدى
فما قر قارون على كنزه ولا ابـ
وغال نديم الفرقدين من اغترا
فقبحا وشقحا للمفتن تعليلـ
وراقب على مدى الزمان الاله واحد
تهاونت بالانفاس وهى نفيسة
فلا تحقرن فى الشر نورا فداحس
وحاذر وان اركبت عزا ممنعا
فكم كان من جرا تهور ناطق
فدا عروة الرحال عارضه البرا
اراد اجازة اللطيمة ذمة
وماخاله بالخفر يجسر ضلة
الم باقذاع فاوغر صدره
ومن يعتصم بلبه لا يخاف من
وكن نابذا من لم يعنك على الهدى
وسر فى محجات الصواب منكبا
فهذا امام لا تكدر بحره الـ
يجود على الابواب من نوره كما

نها الحب والتوفيق والشكر والزهد
وشرعته حبا يضوع به الند
د صب به اشفى على لحدده الوجد
ملابس بهجات تقار لها هند
مجال الكمال الحق ما دونه بعد
بطيب شذاهم التهائم والنجد
فبورك عزا دونه الا بلى الفرد
د لا يستبيح جاره الدهر من يعدو
ضعيف على الغدلان اعوزه الايد
بهم تبلغ المنى ؛ بهم يقتفى الرشيد
الى العرش تحت بطشها الملك والجند
اصول على دهر به تهضم الاسد
وفخرى اذا الناس المفاخر قدعدوا
غنيت ؛ وكثر النطف يقنى له العد
بسر جمال من اشعتهم يبدو
يهيجك نور الحق ما دونه صد
زمان ففوت العمر ليس له رد
هنيئا فان السم يودعه الشهد
من جدعان بل اودى بجفنته الاد
ره الراى لم تلبس له الادرع السرد
به زهرة فان وجد رقرقه فقد
ستفظ بالتقى ؛ والعلم ما فوقه مجد
وفى غفلة عما يراد له العبد
بتنفيه يوم الرهان التظى الوقد
مصارع بغي هزلها فى الورى جد
هلاك امرى ينماع من بطشه الفهد
ض بالفتك دون ان يتم له الوعد
على الشيخ والقيصوم فاغتاله الكيد
عليه ؛ ومن يحقر فلا بد ان يعدو
عليه وقد يستهون الفاتك الجلد
مزلة اقوال يضيق بها القصد
فهم بهرج يبدو اذا سبر النقد
عن الغى لا تحفل وان عدلت دعد
سداء ولم يرغب لرائده قصد
ينود من الاكدار ما ان له حد

ففي كل قطر كان مشرق سعداء و(الخ) لنا في عصرنا اشراق السعد

بقيت لهذا الدين تحمي ذمارة بسطوة شهيم دونه الاسد الورد
واذكي سلام يعبق الكون عاطرا به دائما يفار من نشره الورد
على الحضرة الغراء لازال مجدها تظل الندى والعز افئاته المجد

ثم كتب ابن مسعود تحتها :

تم تبييضها في آخر يوم من ذى الحجة الحرام عام ١٣٢٨ هـ عرفنا الله خير
الدهور؛ ووقانا جميع الآفات والشرور على يد الضعيف محمد بن مسعود الطالبي
كان الله له وليا آمين

اقول : ان القصيدة اذن بيضها قائلها في اليوم التالي ليوم وفاة الشيخ
التي كانت في ٢٨ من ذى الحجة المذكور وفي آخر اليوم نفسه وصله خبر وفاة
الشيخ

وقال فيه ايضا :

سلام كما ازدانت بصوب مرابع بها همعت للعاشقين مدامع
يوم الامام الاوحد المرتضى الذي به روتق الهدى لمحياه راجع
ابا الحسن ابن احمد الاحمدى الرضا ومن نوره في الكون روح وساطع
فلله قطر زانه منك طلعة تضي بها الدجا كما البدر طالع
ولم لا وسر الله فيك وراثة عن الزهر من اهل الفضائل ناصع
يخاطبكم عبد ذليل تقاعست به النفس عن مطلوبه فهو شاسع
يرجى حياة القلب من فيض مالكم من السر والعرفان فالفضل واسع
فمنوا بنفحة تهب ولمحة تسر وتغنى من له العمر ضالع
وعذرا من الحقوق فالعبد عاجز وما لقضاء الله رد ودافع
بقيتم لاهل الدين روحا وملجا وكهفا به نجاة من هو فارع
واذكي سلام طيب وتحية عليكم كما العبيق في الجو ضالع

وله فيه ايضا :

وافت لوصل الهائم الخيران من سفح مربعا الشذى النوراني
فزهدت بمسراها البسيطة وازدهت وترنعت طربا من الاظعان
وتعطرت ارجاؤها بعير ما نشر النسيم بها كتفح البان
وانارت الاحلاك اذ بزغت بها شمسا يفار لنورها القمران
فكانها وبها حياة الكون مو لانا الامام العارف الصمداني

الى آخرها وقد ادعجها الشاعر في النونية الاولى المتقدم ذكرها *

يحل باذن الله ما ابرم الشد متى حلت الاحزان واشتد غلدها
نعم قطرة من سيبه دونها ينسى ابن سعد جوده وابن مامة
والاحنف حيث الفيض في جمره وقد يشابهه في العلم قيس بن عاصم
بها سالك اليباء جد به الجد هي الشمس مامن دونها السحب يهتدى
من الرنق التنقيص؛ يا حبذا الورد هو المورد العذب الذي لا يشوبه
مروع لم يستمه ناب ولاحد هو الجنة التي متى ما اوى لها الهالك
الى غيثها الهطال ينتجع الوفد هو الكعبة التي على كل ضامر
ولكنها كالدرد ضمنه العقد يفوت القريض حصر عليا صفاته
بتعدادها من طيب انفاسه الممد تطيب به اوقاتنا ويمدنا
بتوصيفه والعقل يحجزه الحد ومن نعت من نعت مولاه كيف لي

فيايها الشيخ الذي بشفائه كانك روح الكون بل انت روحه
تراجعت الآمال وانتعش المجد فما نحن هنانا الامام وانما
فمنك له المحيا يراوح او يغدو على ان بقيت في حبور بمتعة
نهى به الاسلام حق له الحمد فهد الاله عن افاضة نعمة
بها بهجة العرفان تم لها العود وتنبع منه كل عين بمشرق
لكم عمرا ينمو به للورى الرغد فما انت الا الفرد تقصر دونه
وغرب بها الوراد يغمرهم ورد لئن سوغوا في المدح قول مبالغ
عبارات من امداحه حولكم تشدو فانت سموت المدح من كل قائل
يسيح له من فوق ممدوحه مد لعمري لئن اطرى يزيد بن مزيد
بليغ فما من جزر تقصيره بد واغرب بل ادبى على كل شاعر
صريع الغواني واللهي رشحها الحمد فجاء بنى حمدان من نفثاته
ابو الطيب الجعفي يقتاده الجد واسدى لكافور ثناء مخلقا
مرصع تاج ليس يصدأ والعقد فانت احق بالقصائد ينتقى
تطيب به في روضة اللسن الملد احق لعمري بالمدايح فوق ما
لها الماس والياقوت والسلوك والنقد لئن كسبوا في مدحهم كل طائل
يخوك ابن اوس حين فصحه الرغد فما انت الا الروح والروح علمها
ففي مدحك الطول الذي ما له حد كسوت جميع العصر حلة همة
كما هي عند من هو الصمد الفرد فكل الاى قد ابصروك تنيلهم
مثممة ارقامها العزم والجهد فكم قرية ماتت فاحييتها بما
مدارك ذوق خالص ما له ند تزلزل فيها الجهل بالعلم والدجا
تفجره فيها مواعظك الممد فتنقاد نحو السعد يقتاد هاجدى
بنور الهدى والشح يكتسه الزهد كذلك يكون الفخر بالرشد عندهم
يديك ، وتوفيق الاله لها يحدو وما عصمة الصوفى الا احتفاظه
يربون يعلوهم من العصمة البند على النفس الغالى فيكنفه السعد

والفقيه الاجل سيدى محمد بن علي السويرى المنشأ : الاكاديرى الاصل
من اصحاب الشيخ قسائد فيه ترجمتها الى ترجمته افعلى مطلع قصيدة (فيها ٣٣ بيتا)

قصيدة حمى ذى الحياء المديد كريم تسامى بغير نديد
ومطلع اخرى (فيها ٢٥ بيتا)

لحمى ذوى الفضل الكرام العنصر ياوى الذى يخشى خطوب الاعصر
ومطلع اخرى (فيها ٢٥ بيتا)

امولاي يا على ناداك ضارع ببابك قد ضاقت عليه المذاهب
ومطلع اخرى نونية قالها فى مجلس حضر فيه الشيخ بالسويرة (فيها ٢٢ بيتا)
احب خير الخلق امته التى توالى لها البشرى وقرت به عينا
ومطلع اخرى

الغنى الجنى بالواحد الاحد الصمد فليس سواء فى المهمات يعتمد
ومطلع اخرى

ايا شيخنا الاعلى ايا ملجا الورى ويا غوث اهل الجود والمجد والفخر

والاديب سيدى الحسن بن محمد الركنى من اصحاب الشيخ حين وفد
عليه اول يوم :

ابو حسن نجم به السارى يهتدى ولكنه فلك النجاة لمقتدى
هوى البر والتوفيق والعلم صدره وقلبه بالانوار والسر مرتد
حماء من الدنيا الدنية زهده ومن كان ذا تقى عن الفانى يزهد
رمتى اليه غربتى فقصدته فيانعم مقصودى ويا حسن مقصودى
وكتب اليه ايضا :

الا بلغ الشيخ المربى بورده حديثى بانى مستديم لعهد
واوصه بالصفح الجميل عن الخطا وذكرى عند ذكره اهل وده

والعلامة سيدى الحاج عبد الحميد الايلانى نزيل مدرسة سيدى يعقوب
وهو من الآخذين عن الشيخ :

الا ابلغ الشيخ الامام ابا الحسن بالغ تحايا من هداه الى السنن
تحايا شكور شكر ترب اذا همى عليها الحيا فافتقر زهر على الفن

نصحت امام الدين نصحا جزاك من يخص ذوى النصيح المعهم بالمن
فانى منظوم بعقد صحابكم لعل تحت الظل اظفر بالجنن

والفقيه سيدى محمد بن المحفوظ السملالى نزيل افران ممن يتسبون
الى الشيخ سيدى سعيد المعدرى : فهو صنو المترجم فى الانتماء الى هذا الشيخ
هذه القطعة فى المترجم : مع هذه الرسالة :

«الاخ فى الله الذى اقامه الله فى هذا العهد شيخ الطريقة والينبوع الجامع
للشريعة والحقيقة والباذل نفسه ونفيسه فى هداية العباد : وفى رفع راية النصيح
والارشاد : سيدى الحاج على الدرقاوى : فالسلام على الاخ فى الله ممن يعرفون
قدر ما انتصبتهم له احتسابا ومقدار ما تلاقونه من الفوغاء كلما طرقتهم بلبل بلبل
فبصبركم وحسن نيتكم وجميل قصدكم نصركم الله فى هذا القطع نصرا موزرا
على الجهلة المبطلين كما هى عادة الله فى نصر المحققين : فاعانكم الله ووفقكم
على ما انتم فيه : فاننا نقر بالعجز فى هذا الميدان ونرفع عقيرتنا بان ليس لنا
فى الجرى فيه والعمل فيه صباح مساء مثلكم يدان : وهاك يا سيدى ابياتا
حضرت لى فى جنابكم اقدمها على حياء الى اعتباركم وان لم اكن اهلا لهذا الشأن
ولا تريض لى فى ميدانه لسان :

انت خير الشيوخ فى الاقران وفريد للنصح فى الازمان
كل يوم تظل فيه فتغدو ثم تسمى تقناد من عميان
فجميع القرى درت منك جدا واجتهادا تهدي بنى البلدان
كم جهول علمته الدين فالتا ح اماما والغير كالبعران
صدقت فيك قولة الشيخ اذ قال ل مقالا قد مر فى الاذان
سوف يغدو للناس فى ضوئه جهرا كما ضاء فيهم القمران
رضى الله عنك يا سيدى فالى شعر ما ان يصوغ منه لسانى
وسلاما من ابن محفوظ يفشاك من الله سابغ الرضوان
والقصود بالشيخ فى البيت الخامس هو سيدى سعيد المعدرى رضى الله عنه
اقول اننى هنا لا اتحيز فاننا نكتب للتاريخ لا للادباء اصحاب الاذواق وخدمهم
فليسوا محوون فى سوقنا لامثال هذه الابيات : وما اكثر امثالها فى الكتاب .
والشريف الركائبى الفقيه العدل محمد الوالى بن البهالى نزيل مراکش ممن
اخذوا عن الشيخ قصيدة فيه مطلعها :

ابدر بكل الافق لاحت شمائله وعم سناء العالمين وثائله
ويوجد ما وقفنا عليه منها فى ترجمة المذكور فيما سيأتى ان شاء الله فى القسم
الرابع

والعلامة سيدى محمد بن عبد الله الالفى مؤسس المدرسة يخاطب المترجم
وقد ورد الى الغ من بعض سياحاته قطعة مطلعها :

سلام كما المسك والعنبر هل من من ادران وصف يرى
وتوجد كلها في غير هذا المكان
وله اليه ايضا يستدعيه :

ابا حسن منى سلام عليكم على رحمة تترى لدار سلام
وبعد فلي دار العبيد جماعة من اخوان صدق طاهرين كرام
وانك سر الجمع فاحضر اذا تشا فاتيائكم والله قصد نظامي
وان نالك الاعياء او عن عارض فانت برى من عتاب ملامي
ولم عليك حيثما كنت دائما سلام يسد امركم وختام
وكتب اليه العلامة سيدى على بن عبد الله صنو المتقدم يستدعيه ايضا:

ابا حسن انهي لحضرتك التي زهت بشذى العرفان ازهى سلام
لشيعة منى الصباة فائحا فيزرى بزهر الروض فوق كمام
وبعد فاعلام المحب بحبه اتى مستدا الى شفيع انام
وعلى لكم فى الحب اوفر منصب ينادى الا زوروا وذاك مرامى
ولما عرنتى وحشة من فراقكم بعثت نيابة كتاب نظامي
اجب دعوة المشتاق لازلت داعيا الى كل ما يفضى لدار سلام
وفى يوم من الايام كان الشيخ استدعى العلامة المذكور بقوله :

ابا حسن زرنا على عجل ومن تحب من الاخوان طرا بلا فرق
اجب دعوة المحب من كان قلبه لاجر شوقكم مدى الدهر فى غرق
فاجابه بقوله :

اجيب بجثمانى وقلبي لديكم رهين فما احل اجتماعا على فرق
فلازلت بحر الجمع والفرق من يخضه به يحظ بنيل الدر منه بلاغرق
وانهى الى علياء قدرك انتى اطير اذا ما كنت فى الغرب من شرق
ومن لى بان ابقى اذا ما دعوتنى وقلبي الى لقياك فى شدة الحرق
وكتب هذا العلامة الى الشيخ ايضا يستدعيه يوم عيد :

ابا حسن تمام مسرة عيدنا باقدامكم فالعيد وجه وديدا
فعيد ولم تحضره مازال ناقصا فعق علينا جبر نقص لعيدنا

سلام على النسيب الحبيب والداعى المجيب والواعظ النجيب والنطاسي
الطيب الصهر الكريم والاخ المنيع الحريم سيدى على بن احمد وبعد فسل
خاطرك عن مراد هذا القرطاس وامثله قبل تكدر خاطر بالاياس ازاح الله
عنا كل باس

فاجابه الشيخ بقوله :

وفيت بما نهوى جزيت جزاء من يرى فى الوصال للاحبة قرته
وليس يجازى مثل هذا اذا ثوى لدى ربه الا بمشواه جنته
واستدعى الشيخ ايضا المذكور مع وفد من العلماء الافرائين بهذا
البيت :

ابا حسن هذا غدا جميعكم لدينا فجيئونا لدى ساعة الضحى
فاجابه :

عليك سلام يا كريم معبر يتوج منك الذكر ما دمت تذكر
فليبك من اخوان صدق تراهم كبستان زهر الورد حيث ينور
الا فانتظرنا حينما يمتع الضحى لان بهذا الجمع من لا يكر
وذيل عليها بعض العلماء ولعله شيخنا سيدى الطاهر وان لم يكن من نفسه
واحسب انه لم يحضر فى هذا الوفد والالكان هو المجيب :

على اننا لانبغى غير نظرة تكون بها الاذيال منا تجرد
فلولاكم حددتم الوقت لانتحى لحضرتكم ياشيخنا من يكر
وللعلامة على بن عبد الله المذكور قطعة فى زاوية الشيخ الالفية يوم اسست
فى شوال عام ١٣٠٢ هـ مطلعها :

بيت اتيج الخير من وجهاته فاتيج ما ينكا الحسود القالى
وقد تقدمت حين ذكر تاسيس الزاوية فى اواسط هذه الترجمة

ولشيخنا سيدى الطاهر بن محمد الافرائى يخاطب الشيخ مهنا بولده سيدى
محمد ما مطلعها :

اتى نبا دال به دولة الانس واضحت به العليا طيبة النفس
وتوجد كلها فى ترجمة سيدى محمد المذكور فى (الفصل الثانى) من هذا
القسم نفسه

وله ايضا ترحيبا بالشيخ ورفيقه سيدى على بن عبد الله : وسيدى بلقاسم
التاجارمونتى وقد وفدوا عليه الى افران :

هنيئا لقلبي والهنا على مثلى يحق وقد جادت موالى بالوصل
راى الدهر ذلى واشتعال صبايتى فرق واولى الفضل منه على بخل
فانشدت قول ابن الحسين واننى لاولى به والشكل يكر بالشكل
(وليس الذى يطلب الويل رائدا كمن جاءه فى داره رائد الويل)

ووقد مرة الوفد الافرائي الى الخ . وفيه العلامة سيدى الطاهر بن محمد والاديب
سيدى البشير الناصري ، فصادف الفقيه سيدى محمد بن الطيب الانزاسي فرحب
بهم الالفين على عاداتهم بالقصائد ، يقول كل اديب من الالفين فيجيبه احد
الافرائيين ، والغالب ان يكون سيدى الطاهر

لقال الشيخ المترجم في الترحيب بالوفد مسائرا وان لم يكن في مسلاخ الادباء

بشير وطاهر ونجل لطيب ثلاثة اقمار بيض طواسع
فضات ونادت ارضا بطلوعهم فابتد نهارها البدور السواطع
وان شئت قلت قارة المسك فتفت فطابت وفاحت النواحي الشواسع

فاجابه سيدى الطاهر بن محمد :

انفج نسيم الروض والروض ناصع ام انشق معروف من الفجر ساطع
ام اتممت هذى الثلاث كانها (ثلاثة اقمار ببيض طواسع)
بل انها من بحر شيخ تلاطمت معارفه او علمه المتتابع
امام الصادق من سنا نور سره قلوب غدت من قبل وهى بلاقع
وعطرت الارحاء من نفح طيبه فطابت وفاحت النواحي الشواسع
هو البدر اشراقا هو البحر نائلا هو السيف تائرا ؛ فهل من ينزع ؟
امام الهدى الشيخ ابن احمد من علا على البدر مقدارا فاقصر طامع
فلالزت العليا تزهر بنوره ويجرى كما يبغى القضا ويطاوع

كان الشيخ المترجم بنى ثوبا (١) زاهى السقف . تلونت فيه الالوان . مما
يعد كالبديع بين القصور اذا قويس بيوت الاضياف التى يعتنى بتبييضها
وتلوين خشب سقوفها عند الثرىاء الخ . فقد وقف سيدى سعيد التناى على
ساج السقوف فى السورة حتى تم تلويته وتزويقه على يدامهر النجارين المزوقين
ثم حمل مفرقا الواحا الواحا على البهائم الى الخ . حيث وضعه صانع ماهر فى
سما الشوى بعد ماسقف مافوقه بجوائز عادية ؛ وقد ذيل مستدار مافى السقف
الى ما تحته من الجدار بذلك الساج على الجهات الاربع ؛ ليستتم البصر بهجته
ثم فرش الشوى وهو فيسج بفرش حضرية من الزرابى المزركشة والمسند
وبعض الحشيات ورائها حائطى رفيع . وفى ربع من ارباع المكان صف من
الساعات الكبرى ذوات القامات نحو ثمانية تدق كلها على راس كل ساعة وهذا
كله غير معروف فى الخ فكان اضياف الشيخ يستأثرون بالجلوس هناك وحدهم
فوجد بعض المبتدئين من شباب الخ مسرحا جديدا لقرائتهم ؛ فقد رايت من ذلك
قطعا لا يستحق ان يعتنى بها ؛ فاخترت ماياتى وقد كان الالفين يسمون ذلك
الشوى (الكايضة) وغيرهم القبة . قال العلامة سيدى الطاهر بن محمد الافرائي .

(١) الشوى كغنى : البيت المعد للاضياف

اياتاج هام الفضل ياملجنا العاني
بنيت لاهل الله دارا ترفعت
تجلت عروسا للعيون فاصبحت
سما كما حل النسيم اذا سرى
فمن ناصع فى ناضر حول احمر
محاسن تعشو العين منها كانما
لقد علقت فيها (مواكين) لم تزل
تذكر وقت الدين فى كل ساعة
مكان رسا بالدين والعلم والتقى
لك الله من بيت رفيع بما حوى
يذكرنا جنات عدن وما اعـ

ومن ذلك ما قاله ايضا بعضهم واخاله ابن مسعود او لاحد الازاغاريين

هذه (كيزة) الضيوف الرشيقة
فوفت بالالوان حتى تراها
تترأى الوانها فى خطوط
تلك بيضاء حشو حمراء تبدو
افقها زهرة وفى ارضها فاعـ
واذا ما نظرت جنببك ابصر
(ماكنات) بطولها قائمات
تذكر الله فى كل وقت اذا دقـ
بهجة فلة تشوق الى الجنـ
كل من زارها يرى نفسه تهـ
رضى الله عن امام البرايا
من ابان الدين الحنيف به فى الـ
خير شيخ قد فاق بالجد فاعجب
كان لله مخلصا فحباء
حيهل ايها الظماء لشيخ
فهو غوث فى العصر هذا وبدر
فاتنه يامريد تجن قطوفا

ومن ذلك قطعة للفقيه سيدى موسى بن الطيب يقول فيها :

الا نزه العينين فى خير ماقبة
ففى سقفا او ارضها وجه روضة
تشوق من يعنو امام الهه
لخير امام حائز خير ما رتبة
ازايرها شتى واكوابها عذبة
لجنته ترضى عبادته ربه

فمن مثل هذا الشيخ جمع حوله من الدين للدنيا ففى بهما نجسه
ومن ذلك قطعة الامام سيدى محمد بن مسعود ، وهى اكثر من هذا ، ولكن
لم استعطر الا ما يالى :

لله سيدنا الشيخ الامام وما ابداه فى الحسن مما يخلب البصرا
بنى بناء لمن لا يبصرون سوى ما يبصرون كان لم يرزقوا الفكر
للعارفين شهود فى مقاصدهم ويستوى عندهم ما سر اوجهر
للجهر والسر اسرار وعندهم فى السر معنى جلى عند من بصرا

ومن ذلك قطعة للاديب الشاب المعتبط سيدى الطاهر بن المدنى الناصرى
وهو اذذاك فى المدرسة الالغية :

الى بيت اهل الجود والفضل والرشد اميلوا عنان المدح والشكر والحمد
فبيت الضيوف عندهم خير مبتنى يعيد به الصباغ سقفا كما يبدى
لرى العين فيه مثل روض تفتحت به الزهر او كالدرد فى وسط العقد
فله مثنوى الشيخ سيدنا اذا يفوح بعرف العود فى الجو والند
عليك سلام ما تقوم على الهدى فتهدى بما اوتيته من سنا الرشد
والخرى له ايضا :

فله بيت شيد للدين والتقوى وذكر لاهل الله فى كل ما شان
يذكرنا جنات عدن وما احتوت عليه ، وما ابداه ملك سليمان
فلازال محفوا بالظاف ربنا فيطرد عن اطرافه كل شيطان

وبعد ما بنى هذا الثوى بسنين بنى العلامة على بن عبد الله ايضا مثله ،
فهناك زخرت قصائد الادباء فى وصفه وصفا شعريا حقيقيا ، لاملثل هذا الذى
لا يرى فيه القارى الا محاولات ضعيفة لاتسمن ولا تغنى من جوع ، ثم ان هذا الثوى
تهدم سريعا بعد الشيخ حوالى عام ١٣٤٠ هـ خر على من فيه ليلة فكادوا يهلكون
وبعد فقد خطب الشيخ من اخرين بقواف يجدها القارى فى تراجمهم
مثل الذى جرى بينه وبين صهره العلامة سيدى محمد بن العربى الادوزى ،
فانه يوجد فى ترجمة والدتى رقية فى (القسم الثانى) من هذا الكتاب ، كما ان
هناك ايضا قصيدة «هز الراية الجعفرية» لابن مسعود فاننا نختصر فى حذفها هنا
لانا ذكرت فى مؤلف مستقل (الترياق المداوى) ومطلعها :

يا صاح اصغ لسيرة الصمدانى قطب الورى الالغى قطب الآن

كما ان هناك ايضا قصيدة اخرى له نونية مطلعها :

صدحت مطولة بائل البان ام نفحة وردت بريح البان

فهى التى تسمى «التحاف اهل الاعتقاد والوداد» بما للطريقة الالغية مسن
اسنى الاسناد» فانها مؤلف على حدة ، شرح كثيرا منها مؤلفها فى مجلد ضخ
وهى التى ذكرنا بعضها قريبا فى اول هذه القوافى
وحين رجس الشيخ من حجه كتب اليه العلامة سيدى الطاهر بن محمد
من تارودانت يهنئه

تأرفت لما شمت برقا حجازيا بدا اذ غدا للجو ثوب الدجازيا
وذكرنى اعلام طيبة فاشتى بقلب لنا والوجد مازال صاليا
وغادر جسما لوبقى الفوز لامتنى مطى الهوى اوصار بالجن ساريا
وساد مع الركب الكرام يقوده زمام الهوى حتى ينال الامانيا (١)
فيقضى لبانات الهوى كيف يشتهى ويحظى بوصل لم يخف منه واشيا
فيافوز من امسى بطيبة نازلا بخير رسول كان للضيف حافيا
يروح ويغدو فى مسارح جنة ويجنى بها ثمر المكارم دانيا
يقلد جيذا عاطلا عقد مفخر ويلبس ثوب العز اسغ ضافيا
ويغسل قلبا سودته ذنوبه ويشرب ماء المجد اغزر صافيا
فيا ليتنى قد نلت لثم ترابها واحداث لى فيه بعيدا لظماريا
وباليتنى اذ فاتنى نلت نظرة بوجه سعيد زار تلك المساعيا
محيا الكريم الفاضل الندب من غدا على هامة النسرين بالجد ساميا
ابى حسن بدر الهداية من دعى الى الفوز فى جمع فلم يك وانيا
ولكنه لى النداء مسارعا وصار على متن الصبابة ساعيا
ووالى السرى حتى اذا ما بدت له اباطح سلع جدد العزم داميا
وعفر فى مثنوى النبى جبينه فاصبح فى ليل الغواية هاديا
هنيئا له نال المنى واحق من يهنا من زار الطيب المداوى
فيا سيدى ابشر بذخر شفاعا واجر كبير لم يزل متواليا
قدمت فضاء الغرب واهتز عرشه سرورا وما ان زال مذغت داجيا
يباهى بك الغرب البلاد ومن تكن اماما له لاريب فى ان يباهيا
وانى ممن كان ودك عقده فباح به دمعى وللفظ لسانيا
وكنت ارجى لثم كفك شاكرا قد ومك لكن حيل دون رجائيا
فارسلتها تمشى اليك وتستضى بنورك ان ضلت تبث التهانيا
واغض وان قصرت فى الحق فالنوى رمانى بهم وقعه غال باليا
وجد بدعاء يعتق النفس من ردى تملكها مازال يملأها عيا
عليك سلام كالنسيم اذا سرى يحدث عن اعلام طيبة راويا
وقال ايضا يخاطبه وقد ذهب لزيارته يستغيث به فى امر عناه
اتيتك حبوا للزيارة عندما غزاصرف هذا الدهر فكرى فاحجما
ولم الف احمى منك فانصر فانه تجمع واستعدى الحياء والجما

(١) الياء فى الزى وفى الرى مشددة فى الاصل وكذلك الامانى المذكورات فى القصيدة

فأوردك فإن المرء ينصر جاره فكلم اطلعت رؤياك للسعد انجما

وكان الشيخ بسعث الى سيدى الطاهر هذا اللغز فى اسمه

فما اسم رباعى الحروف ترى الذى هو الثانى اولا ونسبة اول
ولان وثالث بجمع من آخر ثلاثة ارباع لعشر فحصل
وثانيه خمس ثالث تسع اول وثان وثالث بثلاثيه تنجل
الا فبالغير سر وفشش على الذى ترد اليه المعضلات بمحفل
ولاسيما ان طاهرا او عرابيا تلقيته فانزل وبت خير منزل
جواب سيدى الطاهر

انتنى فحلت من عقال الردى عقلى واحيت ذمء كان اشفى على الويل
ووافيت فؤادا قارب الحتف بعدما عليه امير العى قد كاد يستولى
فصلت على فرط الصباية والجوى تروى غليل الفكر من مائها الجزل
فهشت بها ارض القريجة مثل ما ربت بعد محل شانها الارض بالويل
فحق لها اوفى النصيب بقوله ومن كان احياها له اجرة الكل (١)
فلت بمن اعطى الخلائق خلقها وخصص جنس الانس بالفصل ملقوله
وخصك منهم بالمعارف والحجا وبالهمة القعساء والعز والفضل
لقد كدت اذنا جيتها فرحا بها اطير واستعل على العالم السفلى
ولكنها من بعد ان سر وصلها تكلف سقبانا مقارعة الجزل (٢)
فلت لها ناديت والله ميتا وطالبت صلدا ليس يتل بالبدل
ولما ابت الا الوفاء وليس لي بحكم الهوى الا امتثال الذى تملى
اجبت ولكن الفهاة اخرست لسانى ومالى عن مرادك من ميل
اشرت الى اسم لاسمى وراءه نظيف على شخص له ليس بالاehl
فاوله تسع وثانيه واحد وثالثه خمس بذلك يستجلى
فمجموعها عشر وخمس وعزوها الى المائتين اخرها جاء بالسؤل
فهاكه نظاما وفق ما كنت تبتغى ولكن لما امليته ليس بالمثل
فمعدرة منى الى عفو سيدى اذا كنت قد قابلت علمك بالجهل
وما كنت لولا ما كلفت بحبه من العفو ان استن فى تلکم السبل
ودم سيدى للمشكلات تحلها اذ احاد عن ادراكها كل ما فعل
وجد الضعاف العزم يرجون دعوة بتوفيقهم للمرشد فى الجد والهزل
عليك سلام ما تلذذ عارف بذكر وما اشتاق المحب الى الوصل

والغز له الشيخ ايضا فى اللوز بقوله

وما اسم ثلاثى الى الغز ينسب وثانيه خمس اول وهو يضرب
بخمسة اسداس له اول جلا علا ثالث ثان بسبع تطلبوا

(١) تلميح الى قوله تعالى : ومن احياها فكانما احيا الناس جميعا
(٢) المسقط كفلس : ولد الناقة والبارز : الكبير من الابل

الجواب :

تأملت لغزا اتعب القلب حله وعاناه حتى بان لي انه اللوز
ثم الغز سيدى الطاهر للشيخ فى القلم بقوله :

وما اسم تراه كلما سار يركب ويمشى يجد سيره وهو يلعب
ومفهومه مهما قلبت حروفه يدل على شوق يمر ويعلب
ومهما طرحته ثالثا جاء لفظه بامر كلام نلت ما كنت تطلب
ومهما ضمنت ثالثا للذى تلا فقلب فعنه الميل ما كان يذهب
الجواب من الاستاذ سيدى على بن عبد الله عن الشيخ :

قلم البليغ يبين لغزا منبئا عن غور فهمكم السليم الالف
يمشى ويركب وهو امر مشكل والعطف مفهوم لفظه المستعذب
قل يبق بعد ذهاب حرف ثالث والميل مفهوم غيره المستقلب
والغز ايضا سيدى الطاهر للشيخ فى النخل

خليلى دلانى على شاحد الدهن يبين لفظا فكرتى منه فى رهن
هو اسم اذا نسبت اول لفظه لثانيه كان نصف سدس بلامين
ثلاثة اعشار لسدس يحى ان نسبت لثان ثالثا دمت فى امن
ومقلوبه ان كنت صحت لفظه يدل بحكم النحو فاعلم على شين
وتصحيفه من غير محن يفيد ما صنيعة فى غاية الصون والحسن
الا فابحثا واستنقذا الفكر دمتا ولا زلتما مستهلى كل ما فن

الجواب

تأملت هذا اللغز يا ايها الغل فبان كشمس فى الضحى انه النخل

بعض منظومات نقت بها الشيخ

لم يكن الشيخ ممن تربوا تربية ادبية حين كان يدرس فى مدارس تاذروالت
وتانكرت وادوز ، لانك رايت من حاله اذذاك ، انه لايعنى الا بالعلوم الرئيسية
فى بيئته وما يبقى له من الوقت لايمضيه فى مطالعة كتب الادب التى تكون
الدوق الادبى ، وانما يمضيه فى مطالعة كتب القوم ، او فى مناجاة ربه اثناء
الليل واطراف النهار ولكنه مع ذلك ربما ينفث ببعض ابيات لاينكرها الرباب
الدوق غالبا ، وفى مجموعة صغيرة عندنا كل ما صدر عنه وذلك قليل ، وهالك
الآن بعض ما اخترته من ذلك مما لايمض فيه اديب :

سعد الفقير وساعدت اوقاته ما دام من اذكاره اقواله
بالله يفرح كل قلب ما له غير الاله اذا سمت نظراته
ان المرید مراده فى ربه فبه تتم لقلبه شهواته
من لا يرى فى الكون اجمع ربه بوجوده فهل انجلت مرآته ؟

ومن ذلك في موضوع مخالفة النفس وهواها :

بعد سيوف الذكر فاطلع رقابها ولازم بخلف ما اشتتهه عقابها
فان عقاب النفس مهر عرائس الد - معارف ان انجزت تجل نقابها
فتجنى ثمار الحسن من نور وجهها وتجنى على الوصل الشهى رخابها
عليك بشرب الكاس من راحة لها فلم يحى الا من يذوق شرابها

ومن ذلك ايضا يخاطب من اسمه موسى وربما كان الفقيه سيدي موسى الكريشي :

اموسى اجمعن في الله همتك العليا واعرض عن الدنيا ومن كان في الدنيا
تفرغ بقلب لن يزال مولها بذكر كثير كي تكون به حيا
وان حياة القلب بالذكر وحده وهل بسوى ماء نبات الثرى يحيا؟

ومن ذلك ما قاله يخاطب به من اسمه مبارك ، ولعله سيدي مبارك الميلى الشهر :

ادخل مبارك حضرة الرحمان بعزيمة المستوفز الربانى
والس السوى حتى يكون مشعشا منك الفؤاد بساطع نورانى
فالسر كل السر في ان تقتدى في حضرة قد كنت فيها فانى
ان العبودية التى يابى الهوى في النفس منها اس من هو بان
فعبيد ربك كن ولازم منهجا قد مهدته شريعة الرحمان

ومن ذلك مانسبه اليه العلامة سيدي محمد بن مسعود المعلى :

ولى مذهب في العشق منفردا به فلست ملونا بوجد ولا فقد
قد امتزجت روحى بروح اجبتى فلا وصل في قرب ولا فصل في بعد
فمن شاء فليصل ومن شاء فليصل فعلى لم تحل عن الود والعهد

ومن ذلك ما اجاب به ابيانا ارسلها اليه شيخه سيدي محمد بن العربي الادوزي
حين زف اليه بنته التى هى والدتى ، رحم الله الجميع :

جزاك اله العرش خير جزائه ايا شيخنا اوليت فوق المنى جزما
زففت لنا البنتين بنتا لفكركم وبنتا لصلبكم فلى نعمة عظمى
جمعت لنا اختين والعقد واحد وما كان ذاك في قضيتنا اثما

كان الشيخ قال في الشطر الاول من البيت الاخير هكذا : زففت لنا البنتين
في عقد واحد ، باضافة عقد الى واحد من اضافة الموصوف الى الصفة ، كما ورد في
الحديث : الكعبة اليمانية باضافة الكعبة الى اليمانية ، على ما في بعض الروايات
ثم ان الاستاذ سيدي محمدا الرفاكي اصلح الشطر بما رأيته

ومن ذلك يخاطب جماعة من ارباب القلوب :

لله دركم يامن لهم دول فنظم جوهركم يسرى به المثل
انتم فؤادى وما مولى وملتجئى ومن بهم نحو ربي الدهر مرتحل
وبابكم هو باب الله من غلقت ابوابكم دونه ما ان له حيل
ومعشرى كل اهل الله قاطبة والله قصدى ومالى في السوى امل
ويكفى هذا القدر

غيرته الدينية أمام الاحتلال

لا يزال الى الآن يطن في اذان من كانوا يعيشون في سوس سنوات ١٣٢٥ هـ
١٣٢٨ هـ ، من تلك الصرخات الصاخة ، التى كان الشيخ يرسلها في المجمع
وفي الاسواق وفي المواسم ، وفي كل مجلس ، حين يستنهض الناس للقائمة
المحتلين الذين نزلوا اذذاك في الدار البيضاء ، فكادوا يغمرون بدسائسهم وبجملهم
وبمكايدهم على ايدي العيون السريين كل نواحي المغرب من ادنا الى اقصى وهذه الغيرة
الهائجة الشائرة كانت معروفة عن الشيخ يائرها عنه اصحابه قبل هذا الحين
وكثيرا ما كان يغارها من سنة ١٣١١ هـ عام موت الملك مولاي الحسن ، فسى
مجالسه الخاصة اذذاك ، بل كانت له في رحلته الحجازية جذوة متاجعة في هذا
الموضوع فاسمع لما يقوله في هذه الرحلة يوم يفارق تونس وذلك سنة ١٣٠٥ هـ
اثر ما قص كيف احتلت تونس بعد الجزائر :

وقد جرى في آخر الايام هناك مع فذ من الاعلام
ان كنت من بعد صلاة العصر في جامع الزيتون عند الحبر
اعنى به ذاك الذى سطرته وبرقيق القلب قد ذكرته
مستندا الى عمود الشاذلى وهو مكانه لدى الاصال
ذاكرنى في العقد للمحبة لله كالعادة في الاحبة
فقال بلفن الى الرسول متى حظيت منه بالشول
فقال قولا الهب القلوبا حتى تكاد منه ان تدوبا
وحرك الاشباح والارواحا وحرك الجبال والبطاحا
قال اذا وصلت قبره الشريف وكنت اثناء مقامه المنيف
وفازت النفس هناك بالمنى واكتحلت عينك منه بالسنا
فقل له يا ايها الرسول غر بنى ملكك الدهول
وانها لامة مستضعفة احتوشتها امم مستضعفة
حتى غدت كاللحم فوق وضم من يفتح الشدق اليها يلهم
دموا وراء كل ما خلفنا وضيعوا في الدين ما اسلفنا
ونبلوا الدين سوى اطلال تبدو لما اسست كالظلال
والبلوا كلهم للشهوات كانوا قد خلقوا من شهوات

فباسمهم بينهم شديد
بينهم في غلبة ووسن
اذ دهمت بين الديار الجبل
قد زعزعت بلادهم كفار
فاستحوذوا على بلاد امتك
حتى غدا كل بني الايمان
ودينهم ممتن عيانا
قد مزقوا وشتموا واحتقروا
فهامهم في صقعهم لاحولا
وما لهم وجه به يستشفعون
سواك يا خير البرايا عنده
فليس للمستضعفين غير
فانت باب للدعا فيستجاب
بلغ ال نبينا هذا الكلام
يقول ذاك والدموع في العيون
والصوت بالنحيب عال وانا
حتى عراني الجذب في الحين كما
لم جرى ما بيننا صموت
فلم يكن مني ولا منه كلام
اذ قرب المغرب فافترقنا
من ليس ذا حزن لضعف الدين
وكيف يرضى مومن ان يحكما
امر بني الايمان وال اجرما

وقد كان الشيخ لما التقت حلقتا البطان على المغرب ، لا يدع مجتمعا الا نادى فيه بالبراح (١) : ان الزمان قد استدار . وان الكفر قد وغل عليكم وسيحتل عقر الدار ، وهو في اثناء ذلك يشتري السلاح ، فقد عندما تركه بعد موته بست عشر بندقية رومية زيادة على البنادق الاهلية ، وهذا القدر من اسرة واحدة كثير فوق جهد الطاقة ، وقد كان معلوما ان مثله كان يعاب عليه ان يلتفت الى التسليح لانه صاحب زاوية وقدر ايت من اهله المرابطين مارايت من انهم لا يكادون يتسلحون وان تسلحوا يكاد السلاح لا يجدى في ايديهم بين جيرانهم المفاوير كالمجايطيين والحربيليين ، ولسان حالهم ينشد :

على م تقول الرمح يثقل عاتقى اذا انا لم اطعن اذا الخيل كرت
هذا في ذلك المقام بين الاهالي ، واما في الاستعداد للدفاع عن الوطن فان ذلك مقام آخر ، ويرحم الله من أظهر من ضعفه قوة وانما الاعمال بالنيات .
ثم ان الشيخ كان يحمل معه في السياحات بندقية بين يديه وهو راكب

فهكذا ورد الى موسم تازار والت حيث امر بالنداء فوق المراكح (١) : ان يتهيا الناس وان يستعدوا للجهاد ، فان الكفار قد دهموا البلاد . وكذلك كان يوما آخر في سوق الخميس بايت بمران وقد اجتمع كل رؤساء القبيلة فاستحثهم على ترك المخاصمات بينهم ، وان الوقت قد حان ليتكفل الناس كلهم امام العدو ويجب على جميع الرؤساء ان يامروا المرابطين والعلماء والطلبة ان يتكفوا في السلاح . فهم اولى من يقود الناس الى الشهادة في سبيل الله فينبأ يقول ذلك ، اذا الاشكر - الرئيس هناك - يتخذ كلامه سخرية اذ قال له : «لن نقوم بهذا الذي تقول حتى يموت جميع اصحابك هؤلاء امانا ويستشهدوا واذ ذاك نقوم بعدكم بدورنا» فالتفت اليه الشيخ محمر العينين وقال : «او قد استتكت ان تسمع الحق وابيت ان تنقاد للنصيحة ، فما انتذا تاني ان تدافع الكفار بعيدا ويوشك ان يدهموا عليك دارك حتى يخربوها» ثم اعرض عنه الشيخ كما دته متى خاطبه الجهال ، فسبق القضاء ان خربت داره بعد نحو ست سنين بيد الجيش الفرنسي الذي هاجم تلك الجهة سنة ١٣٣٥ هـ فكان عبرة لمن اعتبر ، ولا يزال الحاضرون الذين هم احياء الآن يروونها من فراسات الشيخ

وكذلك ذهب الشيخ عام ١٣٢٨ هـ الى جيوش تجمعت في هشتوكة للقتال بينها ، فنادى في رؤسائها : يكفيكم من هذه الفتن يكفيكم ، فقد توجه اليكم من الاعداء - ان لم تدافعوه - من لا يكتفى منكم بمال ولا بارض ولا بدين حتى يستعبدكم انتم وابناءكم ، في كلام طويل مثل هذا يتداوله الناس حتى تذكروا بعد الاحتلال النذراتي يسمعونها من الشيخ ثم لا يابتهون بها فلم يعرفوا حتى خرجت البصرة

وكذلك وقع للشيخ ايضا مع رؤساء اهل المعدر فبعد صلاة الجمعة في مسجد القرية ، خرج الناس الى خارج المسجد ، فوقف الشيخ يحثهم على جميع الكلمة وعلى تعيين حراسة على فرضة اكلوا ، فقال له قائل ان العدو لا يزال بعيدا عنا فهو في الدار البيضاء ، ولا يصلنا الا بعد عشرين سنة ان لم يحل بيننا وبينه الدكاليون والحوزيون والحاحيون ، فحرك الشيخ راسه فقال : يا عجب ان المسلمين كالجسد الواحد وهذا الامر يجب ان يكون فيه الناس كلهم يدا واحدة فمتى تركنا الدكاليين والحوزيين والحاحيين فلا بد ان يقبلوا ان لم يعنهم السوسيون وامثال السوسيين ، على انك يا هذا - يخاطب ذلك القائل - تستبعد ان يصل العدو هنا ان لم يقاوم بالجد ثم تنفس الشيخ الصعداء واغرورقت عيناه بالدموع فقال : واسفا ايها الناس فوالله ان لم يقم الناس في هذا الامر قومة واحدة لترون الكفار هنا ، هنا ، هنا واشار الى ذلك المكان ثم غلب الحذل على الشيخ

(١) محل يجتمع فيه الناس كلهم بعد الموسم للدعاء . جوار مشهد الشيخ سيدي احمد بن موسى

(١) البراح كشداد : المنادي في الاسواق عادة

فعلية الاستعداد فالتل عن القوم ، قال الحاكي : لم لم يمتض الا سنوات قليلة
فاذا بي شاهدت المراقب الفرنسي في تزيت واقفا في ذلك المكان بعينه فظهر
مصدق قول الشيخ ، ولكن بعد ان ازهقت ارواح

وكذلك كان الشيخ يلم باكادير ، ويوصي تلميذه الحاج الحسن
الكلولي رئيس اكادير ان يتعهد المدافع الموجهة الى البحر فعل ذلك مرارا

هذا وقد اشترى الشيخ فرسا اذذاك فصار يركب عليها ، ويبيده البندقية
وذلك كله لاستنهاض الهمم ، ولكن اين الهمم ؟ واين العزائم ؟ واين من يعرف
ماهو الاستعمار اذا ألقى على امة كلاكه ؟ وقد قال الشيخ مرة لبعض مجالسيه :
ان قلبي ليمزق على هذا القطر ، فاني اخاف ان يلتحق بالجزائر وتونس ، فقد
اجلت بصيرتي في هؤلاء الناس ، فلم ار من يمكن ان يقاوم لامن الحكومة ولا من
الناس فلامال ولا رجال ولايمان وانما انا وحدي الذي افلض الله على هذا
العيشان ولكن ، ولكن ، ولكن واشار الى قرب انتقاله عن هذا العالم - كما
قال الحاكي -

حضرت يوما في نزهة من اخلاط الناس في عرصة البياز في باب دكالة
وكانت محلا للنزه ومجتمع الاصدقاء فيظلون هناك تحت الاشجار المختلفة وبين
الحقول المخضرة وبين الجداول المتدفقة الى العشى ، فجرى ذكريام الاحتلال
الاول وصار الحاضرون يغوصون في عدم الدفاع ، فقال قائل : ان الناس كانوا
معدورين ، لان غالبهم ماكان يدري ماهو الاحتلال ، ولا كيف يعرك عركاته متى
امتد الى شعب من الشعوب على ان علماءنا ورؤساءنا وحكومتنا هم المسؤولون
حقا ، لانهم لم يستنهضوا الامة ، ولاادوا الحق الواجب عليهم في هذا الموضوع
فالتفت اليه انسان من غمار الناس ساقته الاقدار الى مراکش فصاحبه بعض اهل
الحومة الى النزهة ، فقال : اننا في تلك الجهة من حاجة الى سوس لم نؤخذ على
غرة ، فقد كان الشيخ سيدي الحاج على الالفي ينادي فينا صباح مساء انذارا
واستنهاضا لتدافع عن البلاد ، فانه ماكان يترك من الجهات التي يسبح اليها
مجتمعا ولاسوقا ولا موسما الا نادى فيه بالتهيب التام من جميع الناس للجهاد
فلايعدر فقيها ولامرابطا ولا اى انسان قادرا ، ثم قال وقد شهدت الشيخ يوما
عند قائدنا في تامانار وقد اجتمع كل كبار الحاحيين وعلمائهم في حضرة القائد
فقام في الناس موقفا لاينساه له الناس ، فلم يزل يلهب القلوب بمواعظه
ويستنهض الناس بانذاراته ، ويبين للحاضرين ماينتظرهم من العدو متى
استولى على البلاد من حيف وجور ومكر وانتهاك الحرم ، واذلال الاعزة وبسب
الاخلاق الفاسدة ، ثم التفت الى القائد فقال له : ان جل هذا الواجب يقع على
عنقك انت وعلى اعناق امثالك ، فقال له القائد : اننا يا سيدنا - معشر القواد -
نتبع ما ترسمه لنا الحكومة وملكنا المعظم ، فلايمكن لنا ان نخرج عن خطتها

وملكنا اليوم يميل الى مسألة العدو ، حتى انه ليرسل اليانا ان نحافظ على
النصارى اكثر مما نحافظ على المسلمين ، وان نراعى خواطر الذين احتموا بالدول
اكثر مما نراعى من يتسلطون عليهم بدعوا زائفة ، فما عسى ان نعمله نحن ؟
والافهاك يا شيخنا يدى على ان اكون اول من يموت في سبيل الله متى كان
الجهاد قائما قال الحاكي : فاعرض الشيخ عماجلذبه فيه القائد ، فقال : اما
انا وكل من يتبعني من الفقراء فقد هيانا انفسنا للموت في سبيل الله ، لو فاج
لنا الميدان ، وساعف السلطان فان امثالكنا ليس لهم في مخالفة السلطان ايضا
مصلحة ، ثم بعد ان اتم الحاكي حكايته ، قال : اننى اوقن ان الشيخ لو لم يمت
له ان يحضر في ميدان الجهاد لمات هو وكل الآلاف الذين معه شهداء ، فقال قائل
للحاكي : اتعرف احدا من ابناؤك هذا ؟ فقال لا ، فقال هذا احدهم وقدمني
اليه فلم اكن اعرفه قبل ، ولاعرفني فاحفى في السلام ، وترحم كثيرا على الشيخ
وكانت هذه الجلسة حوالى ١٣٤٠ هـ حين كنت لا ازال تلميذا مغمورا في
الجامع اليوسفى .

ارايتم كيف يتحدث الحاحيون عن الشيخ حول هذا الموضوع ؟ فكيف اذن
يتحدث عنه السوسيون فيه ، وهم الذين كان يماسيهم بذلك ويصاحبهم نحو
ثلاث سنين ؟ فقد كان مايقوله اذذاك حديث المجالس حتى ان الذين لايتقون
الا ولا ذمة في اهل الخيراتخذوا ما يقوله الشيخ سخرية وهزا ، فمنهم من يقول
انما يريد بذلك الذى يعلنه ان يقتدى به كل الناس ، فيجدد له مكانة اخرى
اعظم من مكانته التي كانت له ، حتى ان الشيخ اقبل يوما في الطريق عند قرية
عين ابراهيم بن صالح من ارباض تزنت ، فلاحقته جماعة كثيرة وهم متنبون
على شىء ، فقال منهم قائل : هذا الشيخ قد اقبل وهو الذى ينادى بالجهاد فهل
تقدرون ان لاتقوموا له اذامركم ، لتروه باعراضكم انكم لاتبالون به ولا بما يقوله
فتعاهدوا كلهم على ذلك ، ولكن ماكاد الشيخ يقبل عليهم حتى بادروا جميعهم
الى مقابلته والسلام عليه بكل اجلال واحترام ، قال من حكى ذلك وهو من تلك
الجماعة لما رايتم ذلك ثبت الى الله ، فعرفت ان الشيخ مؤيد من عند الله .

كان الشيخ عام ١٣٢٧ هـ في السويرة وقد احدثت فيها اذذاك محطة البرق
باذن من السلطان مولاي حفيظ ، فذهب الى المحطة فاكثر السؤال والبحث حتى
ادرك الذى يؤديه التلغراف ، فلما رجع صار يحكى لمثل الفقيه سيدى على بن
عبد الله ماراى وقد قال لغيره : ان المسلمين اخاف ان لايجدوا شيئا في المقاومة
لان عند العدو من السلاح ومن الات الهجوم والدفاع والمعادنات ما ليس عند
المسلمين ، ولكننا مع كل هذا لانياس ، «كم فئة قليلة غلبت فئة كثيرة باذن الله
والله مع الصابرين»

وكانت عادة الشيخ انه كلما جال في مجالاته الخاصة والعامة حول هذه
المقاومة لايمالك نفسه ، على خلاف مايعهد منه اصحابه من التجلد ومغالبة حاله

عند ما يهول في كل شيء مؤثر ، ولكنه في هذا الموضوع يغلب على حاله ، لعمق الفكرة في نفسه بغمرة الايمان ، فلا يحبس ان تجيش دموعه رغما عن تجلده المروف .

حكى لي من لاثمه ان الشيخ زار مرة مشهد الشيخ سيدي عبد الرحمان من مقبرة تزيت مع اصحابه ، ثم تخلف عنهم ، قال الحاكي : فوقفت ازاء باب الفريخ فاذا بي اسمع نسيج بكاء الشيخ ، فتحينته حتى خرج بعد حين ، فسلمت عليه ثانياً وكان ممن لا يستحي كثير من الشيخ - قال : فسألت عن سبب بكائه الكثير فقال : هجم على ان رايت تزيت هذه مفعومة بالنصارى يقبلون ويدبرون كما شاءوا فامتعضت لهذا الهوان ، فلم املك نفسي حتى كان ما كان ثم تنهد تنهدا طويلا ، فقال : «وا اسفاه على هذه الامة التي استولى عليها ما استولى ، حتى لا مطلع فيها الطامع متى جد الجد ، وحان الجهاد» فقلت له : «ان الله سيدفع بكم عنها» فقال : اجل بصرك ، وامعن بعقلك فهل تحس من يشعر بواجبه في هذا الوقت ؟ قال : ثم والى الشيخ تنهدات وآهات ثم قطع كلامه وكان لسان حاله يشد :

ان دام هذا ولم تحدث له غير لم يبك ميت ولم يفرح بمولود

قال قائل يوما للشيخ : لماذا لا تقوم فتقود انت بنفسك الناس الى الجهاد قال لا ارى الا ان الناس كلهم يتبعونك ؟ فقال له : ان تصدر امثالي في ذلك الما يجر الى ميادين اخرى غير محمودة ، فان الجهاد خطة عظمى لا يتصدرها الا الامام الاعظم ، وامامنا اليوم هو مولاي حفيظ ، فانه لم يعد بقيامه على اخيه مولاي عبدالعزيز بالجهاد ، ان دخل فاسا فسكن هناك ، فوقع فيما وقع فيه اخوه بل صار يامر الناس بالهدوء ، فهذا الشيخ ما العينين قد امره ان يترك هو واصحابه الجهاد في الصحراء ، وكذلك يقع لكل من يتصدر لذلك ومتى خرق سياج ما امر به السلطان تاتي وراء ذلك فتن اعظم واعظم ونحن الآن ان اردنا ان نذهب الى الشاوية لتكون هناك مع المجاهدين فاننا لابد ان نذهب نحن والفقراء وهم الاف ، فاين الزاد واين النظام المطلوب ، وهذا الامر لا يستقيم الا بالسلطان وكل من تصدر له دونه - خصوصا ان كان ذا شهرة - فانه لابد ان يظن منه انه يخالف السلطان ، ومخالفة السلطان لا تؤدي الى خير كيفما كانت

هكذا يرى القاري الشيخ جائشا متلظيا متشوقا الى ان يكون في صفوف المقاومة الا انه تترأى له من بعيد موانع عظيمة ، هذا مع ما يغلب عليه احيانا فيفلت منه - على جهة الالمية والفراسة - من ان الاحتلال واقع ولا بد لعدم المقاومة المجدية ولقوة العدو وضعف المغاربة ولكون الناس لم يدركوا بعد كيفية الاحتلال ولا مسلكه في الناس ، وقد جمعت من اقوال الشيخ في هذه الناحية كثيرا وادعتها في جزء من اجزاء «من افواه الرجال»

كان اصحاب الشيخ المنخرطون في طريقته ممتدين الى درعة فتايلالت

فما وراء فتايلالت الى قبائل ذوي منيع ، فكان بعض ذوي منيع يكاتبون الشيخ ويسالونه في المقاومة في الحدود التي كانت بينهم وبين الجزائر ، سوبائل ذوي منيع اذذاك لا تزال مغربية لم تلتهمها الجزائر بعد - فكان الشيخ يجيبهم بالتحريض على الجهاد ، وهاك رسالة من الرسائل التي يكتبها اليهم :

«وبعد فقد وصلت الرسائل واطلعتنا على جميع ما فيها من المسائل وهما من نجيبها بكل صامت وناطق سائل ، وقد اخبرتم واشتكيتم بجرأة عدو الله ورسوله على بلادكم وحریمكم واموالكم وايمانكم ، ونعمة الايمان والاسلام اكبر النعم فلا حول ولا قوة الا بالله العلي العظيم ، فتعلموا ان باب الجنة قد فتح لكم في بلادكم وهو الجهاد والهجرة الى الله ورسوله ، فادخلوا في باب الجنة بان تسلموا اموالكم وانفسكم لله في سبيله ، فقد قال الله تبارك وتعالى : (ان الله اشترى من المؤمنين انفسهم واموالهم بان لهم الجنة) وقال صلى الله عليه وسلم : «الجنة تحت ظلال السيوف» وقال : كلکم تدخلون الجنة الا من ابى انصروا دين الله تعالى» (ان تنصروا الله ينصركم ويثبت اقدامكم) وقد استندتم الى اخوانكم المسلمين في هذه الجهة تنجازون اليهم ، وتشنون الغارات والاغزبة على عدو الله ورسوله الى ان يطلب منكم الهناء وقد اخبرنا بان ذوي منيع يغيرون بالاغزبة على وادي نون مسيرة شهر في اخوانهم المسلمين ويتركون التصاري وراهم في بلادهم ، فلا حول ولا قوة الا بالله العلي العظيم ، ولا تقولوا تقوى علينا بجيوشه (فكم من فئة قليلة غلبت فئة كثيرة باذن الله والله مع الصابرين) وقولوا : «ربنا افرغ علينا صبرا وثبت اقدامنا وانصرنا على القوم الكافرين» هل تحبون وتظنون في الله غير نصركم ؟ (وما النصر الا من عند الله) (ولله العزة ولرسوله وللمؤمنين) والدنيا منفعتها الايمان والاسلام ، من لم يقص في سوقها تجارة الايمان والاسلام لم تنفعه حياته ، فالاولى له ان لا يكون ، واي حياة واي ايمان واي اسلام كان عند من اذل نفسه لعدو الله ورسوله لئلا يخرج من داره واهله فلا حول ولا قوة الا بالله العلي العظيم ، وقد قال الله عز وجل : (قل ان كان اباؤكم وابناؤكم واخوانكم وازواجكم وعشيرتكم واموال اقترقتموها وتجارة تخشون كسادها ومساكن ترضونها احب اليكم من الله ورسوله وجهاد في سبيله فتربصوا حتى ياتي الله بامر ، والله لا يهدي القوم الفاسقين ، لقد نصركم الله في مواطن كثيرة) ، (ولقد نصركم الله ببدر وانتم اذلة فاتقوا الله لعلكم تشكرون) وهذا الزمان بمثابة زمان رسول الله صلى الله عليه وسلم في وجوب الجهاد بل اكثر واكثر واكثر ، لان جهاد زماننا هذا لدفع الكفر وحفظ الايمان الذي هو موجود من غير زيادة ، واما جهاد السلف فلزيادة الايمان وحفظ الشيء الذي هو موجود من الايمان اوجب من طلب زيادته ، تفكروا وتذكروا واعتبروا وانظروا بعقولكم ، اي صلاة واي صيام واي حج واي زكاة لمن راي عدو الله ورسوله اجترأ على الاسلام لم لا يجاهد فيه بامواله ونفسه ، وقد قال تعالى

(وجاهدوا باموالكم وانفسكم في سبيل الله) ولم يكن شيء يوجب الله عز وجل اكثر من الجهاد ، لان السيف هو الذي قام به الدين ، وقد كان المسلمون يشتبهون الجهاد في قديم الزمان ، فهاهو اليوم في بلادهم وناموا ، ويطلبون المهادنة معه في بلادهم فلا حول ولا قوة الا بالله العلي العظيم ، جاء الى بلادهم فصاروا يخافون منه ولو قمتم بالحق الذي وجب عليكم في الشرع من الغارات عليه والاغزيصة وتنازول الى اخوانكم المسلمين لرددتموه وتجدون من المسلمين الذين استولوا عليهم بالظلم والعدوان المعاونة والنصرة ، فيفقدونه وتتبعونه شيئا فشيئا وما هو الا ابن ادم مثلكم ، يضره ما يضركم كما قال الله عز وجل (ولا تنهوا في ابتغاء القوم ان تكونوا تالمون فانهم يالمون كما تالمون وترجون من الله ما لا يرجون وكان الله عليما حكيما) وان قربتم من مكانه فابعدوا منه بقدر منع انفسكم منه (ومن يهاجر في سبيل الله يجد في الارض مراغما كثيرا وسعة) (وفضل الله المجاهدين على القاعدین اجرا عظيما) ولا تقولوا ان تركنا نتركه ، فلا يجوز لكم ذلك في الشرع لانه ان وصلكم فلاعذر لكم فانه جلس عليكم وعلى بلدكم ، ان لم تدفعوه فلا بد ان يدخلكم بالحيلة او بالقهر ولا تقولوا هانحن معه في الهدنة فلو انكم قمتم في هذه السنين التي كان ثم لكسرتهم بهول الله وقوته ولا تقولوا نحن قليلون ، بل انتم كثيرون عنده فقد خاف منكم غاية ، ولكن اظهرتم له الذل ما كنتم تعاملونه في الاسباب ، وتطلبون هدنته وها بلاد المسلمين تكفيكم في الاسباب والسكنى ، وهو لم يحط بكم انما هو لكم في جهة واحدة وجهة المسلمين تخرجون اليها بالاسباب وبالهجرة . ولا تجوز لكم المهادنة معه ، بل وجب عليكم ان تسمروا عن ساق الجد . واجمعوا رأيكم في اهل الخير . وتجاهدون في سبيل الله ، فهنيئا لكم فقد فزتم بخير الدنيا والاخرة ، واشركونا في اجركم والله لقد اشتهدنا الحضور معكم ولا حرمنا الله من ذلك الاجر بجاء النبي واهله والبخاري ورجاله ، وهذه الساعة الخير كله في الجهاد لا غير ، وان احتجتم اليها في شيء فاكتبوا مع الحامل ، ويرحم الله الذي صار الى رحمته سيدي الحاج الحسن الذي عرفتموه وحامل الكتاب الذي هو خليفتي في كل شيء استمعوا منه واتبعوه والسلام»

ثم ان الشيخ الذي خاثرته هذه الفكرة فاستولت عليه يقظة ومناما ، بينما هو في قرية (اورير) ازاء اكادير بزاوية اصحابه هناك ، في عام ١٣٢٧ هـ اذ رأى مناما حكاها لي الشيخ سيدي ابراهيم بن صالح ، فاهالي اذني ، فقد قال : «ان الشيخ اخبرني مشافهة انه رأى النبي صلى الله عليه وسلم ليلة في اورير فقال له : انني اراك كثيرا لاهتمام بامر النصارى ، فاجبته : نعم ياسيدي ، فقال «ان هذا الذي وقعت فيه من الهم والغم والقلق وقعت في مثله يوم الخندق ، فرجعت الى الله بالكلية فصرت اقول : حسبنا الله ونعم الوكيل ، فتوكلت عليه وفوضت امرى اليه ، فاذا بنصر الله جاء بفضل الله ففك الله عنا الاحزاب ، فانهزموا بلا حرب

ومر كذلك انت اصحابك الآن بان يزيدوا في ودهم مائة من حسبنا الله ونعم الوكيل ، فانهم سيجدون بركة ذلك في حفظ قلوبهم ، كما سيجد المغرب كله بركة ذلك فيجعل الله في امر النصارى فرجا ومخرجا بخرق العادة» بسبب هذه الرؤيا صار اصحاب الشيخ يذكرون ذلك في ودهم ، وهاله من رسالة للشيخ في ذلك ، ونص المقصود منها :

«نوصيكم بالتواضع والصبر وترك التدبير والاختيار لله تعالى فهو المدبر في ملكه وفي ملكوته في المسلمين وفي اليهود وفي النصارى ، فالامر لله الواحد القهار ، واخدموا (حسبنا الله ونعم الوكيل) مائة في الصباح ومائة في العشي فقد امرنا به لجميع الاحباب ان يخدموه على تعدي النصارى وظلمهم (فيستكفيهم الله وهو السميع العليم) ولا يمكن ان يخدم على امر فيبقى على حاله ، بل لابد ان يكشفه الله حتى امر النصارى ان خدعتموه فلا بد ان يزولوا ان شاء الله ، حتى ان قدرتكم ان تبرحوا به في اسواقكم ان يخدمه الناس جميعا كبيرا وصغيرا ذكورا واناثا في الجوامع وغيرها اديار الصلاة وغيرها ، فذلك افضل واكمل وليس الدواء الا في الاضطرار اليه لان قوة الله هي الغالبة لقوتهم بلا شك ولا خلاف فمتى رجع الناس اليه حقا فلا بد ان يرد كيدهم في نحورهم (وهو القاهر فوق عباده) ماشاء الله كان وما لم يشأ لم يكن»

ومن رسالة اخرى :

«..... متى اراد الله ان يرد النصارى عن المسلمين فلا يصعب عليه ، اما بسر ظاهر على يدولي (١) من اوليائه واما بسر باطن من غير واسطة اصلا ، وهو على كل شيء قدير وهو القاهر فوق عباده ، ولا ملجأ ولا مهرب من الله الا اليه فقد ظهر تعدي النصارى ولم يبق الا قوله تعالى : «حسبنا الله ونعم الوكيل» فهو السيف القاطع ، فاخدموه اينما كنتم على نية رد الله كيدهم في نحورهم ، تصديقا لقول الله «ورد الله الذين كفروا بغيظهم لم ينالوا خيرا وكفى المؤمنين القتال وكان الله قويا عزيزا» (وما ذلك على الله بعزيز) وقد امرنا في العام الاول في ثالث عاشوراء بخدمته في الصباح والمساء مائة لكل وقت لجميع الفقراء يزيدونه في الورد، على نية هزيمة النصارى من بلاد المسلمين ان شاء الله» الخ

اقول : ان الشيخ مع اخذه بالاسباب التي رايتها من الاستنهاض ودتنبية الناس لما يهددهم ، صار يبيت في اصحابه - كما رايت - ما يستنهض ايضا القوة المعنوية في كل اتباعه الذين تشبعوا بروحه ، فان الجهاد المنظم المجدي لا يفيد مادام ملك العصر فاترا اذاءه فصار يقوم بما في طوقه فيملأ به مجالسه وقد تواتر عنه انه يقول اخيرا بعدما رأى أن المقاومة المجدية اعرض الناس عنها «ان

(١) الله اكبر ، اننا من رعايا ملكنا الهام محمد بن يوسف هذا الولي الذي على يده خرج النصارى فاستقلت البلاد .

النهارى سيدخلون بخرق العادة وسيخرجون بخرق العادة» فاما دخولهم بخرق العادة حين لم يقاومهم الناس مقاومة فعالة ، فقد رايناها وليت شعري متى تكون الثانية (١) فرحمه الله فقد قام بما فى طاقته .

بعض دعواته وأذكاره الخاصة

هذا باب من أبواب تحنث الشيخ ، وغائب ذلك يدور متى اختل بنفسه على التجهد ليلا بالقرآن ، وهذا مما واظب عليه طوال حياته ، لا يتركه وان احتوشته الاشغال وكثرة الاضياف ، وكان ورده من ذلك - كما قال ملازمه كسبى سعيد التتاني وسيدى احمد الفقيه الركنى وسيدى مولود وآخرون - خمسة من القرآن بدء النوافل المعتادة كالضحى وما قبل الظهر والعصر وما بعد الظهر والمغرب ومائة من الصلاة على النبي صلى الله عليه وسلم بعد صلاة عصر الجمعة ، وجل اصحابه المتواظبين فى كل ذلك واما الصيام فانه اقتدى فيه بالنبي صلى الله عليه وسلم فيما رآه عائشة ، فانه يصوم حتى يقال لا يفطر ويفطر حتى يقال لا يصوم الا انه فى الساعات لا يصوم النوافل غالبا الا فى الامكنة التى لا يحتاج فيها الى مخالطة الناس وتبليغهم ما واجب على نفسه ان يبلغه لهم

هذه نبذة يسيرة مما يتعلق بهذه الناحية لخصناها تلخيصا ، لان هذا الكتاب لم يجعل لمثل ذلك ، فهناك كتب خاصة الفت فى الشيخ المتكثير من هذه النواحي ، وان لم تستوف ذلك ، وقديم بنا فى هذه الترجمة وفى تراجم اصحابه اشياء اخرى لم نذكرها هنا

واما الدعوات التى يدعو بها كثيرا فقد حدثنى بها كثير من اصحابه ، كهذا الدعاء : «اللهم اجمعنا على محبتك ، اللهم اعنا على طاعتك وخدمتك ، اللهم طهرنا تطهيرا تصلح به لحضرتك ، ولقينا بك ، اللهم زدنا فيك تحيرا وبك افتتانا وغيبنا بك عن كل شئ سواك حتى لا نكون الا بك ولك ، اللهم احفظنا فيك سائر عمرنا حتى نتوفانا وانت عنا راض ، ونحن بك غير مفتونين ، بحق رسول الله صلى الله عليه وسلم»

وقلما يقوم من مجلس عام الادعا بهذا الدعاء اثناء الادعية المألوفة التقليدية ويقول ايضا كثيرا :

«اعطانا الله سرا من اسراره ، واعطانا نورا من انواره ، وجعل ريحنا فوق الرياح وجعلنا من خدامه ، وجعلنا من خدام بيته ، وجعلنا من خدام سنة سيدنا

(١) كنت افكر يوم محاولة الاستقلال وسهولة امره . فادركت ان ذلك هو بخرق العادة التى كان الشيخ يذكره دائما

رسول الله صلى الله عليه وسلم ، وجعلنا من اهل الخير وجعل حياتنا مع اهل الخير فى هذه الدار ، وتلك الدار وجعلنا من المقبولين ومن المغفور لهم ، ومن المرجومين الى غير هذه ، ولم نسقها الا لئلا نرى كيف نفسية الشيخ من هذه الناحية ايضا فان المعروف منه انه فان فى عبودية الله ، ولا يلتفت الى غير الله فى الازمان فما يستغيث بالاشياخ ولا هو يقبل من اصحابه ان يستغيثوا به فى الازمان ، وله فى ذلك حكايات .

مؤلفاته

للشيخ ولوع بكل ما يمت الى الافادة والاستفادة ، وحين كان يخالط الفقهاء والفقراء . كان يعمل فى كلا الميدانين باقواله وبافعاله ، فاما افعاله فقد رايت منها ما رايت فى الذى تقدم من هذه الترجمة ، واما اقواله فاما كان منها مراسلا كالتى يطلقها فى مجالس تذكيره او مواقف حثه على الالتجاء الى الله فقد جمعت منها عن اصحابه كثيرا وان لم يكن ما جمعته الا كنقطة من بحر وهو لى باب من ابواب كتابى الذى جمعته فى الشيخ خاصة وسميته «الترياق المداوى» ومما يتعلق باقواله مايكتبه الى اصحابه فى رسائله ، فانها مجموعة على ثلاث نسخ واحدة جمعها تلميذه الكبير سيدى سعيد التتاني وقد نسخت منها نسخ متعددة ، والثانية جمعها تلميذه سيدى محمد الشيخ الدرعى ، وقد رايت منها كذلك نسخا على قلتها ، والثالثة جمعها تلميذه الشيخ سيدى ابراهيم بن صالح التازروالى ، وتوجد ايضا ولكنها اقل من القليل ، ورسائل الشيخ عليها نسخة من حاله العام ، فلا كلفة ولا تزويق كلام ، ومن اقواله ماضية مؤلفات فى موضوعات شتى وهذه قائمة مؤلفاته :

١ - مترجم الربع الاول من مجموع الشيخ الامير المصرى ، فقد اودعه كل ما يتعلق بربع العبادات ، ولم يكذب يترك مسألة من الزرقانى والرهونى يمكن ان يتوقف عليها الاحشرها هناك ، فجاء مجلدا ضخما بلسان الشلحة ونسخه كثيرة عند اصحابه ، وبه يتفقهون

٢ - (عقد الجمان) رسالة كبيرة بالنسبة لرسائله وضع بها لاصحابه اداب الطريق فى فجر تصدره للتربية ، ومنها نسخ كثيرة جدا ، وهى جزء صغير .

٣ - (ترجمة الحكم العظائية) نظما مشلحا ، يقرؤه اصحابه كل صباح بعد مجلس الذكر ، ولكنه لم يستوف كل الحكم .

٤ - (المبدئى المعيد فى اخبار الشيخ سيدى سعيد) وهو شيخه المعدى لم ارمته الا خطبته ، وقد ادخلتها فى ترجمته الآتية على ما كتبه فى الشيخ المعدى العلامة سيدى محمد بن مسعود .

٥ - (كتاب فى الطب) ذكر لى ولم اراه .

٦ - (رحلته الى الحج) عام ١٣٠٥ هـ وجدلها في مبيعتها فخرجتها وحررت قواها فجاءت في نحو ألفي بيت من الرجز ، وقد ذكرت بعضها فيما تقدم .

هذه هي آثار الشيخ في التأليف ، فرطت منه وان لم يكن متصدرا لمثل ذلك .

وفاته الشيخ

مضت حياة الشيخ كلها - كما رأيت فيما تقدم - في الجولان بين قرى سوس الى الحوز الى اسفى ، فالسوية لارشاد الناس وتعليمهم امور دينهم وتنبيههم على ترميم مساجدهم واصلاح ذات بينهم ، واستتابتهم مما يقترفونه فهدى الله به من سبقت له الهداية ، وعمى عن محاولاته من قضت عليه الغواية وكان من اواخر سياحاته سياحة الى مراكش ، فقد وصل الى قبيلة اولاد ابي السباع حيث احتفلت به المدارس السباعية وعلمائها سيدي الحسن بن احمد الرسموكي في بوعنفر ، والفقيه سيدي العربي في المساعدات وسيدي الحنفي في مزونة وقد كان كل واحد يخرج بطلبة مدرسته فيلاقون الشيخ من بعيد الطلبة بالصلاة على النبي صلى الله عليه وسلم ، والفقراء يذكروهم المعتاد فيختلط الجمعان حتى يدخلوا الى المدرسة ، كما مر بتزكين من قبيلة كدميوه حيث زاويته ثم بات في قرية القائد عمر السكتاني ثم في مسفيوة ، فمر الى الرحامنة حيث اقبل عليه كل الرحمانيين عامة وخاصة ، فرأى على عادته كلما دخل قبيلة - وكانت له في ذلك نية حسنة - القواد الرحمانيين اذذاك كالقائد عبد السلام والقائد العيادي ، وغيرهما ، وقد كانت الطريقة الالفيه انتشرت في هذه القبيلة على يد سيدي ابراهيم البصير الركاكبي فلم يكف الشيخ يظهر حتى تطارح عليه الناس وهو يرشد ويهذب ، ومعلوم ما للعرب من النية الحسنة ، ثم لم يدخل الشيخ الى مراكش حتى بنيت زاويته في الرميلة ، وقد كان ينتظر ان تتم على يد اصحابه الذين منهم سيدي الحاج محمد البوطيبي الهشتوكي ، وحين حل بمراكش اهتزت المدينة وطفحت الرميلة باصحاب الشيخ الذين يعدون بالآلاف فاجتمع اهل الحومة على ضيافتهم فضيفوهم في مسجد باب دكالة الذي يتسع لآلاف الجما الغفير ، وقد اخبرني مقدم الحومة بعد ذلك ان الموائد التي اتي بها اهل الحومة بلغت خمسمائة ، وقد التفت كل الدقاويين المراكشيين على الشيخ في هذه الضيافة ، ثم داروا معه على السبعة الرجال صبيحة يوم ، وهم يعلنون بلسان واحد (حسبنا الله ونعم الوكيل) فكان يوما مشهودا بمراكش ، وقد قيل للشيخ اما تخاف ان يقع لك ما وقع للشيخ ماء العينين وقد كان اذذاك ذهب الى فاس فرد في الطريق وراء تادلة بقوة الاحتلال الذي تم اذذاك في البيضاء واحوازها فقال: اننا لم ندخل مراكش الا باذن خاص ، ولن نهبل الا بالله ، فذكر له

ما يخافه الناس من النصارى المحتلين فظهر لهم قوة من نفسه ، ثم وقعت منه كلمات يدل بعضها على ان الواجب هو مدافعة الاجانب لو كان في الناس ايمان قوى ، وامر منتظم وشمل مجتمع ، وبعضها على ان المحتلين لابد ان يخرجوا اخيرا من هذه البلاد الا ان الذين سيخرجونهم لا يزالون الى الآن صفارا او لا يزالون في اصلاب اباثهم ، وهناك كلمات اخرى تفرط من الشيخ من غير ان يحتفل بها تدل كلها على غيرته وعلى اهتمامه العجيب بالوطن العزيز ، وقد مر بك فيما تقدم بعض ما يتعلق بهذا الموضوع .

ثم خرج من مراكش ، فرجع الى سوس على طريق حاحة ، فبات في اذكيلول فأورير حيث زاوية اصحابه ، ثم الى كسيمة حيث الاهالي كلهم يكادون يكونون من اصحابه لان رؤساء القبيلة من قرية الدشيرة منهم ، وهناك في قرية انزكان فرق الشيخ المتجردين ثلة ثلة ، وهو يوصيهم كتوصية مسودع ثم الى هشتوكة فمر بنا ونحن نقرا القران في قرية ايفريان ، فبتنا معه في حصى الصوابي بماسة ، ولا يزال استحضرن ان الحزب في العشية يقرأ بغير الوقف ثم الى المدرحيث اجتمع فقراء كل ازاعاد وفي رئاستهم سيدي محمد بن مسعود وذلك في مفتتح رمضان ، فخرج صبيحة اليوم الثاني فاصطف الحاضرون امام زاوية سيدي سعيد ، فكان مما قال : (هنا ابتدائنا ، وهنا اختتمناها) كلمة سمعها الجميع ، ولكن لم يفهموا من الكلمة الا هذه السياحة الخاصة ، ثم ظهر مقصوده بعد ذلك ، ثم طلعنا الى الخ ، فدخلنا في اصيل اليوم فمر العيد فسافر الشيخ الى تامانارت فرجع موعوكا ، وقد كانت السنة شهباء فتوارده جيران الزاوية على الشيخ ، ليمدحهم بما عنده ، ففتح المخازن فامر ان يباع الشعر والتمر بمن السوق مع زيادة حفنة حفنة فوق كل صاع ، فثارت ثائرة بعض الاثرياء هناك ، لانهم يبيعون الى اجل باضعاف اضعاف ذلك ، فكان الشيخ يقبل املاكا الناس رهنا لا يبيعها قاطعا تسهلا عليهم ، وهو يقول لهم : «دعوا رجاء اولادكم ليمتد الى فك المهورات» فجعل الله البركة في مخازن الزاوية حتى تعجب الناس ، هذا والشيخ يزداد مرضه ، وقد كان كتب وصيته في اول مرفه فارسلها الى سيدي محمد بن مسعود حيث سترت الى مابعد وفاته ، وفي صبيحة السبت ٢٨ من ذي الحجة عام ١٣٢٨ هـ ازداد المرض وعند صلاة العصر فاظت روحه فالتحق بالرفيق الاعلى ، وفي الليل تولى غسله الفقيه سيدي علي بن عبد الله ومؤذن الزاوية سيدي محمد بن بلعيد التتاني ، وقد كان الناس علموا بوفاته العشية بطلقتين من البنادق على العادة اذذاك ، وفي الصباح اجتمع كل الجيران فصل الفقيه على الشيخ ثم دفن وراء الدار في مشهد الان

هكذا طويت تلك الصحيفة وتلك الهمة ، وتلك العزيمة وتلك الفرة الدينية الغريبة العجيبة ، ولكل مبتدأ منتهى (وبقي وجهك ذو الجلال والاكرام)

قلت لأخي أحمد يوما : لماذا لا أرى مراثي كثيرة في الشيخ الوالد بعد وفاته ؟ ولماذا لم ترعف أقلام الأدباء بما يستحقه من عويل طويل بين قواف متخيرة ورسائل محبرة ؟ فقال : لا أخال إلا أن السبب في ذلك هو كونه لم يذر وراءه عقباً يراعى ويفهم عن الأدباء ما يقولون ، فيتقرب اليهم المتقربون ، ويجد في متداهم من هم لأدبهم يرجون ، فيدركون مغزى توجع الشعراء حين يتوجعون ومقدار ما لبنت قوافيهم التي يصوغون ، لأن كثيراً من المراثي إنما هي تحية لأوجه الأحياء لا آثار لما خلفه الموتى والغائب غائب دائماً ، وقلما يراعى من هم غائبون عن المجلس ، فضلا عن الغريباء عن الحياة ، ذلك معنى مقالته وهي قوله لها حظ من النظر والا فإن ما يستحقه الشيخ الجليل الطائر الصيت وما تستحقه أعماله الكثيرة التي شرقت أحاديث الركبان بها وغربت وأشامت الاسمار عنها واعرفت من زهرات أدبية على قدرها ، وهل يطيل الثياب الأطول لابسها « أن الرداء على العمالق عملاق » هذا مع أننا نجد من بنات السن الأدباء السوسيين عشرات في موالف هي من موقف الشيخ بمزلة الأرض من السماء ، أو بمزلة الشجع من الأكليل

وبعد فقد اطلت البحث عما يتعلق بهذا الموضوع ، فلم ألق إلا على بعض قصائد والأعلى رسائل مختلفة النسخ في التعزية ، وغالبها لا يستحق جرة قلم ، وهذا إذا ساجتهد لا لتقط من تلك الرسائل ما ينبغي أن يعتنى به ، فاما أن اسوق الرسالة كلها أو بعضها وعلى الله الاتكال ، وبه المعونة

من ذلك رسالة الفقيه سيدي محمد بن عبد السلام الورزازي المراكشي :

أخواننا في الله الفقراء المتجردين والتسبيين في زاوية الشيخ الهام صاحب الفيوضات الربانية ، والنظرات الصمدانية ، السلام عليكم ورحمة الله عموما وخصوصا الفقيه ذا الهمة العلية سيدي سعيدا الثاني وسيدي أحمد الركني وسيدي محمد بن مسعود وغيرهم ممن نسمع بهم .

أما بعد فقد وصل نعي الشيخ رضي الله عنه فبلغ فينا الحزن مبلغا عظيما نحن وكل أهاليها ، فرحم الله تلك الهمة العالية والعزيمة الطاهرة فلم نبك لموت الشيخ فإن الموت مكتوب على كل إنسان ، ولكن نبكى على مثل تلك الهمة التي يربى بها الشيخ المريدين وما أقلها حتى في كثير من العارفين ، فقد رأينا كثيرين من مشايخ هذه الطريقة الدرقاوية ، وشاهدنا لكثيرين منهم اسرارا واستنهاضا إلى الله ، ولكن لم يكن منهم مثل هذا الشيخ الذي رزقته الطريقة فلا حول ولا قوة إلا بالله وأنا لله وأنا إليه راجعون ، فإله يزيد مقامه على مقام في مقعد صدق عند مليك مقتدر ، والسلام من أخيك في الله الضعيف محمد بن عبد السلام الورزازي لطف الله به ، كتبه في ربيع الثاني عام ١٣٢٩ هـ

ومن ذلك ما كتبه الفقيه سيدي محمد التادلي ثم الرباطي ثم الجديدسي وهو من اصحاب الشيخ : « حيا الله تلك الوجوه النيرة منكم ياخواننا اصحاب شيخنا سيدي الحاج علي بن أحمد الألفي السوسي ، وأبنت الله نبانا حسنا من خلفه من الأولاد الذين نتمنى أن يسلكوا طريقة الشيخ التي يعز نظيرها اليوم ، فأعلم ياسيدي سعيد الثاني أننا سمعنا بالخبر الصحيح في وفاة الشيخ رضي الله عنه ، فثار مشاعرنا لله وإلى الله وفي الله لأننا نوقن أن ارواح العارفين لا يلحقها الموت كآرواح الشهداء ، وإنما تنتقل إلى عالم أوسع وأفسح ، حيث تستمتع بالقرب من الله أكثر مما لها في هذه الدار ، فأحوال العارفين خاصة سواء محياهم ومماتهم ومشاهدتهم ومغيبهم ، لآلة لهم إلا في المشاهدة ، وهم يرون من الأكوان عين الكون بلا حلول ، وهذا مقام لا يتكلم فيه مثل إلا معك ياسيدي سعيد لأن صدور الأحرار قبور الاسرار ، والفقير يجب عليه أن يملك الأحوال لا أن تملكه

يقولون خبرنا فانت أمينها وما أنا أن خبرتهم بأمين

هذا وقد كنت ذكرت من أحوال سيدنا الشيخ للعلامة الجليل سيدي أحمد بن الخياط وللمدرس النفاة ، سيدي أحمد بن الجيلاني ، فتأسفا اليوم حين لم يلاقياه ، ونحن ياخواننا على العهد والسلام على سيدنا محمد الذي جعله الشيخ خليفته فيجب عليك ياسيدي سعيد أن تهذب وأن تسلك به الطريقة في مسالكها المعلومة ، حتى يستحق أن يكون خليفة الشيخ عن حق والسلام من مجلكم الفقير محمد بن علي التادلي عفا الله عنه .

ومن ذلك ما كتبه الفقيه سيدي الزبير البعمراني من رسالة :

« . . . ونعزيكم في الفقيه شيخكم ، فإن على أمثاله تسهيل الجفون دما وما كان إلا فريدا في حرصه على نفع العباد ، وأحياء القلوب ، والاختصاص باليدى العامة في إصلاح ذات بينها ، والخاصة في تربيتها على الطريقة التي تسلكها فرحم الله الشيخ وقوى الله الفقراء وكل إبنائه على الصبر ، وإنما الصبر عند الصدمة الأولى . . . »

ومن ذلك ما كتب به الرجل الصالح سيدي الحسين صاحب الزاوية أزا الجديدة ، وقد كان زار سوس فنزل على الشيخ عام ١٣١٦ هـ :

« الإخوان الذين لا تجتمع قلوبهم إلا على محبة الله ومحبة نبيه ، اصحاب الشيخ سيدي الحاج علي بن أحمد السوسي ، رضي الله عنكم جميعا ، وافاض علينا وعليكم من سخائب رضوانه ، وكذلك أولاد الشيخ الصغار وأخوانه وكل أهل داره ، فالسلام والرحمة والبركة على الجميع

أما بعد فإله الله في الاجتماع على الله ، والعرض بالنواجذ على هذه الطريقة التي من يدوي من اسرارها لا يجد لها شبيها ، فنحن نعزيكم ونعزي

الفلسا ولعزى كل اهل الله في قطب الطريقة ، وامام الشريعة والحقيقة ، هذا الشيخ الذي بلغنا انه انتقل من عالم عين اليقين الى عالم حق اليقين ، فهو والله فريد بين كل من زرتهم من المشايخ وهم كثيرون لا يكادون يحصون عددا ، فقد كنت عندهم جميعا وجالستهم ، وفي الكل خير ، الا اننى لما زدت زاوية هذا الشيخ رايت كل ما كان يذكر لنا عن اصحاب الشيخ مولاي العربي من تجريد ومحافظة على الاوقات ، والحرص على الانفاس ان لا يضيع واحد منها في غير مشاهدة مكون الاكوان ، فقد تعجبت حين رايت استطاع ان يجد له اصحابا يقومون مثل قيامه في همة الصوفي الذي يعرف ما طلب ، فقد مضت لنا معه مذاكرات استفدنا منها الشيء الكثير ، ولولم ارتبط بشيخ اخر حلسمت له زمامي ، وجعلته في الطريقة امامي ولكن الزوجة لا يكون لها الا زوج واحد على ان الاشياخ كلهم على طريقة واحدة ، كما قال الله : (تسقى بما واحدون نفضل بعضها على بعض في الاكل) والآن يا اخواننا نحن وانتم ذات واحدة ، فلا تنسونا كما لانساكم وان لم يمكن الاتصال كثيرا بعد المقرين ونوصيكم على الطريقة بالمحافظة على شروطها من اوكاد الواجبات على الفقير والسلام عليكم جميعا من عبد ضعيف خديم لاهل الله الحسين لطف الله به»

فلمرت بهذه الرسالة ممن حافظ عليها ، ويظهر انها لم تصل الى الخ ، والا سمعت بها من عند امثال سيدي سعيد التتاني

ومن ذلك رسالة كتب بها الفقيه العلامة سيدي علي بن عبد الله الى ابي فارس الادوزي

«الفقيه الدراكة الذي ما بيننا وبينه الا الاتصال التام ، والذي كل ما يهيمه في جهتنا فهو عندنا من المهام ، سيدي عبد العزيز الادوزي ، وعليكم السلام ورحمة الله ، وبعد فقد وصلت رسالتك ، فقضيت في الحين حاجتك على ان رسولكم وجدنا في حزن عظيم ، واسى لا يكيف مقعد مقيم ، حتى اننى اتكلف الصبر فلا اجد اليه سبيلا ، بعد ما فقدت ازانى من لا اجد له في النصيحة والاخوة والمعاونة مثيلا ، فقد صرت غريبا في بلد تناهذه بعدما صار سيدي الحاج علي الى ما لا بد ان نصير اليه جميعا ، فقد غادرني مفردا لا انيس ولا مشتكى اليه متى كنت وجيها ، على انه صار الى جوار ، وانا بقيت في جوار كما يقول التهامي في رثاء ولده :

جاورت اعدائي وجاور ربه شتان بين جواره وجواري

فما امر الحياة التي لا اخوان فيها ولا معينين ، ولا جيران فيها مخلصين محتسبين فانه يرحمه ، ويجعل لنا في امثالكم البركة في السكون والحركة ، والسلام وكتب الفقيه ايضا الى بعضهم اثر وفاة الشيخ متمثلا اثناء رسالته :
«لعمرك ما المصيبة فقد مبال ولاشاة تموت ولا بعر

ولكن المصيبة موت حر

يموت لموته خلق كثير»

واما المراتي فقد قال العلامة عميد المدرسة الالقية سيدي علي بن عبد الله رفيق الشيخ الدائم :

هبتا ملكنا المال عفوا ما الذي او قد جمعت جموع كسرى ما الذي او قد حييت حياة نوح في غنى او سالتك صروف دهرك حقبة تبا لدهر لا يراعى برهة وتراه يسفل بالكرام ويعتلى ويهم بالتنقيص والتشتيت في لا يخذ عنك اذا استلان فانه ما راغنى والدهر جبل مقرب والشمل مجتمع بمن احبته الا النعي بموت شيخ ان تقل شيخ الشيوخ سليل احمد من بدا ماشئت من علم ومن عمل ومن وديانة تنسى اذا عاينتها ونصيحة قد زانها اخلاصها لمناقب يعنى المفوه عدما اه على تلك المحاسن انها يجديك غير تحسر وتلفد ؟ من بعد ذاك الجمع غير تبدد ؟ ايوب هل تنجو به او لتفدى ؟ لابد تصبح في مقيم مقعد ذمها ولا الا لاهل السؤدد بلثام هذا الجيل فوق الفرقة اخوان صدق همة لم لحمد ما زال يقصده بنبل مقصد لابد من وضع بيومك او غد والسعد يسعدني لعيش ارغد مات الكمال به فقير مقصد في عصره للدين خير مجدد ادب يزيد وهمة لم تعهد غير الاله ورفعة لم تجحد وصداقة في غيره لم تشهد وتورد كثرتها لسان المقصد طارت بها العنقا الى متصد

وقال الشاعر المفوه شيخ الاسلام شيخنا سيدي الطاهر بن محمد الافرائي :

امن حادث بكر الم فاجزعا لفقد امام الدين شيخ الرسوخ من مربى مريدي الرشيد بالسيرة التي محط رحال القصد مطمح همة ال زلال صفا ذوقا وبدر تضاء است ابي الحسن البرابن احمد من غذا وجد الى ان بد كل منازع فنال منلا دونه السر وانتهى اقام يشيد الدين دهره مجددا طمت ليج العرفان من بحر صدره الى ان التارت من سناء جوانب ال جزعت وحق ان تنوح وتجزعا غذا للعلا والدين عينا ومسمعا حوت كل اداب السياسة اجمعا مريدين مرعى للفضائل امرعا له الزهر لما ان تبدي واطلعا ه ندى العلا والعلم طفلا وارضا بهمة طماح العزازم اروعا الى رتبة تنأى منلا ومطمعا لركن الهدى لما وهى وتضعفعا وفنت مسك العلم ثم تضوعا سبلاد وزال الجهل عنها واطلعا

فلما استوى بدرا والزهرا لاضرا
فهبط جناح المجد وانقض نجمه
ونفاس معين الفضل وانجاب ماطر
وحار ذوو الحاجات لم يهتدوا الى
ومن ذا يرجى سائح متجرد
واى طبيب للقلوب يلدها
مضى يجتنى ثمر الرضا متبوءا
وخلف وجدا لايريم ووحشة
فقل للذى يبقى العلا متطلبا
امن بعد ما اعتدت الجواد تريدان
فليست عشيائ الحمى برواجع
عل قبره سحب التحية والرضا
ولكن ما ابقى لنا الله شيخنا الـ
ففى مجده - والحمد لله - غنية
تلوذ من الدهر المخيف بظله
الازالت العليا تخدم بابه

وقال ابنه الاديب الكبير سيدى محمد بن الطاهر :

قالوا قضى العلم الامام السيد
ذاك الامام المرتضى المولى ابو الـ
فعفت ربوع الكرمات وقد زهت
وتعطلت درج المنابر واكتست
قالوا ارثه باللذ علمت وانه
فاجبتهم كيف الرثاء لمن غدا
ماذا يفيد لمجده قول وقد
واذا اختفت عنك الفضائل فاسالن
واسال مساجده التى قد طالما
فلقد غدت مثل النجوم لكل ما
لايجحد الفضل المبين سوى الذى
واحسرة الدين الخفيف لفقده
رحم المهيم روحه وانا له
بالمصطفى صلى عليه الله ما

وقال الاستاذ الكبير شيخنا سيدى عبد الله بن محمد ابن اخت الشيخ:
قد انقضى الخير وحاد الكمال واستحكم الجهل وعم الضلال

وصار رسم المجد من بعد ما
واعلى الدين الشتات بما
قلت احتسب يادين لا احد
لما قضى الشيخ على بن احـ
اودى فئاد بعده صبره
قالوا وما اودى به قلت ما
ياليته يبقى ونعطى به
وقل لو امكن فى حقه
لانه الموت فلا يرتشى
ما الموت الا الدين مهما اتى
اولا فمثل تاجر يشتري
لذا يحوم عن بحور التقى
الدهر قدما هكذا دابه
لم يغن عن كسرى ولا قيصر
ولا الخورنق لنعمانه
ولا حمى الابيض اربابه
ولا نجا منادما ابرش
سعى الى ان نال فى المجد ما
والبدر ان تمت منازلها
قلت وقد عاينته علما
وازدحم الناس على نعشه
العين لا يرقا لها دمعها
لاتعنقوا السير فقالوا اتشد
فيا له مشهود يوم بما
يا هائل الترب عليه فان
اقام فى القبر واثاره
وكيف لا وهو امام الورى
مقصد اهل الله يهديهم
واكرم الناس ولكنه
مجدد دين الهدى بعد ما
قد اوتى المنشور وهو التقى
وعلمه بحر زلال غدا
وحكمه ينسبك هرمس مع
اما اصطباره فنحو اول الـ
ما شئت من حرم وعزم ومن

وهمة النفس فما واجهت
وفى فراسة يظن كان
ومن رئاسة حباه بها
وفى سياسة يقال لمن
ومن شمائل حكى لطفها
ان قام في الناس بوعظ ترى
او باغت المجلس اطرق من
لفير هذا من صفات لوى
من ذا يحل بعده مشكلا
او يورد البحث على وجهه
مضى ولا يمضى بنا ذكره
صب عليه الله في قبره
صبرا جميلا يابنى احمد
فرزؤكم عم جميع الورى
وفى ابنه محمد غنية
هما لافلاك العلا توام
يسعى لادراك العلا سعيه
وبارك اللهم فيه وفى
واغفر لعبد الله من بعده
ارخ وفاته بلدى حجة

ينقاد في الحين بكل الفعل
راى والمعية لا تخال
في الدين والدنيا اله الجلال
يا ملها املت نيل الحال
ورد الرياض امطرتها شمال
محاجر الناس جرت بانهمال
به جميعا هيبة واختجال
عن عدها العى لسان المقال
او يدفع الحادث حتى يزال ؟
يطلب فيه النص دون احتمال
حتى توارينا بطون الرمال
سحاب الرحمة صب العزال
لحادث اذال وخز النبال
بالحزن من وهادها والتلال
وهمة ترقى به للمعال
اطلع ذا ، وذاك خاو يمال
حتى ينال فى العلا ما ينال
اخوته الشم الذرى والمثال
فالحمد لله على كل حال
قد انقضى الخير وحاد الكمال

وقال الفقيه سيدى موسى بن الطيب السليمانى صهر الشيخ وابن اخته
واحد مريديه :

مضى الاخيار وانقضت الدهور
مضى الصهر الوفى اخو المعالي
فوا أسفا على قطب المزايا
ووا أسفا على وجه تقضى
ووا أسفا على وعظ اذا ما
ووا أسفا لكل الناس طرا
ووا أسفا لهذا القطر غابت
مصائب عم مظفعه وهادا
مضى من كان فينا خير وال
وخير وسيلة فى كل خير
مضى من هو فى الاحداث طود
فان شئت العلوم تراه يبدى

وتم الخير واتصل الشرور
وخال شيخنا الليث الهصور
رحى الخيرات حولىه تدور
يسر به غنى والفقيير
يسجره تلذوب به الصخور
سواء منجد وفتى مقيير
به شمس على الجوزا تنير
وسهلا والجبال كذا البحور
اذا ما جاءنا امر عسير
اتيناه يحق لنا البرور
رسوخ فى الشدائد والصبور
مسائل قد تضيق بها السطور

او الجود العميم تراه يعطى
او العزم اعترف بوضوح عجز
وليس بمنكر ذا الفضل
الا ذليل او جهول او حقير

عطاء قدره جم عزيز
عن افعال يقوم بها القدير
* * *

ايا من جد فى نيل المعالى
رثيتك عن مجامر فى فؤادى
فيا بدر التمام ويا مناطا
انت سكرات موتك لاتفدى
يحق لجفتنا ابدا دموع
فيا تربا حوى اشلاء شيخ
رايناه عيانا ذا وضوح
وبعض من مريديه رماه
فصبرا يابنى شيخى جميلا
فبارك فيكم ربى كثيرا
فيا شيخى نزلت جنان عدن
فلا يحصى رثاءك دو قريض
سقى الرحمان قبرك مزن رحى
ولاقتك الملائك باحتفال
عليك سلام ربك كل حين

الى ان حل ساحته الندير
يدك بها اذا انقادت لبيير
لكل فتى الى العليا يطير
بمال لا ولا يفنى السمر
تمازجها الكتابة والزفير
اتدرى ما حوت منك القبور ؟
تسللا منه وجه مستنير
فقام له على قرب يسر
لوقع لم يكن منه مجير
وفى الاخوان ما شيد القصور
على جنبك ولدان وحور
وان يرث الفرزهق او جرير
تلت عليه ما طابت زهور
وجاورك الافاضل والصدور
ووقت ما ترنمت الطيور

وقال الاديب الكبير سيدى احمد بن محمد اليزيدى :

الدين يجزع والصدور توجع
وتلهب النيران بين جوانحي
الدمع قد خد الخدود وفتها
أين الذين مضوا عنوا لملمة
واذا رمت اصمت سواء عندها اله
لم انس حين وقفت فى ربع فما
حظ الذى ملك الدنية كلها
ان المصائب جملة لكنه
اودى فاودى العلم وانجاب الندى
لم تشها عنه المعارف والعوا
انت الكريم ابن الكريم ابن الكر
ضافت بمولتك الفجاج عن الورى
ما كنت السى يوم مولك الا غدا
لقد ياك هل نفسى لافدى مثلها

والعين تدمع والقلوب تصدع
ابدا يزيد ، هلكت لولا الادمع
مثل الاصابع فت فيها اليرمع
نزلت فصاروا كل حى بلقع ؟
سبازى الاشهب والغراب الابقع
اجدى الوقوف ولا اجاب المربع
حظ الخيال مضى وذلك اسرع
ما مثل رزة على بن احمد مفعج
ان السهام لدى المنية شرع
رف والحجافل والبناء الارفع
يسم ابن الكريم الالمنى الاطوع
كل بكاك ولا بكاؤك ينفع
جسم غفير خلف نعشك شيعوا
ان المنية بالهدا لا تنفع

من للشهامة والصرامة بعدكم ما فيها للفر بعدك مطمح
الشمس والبدر المنير ودوحة الـ سمجد الاصيل ثلاثة لا تربع
للشمس غور والمنير افولـ وبقيت فردا في دهورك تلمع

ما البحر عندك في النداء ما الليث به سدك في الشجاعة ما الشجاع الاقرع؟
غاضت بحور العلم بعد ترحل الـ سبج المحيط وما تفيض الادمع
نرضى الرضى بالشيب فرقة سيد ولكل شخص بعد شخص مصرع
ان الذي ملا القلوب جلاله وهدي الانام له مقام ارفع
عجا لبدر كان منزله الثرى ولبحر اعظم في الركبة يجمع
لسمما بحب الاريجي محمد لله على قلب الاحبة موقع
وله بشم قد مضوا كالجشتمى واليفرنى اسوة تستتبع
فقت سحائب رحمة ديماس من يهدى ويهدى بالمواعظ يقرع
سل الاله على النبي محمد ما الورق في اغضان ايك تسجع
وعليهم ابدا لدى محبة ما الدين يجزع والصدور توجع

يعلى الشاعر بمحمد الاريجي كبير اولاد الشيخ اذذاك ، وبالجشتمى ابا
العباس احمد بن عبد الرحمان وباليفرنى الحاج الحسين اليفرنى دفين تزيت
مات الجشتمى عام ١٣٢٧ هـ ومات اليفرنى عام ١٣٢٨ هـ
وقال ايضا :

قد استوى الله على عرشه والله غالب على امره
والملك والبقاء والجبروت والسعلا لله لا غيره
يا ايها الباكي على فقد من علا على الشמוש في قدره
ايه فقد اودى المنون بمن كان امام الناس في عصره
ابك او اعول ذاكرا وعظه وجدد الحزن لدى ذكره
وقل لدى وعظ وذى ادب الوعظ والآداب في قبره
والوعظ والمجد الاصيل كذا الذكر الجميل غرن في غوره
هدى الجهول واستقاد العمى من بعد ما غرق في بحر
ليس على الله بمستنكر ان يجمع الاسرار في سره
الدهر قد نذر ان يغدر الـ سكرام ببر الدهر في نذره
فالرز كل الرز موت ابي حسن السامى على غيره
لكنه هون ذاك بقا الشيخ مجد الدين في مصره
مجدد الملة شيخ الشيوخ من غدا كاليد في دهره
محيى الهدى مهدى الندى والجدى مردى العدا الشهير في قطره
لازال ملحوظا بعين الرضا متمعا بالسؤل فى عمره
والموت فرض يحسى كاسه نظير ذاك الشيخ في قصره

فالشيخ هون بترحاله مصائب الدهر الى لشرة
وكتب العلامة سيدى عبد العزيز الادوزى في التعزية بالشيخ :

اخواننا في الله والاخوة في الله اعظم رحم يجب وصلها ، وللطريقة اداپ
وكل من يقوم بها فانه اهلها ، ياسادتنا اصحاب العارف بالله الشيخ الاكبر
سيدى الحاج على الالفى المرحوم ، ليس هذا الخطب العظيم خطبكم وحدكم ، ولا
الرز بهو التائر الذى عندكم ، بل ان موت الشيخ موت ركن عظيم من اركان
الاسلام ، فمن لتصيحة العباد بعد هذا الشيخ الامام فشهادتنا انه قام بما يجب
ان يقوم به كل العلماء ، في نصيحة الدهماء بله تربية الخاصة من الفقراء من
جلاء مقلة عمياء اودواء اذن صماء

فما كان قيس هللكه هلك واحد ولكنه بنيان قوم تهدما

فقد كان المرحوم يقيم القلوب ويقعدها ، ويقوم العزائم نحو الوجهة الربانية
ويسددها فكم معوج قوم ، ومتاخر قدم ، وغافل يقظ من وسن وسادر غش مماله
من رسن فعزأونا فيه واحد ، والله على ما نقول شاهد والسلام

وقال الاديب الصوفى سيدى الحبيب البوسليمانى بعد نشر ونص الجميع :
اولاد الشيخ الامام كبير العارفين ، وقودة المتطلعين الى وصول رب العالمين
المرحوم الذى رزى به الاسلام ، علم الاعلام الشيخ سيدى الحاج على بن احمد
الالفى مربى المريدين ، ومرشد الضالين من كان عمرى الهمة والبدر المشرق
فى الليلة المدلهمة فكم كشف عن قلب غمة ، ولم انفاس المريدين الى الله لهمة
فعليكم يا اولاده وجميع الفقراء المنتسبين الى الطريقة الالفية ، من المريدين الى
سلام واذكى تحية ، ما ابدر قمر وازهر شجر وحلا ثمر

اما بعد فقد وقعت السماء على الارض ، ومنيت البحار المحيطة بالفيضي
وكسفت الشمس والقمر وغطى على السمع والبصر ، حين نعى الينا شيخ الاسلام
وامام الائمة الاعلام قطب الطريقة ، والجامع بين الشريعة والحقيقة ، فياله من
مصائب ذلك العزائم وتنف الخوافى والقوادم ، وكاد لولا الرجاء فى الله ان يؤيس
فى الخلف ، لخبر من سلف وما هى الا مصيبة جلى هاضت الاعضاء ، وانست
الاجداد والاحفاد فمن مثل الشيخ رضى الله عنه فى همته العصرية وعزيمته
الخالدية ، فكيف الصبر بعده ام كيف يرجى ان يجد المريد نده ، ولكن على قدر
المصيبة ينبغى ان يكون الصبر ، فصبر جميل وان اتقد فى كل القلوب الجمر
فاحسن الله عزاءنا وعزاءكم يا اولاده وفقراءه وهاكم ابياتا تكلفتها فى رثائه
وان كنت لا ادرك كما اهوى رثاءه :

ففى امام الدين من لا يرى له نظير فى جميع الوردى
ما كان فى افاننا هذه الا كمثل البدر ان ابدا

كم مقلد اسالها ادعها بوعظ المشهور ان ذكرنا
وكم سفيه رده سيدا فلما متى هذه اكبرا
يارب الحف بالرضا قبره ومن يزور ذلك المقبرا

اولاده

ترك الشيخ من الذكور ومن الاناث خمسة عشر ، محمد وعبد الحميد
وحبيبة ومريم اشقاء من السيدة فاطمة الالفية ، واحمد وعبدالله وعبدالرحمان
وعائشة وصفية وائمة اشقاء من السيدة خديجة التملية ، ومحمد المختار والحبيب
وابالقاسم وابراهيم وفاطمة من السيدة رقية الادوزية ، وقد بينا بعض احوال
اولاده في كتاب (الترياق المداوي) وسترى امامك تراجم من يستحقون الترجمة
من اولاد الشيخ واحفاده

الكتب المؤلفة في الشيخ

- ١ - «المامل المبغى في مناقب الشيخ سيدى الحاج على السوسى الالفى»
للفقيه سيدى محمد التادلى
- ٢ - «الفتح الموهوب في مناقب الشيخ المحبوب» للفقيه سيدى الطاهر السماهرى
- ٣ - «هز الراية الجعفرية» للعلامة محمد بن مسعود
- ٤ - «السر الجلى في مناقب الشيخ سيدى الحاج على» لسيدى بريك بن
عمر المجاطى
- ٥ - «حياة الشيخ سيدى الحاج على» كتبها لبعض الاجانب بطلب منه
- ٦ - «من افواه الرجال» جمعت فيه بلا ترتيب ماكنت اخذه عن اصحاب
الشيخ فى كل مايتعلق به . كما اضفت الى ذلك اخبار كثيرة من غير اخبار
الشيخ فيه عشرة اجزاء واتمنى لو امكن لى ان اميز من الكتاب اخبار الشيخ من
غيرها على ناحية
- ٧ - «الترياق المداوي فى احوال الشيخ سيدى الحاج على الدرقاوى» لبيت
فيه رغبة من طلبه منى ، وهو فى جزء وسط

العلامة على بن عبد الله الالفى

= ١٢٧٥ هـ = ١٣٤٧-٤٦ هـ =

نسبه :

على بن عبد الله بن صالح بن عبد الله بن صالح بن عبد الله بن احمد
ابن عبد الله بن سعيد .

ليس كل من وصفه المترجمون الذين يخبط بعضهم خبط عشواء بكونه
علامة ، كان علامة حقا ، ولاكل من قيل فيه انه استاذ هو استاذ بلفظه ومعناه
كما تقصده به العرب العرباء فقد صارت الاوصاف تنثر يمينا ويسرة ، حتى صار
من يريد ان يضع الاشياء فى مواضعها ، والاوصاف ازاء مستحقها يستحسى
ان يصف باحدى تلك الاوصاف من قامت به حق القيام ، خوف ان يظن انه الالفى
ايضا ذلك الوصف بغير تبصر وانه ممن يخبط خبط عشواء ككثيرين غيره ولكن بالاثار
تظهر الرجال ، وبالاوصاف والاعمال يعرف العاملون الذين بذلوا جهود حياتهم
فى التثقيف والتهديب ، فمن اعوزك ان تعرفه ، وان تتبصر هل ما وصف به
يستحقه حقيقة فانظر الى اصحابه واعماله واثاره ، قبل ان تستهويك ببيان
اللسنة ، فهناك تلمس حياة الرجل ويكتنه قدره كيف هو

العلامة على بن عبد الله ، هو ذلك الرجل العظيم الذى خلف صنوه الاستاذ
المتقدم محمد بن عبد الله فى تسيير دفة الدراسة فى المدرسة الالفية ، فكان خير
خليفة تم على يده ما افتتحه الاول ، واستتم فى درسه من كان شدا فى درس
اخيه وسار على خطته فى رفع شأن العلم واهله ، وفى تمكين اسسه فى الف ،
وفى ترشيح اهله الى ان يكونوا به قادة معاصريهم ، وفى تلقى كل من وفد للورود
فى مناهل المدرسة ، بكلتا اليدين ، فكانت المعارف الالفية تزخر بالواردين
والصادرين وقد التجم ما بعد عام ١٣٠٣ هـ الى ما قبله ، فكان الف لم تزا بذلك
الاستاذ ، حين صار هذا الاستاذ الجديد على خطته :

اذا مات منا سيد قام سيد قتل لما قال الكرام فعول

الاستاذ على بن عبد الله ، هو ذلك الاديب الحى الاريحى الذى وصل بالادب
الالفى الى هذه الغاية التى يشاهدها المغرب اليوم ، كما يشاهدها العالم غدا
فى التاريخ ، فقد قام على اللغة العربية ، والعلوم التى تدرس بها خير قيام

من حين ان تولي المدرسة ، الى ان التحق بربه عام ١٣٤٧ هـ فقد كانت الخمس والاربعون كلها اديبا وابحاثا ، ودراسات ومخاورات ومكاتبات ، وفتلوى رائعات وقصائد ومقطعات ورسائل مجبرات تنسم بسجع يخف على السمع ، فقامت به في الغ سوق حافلة رائجة طارت بذكرها الركبان ، وتعطرت باحاديثها الاندية :

فشرق حتى لم يجد ذكر مشرق وغرب حتى لم يجد ذكر مغرب

خطوته الاولى

كان والده رحمه الله قد اعتنى باخيه الاستاذ محمد بن عبد الله كما ذكرنا ثم التحق بعد اخذه للقرآن بالمدرسة التانكرية ، وحين بلغ الاستاذ على سنوه هذا مبلغ التعلم ، صاحبه معه الى تانكرت وقد كان تخطى الحروف الهجائية وبعض احزاب عند اساتذة القرية ولم نهتد الى معرفة من هو - فالحقه سنوه باستاذ مسجد تابا حيفت - من قرى تانكرت ، وهو سيدى محمد بن علي الساعونسي ، وبه وحده تخرج في القرآن حتى اتقن حفظه ، ثم التحق بمدرسة سيدى همو بن الحسن عند الاستاذ الكبير سيدى محمد بن الحسن الماسي القاري ، الشهير لتعلم القراءات المختلفة ، فبقى هناك الى عام ١٢٩١ هـ

في دراسة المعلم

تهيا للاستاذ سنوه ان يؤسس في اول يوم ، في مسجد قرية الزاوية مدرسة صغرى ، انضاف اليه فيها بضعة تلاميذ اولاً ، فذهب هو وصاحبه سيدى سعيد بن علي الاعضيبي الى صاحب الترجمة بالاخصاص ، فالحقاه باولئك التلاميذ ، فصار يتدرج ثم لما انتقل سنوه الى المدرسة البومروانية وقد بلغ حصلت منه فترة ، فسمت به همته الى التكسب ، فجال في المقايضة وكادت تكون قاضية عليه لولا ان لاحظته عين السعادة ، فاتصل به الشيخ الوالد كما يقول العم اذ خلفه الاستاذ محمد بن عبد الله بتلك المدرسة ، فعرف كيف يحول فكرة الاستاذ على الى الدراسة ، وكان رحمه الله من البق الناس في مثل ذلك واسعدهم حظا فيه ، فما شاء في المطالعة والمراجعة والتلاوة ، فما مضت سبعة اشهر حتى تفتحت قريحته وشدا وصار في العلم من النهمين :

اذقه واطلقه فمن ذاق شربة من الكاس هذى كيف بعد يفيق؟

ثم لم يزل في التحصيل سهرا واكبابا باذلا كل جهده في ذلك ، حتى انه في بعض العواشر ارتحل الى الاستاذ سيدى علي بوضاض الاخصاص ، فاخذ عنه الفرائض والحساب ثم لم يفته درس من دروس سنوه ، ولا من دروس الاستاذ

الحاج محمد اليزيدى ، حين كان في المدرسة الالفية عام ١٣٠١ هـ ولم يزل على هذه الحالة ، الى ان توفي سنوه باحواز مراکش ، ونقله مع الشيخ الوالد الى الخ ثم استتم الوالد تلك السنة ، على ما خلفه عليه الاستاذ المرحوم في المدرسة الالفية ، فغادره الى ما خلق لاجله ، كما رايت ذلك في ترجمته .

في الاستعداد لقيادة المدرسة

في المدرسة الالفية حين توفي مؤسسها ، نبغ اصحابه المتفانون غاية التفوق وهم بلا شك تدرّبوا على مجاذبة الابحاث مع من يتصدر امامهم ، فحين حق لصاحب الترجمة ان يقود القافلة ، وان يتصدر في مركز الادارة ، ولان نفسه بميزانه الدقيق الذي نعرفه عنه في طول حياته ، فلاشك انه رأى في بعض نواح من معارفه نقصا ، فاراد ان يستدرّكه قبل ان يبرز في الميدان ، وينقض عليه بواشق المدرسة بابحاثهم من كل جانب ، فاستدعى الاستاذ اليزيدى فشاركه في المدرسة من جديد ، فاكب بمعاونته في مخض الوطاب ، وسن القلب وكان يتعاون هو واليزيدى والوالد الذي كان يغيب في كل مساء الى منتصف الليل ، في استفتاح المغلفات واستيضاح المشاكل ، فما توسط عام ١٣٠٤ هـ حتى احس من قوادمه وخوافيه بقوة يقتدر بها على مطايرة اقرانه في المدرسة بل يبذلهم بذرا ، حتى يصلح ان يكون استاذهم بالاستحقاق وان يسموا تلاميذه بكل جدارة .

وقد حكى لي انه كان في هذا الطور قد طلق كل اشغاله الخاصة وتركها في ايدي العبيد ، مع انه يدرك ان السرقة من ابناء حام عادة مستمرة ان راعيتهم فكيف ان جعلتهم بانفسهم رعاة ، يعرف ذلك حق المعرفة ، ولكنه يقدم الاهم فالاهم وهو الفقيه الذي يعرف قاعدة : اذا اجتمع ضرران ارتكب اخطاهما هذا مع انه تزوج اذذاك ، وقد خلف سنوه على السيدة مريم بنت احمد احدث والدنا ، بعد ان تقضت عدتها

استاذ المدرسة

صدق الذين قالوا ما افسد الطب الا انصاف الاطباء ، ولا افسد العلوم الا انصاف المعلمين ، صدقوا والله ، لان من تصدر لتعليم علم قبل ان يتمكن فيه وقبل ان تحصل له فيه ملكة ، وقبل ان يكون على ذكر من جل مسائله على الاقل فانما هو كمثل الاعرج الذي يريد ان يعلم غيره المسابقة بالارجل ، وكيف الوثبات التي يمكن للمسابق ان يبذلها صاحبه عند الحضر في المضمار .

راينا الاستاذ علي بن عبد الله ، وما اتره تعليمه بعد ان تمكن كل التمكن في المعلومات التي يدرسها ، وفي العلوم المختلفة التي يلقيها في المدرسة منذ

كسدر ، فرائضا ماخليا وما بهر عقولنا ، وتركنا نوقن ان ذلك من اثر تمكنه
ومعرفته ما يعلمه حق المعرفة .

كثيرا ما يواذن طلبة المدرسة الالغية في اسماهم بين ما ينقلونه عن الاستاذ
ومقدار رسوخه في قلوبهم ، كانه نقش على حجر وبين ما يتلقونه عن غيره ممن
يستثيهم الاستاذ في المدرسة ، فيتعجبون من ان درس غيره يطير عن ذاكرتهم
قبل ان ينقل المدرس عن مجلسه ، بخلاف ما يتلقونه عن الاستاذ ، ولكنه قلما
ينفذون الى هذا السبب الذي ذكرناه .

قال بعض الفقيه الالغيين : لدرس واحد اخذه عن الاستاذ اكثر فائدة
من عشرة اخذها عن فلان ، سمعت ذلك باذني ، وهذا الفتى من البق النشء
الالغيين .

وقال آخر ممن كان ربه بين يدي الاستاذ ماشاء الله ، ثم التحق باستاذ
آخر ، في مدرسة اخرى وهو من مشاهير المدرسين في اول نصف هذا القرن
الذي اقوم عن ذلك الاستاذ وكأني بليد موصد القلب ، متحجر الذاكرة على حين
اعهاد من نفسي انني استحضر كل ما اخذته عن الاستاذ على بن عبد الله بعد ستة
وكأني اخذته عنه الساعة او كما قال ، وما السبب في ذلك الا ما ذكرناه .

ثم ان تحقيقه رحمه الله ومباحثته في الدروس وارخاء العنان للمباحثين
وان عرف بادي بدء ان سهام المباحث طائشة حتى يفهم مباحثه غلظه بالتي
هي احسن ، امر مشهور عنه ، يعلمه عن كل من حضر عنده ولو درسا واحدا
او جالسه في محفل واحد لان محافله العامة ان كان فيها الطلبة تمضي كدرس من
مجالس المدرسة ، فلاتخلو من مباحثات ومراجعات وانتقادات وتحرير مسائل
من مختلف الفنون فالاستاذ يدرس دائما متى التقى مع الطلبة سواء في
الطريق على البغال او حول الصينية والكنوس تدار ، اوفي اى مكان اخر صادفهم
فيه ، فهذا هو الاستاذ الذي بنفسه تولى الدراسة في المدرسة الالغية من اواسط
عام ١٣٠٤ هـ الى نحو ١٣١٣ هـ حين سلم المدرسة لنائبه وتلميذه الاستاذ ابي
القاسم التاجارمونتى ثم صار يلقي بعض الدروس فينة بعد فينة ، متى وجد
فراغا مما طوق به من منصب القضاء الذي تولاه رسميا كما سيأتى

قوله الشيخ الوالد فيما

اسمع ما قال الوالد في هذا الاستاذ في شعبان عام ١٣٠٥ هـ في رحلته
الحجازية ، حين صاحبه للتوديع في لمة من الشيعيين ، بعد ان رجع من رجح :

وبعدهم لم يزل الفقيه اخو العلا السميع النبیه
يطوى الطريق معنا في السير ومن يشيع حاز كل خير

الاخ والصهر من انتمت له محاسن الخلق فداع فضله
علامة الدهر ونخبة الزمان وفخر ذا العصر على كل اوان
وراية العلم عليه خافقة وشمسه وسط سماء شارقة
اليه مرجع الصلاح والادب وفكره قطب القريض والادب
مدرس العلم على الدوام بالبحث مثل مخدوم مصمم
لم تلهه الدنيا عن التدريس ولا عن الذكر لدى التقديس
وكلنا من نسب متصل وهو ابو الحسن سيدى علي

يولي القضاء من حضر لا السلطان

في عام ١٣٠٣ هـ عاد السلطان مولاي الحسن الى سوس ، فعاد العلماء
ووجهاء جزولة وما اليها الى اداء حق التحية الواجبة ، فكان من بينهم صاحب
الترجمة اقتداء باخيه الذي له اختلافات متعددة الى حضرته حتى عرف فيها وكان
نزول السلطان اولا بتيزيت خارجها ، فهناك التحق به الاستاذ ثم صاحب ركاية
باذنه الى وادي نول ، ثم الى تيزيت ثانيا ، وقد كان القائد احمد الابلاغنى
الاساكي البعيل من المقربين حين ذاك الى السلطان لايفارق تلك الايام مجلسه
والناس كلهم ينتظرون نكايته بالشريف الحسين الالغى الذي يتخلف عن
حضره السلطان ، وكان الابلاغنى من أعدائه الالاء فيتقرب بذلك فقال للسلطان
حين قدم اليه الاستاذ : ان الحاج عبد الله والد هداشيخنا وصالحنا والمتبرك
به عندنا ، فزاد ذلك الاستاذ تقربا ثم ان السلطان وصله وولاه قضاء مجاط
وما اليها وهذا نص الظهير بذلك :

«يعلم من هذا الرقيم الكريم المتلقى امره بالاجلال والتعظيم انا بعناية
الله ومنتته ، وحوله وقوته ، ولينا حامله الفقيه السيد علي بن عبد الله الالغى
السوسى ، خطة القضاء على خدامنا قبيلة مجاطة وما والاها ، واستندنا اليه النظر
في الفصل بين الخصوم ، بعد التلوم والاعذار وتصفح الرسوم على ان يحكم
بمشهور مذهب الامام مالك ، وما جرى به عمل من سلك بعده اوضح المسالك
وان يسوى بين الخصمين ويسمع منهما سماعة مستوى الطرفين وان يردد
الفصل بين ذوى الارحام ويشاور اهل العلم فيما اشكل عليه من الاحكام او
يدعو الى الصلح كما نص عليه الائمة الاعلام ، وان لا يقبل من الشهود الا من
تحققت عدالته واشتهرت خيارته وديانته وان لا يتعرض لاحكام من تقدمه من
القضاة فيما يخالفه النفوذ والامضاء ونعهد اليه بالتقوى ومراقبة المولى سبحانه
في السر والنجوى الهمة الله رشده واعانه وسدده ، والسلام ، في ٢٢ شعبان
الابرک عام ١٣٠٣ هـ»

وفوقه الطابع الكبير في وسطه ، الحسن بن محمد بن عبد الرحمان الله
وليه ، وفي دائرته : ومن تكن برسول الله الخ ، البيت المشهور
ثم جدد هذا الظهير بظهير آخر عزيزى ، على يد القائد سعيد الكيلولى

الحاجي والقائد سعيد المجاطي ، ولعن الظهير الثاني :

« يعلم من هذا الخطاب المحكم العري السامي الذري ، اننا بحول الله وقوته وشامل يمينه ويمينته ، اقررنا الفقيه السيد علي بن عبد الله السوسي على تولية خطة القضاء بقبيلة مجاطة وما والاها من القبائل واستندنا اليه النظر في ذلك فنامره بالفصل بين الخصوم ، بعد التلوم والاعذار وتصفح الرسوم ، وليكن في ذلك متقيدا بمذهب امام دار الهجرة الذي ضرب اليه اكباد الابل من شد لالتقاط درره ازره ، وبان لا يخرج في الحكم عما جرى به العمل ، والراجح والمشهور ، ان لم يكن ثم عمل ، وبان يسوى بين الخصمين وان يسمع من كليهما سماعا مستوى الطرفين وبان يردد الفصل بين ذوى الارحام ، وان يدعو الى الصلح اذا اشكل الامر ، كما تقرر في كتب الاحكام ، ونعهد اليه ان لاتأخذه في الله لومة لائم وان يشيد للعدل المنار ، ويحكم الدعائم وان لا يفتح على المنصب ابواب الرشا ، ويتجافى عن تلويث الخطة بما يقدم في الظاهر والباطن ، فان للخطة ربا يحميها وللخليفة مولى يغار عليها فينجيها ، والله تعالى يعصمه من الزل ، ويوفقه لصالح القول والعمل والسلام ، ٢٢ ربيع الثاني عام ١٣١٦ هـ وفوقه الطابع الكبير في وسطه : عبد العزيز بن الحسن بن محمد الله وليه وفي دائرته : ومن تكن الخ البيت

ثم ورد مع هذا الظهير من الحمراء ، جواب القائدين وهو هذا :
« خديمينا الارضيين ، القائد سعيد الكيلوي والقائد سعيد المجاطي ، وفقكم الله وسلام عليكم ورحمة الله ، وبعد وصل كتابكم طالبين مساعدة قاضي مجاطة على تجديد الظهيرين الذين وجهتم طي كتابكم ، وصار بالبال ، فقد وصلا وها تجديدهما مع اصلهما يصلكم والسلام في ٢٢ ربيع الثاني عام ١٣١٦ هـ وفوقه طابع صغير فيه عبد العزيز بن الحسن الله وليه ومولاه»
والظهير الثاني الذي ذكرهنا تجديده هو الظهير الحسنى في تحرير المرابطين ، وقد ذكرناه مع غيره في ترجمة الجد

في رئاسة اخوان المرابطين

رايت ان شغل الاستاذ الشاغل هو التدريس ، وادارة شئون المدرسة مع قيامه بمنصب القضاء ، زيادة على ما لا بد له منه من مشاركة امور اسرته في الوقوف على حرثه وعلى حصاده ، وعلى كل شاذة وفاذة ، لانه بعد ان استولى على الدراسة وملك زمام نفسه ، ونال ثقافة تامة لاكبوته معها ، اذا جالت المباحث في ميادين الدروس ، واختلفت الانظار فيما بين الطروس ، يميل احدى عينيه احيانا ليراقب اسرته التي يفرط ماشاء الله في شئونها ، فقد يغادرها بين يدي بنى حام ، الذين كانوا في زمن قليل يخبون ويوضعون بغير مراقب ، فرأى ان يرتكب الحزم الذي هو شئنة راسخة في اهلينا في كل ما يزاولون - كما

قاله الوالد في احدى مقالاته يوما - وان يكون من اخوان محمد بن ادريس القائل :

ماحك جلدك مثل ظفرك فتول انت جميع امرك

بهذه الامور كلها ملا الاستاذ ما بين عام ١٣٠٥ هـ الى عام ١٣١٥ هـ ثم فاجأ في تلك السنة امر هائل ، وموجة مخزنية من الحاحيين ، تركت كل من في جنوب سوس في مقيم مقعد ، فاذا ذلك اضطر الاستاذ ان يستنيتب الاستاذ ابا انقاسم التاجارمونتى ، لئلا يقف دولاى المدرسة ، ولئلا يتسرب الفتور الى من فيها .

كان للوالد معرفة سابقة بهؤلاء الحاحيين كما تقدم ذلك في ترجمته ، فنذب الاستاذ الى ان يقوم برياسة المرابطين ، الذين اعلن القائد سعيد الكيلوي تحريرهم ايضا ، اتباعا لما في الظواهر الملوكية ، ولكن القائد سعيد المجاطي والقائد مبارك البشيراني اللذين يحاوران هؤلاء المرابطين يحرقان عليهم الارم ويتطاولان الى الاتصال بهم ، فيفعلان بهم ما يفعلان بالمجاطيين الذين القياعليهم كلاكلهما فيطحنانهم بالمقارم المتتابعة

تلقى القائد سعيد الكيلوي الاستاذ مع الوالد في تزيت ، فعين الاستاذ رئيسا للمرابطين المحررين وقد مضى تحرير هذا القائد بين ما الحقناه بترجمة الجد عبد الله بن سعيد ونفذ له اعشارهم وزكواتهم ليستعين بها في القيام بالمدرسة ، وليعين بها غرباءها .

وهذا مرسوم القائد بذلك التنفيذ للاعشار :

« فحامله الفقيه الاديب العلامة النقيب والمدرس الاريب ، سيدى على بن عبد الله بن صالح الالقي ، اذنا له في قبض اعشار من اشتمل عليهم الظهير المكتوب له على ايدينا ، وصرفها على طلبة العلم المستفيدين بمدرسته المحروسة بالله عمرها الله بدوام ذكره ، وصرفها في مصالح زاويته ، اعانة على البر والتقوى وعليه ان لا ينسأنا في صالح دعواته في خلواته وجلواته وانصذر منا الاذن بذلك لعشر بقين من ذى الحجة عام ١٣١٥ هـ » وتحت طابع القائد سعيد الكيلوي

هكذا امكن للمرابطين ان ينجوا من ضغوطات قائدى مجاط ، القائد سعيد والقائد مبارك البشيراني ، ولكنهما لا يزالان يحومان حولهم ، ويمدان ايديهما الى من توصلا اليه من المرابطين ، فكتب القائد سعيد الكيلوي هذه الرسائل المتوالية اليهما ، ومن معهما من الخلفاء الحاحيين :

منها :

محبتنا الطالب السيد الحسن بورواين الغماوى ، وخادم مولانا القائد مبارك البشيراني ، سلام عليكم ورحمة الله وبركته ، وبعد فنامركما بحول الله

وقوله ووجود سيدنا المنصور بالله ان لجانبنا كل ما هي امور المرابطين اولاد
سيدى عبد الله بن سعيد حيثما كانوا فيه لا تقربوا من بيادرهم واعشارهم وبهذا
اكدنا كما ، وكونوا منه على بلل ، فانكم لم تكلفوا بهم اصلا فضلا عن الاعشار
والسلام في صفر عام ١٣١٦ هـ احمد بن محمد الكيلوي

واحمد بن محمد هذا هو خليفة القائد وعصده الامين ، وهو القليل في
بعليلة ،

ومنها :

السلام والرحمة والبركة على القائد مبارك بن الحسن المجاطي ، وبعد فلا
تعرضوا للمرابطين اولاد سيدى عبد الله بن سعيد ، بما يؤذيهم في كل شيء
شيء واعشارهم اعنا بها طلبة العلم بمدرسة الفقيه سيدى على بن عبد الله بن
صالح ، اعانة على البر والتقوى والسلام ، ٦ من جمادى الاولى عام ١٣١٦ هـ وتحت
طابع القائد سعيد الكيلوي

ومنها :

«خدم الحضر العلية بالله القائد مبارك بن الحسن البيراني ، السلام
والرحمة والبركة عليكم بوجود مولانا نصره الله ، وبعد فلا بأس وقد نيهناك
عن التعرض للمرابطين اولاد سيدى عبد الله بن سعيد بما يؤذيهم وامرناك
بالتخل عن اعشارهم ، فلم تمتثل ولم تبال على عادتك ، وعليه فان عدت لئلا
ذلك فلا تلومن الانفسك ، والسلام كتبه اليك لست مضت من جمادى الثانية
عام ١٣١٦ هـ احمد بن محمد الكيلوي»

ومنها :

خدم الحضر العلية بالله القائد سعيد بن محمد المجاطي والسلام والرحمة
والبركة عليكم بوجود مولانا نصره الله ، وبعد فقد نهيتك عن التعرض
للمرابطين اخوان حامله الفقيه السيد على بن عبد الله ، وخادم زاويته بسما
يؤذيهم ، فلم تمتثل عيادا بالله وقد اخبرت انك تنزل عليهم المخازنية وذلك
عندى عظيم عجب ، وعليه فلا تعد لئلا ذلك ابدا وخصوصا اهل (تحت الحصن)
لانهم من خدام الزاوية ، ولا يبلغنا عنك ما يسوءنا ولا تكلفهم شيء قل اوجل والسلام
كتبه اليك ب ٢٢ ذي القعدة ١٣١٦ هـ وتحت طابع القائد سعيد

ومنها :

اخانا الخليفة الشيخ احمد بورغا وخادم مولانا القائد سعيد المجاطي سلام
عليكما ورحمة الله وبركاته وبعد فاما امرنا للفقيه الشريف السيد على بن عبد

الله الالهي من تنفيذ عشر اخوانه ، ومن ينتمى لخدمة زاويته في الماضي من
غيرهم ، لتصرف على زاويته وفيما هو بصدد من نشر العلم ، لاسيلا لاجل الى
نقسه وكما تعلمان اننا قد عينا العلامة المذكور لمباشرة ماعسى ان يعرض لخواصه
ومن ذكر معهم من الخدمة من الطالب المخزنية بحيث ان لا يدخل لاحد غيره في
مباشرة مذكر ، وغيره من العمال والاعيان بمغزل عن ذلك ، فنامر كما ان تشدا
عضده وتعيناه على العمل بمقتضاه على انه لا كلفة عليهم اذهم بضعة نبوية
والقصد في الشرفاء المذكورين ان يبني امرهم على التخفيف ، فمثلكما لا تفرغ
له العصا ، ولا ينه بطرق الحصا ، وفقنا الله واياكم والسلام في اوائل ربيع
الثاني عام ١٣١٧ هـ وتحت طابع القائد سعيد :

وهذه الرسالة بخط الفقيه سيدى محمد بن عبد الرحمن الدرقاوى الخاخي
وهو اذذاك كاتب القائد سعيد ، وما ادعاه من ان المرابطين شرفاء من البضعة
النبوية قد تكلمنا حوله في ترجمة سيدى عبد الله بن سعيد ، كما نعرفه ، ولنا
من المتكلمين الالهي ثوبى زور ، الذين يتعالون الى ما لا يثبت عندهم

من هناك يدرك القارىء ما يلاقيه الاستاذ في الذود عن المرابطين ، من
مدافعة القائد سعيد والقائد مبارك البيراني الضاريين اللذين لا ير اقبان ممن
توصلا به الا ولازمة ، فقد كان رحمه الله يفرع الى القائد سعيد كلما تلوش هذان
المرابطين ، فيلاقيه القائد بكل تجلة ، فيرسل الى هذين القائدين باللوم وربما
يامره ان يكتب هو بيده رسالة لاحدهما ، ثم يوقعها القائد بطابعه كما حدثني به
العم ابراهيم حين رأينا بعض هذه الرسائل بخطه فسألته عن سبب ذلك

كتب الله النجاة للمرابطين من الطغاة اهل المخزنية الحاحية العاركة اشد
العرك على يد الاستاذ الذي يسائده الوالد ، في ايام القائد سعيد الخاخي ثم
لما جاء القائد انفلوس انقلبت الحالة وكان ماسنذكره :

في كلاءة الله بين الزعازع

كثرت الشكوى بالقائد سعيد الكيلوي ، من بعض السوسيين وقد تولى
كبر ذلك القائد دحمان الوادونوى الشهير ، فصادف ذلك انقلاب الوزارة في
البلاط العزيز بموت احمد بن موسى آخر رجال المغرب الافذاذ ، وتولى
الحاج المهدي المناهبي في الصدارة حقيقة ، وان كان لم يعد رسميا الوزارة
الحربية ، ودفع بغريط الى الصدارة ، وقد كان للمناهبي مع القائد محمد بن
ابراهيم انفلوس وهما في مطبق فاس صحبة ، تعاهدا بها على ان يتعاونوا ويشد
احدهما ازر صاحبه ، ان تبسم له السعد ، فكان هذا هو الحامل للمناهبي
= كما حكى من له خبرة = على ان يوجهه الى سوس ، ويعتاض به الكيلوي
لما بين النفلوسيين والكيلوليين من منافرة الجيران المعتادة

سبق القائد سعيد المجاطي الى القائد النفلوسي ، بعد ما انفلت من الحصار الذي طوقه به المجاطيون منذ انجلاء الكيلوليين في شهر ربيع الاول سنة ١٣١٨ الى اواخر السنة ، وقد اطلت جيوش النفلوس ، فتقرب اليه فطلب منه اول ما لاقاه بسط يده على المرابطين السعديين ، فمكنه من ذلك فسقط في يد الاستاذ وخاف ، من بطش المجاطي ، ولكن الله كلاه من ذلك بعنايته ، ومن كلاته عناية الله فليمن في آجام الاسود ، ملء عينيه بالخوف كلهن امان

وسوس القائد سعيد المجاطي كثيرا ، والقي في روع القائد محمد النفلوس ما القى : فحين توجه اليه الوالد مع الاستاذ خاطبه الوالد في ترك ما كان على ما كان ، وان لا ينتهك من الحرمات التي كان يحترمها ابن عمه الكيلولي ، فبسر واستكبر ونفخ وحملق ، فالقى اليه الوالد كلمة قاسية في وجهه برباطة الجاش المعلومة عنه ، فالتفت القائد الى من معه ، فقال لهم ان هذا يستحق التأديب حتى يعرف كيف يراعى الادب مع اصحاب الكلمة العليا ، فقال له الوالد ، ان استحققت من الله تاديبا لشيء اجرمته ، فهو الذي يتولاني بنفسه ، ولا تتولاني انت بنفسك وانما كنا نريد ان تذر عنك المرابطين يديرون شئون انفسهم بانفسهم ، واذ ابست الان تولى عليهم القائد سعيدا فانت وذاك ، ثم انفلت من موضعه رافع الراس كانه لم يكن امام ذلك الرجل الذي لا يبالي بما يفعل ، ثم لم يرجع اليه بعد ، ولا رأى وجهه الى ان مات شرمية ، مع انه كثيرا ما ينتظر رجوعه حين لاهه الذين يعرفون من الشيخ ما لا يعرف ، ولكن لسان حال الشيخ ينشد :

اذا انصرفت نفسي عن الشيء لم تكد اليه بوجه آخر الدهر تقبل
وينشد ماقاله بعض الالفين :

اذا انسد باب من امير فان لي من ابواب ربي الف باب مفتوح
فاني متى اخلص لربي وجهتي ازل كل ما ابغى واظفر وانجح
اعرف باب الله ثم يخيب لي رجاء وراجي الله اكبر مفلح ؟

تولى القائد سعيد المجاطي امر المرابطين ، فكان اول مافعله ان اجال يده في بهائمهم بغلا وجمالا ، فاحتوشها وقدمها الى انفلوس ، ثم والى عليهم المغارم الباهظة حبوبا وسمنا ودجاجا وكباشا ، بله الدراهم التي لا ينقطع تطلبها فنال المساكين ما نالهم مما لم يعرفوه لاهم ولا ابواؤهم من قبل

ثم ان القائد سعيد المجاطي كان يراعى مع ذلك الوالد اتم مراعاة ، لما كان بين اسرتيهما من قديم المؤاخاة ، فلذلك لا يحوم حوله ، ثم لا يحوم ايضا حول الاستاذ صاحب الترجمة واشفاقه بالمغارم ، لما يعلم من ان الوالد لا يذره وذلك بما امكن فربض القائد ينتظر الفرص بالاستاذ . ويهدده اشد تهديد من بعيد ، ويقول للناس لابد ان يؤدي كل تلك الاعشار التي ادخلها في ايام الكيلولي

ولكن يده لم تزل بعناية الله منقبضة عنه ، وكان يقول لاختصائه : لاخاف والله الا سيدي الحاج علي ، فانه كثيرا ما اهم ان انفذ ارادتي في الفقيه ، وان لا يرجع الى داره ان جاء الى هذه الدار ، حتى اذا اراه مصاحبا للشيخ ينخنس عزمي واقر فيما انويه ، وقال مرة أخرى : عجبنا من الشيخ فاني لا اكاد على رغم انفي انطلي مقاصده ، ولولاه لما رأى الفقيه الشمس بعد .

ثم انه عزم مرة عزمًا اكيدا على ان ينفذ ارادته في الاستاذ ، قال القائد العربي الضرصورى الراسلوادى الاولوزى ، فركبنا معه في مائة فارس ، وهو في حق عظيم جاعلا بين عينيه ان لا يرجع الا بصاحبه ، فرحنا الى الغ ولكننا تعجبنا حين صدرنا بخفي حين صبيحة اليوم الثاني .

جلس الاستاذ في دارنا مع الوالد وهو ثالث ثلاثة ، وقد القى الاصيل رداءه المذهب في جو الغ الصقيل ، تحت ذيل النسيم العليل ، والنفوس مطمئنة والبهجات في المحافل الادبية مرسلات الاعنة ، اذا يعادى عدو الى الجالسين فقال لهم : ان خيلا كثيرة قد البست بسوادها ماحول دار الفقيه فانفلت الوالد والفقيه وراءه فصادفوا القائد سعيدا مع اصحابه ، ومع حاجيين وغيرهم ، فلاقياهم ببشر وسرور كأنهما لا يهجنس في قلوبهما منهم شيء او كأنهم وفد خير ورسل سلام ، ثم اقيمت الضيافة لهم خير قيام في دار الاستاذ ، وفي دار الوالد ولكن الاضياف فاجاهم ليلا ما ازعجهم عن طلبتهم التي صمدوا اليها ، فقد طرقتهم ان الوقاويين والبدراريين (١) الذين كانوا اذذاك في محاربة مع الجيوش النفلوسية وما اليها ، قد سروا بسرية تكمن لهم في (دراووغ) ففى نفس الطريق الذي يسلكه السالكون من مجاط الى الغ

حكى الاستاذ رحمه الله انه كان واقفا في تلك الليلة امام باب ثوبه والقائد سعيد واصحابه في داخله ، وعبد جميل نشيط احوذى للاستاذ قائم على رؤوس الاضياف يمد اليهم ما يحتاجونه ، فالتفت القائد الى جلاسه فقال لهم : لماذا يكون مثل هذا العبد الاحوذى الجميل لفلان الفلاني سوعبر بعبارة لا تكتب فلماذا لا نذهب به ؟ فانا اولى بمثله ، قال الاستاذ : فقلت له في نفسي : والله لا تريته ايها الجبار العنيد ، بفضل الله وعنايته .

في منبثق الفجر ، اجفل الاضياف وطلعوا من طريق تاكانزا وهم يكثرون الالتفات يمنا ويسرة ، خوف ان يمتد الكمين ايضا الى تلك الجهة البعيدة عن (دراووغ) وهم يطرون باجنحة النعام ، اذا رأى احدهم غير شيء ظنه رجلا .

كان فجاج الارض وهي بسيطة على الهارب المطلوب كفة حابل يؤتى اليه ان كل ثنية تيممها ترمى اليه بقاتل

(١) البدراريون : الجبلون اهل جبل جزولة الذين يدافعون اذذاك عن جبلهم

هكذا دام حفظ الله على الاستاذ ، وما لخطاه حتى في هذه المرة التي جاء فيها هذا الجبار عازما ، لمرد الله كيده في نحره وقد اغنت عناية الله عن مضاعفات الدروع وعن عاليات الاطام .

حكى لي حاك ان النفلوسي ذاك القائد مباركا البشيراني يوما في الفتك بالاستاذ لما يوسوس به القائد سعيد عند كثيرا فنهاه عن ذلك ، وقال له : اياك ان تمس هؤلاء المرابطين بظفر ، فان لهم حمة لا تفلت من تمتد اليهم يده قال : وذلك مارده عما يريد بادي بد ، ولكن هيهات ان يفلت النفلوسي منها هيهات ، فان الله يدافع عن الذين امنوا ، ومن اجترح ذنبا او مس حمي فلا بد ان يمسه «ام حسب الذين اجترحوا السيئات ان نجعلهم كالذين امنوا وعملوا الصالحات سواء محياهم ومماتهم ساء ما يحكمون»

طاف داء عياء بالقائد محمد النفلوسي اعيان نطس الاطباء ، فلم يمهله كثيرا فالحقه برمسه في ترزيت في ١٤ محرم عام ١٣٢١ هـ كما طاف بتازة ايضا ذلك الزعزع الهائل الذي اثاره ابو حمارة ، فضمت الحكومة كل جيوشها لمقاومته ومن بينها هذا الجيش الرابض مع القائد احمد انفلوس الذي خلف صنوه في مركز ترزيت ، فثارت القبائل على رؤسائها ، ولاقى كل قائد من اخوانه مالاقي فانجر القائد سعيد المجاطي في تاجكجالت وضرب حوله نطاق الحصار من ذلك العام الى رمضان عام ١٣٢٣ هـ فكان يرسل سرايا من اصحابه الى البيوتات فينهبون ويلصون ومن بين من اصابه شره الاستاذ صاحب الترجمة ، فقد اصبح يوما فوجد بغلة له مفقودة وقد راي اثر اللصوص ، ففرغ الى الوالد فركبها معا الى ذلك الجبار المحاصر ، وقد عرفا انه هو صاحب الفعلة فربض الاستاذ بعيدا ولم يقدر ان يلج تاجكجالت فمثل الوالد بين يديه وبمجرد ما انقضى السلام المعتاد ، قال له الشيخ : بغلة الفقيه الاستاذ تجيء الآن فصار يتلوى في الكلام فقال له : لا كلام ولا ما تقوله الا البغلة الآن وكان للشيخ في امثال هذه المواقف همة نفاذة تفعل بنفوس مخاطبيها فوق ما يفعله لسانه في اصمختهم فلم يجد القائد ما يجيب به ، ولم يسعه الا ان ارسل الى البغلة فحضرت ، فصار يعتذر فقيدت البغلة برسن كما قيدت من دار صاحبها ، قال لي امغار ابراهيم اخو القائد وهو يحكي لي القضية : فقال لي الشيخ وقد خرجت معه لاودعه : هذه هي نهاية القائد ، فكثيرا ما اردت ان يمسه الفقيه ، واذمسه اليوم فقد انكشفت عنه تلك الغمامة التي يستظل بها منذ صار قائدا ، ثم لم يمض الا اربعون يوما اذا به ينحدر ليلة في عقبة تاجكجالت هاربا ، وذلك في ١٥ رمضان عام ١٣٢٣ هـ فكان ذلك اخر عهده بداره ، و«آخر خيط انقطع بينه وبين ايبالته»

هذه صفحة اخرى من صفحات تاريخ الاستاذ ظهر فيها بمظهر التجلد التام وبمتهى الانفة ، فلم تدره نفسه ان يتطرح على عدوه هذا لعله ينزاح عنه

ما كان في صدره عليه حقدا على حقد ، وقد اكتفى بالالتجاء الى الله الذي لا يضيع احدا ، وكيف يستباح من كان في كرامة الله ؟ وخصوصا من كان مستضعفا لا يتكل على قوة الا على قوة ربه «ليس الله بكاف عبده» ؟

في شبه غربته بعد دفن رفيقه الشيخ الالفي

اريد منك ايها القاري ان تستحضر في ذهنك الآن معملا من المعامل لورثه في حياتك وان تذكر ان هناك آلات تستدير كلها وان كانت وجهاتها مختلفة واقرب ما تلاحظه ان لم تشاهد قط معملا آلات ساعتك ان فتحتها من ورائها فتدرك ان هذه الآلات المتحركة التي ربما لا تنتج في دورانها الى وجهة واحدة ينتج عنها وراء ذلك عمل واحد ، هو المقصود بها اولا و«اخرا»

مثل ذلك مثل الاستاذ العلامة المدرس سيدي علي بن عبد الله الذي افرغ جهوده كلها في التعليم والفتوى والقضاء ، ومثل الشيخ الوالد المربي للمريدين الذي افرغ جهوده كلها في الارشاد والوعظ والتهذيب ، وازالة غيوت النفوس عن المريدين ، حتى تصلح للمقامات العليا ، ذلك عمل الاستاذ المستمر وهذا عمل الشيخ الوالد المستمر ، ثم انهما مع ذلك يكادان يكونان كروح واحدة في جسدين ، لانهما لا يكادان يفرغان من اعمالهما هذه بعض فراغ الا تواصلوا واستمرا كذلك مالم يدعهما الواجب لمعاودة اعمالهما ، ثم يتواصلان ايضا ، وهكذا دواليك وهل يجمع بين القلوب الا الصفاء ؟ وهل يجدي الجوار الا اذا تناهى الجيران مشهدا ومغيبا ؟ :

وليس اخي من ودي بلسانه ولكن اخي من ودي وهو غائب
ومن ماله مالي اذا كنت معدما ومالي له ان اعوزته النوائب

كانا يفرحان فرحا واحدا ، وكانا يقومان ويقعدان في حين واحد وينظران معا نظرة متحدة الى كل شيء ، حقيقة ان لكل واحد منهما وجهة مستقلة يستقل بها ، فللوالد تصوفه الذي يرفرف عليه علمه الخفاق وملاقة الواردين عليه ، للمقربين مما لديه المنهايين عليه من كل صوب ، وللاستاذ علمه الزاخر وادبه العالي ، وسبحه في امواج المعارف بين طلبة مدرسته الذين انقطعوا اليه من الآفاق ، فكل وجهة هو موليا كما ترى ولكن الجامع بينهما ما وراء ذلك مما هو غاية لكل هذا ، وهو نفع العباد والسعي في مصلحة العامة

عرفت ان الوالد اكبر من الاستاذ ، وانه هو الذي له الصدارة بعد الاستاذ سيدي محمد بن عبد الله ولكنه لما رأى ان تصوفه هو ، وماطوق به من الطريقة واهلها لم يدع له فراغا للعلم ، والعلم هو القطب الذي يدور عليه نفع العباد الدائم ، ساند صاحب الترجمة وصار يعاونه في القيام بهذه المهمة الكبيرة التي

ما خلق إلا لها كما أن الوالد ما خلق إلا لتصوره ، فكان الوالد يرسل إلى المدرسة كل من أنس منه ميلا إلى التعلم من أولاد مريديه ، ويشجع من فيها ويعين ويؤود ويعبر الكتب ويقيم الحفلات ، من غير أن يكون منه ذلك كله إلا عانة فقط ، ثم لا يتدخل في ذلك لما يعلم من أن الأستاذ هورب المدرسة الذي ورثها عن صنوه وأنه هو العلامة الذي لا يجارى في ذلك الميدان ، وكذلك لا يسأل عن مسألة فقهية خارج باب العبادات إلا أرشد السائل إلى الأستاذ ، بل ولاتته قبيلة المرابطين بشيء من عند جميعهم إلا أمرهم أن يذهبوا به إلى الأستاذ ، فقد جمعوا مرة في أيام الكيلوليين سمنا كثيرا ففرقوه ، فتوجهوا بنصفه إلى الأستاذ وبالنصف رحمه الله يرى الأستاذ مكانة عالية ومهارة يقتدر بها على الإدارة في مختلف الأمور فيدفعه إليها ، ثم يكون له وراء ذلك خير معين وهو الذي تطلب منه المرابطون أن يرأسهم في أيام الحاجيين فقال كلائم كلا ، فهذا مركز الفقيه فهكذا سلم له من الجميع حتى من صنوه الشيخ ، ثم لا يزالان كذلك مجتمعين في الحضر والسفر ما لم يشتغل الوالد بمريديه في زاويته ، أو ما لم يسح إليهم في أسفاره ، وفيما سوى ذلك تراهما معا ، أما في دار الشيخ وأما في دار الأستاذ وضيئتهما واحد ومجلسهما واحد ورأيهما واحد وكذلك كثيرا ما تراهما على بغليتهما كأنهما فرقدان ، أما في طريق تامانارت وأما في طريق موسم تازروالتا وفي طريقهما إلى إقامة سلم بين المتحاربين ، فقلما يتطلب من أحدهما أمر فيه ظفر ، أو تعرضت له وجهة يتوجه إليها الأمر بصاحبه فراققه ، اشتهدا بذلك حتى كان ترافقهما عند كل الناس معروفا مشهورا .

حكى لي حاك أن الوالد تطلب منه «ال امتضى أن يقف لهم على عين حتى تخرج - وهي التي ذكرنا أنها غارت في ترجمة سيدي أحمد بن بلقاسم التيبوي المتقدم - وكان الوقوف في أمثال ذلك مما يكرهه الوالد ، ولا يجب أن يشتهد به ولأن يقصده الناس من أجله ، ولكنه لا يرد من يتطلبه منه إلا بحيلة كما فعل بهؤلاء فقد مر بصاحبه الأستاذ بن عبد الله فركبا معا فوصلا امتضى ، فقال لمن هناك : لأبدان تعطوني وإن تعطوا الفقيه سيدي عليا مقدار ما تسقى العين نهارا لكل واحد منا من الحقول أزاء العين ، مع ما نبني فيه ديارنا ثم مال بصاحبه وهما على شفير العين يخطان خطط الديار ، والشيخ يتبأله ويتظاهر بأنه ذو حرص شديد في ذلك ، فترأى لثال امتضى الجشع العظيم من العالمين الالفين فقالوا في أنفسهم ما قالوا ، فردوهما بالتى هي أحسن ثم رجع السيدان وهما يتبسمان ، وقد أدرك الفقيه مقصود الشيخ ، فتمت حيلة الوالد من غير أن يشعر بها أحد ثم لم يعد «ال امتضى إلى الغ بعد ذلك اليوم ولا ذكرا بعد قضيتهما .

سألت يوما سيدي سعيدا التتاني عن كتاب من الكتب ، لماذا لم يشتريه الوالد فقال : أن الشيخ إذا كان بمراكش ، لايهمه إلا أن يأتى إلى الفقيه سيدي

«ال وال الحاج إبراهيم الأيفشاني بما يكسوان به كل من في دورهما ، وقلما يفسل له عن ذلك شيء آخر أقول : أن دارنا ودار الأستاذ ودار الأيفشاني واحدة في ذلك الوقت والآن أيضا ، لأن الأمهات منهن متلاحمات الأرحام فزوجة الأستاذ أخت الوالد وزوجة والدي بنت أخت الأيفشاني وزوجات أولاد الحاج إبراهيم بنات أخت الوالد وربيات الأستاذ ، فلذلك علاوة على أداء حقوق الصعبة والجوار ، ترى الوالد مهتما بشؤون الجميع كما يهتمون هم أيضا بشؤونه فكانوا خير رجال في خير عصر لا يعرف الحسد ولا ما يكون من تبالغي المتعاصرين المتجاوزين إليهم من سبيل ، ولا تجد التماثل إلى ذات بينهم منغلدا ، فقام بهم من العلم والدين في الغ ما لا تزال السنة المتحدثين به رطبة إلى الآن .

ثم لما توفي الوالد وفقد منه الأستاذ من كان له خير معين في كل ناحية أصبح كفريب في الغ ، ثم لم ينشب أن بدت له أمور تلو أمور ، فكان لسان حاله ينشد فيها قول الطغرائي :

هذا جزء امرئ أقرانه درجوا من قبله فتمنى فسحة الاجل

وكان رحمه الله كثيرا ما يذكر الشيخ في محادثاته كلما حزبه أمر لا يجد فيه معينا ، أو رأى في بيئته من لا يقادرونه قدره ، ويقول : مامات الشيخ اللى وحدي ، فقد حكى لي الفقير سيدي محمد الزكري أنه التقى معه ليلا عند مصلي العيد غرب المسجد السلیماني وذلك حين قلب الأيشتيون ظهر المجن لآل الغ فأرادوا أن يلتهموا أهلكهم التي اشتروها في قريتهم ، قال الزكري : فقلت له أنه يجب عليك أن تدارى الأيشتيين كما كان الشيخ يداريهم في عصره ، فقد كان قام بذلك في حياته عنك وعن نفسه خير قيام بما كان يصبه عليهم من العطايا صبا ، فإنه لا مقصود للأيشتيين إلا ما يتمصصون ولا يشكون اليوم الأمن فقد انهم ما كانوا ألفوه أيام الشيخ ، قال : فاجابني الفقيه بقوله : أيراد مني أن أمثل دور الشيخ في كرمه ، وفي حسن معاملته مع الناس ؟ فاني أكون كشجرة من شعراة فإنه كان وحيدا في دنياه محظوظا في حياته ، أنهالت عليه الدراهم ومختلف الألبسة من كل ناحية ، حتى أننى لأزال القلب في كسائه التي كسانيتها إلى الآن وقد انصرفت سنوات كثيرة قال الزكري : ثم تناول سلهاما كان عليه من الملف وقميصا آخر تحته فقال أشهد على بان هذين من بقية ماكسانيه الشيخ رحمه الله ، أمثل هذا الرجل العظيم تريدان تسويني ، وترغب في أن أقوم مقامه للأيشتيين أو غيرهم ؟

هذه شهادته رحمه الله وقوله فرحمه الله من متواضع منصف ، وهل يعترف مثل هذا الاعتراف إلا الأفاضل الذين يقلون في كل وقت ؟ فقد تناخيا حياة ومما نارحهما الله ووفى أولادهما أن يرثوا عنهما ذلك التناخي .

وان اخاك الحق من كان مثليا عليك وترب الرمس قد هيل فوقك
ويعلن في كل النوادي لسانه من الفضل والمجد المؤئل حقك

بين قضاة تزينت في عهد الهيبة

دار الزمان دورته ، وتقلبت بالمغرب النكود فتن وثوارت ، فجاء الاحتلال
الداهم بزعاظه ومعاركه فيتخطط المغاربة كلهم في امواج متلاطمة مهاجمة
ومدافعة فامتد الى سوس حظه من بين ماتموج به جوانب المغرب فبويج
الشيخ احمد الهيبة في جمادى الثانية عام ١٣٣٠ هـ على ايدي رؤساء القبائل
الجنوبية وفقهاؤها ، فكان صاحب الترجمة لما له من الشهرة الطائفة والسمة
المنتشرة ممن لابد ان يكون في طليعة الفقهاء ، لئلا من غير دينية وشهرة بين
اقرانه في كل سوس مدوية ، ثم توجه الهيبة الى الحمراء زاحفا بجيوشه فترك
ثلة من العلماء بتزيت ، قضاة تحت رئاسة سيدى المحفوظ الادوزى رحمه الله
فكان استاذنا من بين هؤلاء القضاة بل ممن لهم هناك شغوف ورهبة وجولات
اثر جولات ، وقد صدرت عنه اذذاك ادبيات ثرية او شعرية الى الشيخ الهيبة
والى اخيه النعمة فتمشى في فض التوازل على العادة ، والقضاء غير منظم ومتى
لامثال تلك القبائل اذذاك تنظيم في شئونهم الخاصة ، فينتظر منهم ذلك في
شئونهم العامة فيتوصل القضاة من المحكوم له على العادة بما يتفاوضون
عليه ، فبقى هناك الاستاذ شهرين : شعبان ورمضان عام ١٣٣٠ هـ ثم عيذ عند
اهله بالغ ، وقد جاد على كل من زاده يوم رجوعه اوالم بداره بما عرف عنه رحمه
الله من اكرام القاصدين واتحاف من اليه بعد سفره من الجيران والاقربين .

وقد وقعت له هناك بتزيت قضية تدل على تسامحه ، وذلك ان بعض
الناس المتفكرين كان تعرف به فاتخذة امينا ، يودع عنده ماياتى به الله من
قوالب السكر حتى بلغ ذلك سبعين قالبا ، فحين ازمع الرحلة طلب الوديعة
من سيدنا الفقير الصوفي فصاحبه سيدنا الامين الى البيت الذى يضع فيه
السكر ، فاراه ميل الماء الذى يكف به السقف وقال : ان السكر ذاب كله من
وكفات السقوف بالمطر ، ولا أدري اظن الاستاذ الكاغد ايضا مما ذاب فلم
يستقص في السؤال ، ام علم ان السكر حقيقة ذائب ولكن بماء سخين غال مما
تداوله المقراج والبراد في حضرة سيدنا الفقير الثانى في حضرة ربه :

ان قال قد ضاعت فصدق انها ضاعت ولكن منك يعنى لوتنى
او قال قد وقعت فصدق انها وقعت ولكن منه احسن موقع
فقد كان القاضى سيدى محمد اعمو - قاضى تيزيت اليوم - يباسط هذا

الفقر ويجاريه حول هذه القضية ، والآخر ييسم ويظهر من بسماته ان ذلك
السكر انما ذاب بين حرف الكاس ورشقاته ، ام ان القدر هو الذى امل ان الذى
باني بنقط المداد من اليراع بين الاوراق ، فمن ان يذهب مشروبا بين حبيبات
السبعة وبين كاس دهاق .

بن رؤساء قبائل هذا الجبال في الكفاح

اجفل الشيخ احمد الهيبة من مراکش فحل بتارودانت حيث زاره صاحب
الترجمة مع الحاج ابراهيم الايشانى ، وقد مرا في رجوعهما بتزيت بعدما
حلا عنها الشيخ النعمة الذى كان فيها خليفة اخيه الهيبة ، وكان الجلاله الرحيد
الاضحى من عام ١٣٣٠ هـ فحل الاستاذ ورفيقه هناك فلم يشب ان داعية امره
من هناك الى مجمع رؤساء تيزيت وكان الاستاذ حكم لها في قضية في تلك
الايام الماضية ، وتوصل منها بما توصل ، على عادة القضاة كما ذكرناه لم
حزها الآن بعض فقهاء تيزيت ممن كانوا يتطلبون اذذاك حظهم في تلك القضية
فلم ينالوه ، ثم انفتل الاستاذ عن تيزيت كما ذكرنا قبل ان يتوصلوا به فوضعوا
البرغوث الآن في اذن المرأة لعلهم بذلك يتوصلون بشئ من الاستاذ فحين علم
من أين مثار هذه الموجة تبسم فناول اولئك الفقهاء شيئا يقطع به السنتهم
فسكتوا المرأة وانتهت القضية ، وقد قال الحاج ابراهيم الغيور على مراتبه
الالفين دائما : لو علمت ان في تيزيت مثل هذه القضية لامرنا بها ولكن كان
امر الله قدرا مقدورا ، على ان صدر الاستاذ الفسيح الذى يعلم من امثال هؤلاء
الفقهاء انهم انما يريدون ان ينالوا من ورائه مضغة حين اعوزهم ان يشقوا له
غبارا في ميدان القضاء ، لا يمكن ان يضيق ولا ان يتغير ومتى تغير البحر بقلا
تسقط في عرض عبابه :

افتقنى عرض البحار قلادة ان رمتها في جانبيه الرياح ؟

ثم ان الهيبة ازعج ايضا من تارودانت الى اسرسييف ، ثم الى تيمكر ثم
حط رحله اخيرا بكردوس ، وفي كل هذه الامكنة لا يغيب المترجم زيارته ، ثم
دارت بين هذه القبائل الجزولية وما اليها الى ايت بعمران ، وبين الجيوش التي
ترسلها الحكومة تحت ايدى القواد حيدة بن مائس المنابهي والقائد ابن دحان
والباشا الحاج التهامى الكلاوى والقائد الكتنافى وغيرهم من ضباط فرنسا
وجنرالاتها ، حروب ومجاذبات عنيفة ، وكان لصاحب الترجمة يد عليا في
الاستحواذ على القلوب في كل مجمع بمواعظه المبكية ، وفصاحته المؤثرة حتى
لا يتكلم في المجمع العام للقبائل - كما حكى لى الاخ احمد - سواء ، وسوى القائد
المدنى فهما العمدان للشيخ احمد الهيبة ، ولسانه الذى هو يبلغ به الهيبة ماشا لهذه
القبائل ، ثم لما دفن الشيخ احمد الهيبة واليم صنوه مربيه ربه مقامه تهادى

الامر هل ذلك ، وقد قطع غالب الفقهاء عن كردوس الهمو وسيدى الطاهر الافرائى لانه لا يبقى فى الميدان الا المخلصون

هذا هو شغل الاستاذ الشاغل منذ اجتمعت كلمة هذه القبائل الجبلية والجنوبية على مناصرة الهبة وخلفه فى الكفاح والمقاومة ، فعلا كعبه فى الرئاسة وكاد يكون وحده قطبا لا يتخطى فى المهمات امره ، وقد اتخذه القائد المدنى الاخصاصى الذى كان هو فى الحقيقة كبش الكتبية والمنافع بحليب هذا الضرع الدار شريكا ونجيا ، والاستاذ شيخنا سيدى الطاهر الافرائى تلميذه يسانه ويشد عضده ، ويؤمن على كل دعواته ، فقد حضرا معا فى وقعة وجان يوم زحف اليه القائد حيدة فكانا ممن تسللوا الى وجان حين حوصرت فى ذلك اليوم المشهود كما حضرا ايضا حين سقط القائد حيدة هذا قتيلًا ، ولهما فى ذلك نظراء وكانا عام ١٣٣٥ هـ من بين المقاومين يوم الزحف الاكبر بالجيش الجنرال - كما اشتهر به فى هذه الجهات الى الآن - ثم كانا ايضا من الزاحفين الى اداوذكرى مرات واثى ايت ودريم والى غير ذلك مما وقعت فيه حروب ومجاذبات بين هذه القبائل وبين الحكومة وهو فى كل ذلك بذلاقة لسانه وبلاغة بيانه ، وتدفق عباراته التى تتدفق كلما قام فى مجمع من مجامع القبائل للوعظ يترقى فى اعين الناس ترقيا عظيما ، حتى كان يحسب له ولرايه الف حساب مع ثبات جاش وشجاعة توثر فوطى رؤساء القبائل عقبه ، ووفدوا زرافات الى داره وهو فى كل ذلك لامطمع له الاسداء النصيح لآخوانه لا غير ، ولا يقصد اى شىء اخر على حين ان القائد المدنى الذى كثيرا ما يجعله تكاة ، يسرقى كل ما يفعله من ذلك الحسو فى الارتقاء فمقصوده الوحيد ان يتقلب ويتمكن من اعناق الضعفاء فيمتص دماءهم ، حتى لا يذر فيها قطرة واحدة ، وانما يحكم عليه بهذا لان ذلك هو الذى يظهر منه فى كل القبائل التى تحت كنفه ، فلاشفقة ولارحمة ، ولكن الاستاذ مع كل هذا كان يحسن فيه الظن ، لطيب سريرته وزكاء عنصره ، ولان الفقهاء ابعد الناس عن متجهات السياسة ومغامرها ، كما قاله ابن خلدون .

ذلك هو الاستاذ الرئيس المعروف بالجهر بالحق ، والاشادة بالصراحة التامة ، حتى لا يابه بما يناله فى ذلك وكان له فى مواجهة الشيخ احمد الهبة وخلفه مربيه ربه - وهما ما هما فى اعين الناس بهذه القبائل - كلمات ماثورة يجبههما بها ، يراها من الواجبات عليه من جهة دينه ومن محبته الدائمة لهم ، فكانا يتلقيان منه ذلك برضا يدل على انهما يعرفان انه لا يريد بنصيحته الا الخير حتى انه مرة القى الى الاخير منهما ان الزواج والطلاق اللذين يجعلهما هجيرا كل يوم ، مما يفسد المروءة ويغمر عرض الانسان ورجولته ، ويحكم بان شهوته عليه سلطانا لا يقدر ان يقاومه فاجابه مربيه ربه بان المرء فقيه نفسه قلت ان كثرة الزواج والطلاق فى بلادنا هذه التى لاتعرف الزواج الثانى الانادرا ولا يفرط فيها طلاق الا فى بعض ازمئة قليلة جدا ، من بين الرعاع السفلة ، من

العارواششار اللذين لا يبقى معهما مروءة ، ولا يحفظ بهما عرض الا ان الصحراويين كمال الشيخ ماء العينين يالفونهما الفة معتادة ، فهم معروفون بهذه الخلعة حتى ان الشيخ احمد الهبة نفسه ما كاد يروح الى قصر القصبة الملوكى بمراكش ، حتى كان اول ماجالت فيه فكرته : زوجة جديدة يتملى بها على تلك الاراتك التى نسميها جديدا ، فقد اخبرني باشا الحمراء اذذاك صديقى السيد ادريس منو انه فاضله فى ذلك بمجرد دخوله ، قال فوجدته قد استقصى اسماء الشريقات الابكار الموجودات اذ ذاك فى دور القصبة من بنات الشرفاء العلويين ، استلقى ذلك من بعض العبيد الذين تنازل اليهم من عليائه ، حتى صار يفاضهم فى مثل هذا ، قال : فكنت اراوغة عن كل من يريد من هذه الانسات العلويات ، فاجعل لكل واحدة منهن حجة خاصة ، واخترت منها متزوجة بفلان ابن عمها ، والى اخر زفافها اليه الى حين ثم املت عنقه عن عمد ، فقلت له اين انت من الجمال البارغ والشرف الباذخ والاصالة المغبوطة ؟ فقال واين هذا كله ؟ فقلت له فى تاملوحت ، فقال : اونسأوهم هناك ؟ فقلت له : ان الخبر عن ذلك دون الخبر فهكذا استطعت ان اقلت الشريقات منه ، فخرجت وانا اتعجب منه ومن همته اقول : تامل فى هذا السيد الذى اطلت اليه الجيوش من كل جانب وهو يريد ان يؤسس ملكا باقيا ، وان ينقذ المغرب من الاحتلال ، ثم انظر الى ما يملأ فراغ وقته ، كان الايام ساعده فى كل شىء او كانه نال كل متمناه ولا ينقصه الا ما هو متطلبه من بنات الوسائد ، واين هذا من المؤسسين الذين ما كانوا يبالوا وهم فى مثل هذا الطور بذوات القناع (وان بنى باطهار) فهذا ابو مسلم الخراسانى الخنزير الشهير ، يعد البعال جنونا ويقول يكفى الانسان ان يجن مرة واحدة فى السنة وهذا عبد الملك بن مروان تعرضت له احدى الغواني فى قصره وقد استلام واستعد للخروج لمناجزة مصعب بن الزبير ، فاجهشت اليه فى موقف الوداع ، وكانها تقول له لمن تدرنى وراءك ؟ فساعدها من فى القصر من الجوارى على بكائها ، فلم يعد عبد الملك ان ارسل اليهن نظرة قصيرة ثم ولى وهويشده ما قاله كثير :

اذا ما اراد الغزو لم يشن همه حصان عليها نظم در يزينا
نهته فلما لم تر النهى رده بكت فبكى مما شجاها قطينها
فمثل هذه الهمة هى التى يريد الاستاذ فى الشيخ الهبة ، واخيه بعد ان بذل لهما صفقته ، لان الامور العظام لاتتم الا بالاعاظم ، وكيف تكون عظمة من لم يقدر ان يتملص من مثل ذلك ، فلايستطيع ان يملك قبقة ولا ذبذبه ولا كبكبه (١) . ولكن هؤلاء ابناء الشيخ ماء العينين الذى تزوج بمائة وست عشرة بالتوالى على نية امتثال الحديث تزوجوا الولود الودود فاني مكائر بكم الامم يوم القيامة . فرضى الله عن الشيخ وابنائهم . وانما الحديث ذو شجون

(١) تفسر الكلمات بالمسار والبطن واداة التماسل ، واصل ذلك حديث

عهدنا بالمدرسة الالفية ، ومديرها الاستاذ سيدى بلقاسم التاجارمونتى فقام بها خير قيام ، فلم يكن للاستاذ على بن عبد الله فيها معه الا الاشراف عليها من بعيد ، ومشاركة احوالها والقاء بعض دروس عالية خارج دائر الدروس النظامية ، يوم يمكن له ذلك ووجد فراغا من ضيوفه الكثيرين ومن منصبه القضائى الذى شغل كثيرا من وقته ، فقد اصبح يراعه فى حركة دائمة لا يفتقر فى الاقضاء والاحكام حتى ان سلات الرسوم فى قبائل تلك النواحي لتعج بها عجيجا ، وقد اخبرت ان ديار الوقاويين لم تكن فيها دار واحدة تخلو من فتوى او حكم مما حرره بقلمه ، واحدا او اثنين او اكثر ، وكل ذلك بعبارته الفصيحة التى استمد بها فقهه من ادبه ، فاذا وجد من الاشغال الشاغلة فراغا فلا يدع القاء بعض دروسه فى المدرسة

وفى عام ١٣٣٥ هـ غادر الاستاذ سيدى بلقاسم المدرسة لنزوة من النزوات التى لا يخلو منها البشر ، بعد ان حفضه الاستاذ على ان لا يغادرها ولكن الرزق قد انقضى له هناك ، ثم شارط صاحبها فيها الاستاذين سيدى احمد بن محمد اليزيدى مرتين ، وسيدى على الالفى حينما ، فحملت الاستاذ ذبذبة الدراسة هناك على ان يجعل ايضا من وقته حظا لتمشية الدروس النظامية وخصوصا بعد ان شغرت المدرسة من هؤلاء الاساتذة الذين يعثرونها ، فهذه حاله من عام ١٣٣٥ هـ الى ان التحق بربه فى عام ١٣٤٧ هـ

وكانت عادة الاستاذ ان يرسل اخص تلاميذه ليتلقوا بعض فنون العوالم عند من يتقنها ان لم يكن له الا تيان بذلك الاستاذ ، فهذان الاستاذان سيدى احمد ابن صالح الافرانى وسيدى الطاهر بن المدنى الناصرى ، قد ارسلهما الى المدرسة البوعبدلية لياخذ المنطق عن استاذها سيدى المحفوظ ، وكان ايضا اتى بالاستاذ شيخه سيدى على بوضاض فى اوائل تصدره فى المدرسة ، فاخذ عنه من فى المدرسة الالفية الحساب والفرائض كما كان ايضا يقدم لذلك الاستاذ محمد بن على ايكيك ، وربما يجلس مع الطلبة فى درسه ويعمل معهم عمل الفرائض ، او اعداد الحساب وذلك من تواضعه ، وليكون خيرة لطلبة ، وقد اخبر نسي ايضا ولده الاستاذ الطاهر بن على انه ارسله فى عوالم الى استاذ مدرسة افلا اوكنس ، سيدى احمد بن سعيد الاكمارى لياخذ عنه الفرائض ، والبخارى سردا فى رمضان ، وابن نظير الاستاذ فى مثل هذا الصنيع ، حين لا يستنكف ان ياخذ تلاميذه الاخصاء عن غيره مع مانعه من غالب معاصريه من اعتداد كل واحد منهم بنفسه وبعلمه وبمدرسته الخاصة ، فلا يكاد يسلم للآخرين مكانهم فى المعارف من بعيد ، فضلا عن ان يتنازل حتى يبعث اليهم اصحابه او يستقدمهم

فيجلس مع تلاميذه بين يديهم ، فيأخذ عنهم هو ايضا كما يأخذون ، فليعرف التاريخ للمترجم هذه المنقبة ، فانها لمنقبة عظيمة ، تكفى ان ترفع بها راسها مفخرا الى عنان السماء وان تسكت من عسى ان يفخر المدرسة الالفية مقمرا باباء الله والشهم :

اقلوا عليهم لا ابا لايكم من اللوم اوسدوا المكان الذى سدوا

وقد كان اخذ عن سيدى عبد الرحمن السالى فى مبدا امره لم صار يستقدمه فيبقى فى المدرسة فى بيت ياخذ عنه فيه طلبتها

نظرة عامة على اخلاقه

ما ظنك برجل كان اولا منعزلا فى مدرسة ، مقبلا على موالاة دروسه لا يمتد بصره الى اكثر منها ثم بعد ذلك دهمته اعاصير ادارة اعمال اسرته وطلبته ومزاولة الخصوم الذين يحكمونه فى القضايا واهم الحطب الذى لا يوقد فى مطبخ الا اذا اوتى به من بعيد ، وشأن الحرث والحصاد فى الخ ادهى وامر ، والعبيد سوههم كثيرون عند الاستاذ فيما بين هذا وذاك ينتهبون كل ما وجدوا ، لا يؤتمنون على حبل فضلا عن غيره ، والوفود المستضيفة تتوارد من كل جهة ، افترى من كان بين هذه الموجات الزخارة يهدأ خلقه ام تتناهى فينات نوبات عصبية تقيمه وتغده ، حقا كان الاستاذ على هذه الاخلاق فكان هو فى نفسه ليئا طيبا متحملا صبوراً واسع الصدر ، مراعى لجبر الخواطر بالغا اقصى جهده ان لا ينصرف عنه جلسيه الاراضيا ، لاسيما فى اوقات الابحاث العلمية فانه يرخى العنان كل الارحاء ولا يجبه من يخالف رايه فى مسألة بل يسايره حتى يتجلى الحق للجانبين فيقف المباحث عن عسفه ان كان هو الذى اعتسف عن الصراط السوى ، وان كان هو الاستاذ فسرعان ما يرجع ، وربما يلقى رحمه الله فى امثال هذه المجالس من امثال الفقيه سيدى محمد بن على ايكيك ما يضيق به لطاق الحليم ، ولكنه يرى لمقام رئاسته انه لا يستحق ذلك المقام الا اذا كان لا يخرج عن الاغضاء والقاء كل مامسه فى ذلك دبر اذنيه :

ليس الغبى بسيد فى قومه لكن سيد قومه المتغابى

ذلك طبع الاستاذ الجبلى الذى يظهر منه كل الظهور بين اقرانه وتلاميذه وجلسائه ، ولكنه لا يكاد يزاول الشئون الاخرى ويرى بعينه ما يرى ، مما لا يتسع له حتى صدر الاحتف بن قيس وتحمل قيس بن عاصم حتى ترى منه بعض المرات ثورات ، لا يقف امامها واقف ، وخصوصا حين يشاهد الفساد الحقول ودوس البقول والعبث بالمزارع واقتصاب الاغصان المثمرة ، فلازال اذكر اننى فى بعض الصبية الراوى ، كنا نتجاذى على فرس فى مزارع السنايل

فلم لشهر به حتى هزل الينا ، وصوته الجهوى تصتك به اذالتا فرجنا
باجنحة النعام ، وهو يتبعنا بالرعى باحجار كئالها مستهدين ، غير ان الله سلم
فوانجنا ديارنا بقلوب واجفة ، وفرائص مرعدة فكان لنا ذلك درساً لم يزل نصب
اعيننا الى الآن ، وقد يصجر ايضا احيانا من المتخاصمين الذين يحكمونه فى
الضايهم ، ومن كثرة الدادهم وشغبهم وعنتهم ونزولهم عليه كأنهم لم يطر
اذانهم قول القائل :

(ليس على الفقيه من ضيافة)

فينهال عليهم متفجرا بالتأنيب والعتاب ماشاء الله ، ثم لا يلبث ان ينهال عليهم
ثانيا بخيرات حسان ، وجفان كالجوابى وقدر راسيات ، فتسرى الموائد
البهجة ماجرحته الصدور الحرجة

وكان يحب نجباء الطلبة ويقوم بضعفتهم بما يمد به الى كل انسان منهم بيده
فيما بينه وبينه ويشجع كل من انس منه تقدا فى فن من الفنون التى يعنى
بها الالفين وخصوصا علوم الدين والادب وما اليها ، فكل من رأى له فى ذلك
المرأ مهذبا مقالة او رسالة او قصيدة او قطعة ، يعنى به غاية الاعتناء ويجمع
عليها اهله ووما اهله الا علماء نجباء متفوقون - مع من وفدوا على حضرته فيلقى
عليهم بنفسه ما احبته التلميذ من قريحته بلسانه الفصيح ، ولهجة العذبة فان
كانت شعرا وهو الغالب فانه يكر كل بيت على حدة ، ويترنم به فيستحسن بكل
الان ما كان مستحسنا ، ويغض عما رأى من الزلل مع التلويح الى ما فى ذلك
من غير تصريح ، حتى لا يحصل خجل للقائل فينكص على عقبه وتفتره مته والتشجيع
دائما افضل للتلاميذ ، وهكذا ايضا فى الرسائل والفتاوى وسواء صدر هذا
من تلاميذه الالفين أم من تلاميذ تلاميذه ، بل يعنى بكل ذلك وان صدر عن
اجانب عن الغ اريحية منه وحبا للادب العام وللآثار العلمية كيفما كانت وايا
كان اصحابها .

على ان له وسط تلاميذه مع هذا الخلق الواسع وقفات اخرى اذا شاهد من
احدهم خروجاً عن الاحب او انس ما يخل بالمرورة او يهتك سمعة المدرسة
فكم ذى لحية كثة وهو عملاق يطاول النخيل ، مد أمامه فى المدرسة ، فاختلقت
عليه الجبال حتى يكره الغ وما اليها ، وتمنى لو لم يعرف اليها من سبيل ولاورد
بلا شوك ولا روضة انفا بغير سياج وجزء سيئة سيئة مثلها وكم زلة لا يمكن
ان يتل ازاها : « فمن عفا واصلح فاجره على الله » ولبعض الالفين فى الموضوع :

اذا انت لم تكبح رفيقك مرة وقد اعتدى شاركته حيث لا تدرى
وذو الاعتداء ان اعاد غدت له خلاق تبقى لاتزول الى القبر
ونفس الفتى جماحة لا يرد لها سوى كبجها بالجلد والنهر والقهر
ومن كان ذا حزم فلا بد ان ترى له ضفطة حيناً وان كان ذا صبر

فما كل ذى داء يداوى بسكر فكم نفل لابد فيه من الصبر
فعل هذه الطريقة التى عليها صاحب الترجمة يسير كل الالفين ولا علم
الآن من حاد عنها حتى الشيخ الوالد الذى هذبه التصوف وكانت تربيته قلبية غير
تربية الالفين فانه قل ان تجد من اصحابه الذين اكثروا ملازمته من لم يحدثك
عنه باثارة من هذا الخلق ، وهذا الخلق يسمى عند الاخلاقيين الاسلاميين
عمريا نسبة الى عمر الذى قل ان تجد من بقية العشرة المبشرين بالجنة فمن دونهم
من لم يصطدم ودرته ، ولا يوتى هذا الخلق الامن اوتى القوتين الذاتية والروحية
وقلما يسلك صاحب هذا الخلق فجا الاسلك المفسدون فجا ، آخر قرارا مسنه
على ان الناس طبائع والغاية واحدة ، وان تعددت الوسائل وان كان الخلق النبوى
من الحلم والاناة والمسامحة اعظم الاخلاق وافضل ما يقتدى به ، وفى الحديث
انما العلم بالتعلم والحلم بالتحلم ، وقد سرى الى الاخلاق منانحن الالفين هذا
الخلق من الاسلاف ولكن يجب علينا ان لا نتخذ المثل الاعلى

وهبنى قلت هذا الصبح ليل ايعمى العالمون عن الضياء ؟
فانا بنفسى طالما ندمت على مثل هذه المواقف (١) المزرية ولكن الطبع
وا اسفا يغلب التطبع ، فلنقل الحق ولننصف فان الله يعين على الفرق مالا
يعين على الخرق

فهذا الحق ليس به خفاء فدعنى من بنيات الطريق
وكانت له رحمه الله فى رماية اليد قرطسة قلما تخطى ، اشتهر بها ،
لا سيما ان كان راجلا لذلك كان ان حربه امر واستحته ان ينهى مفسدا من
المفسدين فى المزارع وقت فصل الربيع ينفلت عن ظهر بغلته ان صادفه الحال
راكبا ، فيقف على رجله ، ليوجه الحجارة كيف يريد فاذا بالحجر من يده كالسهم
من يد احدهم ثعل وكان رحمه الله رجل الدنيا والاخرة ورجل المعارف والمكاسب
خلق لهما معا

وانما رجل الدنيا وواحدها من لا يعول فى الدنيا على رجل
فكما انه هو الذى يتولى مراجع مسألة من المسائل وقعت فيها الابحاث
المختلفة فى مجلسه فلا يكل ذلك الى غيره ولا يكل عن ترده الى مكتبته مراد الى الكتب
التي تتوقف عليها المراجعة كذلك يقف بنفسه على جميع شئونه ، ولا يكل ذلك
الى احد وان اتفق ان رسل احدا ليقتضى غرضا ، فلا يلبث ان يطل عليه لينظر
كيف يفعل ، فكثيرا ما يمكث فى قبة الاضياف بداره ، والمحفل بالعلماء غاص
وكتاب من كتب الادب او التفسير او الحديث يتلى ، او قصيدة تلقى وربما يكون

(١) كنت حين ليلت فى تيمناجدا معتقلا جمعت مؤلفا فى هذه المواقف التى
عددتها اذ ذاك اريد من سببها وسببها (مواقف مخجلة)

اكلف من مد اليراعة مرغما وان لم اقل كل الذي كان واجبا
فمن لبان بان احصى الرمال بعالج ومن لبان احصى بعدى الكواكب

آثار قلم الاستاذ من النشر

ليس كل استاذ ينتظر ان تشاهد منه آثار قلمه ، ولا كل اديب علامة
يفتش عن آثاره في التشقيف والتهذيب ، مالم يكن كصاحب الترجمة الذي نالت
له وجهتان ، وتيسرت له هجرتان فامكن للسانه الذي يدرس به ويلقى به
مختلف العلوم على تلاميذه الكثيرين ان يترك لنا ذلك الحجم الغفير من «السر
تهذيبه وتخرجه» ، وامكن ايضا ليراعه الذي لا يهدأ بين الدواة والقرطاس ان
يفيض علينا بآثار قيمة رائعة ان قيسست بيئتها زخرت بها الكنائس والمجموعات
بها الخزائن ، فلذلك يجب علينا لك ايها القارئ ان نعرض امامك من «آثار قلمه
اولا» ، ثم نعرض عليك ثانيا من آثار تهذيبه وتخرجه ماستراه قريبا ، ان قلم
الاستاذ كان سباقا الى الغايات ، نساجا صنعا في القصائد الاخوانيات ، وفي
الرسائل المحبرات ، فكان يتقلب بين الشعر والنثر وكان الجناس والسجع مما
يقصده الاستاذ ، وينتظم في سلك الادباء الذين يختارونهما ويرون «ان في
الخمر معنى ليس في العنب» تمشيا مع البيئة ، وهل الانسان حتى الاديب الا
ابن بيئته ؟

حدث الاديب سيدى احمد بن محمد اليزيدى ان الشيخ احمد الهية ساله
مرة وقد زاره بكردوس عن الموازنة بين هذين الاديبيين الكبيرين ، صاحب
الترجمة والاستاذ الافرانى ، فاجابه الاستاذ اليزيدى :

كلاهما حين جد الجرى بينهما قد اقلعا وكلا انفيهما رابى

فقال له صدقت ، غير ان الاستاذ الالقى في النثر ابرع ، ولا يشق له فيه
غبار وليس دون وادى ام الربيع الى شنكيط من يوازيه في الترسل والاديب
الافرانى شاعر مصقع فرع في براعته وبلاغته كل من يتعالى الى النزاع في القوافي
في الغرب كله

هذا هو حكم هذا الشيخ العلامة الصحراوي الذي لا ينكر نظره السديد
في الادب لماله به من ولوع ، لدن شب حتى شابت سود ذوائبه وقد سمعت من
بعض ادبائنا من يعجبهم هذا الحكم ، ويقفون عنده ولا يجيدون عن سبيله فلنكن
معهم في ذلك ، وان كان يتراءى لي وقد مرت تحت يدي من رسائل الاستاذ
الافرانى نحو خمسين ، انه ايضا حتى في الترسل قد بلغ في ادباء طبقتة
مبلغا ربما يقصرونه حتى باع صاحب الترجمة ولكنني وان كان يتراءى لي هذا
اخاف انني لم اتصل الى الآن برسائل كثيرة من رسائل صاحب الترجمة ، على ان
هذا الكتاب لم نضعه لدرس هؤلاء الادباء فلذلك سنتركه لغيرنا ، في عصر غير هذا
العصر وانما وضعناه لعرض بعض ما نعرفه عن المترجمين ، وسوق بعض «الارهم
بحسب الامكان

هو التالى للكتاب ، او الملقى للقصيدة لم لا يشعر به وقد التشب من حضر في
مبحث هم فيه بين قبول ورد والمراجعة سائرة في طريقها ، فينسل من القبة الى
داره الداخلية ، فيخرج مهرولا من بابها الشمالى فيتوجه الى ضيعته بتالات نيت
عيس ، فيبغت عبيده هنالك لينظر ما يفعلون فيما ارسلهم اليه ، ثم يرجع بسرعة
فيدخل من ذلك الباب فيمثل في المحفل وشيكا ، فيشارك في المبحث الذي ترك
المجلس منه في قبول ورد ، فيلقى رايه ويسلك طريق المراجعة في الكتب الحاضرة
ويأتى من الكتب بما احتيج اليه ايضا كانه خالى البال من كل شيء الاما فيه اولئك
العلماء وكانه ماقضى شغلا آخر خلصة وهم لا يعلمون ثم يشاركون فيما هم فيه
يتباحثون ، وربما كان ايضا يسرد قصيدة ويترنم بها فيلقها على المسامع
واريجية الادب التي تنسى كل شيء قد غمرت المحفل ، ولكنه بين ذلك الانشاد
ينادى احيانا بعض من يوصيه بما يريد ، او يساله عما لا يريد او يامر به بلف البقال
او يابرادها الماء ، ثم لا يقطع عنه ذلك تلك الموجات التي غمرت وغمرت كل من
كانوا معه جالسين

وكان رحمه الله يشاور كثيرا في النوازل حتى ان عاداته المعهودة -وقلما يخرج
عنها - انه لا يبيت في نازلة حتى يشاور آخرين ، وكان سيدى الحاج احمد بن
محمد اليزيدى رحمه الله والاستاذ سيدى الطاهر الافرانى اطل الله عمره والعلامة
سيدى الحاج احمد الجشتيمى والفقيه سيدى عبد العزيز الادوزى والفقيه سيدى
محمد الجراوى الاساكى المجاطى ممن يشاورهم وهم كثير ، زيادة على من وجد
في حضرته من العلماء الذين لا تغلو منهم ، فلا بد ان يذكرهم في كل نازلة يزاولها
فتأتى له بذلك ان سار بقدم امانة من العثار ، فلم يعهد انه حر نازلة فقام من
معاصريه من يرددها عليه بحق ، لكنه هو كثيرا ما يرد نوازل غيره وينقضها
بالنصوص ، ومما وقفت له عليه في ذلك فتاوى مراكشية للاستاذ الحاج العربى
الرحمانى ، وشيخنا مولاي احمد العلمى ، فمن دونهما نقضها نقضاتهما ونكت
غزلها نكتها وقد ذكرناها في (مجموعتنا الفقهية) بنصوصها على انه على عادة
اهل هذه البلاد لا يتجاوز في الفقهيات هذه الكتب المتداولة غالبا ولذلك نراه
ونرى الاستاذ سيدى المحفوظ الادوزى رحمه الله يميلان الى انه لازكاة في
الاوراق البنكية وماعلة ذلك الا الاقتصاد على بضعة كتب في المراجعة ولا يتوسعون
في المراجع العليا ، ولا يشاركون في الحياة العامة خارج سوس ، وان كان هناك
عذر مقبول عنهم فان الكتب الموجودة يستوعبونها ثم لا يطالبون بما ليس في
مستطاعهم ، ولا يكلف الله نفسا الاوسعها ، وهل الانسان الا ابن بيئته خلقا
وفهما وتميزا وسعة مدارك ؟

فهذه نظرة اخيرة على العلامة سيدى على بن عبد الله رحمه الله الذي كان
لانى اثنين في الغ في عصر واحد فقال الغبهما ما بلغ ، ولله در بعض الالفيسين
اذ قال في مقام ايجاز :

لنحول ما اخلص من الشوق اوابدى فياليت شعري كيف حالك من بعدى
غدوا كندمانى جديمة حقبسة فغيظت ليالىنا فاصمين بالبعد

سلام ارق من نسيمات الرياض والطف من غمرات العيون الصحاح المراض
ولحبة عبقة الريا مشرقة المحيا معتقة الحميا وحبب كنوسها فى ابتسام ، وسناها
بخطاب ابصار الندام ، على سيدنا الذى علا كعبه على المجرة ، واتاحت له
السعادة التى لاحظته كل مسرة

من لاسميه اجلالا وتكرمة وقدره المعتلى عن ذاك يغنيانا

اما بعد ، فلا اخبرك عن قلب انت ادرى الناس بعقلته باودائه حتى ليكون
الناس من احدهم افضل ادوائه ، فقد كنت ترشفتى بقربك ماتحلولى لى به الحياة
والراى بمواصلتك ومباحثتك اياما لها بالسور سمات وشيات ، فلاوربك ما
عهدت مثل استنارة ذلك الزمن الذى انارته غرتك ولامثل تلك الساعات الطيبة
التي قامت بها مقام الحدائق البهجة طلعتك

فكان الدهر عنا غافل فاختلسناها سويغات غر
لترامى بحديث طيب فكانا نترامى بالزهر

ايام كلها غرر وخجول ، يفوز فى ميادينها بالخصل كل من يجول ، كثيرا ما
الاملها بين ايام اخرى فاتيينها فى اثنائها كئوب فى اثنائها علم ، فابن منها يوم
المرجى الذى غاب عداله ولا مذكره الرضى عن زمنه بذى سلم ولاعيب فيها
غيرانها اقصر من انملة القطة وانها ولت فغادرتنا فى نكدشوق اطول من ظل
الغداة ، ولكن عادة ايام السور ان تكون قصارا ، وان تهب عند اقبالها بريح
رخاء ، ثم تصرصر عند ادبارها اعصارا

فتبا لهذا الدهر لايعرف البذلا سوى ان ادالت كفه بعده البخلا
كشمس تضى الكون لكنها متى تميل تدل الظل يستتبع الليلا

هذا وقد جاءتني رسالتك الكريمة ودرتلك اليتيمة ، فوقعتم فيها على كنوز
الجوهر والدر ، وان كان غيرى يسميها النثر والشعر ، فاقبلت بعينى امتعهما
واسميهم ما يروعهما واتمنى لو كنت كل عيونا بصيرة ، ليكثر استمتاعى بتلك
الرياض النضيرة غير ان سيدى قاسنى على نفسه وظننى من جنسه ، فافاض
عل من حلاه واقبسنى من سنائه ومن طابت خصاله وخلاله ، وحسنت اقواله
وفعاله ، يخال الناس كلهم من معدنه وانهم كلهم سائرون فى سنته ، ومن حسن
فعله حسنت ظنونه وصدق ما يعتاده مما تنوهمه عيونه ، على عكس قول ابى

الطيب المتنبي ، الذى اذا قال فى معنى يزيد فيه توسعة ويربى :

اذا ساء فعل المرء ساءت ظنونه وصدق ما يعتاده من توهم

جزاك الله ياسيدى على طيب سريرتك وصفاء نيتك ، فقد عبرت عن جوهرتك
الخالص خير تعبير ، ونبأتنا عن ذات نفسك ولايتبتك مثل خير

ثم ان تلك المسائل التى راجعها سيدى فحررها غاية التحرير (لما يدل
كل الدلالة على انه بين علماء سوس ، علامة تحرير) وقد تتبعتها فظهر لى فى
بعضها ايضا بحث آخر ، غير ماجرت فيه المباحثة معكم ، وربما ازيد ذلك تامل
فيما بعد فارسله اليكم ، فقد وجدنى كتابك فى شغل شاغل من الدرس ، وقد
توزعت بما تحتاج اليه النفس ومتى اوعينا فى المخازن الحبوب ، (ونفقت من
همها الجيوب) تفرغت ايضا الى الابحاث القلوب واطلب منكم صالح الدعوات
فان العبد كثير العثرات واسلم على رفيقك الفقيه البركة ، سيدى عبد الرحمان
وغيره ممن انتظموا معكم فى الوفادة ، التى نرجو ان نرى لها عن قريب ثانيا
اعادة ، واما سيدى الحاج على والحاج ابراهيم فانهما بخير وقان الله وايلكم
كل خير ، والسلام

واقول : ان ما بين القوسين ليس من الاصل وانما كتب فى طرة الرسالة
رسالة اخرى كتبها للاستاذ سيدى الحاج مسعود الوفاوى ، بعدما كتب
الوفاوى اليه بما يلاقيه من بعض جبابرة قبيلة كسيمة

«بقيت سليما لا تقابل بالردى ولا مدت الدنيا اليك يد العدا
ولاشاب صفو العيش فيك تكدر ولا بات حفن العين منك مسهدا
ولا زلت مسرور الفؤاد ممتعا بكل الذى تهوى وجانبك الردى
ولا زلت حصنا للافضل سيدا منيعا وركنا للعلوم مشيدا»

انه من عبد تلعب به ايدى الاشواق وتأخذ بتلابيب رقبته من الاطواق ،
وتسمه بالخضوع والضراعة بين بنى جنسه ، وتحول بينه وبين انسه ، ومادابه
الا الاطراق كمن استدارت السلاسل منه بلبات الاعناق ، العبيد الجهول
المجترى على نفسه الصئول ، على بن عبد الله بن صالح الالفى ، وكيف اعبر
عن حالة ضميرك منى بها اعرف بدلها الله الى ماشهاه وابقى ، الى من لا يزال فى
الكملات ومدارجها راقيا ، ولما يرضى الله عنه واقيا ، عالم العلماء الانقياء
وحامل علم المرسلين الاصفياء كامل الفتوة ، وضافى الاخوة ، سيدى الحاج
مسعود بن احمد بن ابراهيم الوفاوى ، السلام عليكم ورحمة الله وبركاته وعلى
من بكم واليكم من الاخوان والاحبة عموما وخصوصا ولكم خصوصا على ما عاينت
امره وعانيت امره ، والعاقبة للمتقين الذين من كان منهم لا يضاع ، فهل رايتم
احدا عامل مولاة فصاع ؟ هذا وقد وصل كتابك العزيز وخطابك الوجيز وذهبك

الأبرار فسألنا القرفص صرفا فأنشئ الندامي وما نطقوا ولو حرفا ووافانا وقد
 لمركت حفر لنا ولزيتت بعدة من العلماء الاعلام ، هداة الانام ومصاييح الظلام
 وخدمة الانام ومعقل الكلام ، الصدر الاوحد ، والفرد الامجد شافعي وقتة علما
 وشعرا سيدي الطاهر بن محمد الافرائي ، والمدرس الاتقي والاروع الارقي
 سيدي بلقاسم التاجارموني ، والبركة المسداة للخلق والرائق للفتق ، ولسد
 الاقطاب ، ومن بهم ابتهج الدهر اولا واخرا وطاب ، سيدي البشيرين المدني
 ونير افق السيادة وحائز قصب السبق في ميدان المجد والاجادة ، من لا يلحق له
 غبار ، في مضمار حامل راية التدريس ، حال الغدو والتعريس سيدي احمد
 ابن الحاج محمد اليزيدي ، ومولانا عبد الرحمان بن الحاج محمد الاحبال من
 لا يقبب بشهادة علام الغيوب تعظيمك عن باله وعن بالي ، وقرأ الجميع كتابك
 وهم يدرون الكاس ، فلما عاينوا حلل بلاغته وذاقوا طعم وحلاوة براعته ،
 فكلهم به طاعم وكاس ، وفي ذلك الوقت انشا سيدي الطاهر بن محمد :

يا عجباً كيف يخشى النحاس مسعود وفوقه ظل لطف الله ممدود
 وكل من حل حرز السعد ذل له وان تناوله الآساد والسود
 يا خير اخواننا في الله يا علما بهديه تهتدى الصيد لا ماجيد
 كن كيف شئت تنل عزا ومكرمة فانت لا شك محظوظ ومجدود
 وافت رسالتك الغراء فانشرحت منا النفوس لها وزال تنكيد
 شئت بما كشفت من حسن حالكم ما غمنا زمنا فيومها عبيد
 فالحمد لله اذ ولاك مدرسة قد فاض فيها عليك الامن والجدود
 لازلت مادمت تدنو كل شاسعة الى يديك وتنقاد المني القود
 ثم سلام كما هب النسيم على روض مجود به للورق تفريد
 على مقامك يا بدر الكمال ويا من وسمه كرم والاسم مسعود

فهذا ما قاله لله دره ، ولا فاض فوه ، فقد ناب عنا جميعا في الذي اداه مما
 تكنه القضاير فهكذا والله يكون في قومه من هو الشاعر ، وقد اجابك على وزن
 البيتين اللذين كتبت بهما في رسالتك الفدة ، التي قرأتها بلدة اية لذة

ووافق بالليالي الخادعات له يفتر بالبيض لا يخشى من السود
 فقال سعدى يحميني فقلت له هل يطلب النحاس الاكل مسعود

وبعد فلا بأس لله الحمد عندنا جميعا ، والحمد لله على نعمة الايمان
 والاسلام امن الله الجميع بمنه وكرمه آمين

هذه رسالة وقفت فيها على نسخ مختلفة وفيها من النقص والزيادة
 والتحريف ما يسمى مسخا لانسخا ، ولكننا انتقينا حسب جهدنا

وكتب الى الاستاذ سيدي المحفوظ الادوزي بعد ان استؤنفت عنده قضية

كان حكم فيها سيدي المحفوظ ، ضد حكم آخر صدر من الاستاذ عبد العزيز
 الادوزي شيخ سيدي المحفوظ ، وهذه الرسالة نموذج لرسائله الاخرى في مثل
 هذه المسادات التي كثيرا ماتقع بين الاقران اذذاك
 «حامل راية التحقيق والتدقيق ، ومن اقر له بالسبق في ميدان المناظرة
 كل حر ورقيق» :

علامة العلماء واللعج الذي لا ينقضي ولكل لج ساحل

سيد السادات والكبير الفوائد والاستفادات ، لولا ما به من الجماح في
 ميدان الافادات ، وما جبل عليه من انشاء مامنشوء المعادة ، المحفوظ بن عبد الرحمان
 الادوزي ، جعل الله رضوانه الاكبر محوزه ومحوزي والسلام عليه ورحمة الله
 وبركاته ، وبعد فاشركنا في صالح الادعية ، وقد وصل كتابك الراحة فحال
 بيني وبين الراحة انبت فيه اخا لا يرى لك الا الوفاء ، ولا يعتقد فيك الا غاية
 الكمال والصفاء ، وزنته بما كان منه بريئا براءة الذيب من دم ابن يعقوب ،
 فاني مانتقست مبرمك ولا عزمت فيه بشيء من تصحيحه ولا ابطاله وما زلت استخير
 الله ان يوفقني ، ويلهمني الى ما فيه سلامة الدين والعرض ، وعدم الدرك يوم
 الحساب والعرض على ان جميع مارقته في كتابك الى دليل عليك لالك ، وحجة
 تشد على عنق تقصيرك اغلالك فقد حكمت وبشيت على اساس واه حين لم تستدع
 المحكوم عليه حتى تعلم ما يجيب به عن ذلك ، ولم تعجزه ولم تغدر اليه ولم تنظره
 فالحكم منقوض ومنبوذ بذلك كما ذكرت ، ولا يجوز لك ان تستند فيه الى علمك
 ولا تجد جوابا في هذا الا ان اختلقته واقتريته من عندياتك ، وهذا كله على فرض
 وتقدير ان لواجيز لك التعرض والتصدي لذلك شرعا ، والامر بخلاف ذلك فانك
 لم تحكم الا في امر مخصوص ، علمته وادى به كاتب التحكيم ، ودلت عليه قرائن
 الاحوال وقد علم وظهر ظهور نار على علم ، ان دائرة المحكم دائرة تقييد ودائرة
 القاضي دائرة اطلاق ، ولا ينبغي للمستبري لديه وعرضه ان يتعرض لما اسند
 الى نظر العلماء المتبصرين ، وابرموا فصله على وجه يحتمل صحته ، بل يتركه
 كذلك ، والعهدة عليهم ، والفتنة نائمة لعن الله موقظها الا ان يسأل عنه
 بالخصوص واسند تعقيب بالخصوص الى نظره فلا بأس ان يتعرض له بما ظهر
 له ، وهذا الباب الذي فتحته يؤدي الى ان لا تبقى قضية على فصل ابدا ، كما نص
 عليه القرافي في (فروقه) واما ما ذكرت من مخالفتي فيما مضى وان الجامل لي على
 ذلك جاء المتبوع وهيبته وجبر خاطره ، فالذي اراه لك وارضاه لكمال دينك
 ووفور علمك ، ان لا تعرض لسخط الله وغضبه باسقاط من رباك وعلمك
 ونصحك ، وقدمك على اولاده وهو في القبر تحت الرجام ، ام الهاكم التكاثر
 حتى زرتهم المقابر ؟ وقد نصوا على ان علامة قبول ولاية الولي ، زيادة هيبة وتعظيمه
 واتفاق القلوب عليه بعد موته ، وهذا السيد كذلك ، فائق الله في حق والدك
 وانهم راياك

والله لصحتك ان قبلت نصيحتي والنصح اهل مايباع ويوهب

قال تعالى : «ولكن لا تحبون الناصحين» اقول وحلي عطل، ونطقى خطا: مكره اخلاله لا بطل ، واما ما ذكرت اخيرا فاني فيه تابع لك ولا مثالك من كبار العلماء، فما ظهر فيه انه مصلحة للاسلام فاني مساعد عليه ولا ملام والسلام غبار نعلك العبيد الجهول على بن عبد الله بن صالح جبر الله كسره ، وحل بفضلته من ايدي الغفلات اسره «امين

وقد كتب الاستاذ المحفوظ على ظهر هذه الرسالة كلاما اوردناه فى المجموعة ، ولا طلاوة ادبية عليه حتى نسوقه هنا ، حيث لامجال هنا الا للادباء والاديبات

رسالة اخرى له الى وانا بالحمراء اتلقى فى الجامع اليوسفى حوالى ١٣٤٠ هـ :

«ولدنا الذى نحب له التقدم على الاقران حتى تكون له فى احراز تراث والده يدان ، من هو المختار ، خار الله لى وله واختار عليك السلام من والد يحب ان يرثه ميرزا وان تكون لادوات السيادة محرزا ، واعيدك ان تشتغل بما لانتيجة وراءه وان تلقى العلم ظهريا ثم تحاول من المجد سماء ، فوالدك رحمه الله مع ما هو فيه، لم يفرط فى العلم فقط وذويه فاسلك مسلكه ان اردت ان تكون ولده ومن جعل العلم النافع فى الدنيا والاخرة عضده ، وقد برقت منك بارقة لجابة ، ستكون عنك صحابتها ان لم تجتهد منجاة ، فماذا فقد من وجد العلم؟ وماذا وجد من فقد العلم؟ فالبطالة قد يجدها الشاب الغرير ذات حلاوة وطلاوة ولكنها بعد انقضاء الصبا يجدها كسراب بقية يحسبه الظمئان ماء حتى اذا جاء وجده كما وجد الفرس عند البعثة بحيرة ساوة ، فهذه نصيحتي لك احملها للفقيه سيدى موسى بن الطيب الذى توجه الى مراکش ، ولاتنسنا من الدعاء الصالح عند الرجال السبعة والسلام»

وقد كنت اجبته اذذاك فى شعبان عام ١٣٤٢ هـ بقصيدة كانت اذذاك نالت من الاستحسان ما نالت ، لما تشتمل عليه مما كان يستحسن من الادب اذ ذاك، وربما ينظر اليها الالغيون امس بغير نظرى اليها اليوم، والناس اذواق نصها :

اعطى اكؤس السلوى نديمى وبى ما بى من الوجد العظيم
وابدى فى منادمتيه انسى بجنات وقلبي فى جعيم
وادمج فى الحديث انا سليم وما يدري مرادى بالسليم
واكثر عن نبى الله موسى لما لى معه فى لفظ الكليم
واجرى ذكر مكة فى حديثى لما للقلب من معنى الحظيم
اربه ان قلبى فى نعيم وقلبي بالصباة فى اليم
واخبره بانى الخلو صدقا ولكن من سوى الوجد العظيم

واظهر انسى جلد ، وغمز اشامته الدبور لكى الاقى
واجرى وصف بيض الهند لكن احده وقصدي عين نجد
ويذكر ليث خفان لسانى ويتحفه عن اخلاق لطاف
فيحسبها لقيس وابن قيس (١) وكيف ولا تليق لغير فرد
خضم العلم يزيد نور هدى ابى الحسن العظيم اسما وقدرا
من اللاتين ان جادوا يجودوا تفى ابدا بروق الوعد منهم
وهم ما هم ذكاء فى وقار فكم احيت قرائحهم علوما
اذا اقلامهم وشت نظيما فيشهد والنواظر شاهدات
ويمرح سالم الاذواق فيه زكوا لما زكوا اصلا ، اينشا
اذا نعم الاديم كذاك ياتى وما يرضون الا باهتصار
علت بمقامهم رتب المعالى تغالى فى حلى تلك السجيا
سجيا بل رياض صافحتها فهن ارق من خجل تسارى
والطف من مسارقة العذارى

ابا حسن ومثلك من يوالى على بعد المدى نصح الحميم
لقد اهدى الكتاب ، جزيت خيرا ، الى وصاة لقمان الحكيم
وصاة لو مشيت على سناها لكنت بها على قدم عظيم
وصاة كنت لو انسى عليها على متن الصراط المستقيم

(١) قيس بن عاصم المنقري الذى تخرج به الاحفش بن قيس فى الحليم والنجم الاول تحت معروف
(٢) عبد الرحيم : القاضي الفاضل وزير صلاح الدين ، واليه تأسس الطريقة الفاضلية فى الادب

ولكن كيف - وا اسفا - ونفسى ، كما تدرون ، اشرد من ظليم
ولكن كيف - واعجزاء - دبسج - وليس بنافع - حلم الاديم (١)
هل انى - ولم القنط - لارجسو قريبا رحمة الله الرحيم
ايغوز - لا ورب البيت - ما قد اشأ ؟ والله ذو الفضل العظيم

رسالة اخرى منه الى ولده الاستاذ سيدى محمد بن على وهويأخذ بالمدرسة
الادابية :

«من على بن عبد الله الى ولده محمد ، اصلحه الله واعانه ووفقه ، وفتح له
فتح العارفين بالله ، وسلام عليه ورحمة الله وبركته ، وبعد فلاباس ولله الحمد
وبيد الحامل مانقضى به الضروريات ، هذا وقد انشأت لالاخ الاديب سيدى
محمد بن الطاهر قصيدة عددها ١ بيتا يثبت له فيها عظم نعمة الله عليه ليذكرها
ومطلعها :

محمد نجل الطاهر بن محمد ووارث اسلاف امائل مجد

واجابنى بقصيدة فى عددها كلها غرر ودرر ، هذا وقد طلبت منه ان يكف
عنكم معشر طلبة اداى ، وان لا يبعث اليكم سرديات القصائد ، علما منى بعجزكم
عن مطالعتها وقد استشفعت اليه بوالده وقد علمتم ان شفاعتى عنده مقبولة
فوعده بذلك بشرط ضرب الاجل ستة اشهر ، حتى تحفظوا المقامات حفظ اتقان
فحينئذ تبعث السرايا ، والسلام

قل مع ايها القارى ، ان هذه الرسالة ، لترى كيف تبعث الهمم ،
وتستببط القرائح وان هذه الحلبة السوسية ، تنتظر الى المقامات الحريرية بغير
العين التى تنظر اليها بها حلبة من المدرسين الكبار ، الذين ادركناهم فى الجامع
اليوسفى ، فمهدى ببعضهم حين افتتحت مع بعض الطلبة المقامات فى هذا الجامع
عام ١٣٤٩ هـ قاموا وقعدوا ، وقالوا لقد اتى فلان شيئا ادا ، واركتب امرا امرا
حين اهتبل بالكذب والبهتان الذى حشيت بهما المقامات ، وقد نص فلان فى
المعيار للونشريسى على انها لا تقرا فى الجوامع ، فاعتبر ايها القارى ، وانا معك
من المعبرين

هذا وقد حدثت اخيرا على الاستاذ غربة صريحة ، لان اقرانه كالوالد قد
توفوا عنه ، ففقد منهم اعضادا قوية ، ومعيشين حاضرين ولان كبار تلاميذه قد
انصل كل واحد منهم بمدرسة او بشغل شاغل من اسرته ، فلايراهم الا فينة
بعد فينة ، وهو ذلك الاديب الاريحى الذى نعلم منه انه اجتماعى لايطيب له

(١) حلم الاديم كتعب ، افسدته الحلبة ، وهى الدودة التى تفسد الجلد قال :
فانك والكتاب الى على كدابة وقد حلم الاديم

بالانفراد قلب ، وذو همة اعتادت الترقى دائما فى كل ناحية ، فكيف يرتاح
لسكون فى عزلة او انفراد ، وحتى الحلبة الاخيرة من تلاميذه الادباء قد تفرقوا
شدر مدر ، واورهم الاديب البوزاكارتى الذى ترك بمقادرته الخ مقام الادب
خاليا وثغره شاغرا فقدودعه الاستاذ بعدما كان زينة مجلسه فى عقد حياته
الاخيرة ، وفارس الادب الذى يقبل بالحلبة كماشاء ويدبر ، وقد اندفع ايضا هذا
الاديب الى من لا يعرف قدره فادركته حرفة الادب من كل جهة ، فلنقف هنا وقفة
حتى نقرأ رسالتين تعاطياهما اواسط عام ١٣٤٦ هـ قبل وفاة الاستاذ بقليل
فقد نجد لما ذكرناه من الغربة التى ذكرنا ان الاستاذ صار اليها مما يلاقى ممن
لا يعرف قدره من بعض المجاطيين ونظرائهم دليلا ناصعا على ذلك

كتب اليه الاديب البوزاكارتى بما نصه :

«شيخنا شيخ الشيوخ ، المصاهى فى تحقيقه وتدقيقه ابن فروخ ، رجل
الاخرة والدنيا قصوى كانت او دنيا ، سيدى وامامى ، الذى لا اسرى مسرى الا
وانوار ارشاده محيطه بى من ورائى وامامى

نزيلك حيثما اتجهت ركابى وضيئك حيث كنت من البلاد
وما يمت من يبداء الا ومن جدواك راحلتى وزادى
من لاسميه مهابة واجلالا ، ولاحليه اكتفاء بشهرة صفاته فناهيك بها
صفات وخلالا :

فعرض اذا حدثت بالبان والحمى واياك ان تنسى فتذكر زينبا
ستكفيك عن ذاك الجمال اشارة فدعه مصونا بالجلال محجبا
اشرلى بوصف واحد من صفاتها تكن مثل من سمى وكنى ولقبا

سلام الله على تلك الحضرة ، التى لا يعدوها السرور والنصرة ، هذا وقد
وصل كريم كتابك - وجليل خطابك - مؤكدا على وصول كتاب القائداة القديوم
وقد وصله بحمد الله ، بمجرد وصول الحامل سيدى محمد قبل ان يرانى غير
انه كما قيل :

دخولك من باب الهوى ان اردته يسير ولكن الخروج عسير

ثم ، الله يعظم اجر سيدى فى مصابه ، بسيدى عبد الله بن احمد ويعجن
فيه عزاءه ، فقد علمنا والله ان كان لرجل صدق وامانة وفتوة ومروءة ، وكل
خلق حسن ، فذلك عجل به - كلهم تموتون وانما يعجل بخياركم - وليتعز
سيدى عنه بما امر صل الله عليه وسلم بالتعزى به ، اذ قال : «ليعز المؤمنين
فى مصائبهم المصيبة بى»

لكل اخي نكل عزاء واسوة اذا كان من اهل التقى فى محمد

ولولا اني تركت الشعر ترك السقب لغرسه ، والراي لتريكنه (١) لقلت فيه فانه لذلك اهل بيده لاطافة لنا اليوم الابالترحم عليه ؛ والاستغفار له ؛ قاله رحمه ويفر له ، مغفرة عزا فهو الغفور الرحيم
واما عبيدكم فلم يزل يوالي الزفرات ، ويتابع العبرات ، على تلك الاوقات التي كلها مذكرات ومنافحات :

يا ليت شعري والدنيا مفرقة بين الرفاق وايام الوري دول
ابعد بعد تقول الدار جامعة ام هل تعود لنا ايامنا الاول ؟

ابعد بعد تقول الدار جامعة ؟ شملى بهم ام تقول البعد محتوما ؟
فها انذا ملقى في زاوية الاهمال ، غير منظور الى لابعين الاجلال ولا بعين
الاذلال ، منتبذا عن الناس ، سمير الهم والوسواس ؛ فلاراتب ولا جاري ، ولا انيس
ولا صديق ولا دار ، فالآن صرت غريبا حقا :

الفقر في اوطاننا غربة والمال في الغربة اوطان
فلا اسمع بطرو اخ اوصديق الا وددت لو لم القه ، لعجزى عن بره ، والله لقد
سئل من قال :

اذوب حياء من زيارة صاحب اذا لم يساعدني على بره الوفر
فلقد طرقتي سيدى محمد البعمراني اذ طرقتى ، فلو مات احد من الحياء لمت
اذا لم يجد عندي الضوء فما فوقه ، والله للموت من بعض الحياة اهون ، قال الله
والى سيدى المشتكى

شكوت وما الشكوى لمثل عادة ولكن تفيض الكاس عند امتلائها

ثم اعلم سيدى اننى عاملت ذلك المرحوم بالله سيدى عبد الله بن احمد
معاملة اظنها مستفيضة هنا لكم ، وهى انى اعطيت خمسين ريالا قراضا ثم انه
اشترى بها من الشعر خمسا وعشرين اوستا وعشرين بالمكيال الخميسى (٢) فهى
عنده معزولة فى بيت متدشهر قبل انتقالى ، ثم لما ازمعت على الانتقال ، كان اخر
امرى معه حين تفرقنا ان يتركها كذلك معزولة ، ويرصد بها الاسواق فمهما
ظهر من ربح غنمه ، ثم يرسل لى ما هو لى والآن لما قضى الله عليه بما اراد احب
من سيدى استطلاع طلع ذلك من اهله ، هل اوصى او امر بشئ ، او علموا بذلك
ويعلم بما اجابوا به ويعمل بمقتضاه واما ما كان فما عمله سيدى فى ذلك فعلى
الراس والعين ، وحكمك مسمطا ، فانت بصيرتى فى ذلك والحاكم وكيل الغياب
والسلام ، وعلى العهد وازدياد المحبة والدعاء بظهر الغيب

واعيد السلام على جميع الاولاد ، الامثل فالامثل وقد سرنا صنيع سيدى

(١) السقب كفلس : ولد الشاقة ساعة يولد . والغرس بالكسر : ما يخرج مع الولد
كالخط . والراي : ولد النعام . والتريكة كالسفينة : البيضة ان خرج منها القرخ
(٢) بمكيال سوق الخميس الوفقوية

المدنى اعانه الله على ما هو بصدده ، وامده بدائم مدده ؛ واراك سيدى فى جميعهم
ما يسرك ، واكد سيدى الطاهر على قراءة الامة ايضا ، بتوجيه كل الهمسة
فلامندوحة له عنها . فاكتر ما يصحفه حالة سرده انما اتاه من عدم اتقانها كما
ينبغى ، فلا بد له من الصبر عليها حتى يتقنها ، فهناك يصح له السرد استقلا
وفى الملا . وعلى سيدى تنبيهه على ذلك بلاتراخ فقلما ينتبه الا بتنبهه ولا يتوجه
لوجهة خير الا بتوجيهه وفق الله الجميع . اوائل جمادى الاولى عام ١٣٤٦ هـ
ولدكم عبد الرحمان بن محمد الاحبالى

فاجابه الاستاذ :

اخي وصريحي ، ومريحي وسنيحي ، ابقاك الله مصون العرض والمرض ،
مفدى بالانفس والآباء من كل عاهة ومرض ، ومن الم كل حادث عرض ، مؤديا فى
ملة الفتوة والاخوة كل حق مسنون او مفترض ، مجددا من معالم الدين ما اندرس ،
ومن رسومه ماعفاه الجهل ودرس ، مغبوط الاحوال ، مخدوم الآمال ، قاربال ؛
فار البلبال ؛ ذلك السيد السند ؛ والصدر الاوحد ؛ انيسى وجليسى ، وهزبر خيسى ،
وكاف كيسى ، ورئيسى وخندريسى ؛ من اذا غاب عن القالب فهو فى القلب حاضر ؛
لا يخلفه فيه سواء ما بين باد وحاضر ؛ الغريب بين اهله ، والحائز خصل سبق
فى الكمالات على تؤدته ومهله ، الشريف العفيف ؛ والاخوذى السرى المنيف ، مولاي
عبد الرحمان ابن مولاي الشريف محمد :

نسب كان عليه من شمس الضحى فلما ومن نور الصباح عمودا

السلام والرحمة والبركة على تلك الاخلاق الشدية ، والمكارم الندية
والسجيا المسكية ؛ ومن بها واليها ، وبعد فلا باس نسال الله لنا ولكم التوفيق
لما يرضى ، واللفظ الجميل فيما قضى ، والتيسير ليسرى ؛ والختم بالحنى ،
أمين آمين ، انه على ما يشاء قدير ؛ وبالإجابة جدير ؛ وقد وصل ذلك الكتاب
الحائز من اسرار البلاغة اوفى نصيب ، والرائع من هفاب الفصاحة فى كل ممرع
خصيب فقرح بشكواه ، وفرح بسلامة كاتبه وهذا اعز ما هو به ، ووقفت على
تفصيله وجمله وما لم به من المراقمة بالمفارقة وامله ، فحرك ما سكن . وغيب عن
الاهل والسكن ، واوقد نار الاشواق ؛ لمحبوب التلاق ؛ والله عليم بذات الصدور
وقد تمثلت لما ذكرت فى كتابك انه لا مجالس ولا مجالس ، ولا جارى ولا راتب
ولا ماوى ، بقول من قال :

ارادت عرادا بالهوان ومن يرد عرادا لعمرى بالهوان فقد ظلم

فليصبر كل منا سيدى لسهام دهره ، وعوالى مكره ، فان محاله لا يبقى على حال ؛
ومحاول اوحاله على غارب الارتحال :

الدهر لا يلقى على حالة لكنه يقبل أو يدبر
فإن للثقال بمكروهه فاصبر فإن الدهر لا يصبر
ورحم الله البحري إذا يقول :

تكرر العيش حتى أن اكدره يأتي نظاما ويأتي صفوه لمعا
وأنست من خطوب الدهر كثرتها فلست ارتاع من خطب إذا طلعا

وأحوال المدرسة والأهل داخلا وخارجا بخير ماذا فقد من وجد الله ؟ وماذا وجد
من فقد الله ؟ غير أن رياض الأدب تصوحت بعد انقشاع سحابتك المدرار ،
وأقول شمس مشكاتك المزهار ، ورعى في مراتعها الهشيم ، وأقلعت سحائب
الاجادة فما لمع برقها بعد ولاشيم

دوام حال من قضايا المحال واللفظ موجود على كل حال

وقد بدا من مربى نعمتنا فلان (١) ما يستقر به كل حاضر وباد ، ولا يرضى
به أدنى الاوغاد ، بله أفضل العباد ، والعرق دساس :

واسرع مفعول فعلت تغيرا تكلف شيء في طباعك ضده
والطبع املك ، قال حازم :

من يسمع الجفوة من خل ولم يقضب لها فانه كمن جفا
* * *

متى تسد معروفا الى غير اهله رجعت ولم تظفر بحمد ولا شكر
وقال حازم ايضا :

من صاحب الانسان في العسر كما صاحبه في يسره فقد وفى
ومن يفارقه اذا ما يسره فارقه فما وفى ولا رعى

وخير ما تمثل به فيما وقع من التباعد بينى وبينك ، وأوجب على الرغم منى
بينك ، قول حازم :

يا زينا جفا المنى من بعدما قد كان والى البر منه واحتفى
قد بلغ الحزام طيبه وقد افطحت حتى بلغ السيل الزبى
انابت يادى الدهر المنى من بعدما ادنيتهما فما عدا مما بدا
ياهل انى ان ابلغ الحظ الذى كم قلت فى تامله : ياهل انى ؟
والسلام عليكم ورحمة الله

(١) يعنى الاستاذ احمد بن الحاج محمد اليزيدى وفى ترجمته تبين ما وقع

وشعر القراض على ما عهدت ، وما ظهر لكأنه المصلحة فيه فاجبر به ولدنا
محمد يفعل به بالترخ ، والخلق اذا فهم الله لباس الجوع والخوف بما كانوا
يصنعون ، ظهر الفساد فى البر والبحر الآية ، والسلام على من انتهى اليكم او
اخوتكم او قرابتكم ، خصوصا الوالد الاتقى والخال الارقى ، سيدى احمد بن
ابراهيم ، واسأل من الجميع صالح الادعية ، على بن عبد الله الاتقى

تتف من قوافي

وأما شعره فهناك منه قصائد لطيفة ، وقطعا منتقاة ، مما نراه امامنا متراكما
ككتبان يبرين ، فمن ذلك ما قابل به وفدا افرانيا ، فيه الاستاذان سيدى البشير
الناصرى وسيدى محمد بن الطاهر البكرى النسب :

لله يوم خميس جادى بلقا من كنت من بينهم قبل اللقاء لقي
حيوا فاحيوا نفوسا طالما قبرت فاستاصل البعد من ارواحها الرما
وفى لى الدهر مذ وافوا وجدد لى من وشى برد التهاني كل ما خلقا
هم الكرام وابناء الكرام ومن قاد الاله بهم للرشد من خلقا
قوم يروج بهم للعلم كاسده والجهل يتزاح من انوارهم فرقا
ان عز قوم بمال جم او عدد فانهم جمعوا الاوراق والورقا
ماكنت اقصيهم الحق الذى لهم وان فرشت لهم من جفنى الحدقا
فمن يكافى وان جلت صنائعه صنع البشير الذى بفضل سبقا
ومن يكافى ندى البكرى غير الله قد حياه من الاخلاق ما عبقا
منى عليهم سلام طاب مورده ما اشتد بالبرق شوق كلما برقا

وقد ثارت اثر هذه المقطعة مقطعات اخرى ، وقصائد بعضها فى رويها ، وبعضها
على روى ، آخر على عادة الادباء الالفين اذذاك حين يولعون بان يقول كل واحد
قصيدة فى امثال هذه المحافل ، التى تحفل بادباء وافدين ، ثم يجيهم الواقفون
ويكيلون كل صاع بصاع فكم شعور يجرى برذونا قطوفا ، وكم كهام مفلول
تراه فى يد بعض البلداء مسلولا

وقال يخاطب الاستاذ سيدى الطاهر بن محمد حين زار العلامة سيدى
الحاج احمد الجشتيمى عام ١٣٢٧ هـ ثم مر بالغ :

شنت باخبار من احيا اذا ذكروا مسامع القلب واعرفهم وان نكروا
واربع على ربهم وقل اذا سألوا عن عبيد : هام فيمن قبله اسروا
فاعجب لصب بمن شدوا الوثاق فلا من لديهم ولا قداهم ذكروا
كانهم مارعوا حق الوداد له وحقه اعظم الحقوق لو قدروا
فما لهم مارثوا لحاله فعفوا ان الكرام لهم عفو اذا قدروا
وكلما اعولت نفسى اعلسها بالوصل والعطف منهم بعدما هجروا

فهدتهم من لعنة العصر قد قرأوا
فمالهم لزمو باب اشتغالهم
رعاهم الله قد راعوا بينهم
قطرت دمعاً بلا عين فكان دما
جالت جند الهوى جهدى وحاربنى
كانوا منى القلب لكن زاده ولها
لله دهر تقضى كله غرر
وفوا ماشاب فود الوصل فيه ولا
منى عليهم، على متن الصبا، وعلى
وقد اجابه الاستاذ سيدى الطاهر بقوله :

هدى نجوم الدجى ام هذه درر
هدبها طبع مولانا الامام كما
الفلد كما افتر تفر الزهر قلده
فى طيها كل معنى كاد يشربه
لاسحر الا الذى ضمت لطافتها
ما كنت احسب قبل ان اشاهدها
وقال مرحبا بالاستاذ سيدى محمد بن الطاهر الافرانى ، وقد وفد عليه
ثالث شعبان عام ١٣٢٧ هـ :

اهلا بمن رحل العنا بنزوله
اهلا بوفد قل من اكرامه
اهلا بمن احيا القلوب قدومه
اهلا بمن اغنى ضياء علومه
اهلا بمن خرق العوائد فضله
اهلا بشهم جل وقت نضاله
شرفت عبدا بالزيارة لم يزل
ان الكمال جميعه لك منة
والله رب العرش يمنح كل ما
ويتشبع السر العميم فتشنى
باجل خير الخلق صلى ربنا
فاجابه الاستاذ الضيف ، وقد غير الروى وان التزم البحر :

شعر زرى بالعقد حسن نظامه
فرحابه فلقد ازال الهم عن
ما الروض فى ازهاره ما الدر فى
الى اخر القطعة ، وهى من اوليات هذا الاستاذ الجليل حفظه الله .

وقال ايضا مرحبا بقاضى اقا اليوم تلميذه سيدى الهاشمى الفاسى :
ياواردا عمت الدنيا مفاخره
وقاد مالم يزل فى القلب مسكنه
اهلا بمقدمك الزاهى وموردك الـ
لله طلعتك الفرا وسيرتك الـ
قدمت فى طلب العليا وانت لها
مهر الفضائل صبر انت باذله
والحلم ان ضيم يوما انت ناصره
سر هكذا فالعلا تدنى مقادتها
لازلت تنمو وتسمو للعلاء الى
منحتك الود منحا لا اعتصار له
منى عليك سلام زان ناصره
وقال ايضا مرحبا بالعلامة الاستاذ محمد بن عبد العزيز ، كاتب آل كردوس
وهو ممن يخاف الله فيما يحكى عنه ، وذلك فى الاربعاء ١٧ رجب ١٣٤٦ هـ :

ياقادما فضله فى العلم والعمل
وسيدا عمت الدنيا صنائعه
وواردا جد مذ ان كان شب الى
احييت بالوصل حيا قد نزلت به
ان ساد قوم بجمع المال والخلول
لازلت ياخير طب ماهر فطن
يانجل عبد العزيز ياامام هدى
هجرت مالوف اوطان دعتك الى
فقابلتك القلوب بالرضا وبما
اصفيتك الود فى الرحمان حين صفت
عليك منى سلام الله ماطلعت
وقال رحمه الله يخاطبني فى بعض وفاداتى على الخ من الحمراء اعوام ١٣٤٢ هـ

يحق على للمبشر انكم
يعين ان عاينت شخصك لى المنى
طلعت طلوع البدر فى حندس الدجا
نزلت نزول الغيث فى وسط مجذب
فاهلا بمن احيا من الدين ما قضى
وسهلا بمن راض العلوم فاصبحت
قدمتم من الاحسان افضل ما خلج
وقلبى حافل بالذى قبل قد ولج
الا فاعجبوا للبدر فى القرب قد طلع
فازهر روض العلم والفضل قد نبج
وشاد له ركنا قضى الجهل ان خضع
اوابدهاما ان يقال لها (هدع) (١)

(١) هدع بكسر الهاء وفتح الدال ، كلمة يهدأ بها صغار الجمال

لغيت في جميع الكمالات معروفا عن العرض الثاني وما هالك الهلع
فشمر وجد السير ان الذي تريب سده ستشيم برقه بعد قد لمع
فلا شك انت الوارث السر فاشكرال سالة الذي يحميك من كل ماقذع
فلا زلت يامختار في كل مايزيب من قدرك مختارا جماع العلاج جمع
عليك سلام من قريب يحب ان يراك ونور الله فوقك قد سطع

وقال يحرض على تحسين الخط وشاع انه يخاطب بعض اولاده ، وانها له :

ان لم تكن كابن مقله في الخط جد بابن مقله
وخط في الخد خطا اخدوده عين عقله
وارض بخطة عجز فما لها عنك نقلة

وقال في ذلك ايضا ، وهو ماشاع ايضا انه له :

ان حسن الخط زين للفتى فهو نصف العلم من حيث اتى
جيد من ليس يجيد الخط في عطل حبه ابن ادريس الفتى (١)

وقد خاطبه سيدى محمد بن مسعود المعبرى بقوله :

لبدى فخلت البدر في الافق ينجلي اذا هو بدر المجد والشرف الجلى
ابو حسن ماوى المكارم كلها ولا غرو في جمع المكارم في على
فمهما ذكرنا من خصال فضائل فليس لها الا ابو حسن على
فلو اظنبت المداح في مدحه فما عسى يبلغ الاطناب من وصفه العلى
فاجابه بقوله :

لله درك من امام عادل ورث المكارم فاضلا عن فاضل
فقت الاوائل والاواخر والذى قرن الفضائل منكم بفواضل
لاتكب في ميدان تدريس وكن وقت اشتداد الجهل خير مناضل

وقال ايضا يجيب الاستاذ شيخنا سيدى محمد بن الطاهر عن قصيدة خاطبه بها :

وصالك هذا ام بدا صبح اسفار ووجهك ام شمس دعت نور ابصار
وعرفك هذا ام صبا قد تصافحت اناملها وهنا بروضة ازهار
وخلقت هذا ام خلوق تعطرت بارواحها لبات صقع واقطار
ونظم لثال في نحور خرائد ارى ام نظاما جاز رتبة اشعار
تفتق من روض البلاغة نورها ورقى به الالفاظ رقة اسعار
اذا احتست الاذواق كاس رحيقه سكرنا حلالا ما رزنا باوزار
يقلد جدى من فرائد لفظه باطواق مدح منتقى ذات اخطار

وانى ورب البيت لولا اعتقاده وحسن الرجا ما كنت اهلا لاكبار
فما روضة جاد العهد وهادها وغنت بها الاطيار فى بلد اشجار
وابدت ونور الشمس قابل نورها جداولها كالايام (١) فى حين ادبار
وتصبح فى برد قشيب منمق وشته يد الوسمى وشيا بازهار
وينشق منها كلما هب ريحها شذى العنبر الشجرى فاح بمعطار
باحسن من شعر يعز على ان ارى رقبه فى غير صفحة افكارى
فاقسم بالفضل الذى حزت خصله وبالشرف العبد المشيد بايثار
وبالادب الغض الذى كان بعض ما منحت وما اعطيت من رفع القدار
وبالود منى قد منحت صميمه فما شيب حتى شبت يوما باكدار
لقد فقت يا ابن الاكرمين فما ارى لفضلك ندا عند نزع لاشعار
اسال اله العرش حفظ مقامك ال سسمى من الاسواء طرا واغيار
بجاء اجل الخلق صلى وسلم ال سالة عليه والاجلة انصارى

وقال الاستاذ ايضا فيما كتبه لطلبة مدرسته مع اجلة انصار يطلب ممن وفقه الله منهم
ان يقرب احجارا الى بنائين عند الاستاذ ، على عادة الطلبة مع اساتذتهم فى
بلادنا عند المهمات والبادون كلهم عملة طلبتهم وعوامهم ، فكل يحك جلده
بظفره ، فلا يستهجن الحاضرون احلاس البيوت ، وابناء الكلل وريبيوا الحمامات
حتى غدوا كما قال الشاعر :

خطرات النسيم تجرح خديسه ولمس الخريز يدمى بنانه

هذا الاستخدام ، فان طلبة البادية من عادتهم ان يقوموا بكل ضروريات
اساتذتهم ، حصادا وبناء وسفارة وغسل ثياب ليمن له ان يوالى لهم الدراسة
وهذا ما كتب به الاستاذ :

اريد من خير اخوانى وصفوتهم حمل حجار غدت تضر بالعملة
لازال فى صالحات السعى سعيكم ولا برحتم هداة جلة كملة
بجاء خير الورى صلى الاله على مقامه وعلى اصحابه الفضلة

وكتب اليهم ايضا بعد ما اتموا احصاد مزروعاته :

جزى الله اخوان الصفاء بكل ما يجازى به احبابه وسط القبر
واعطاهم من فضله القمر كل ما يحبونه بل فوقه دونما حصر
كفونى مئونات الحصاد وظللوا باوجههم وجهى كفوا ازمة الدهر
وعند امتحان المرء يظهر فضله او النقص والرجحان فى كفة الصبر
الا هكذا الايثار ، لا كالاى تقيى — بوا عن صنيع قائد المرء للخير
كذلك تقوم السوق والناس بين من يراج له والدالجين الى الغمر

(١) الايم مخفف الايم بالتشديد : الافعى

(١) يعنى الامام محمد بن ادريس الشافعى

ولو لم نلحظ بالمكانة جنة السيد سخلود لسأوى الذب فيها مع البر
عليكم سلام الله ياخير من سموا لتحصيل مايولى الهنا ساعة العشر

وبعد فقد ان لنا ان نكتفى من اثار قلم الاستاذ بهذه النماذج الستى
سفنناها منها من كل ناحية ، فأتينا بنماذج مختلفة حتى يستفيد المؤرخ الذى
يقبل كل شىء ، وهذا كله كما يراه القارى لا يخرج عن الاخوانيات ، ومن اراد
التوسع فى كل مقاله الاستاذ أوجله فانه سيجده ان شاء الله فى (جوف
الفرار) فاننا ماعدونا هنا ان اتينا بطاقة صغيرة جدا من تلك السروضة الاربضة
ولكن لانحسب ان القارى يرى ماكتبناه هنا حتى يعرف مقدرة الاستاذ ومقدار
براعة يراعه ، فالحمد لله الذى يسرنا لهذا اليوم ، ونسأله تعالى ان يسرنا
لائتمام الكتاب جميعه غدا فيجد القارى بين التراجم الامداح الكثيرة التى يخاطب
بها ادباء الغ وما اليهم هذا الاستاذ الاديب الكبير

الأخذون عن الاستاذ

مر بنا فيما تقدم العلامة على بن عبد الله فى اطوار شتى ، فرأينا اجتماعيا
والامنيا ومفتيا ومدرسا ورئيسا وواعظا ، وقد رايتما يشهد لكل هذه الاطوار
الكثرة اصحابه وثبات مركزه فى الرئاسة ، وشفوقه فى المكانة الاجتماعية ،
وفناويه واحكامه التى تعج بها سلات الرسوم من كل القبائل المتاخمة لالغ
المصححة كل الافصاح عن مكانته فى الافتاء والقضاء ، وهذه التمرجات التى
لا تزال الى الآن بين علماء جزولة هى من اثر تلاميذه الذين يتتابعون طبقا عن
طبق كما أن الترحم على الاستاذ الذى يعليه كل منصف عندما يذكر
الكرم أو البخل فى الغ ، تحمل الناس على أن يرددوا اسم الاستاذ ، وأن
يجعلوه آخر الكرماء السعديين - كما يقول الاخ احمد رحمه الله - وهذه كافية
غاية الكفاية فى مقامه بين الصادر والوارد ، فقد ادى للمروءة حقها الواجب :
فعادوا فائقوا بالذى أنت أهله ولو سكتوا اثنت عليك الحقائق

ولكن استاذيته التى وصفناه بها ، وكانت الاصل الاصيل الذى تفرعت
عنه كل هذه الاخلاق الاخرى ، من اين نجد ما يشهد لنا بها الا فى اثارها التى
لا تخفى فى الذين يردون الى المدرسة الالغية عطاشا ، وقد كربت اعناقهم ان
تقطع ، ثم يصدرن عن مناهلها العذبة الصافية من بعد ما ارتووا عللا بعد نهل
حتى ضربوا بعطن ، فكم راحل عن الغ اب اليه قريبا حين ظهر له راي العين
الفرق بين الدراستين :

صدرنا وقد نادى السماح بنا ردوا فعدنا الى مفناك والعود احمد

كنا ذكرنا فى ترجمة صنوه الاستاذ محمد بن عبد الله ان غالب من خلفهم
فى المدرسة قد اخذوا ايضا عن هذا الاستاذ ، فها نحن اولاء سنذكر كل من علم

انه اخذ عنه وندخل فيهم من كانوا اخذوا قبل عن صنوه ان اخذوا عنه ايضا ،
ثم لاندكر الامن اشتهر منهم بعلم او تدريس او استبصار ، ثم ظهرت مكانته
فى الرئاسة او مركز آخر ، واما من لم يحصل اولم يعرف بعد ذلك شىء يرفع
مكانته مع الاستبصار فيما اخذ ، فاننا نكتكب ذكره ، ثم اننا نذكر كل من مر
بالمدرسة الالغية فى عهده وان كان اخذ فى غيرها ، قبل ان يلتحق بها ، او بعد
ان فارقها لانه على كل حال ممن اخذوا عنه ، وهذا هو شرطنا ، وعلى الله التكلان
فلنتبعهم بالقبائل ، فنبدأ بثال الاستاذ ، ثم بغيرهم من الالغيين كلهم
ثم بكل من كان من مرابطينا من غير الالغيين ، ونمزج الالغشانيين والولفاوين
والتاكثريين والتيفشيتيين بالمراطين ، لامتزاج المساكن ، ثم بالاسيين ثم
الامانوزيين والكروسيقيين ثم التملين ومن اليهم كالكثريين ، ثم الرسموكيين
ثم السماليين ثم البعيليين وما اليهم كالتازروالتين ثم المجاطيين ، ثم
الافرائيين ثم الاخصاصيين ، ثم البوعمرانيين ومن اليهم كالساحليين ، ثم
الازاغاريين ثم التاغاجيجيين ثم التاماناديين ومن اليهم كالاموكاديريين
والاقاوين ، ثم الساموكيين ، وهكذا نرتب ذكرهم الآن كما سنرتب ايضا
ان شاء الله تراجهم فى محلها على حسب ما تيسر ، ومن كان من غير هذه
القبائل فسنبينه نصا :

الالغيون ومن اليهم :

- ١ - الاستاذ عبد الله بن محمد الالغى
- ٢ - صنوه عبد الرحمان بن محمد الالغى
- ٣ - صنوهما احمد بن محمد
- ٤ - الاستاذ محمد بن على
- ٥ - الاستاذ المدنى بن على
- ٦ - الاستاذ الطاهر بن على
- ٧ - الاستاذ الحسن بن على
- ٨ - سيدى صالح بن احمد
- ٩ - صنوه عبد الله بن احمد المرحوم
- ١٠ - النجيب المرحوم الحسين بن ابراهيم
- ١١ - النجيب محمد بن عبد الله بن محمد
- ١٢ - النجيب سيدى احمد بن محمد التاهالى
- ١٣ - الشيخ محمد بن عبد التاهالى
- ١٤ - السيد محمد بن الحاج بلقاسم
- ١٥ - العم سيدى ابراهيم بن احمد
- ١٦ - سيدى موسى بن الطيب
- ١٧ - صنوه المرحوم سيدى البشير

- ١٨ - الأستاذ سيدي عبد الله بن ابراهيم
١٩ - الأستاذ سيدي محمد بن احمد بن الحاج صالح
٢٠ - الأستاذ علي بن صالح الاوقري
٢١ - سيدي علي بن الحاج احمد التيفشيتي
٢٢ - سيدي الحسين بن بوبكر الاغودي
٢٣ - الأستاذ سيدي البشير صنوه
٢٤ - الأستاذ عبد الله بن مسعود التيبوتي
٢٥ - صنوه سيدي احمد بن مسعود
٢٦ - الحاج مسعود الوقاوي الأستاذ الكبير
٢٧ - النوازي سيدي محمد بن مبارك الوقاوي
٢٨ - سيدي المحفوظ بن الهاشمي
٢٩ - سيدي احمد بن بوهوش التاويبي الايفشاني
٣٠ - الأستاذ سيدي احمد بن الحسن البناء الايفشاني
٣١ - صنوه سيدي محمد بن الحسن
٣٢ - سيدي محمد بن مبارك التاويبي الايفشاني
٣٣ - سيدي الحسن اخوه
٣٤ - سيدي الحسين بن صالح التاكنزي

الايسيون

- ٣٥ - الأستاذ سيدي المكي اليزيدي
٣٦ - سيدي الطيب اليزيدي
٣٧ - الأستاذ سيدي احمد بن محمد اليزيدي
٣٨ - سيدي محمد بن عابد اليزيدي الصغير
٣٩ - الأستاذ محمد بن الحاج احمد الأستاذ اليزيدي
٤٠ - سيدي محمد بن عابد اليزيدي
٤١ - سيدي محمد بن الحسن اليزيدي
٤٢ - سيدي الحسن بن عبد الرحمان الاعرج الايسي
٤٣ - سيدي محمد بن الحنفي الفيلاي الحضيكي
٤٤ - صنوه سيدي الحسن بن الحنفي الحضيكي
٤٥ - سيدي الحسن بن البشير الحضيكي
٤٦ - سيدي المحفوظ التارصواطي

الامانوزيون والكرسيون ومن اليهم

- ٤٧ - سيدي محمد بن بومليك

- ٤٨ - سيدي محمد - فتح - بن عبد السلام الكرسي
٤٩ - سيدي محمد بن عابد نسخت : اي النسخة

التيمليون

- ٥٠ - سيدي الحسين التانصيلتي
٥١ - الاديب سيدي محمد بن بلقاسم الاعصري
٥٢ - بلقاسم الانامري التيملي
٥٣ - سيدي محمد بن بلا الانيل
٥٤ - سيدي محمد المسناتي
٥٥ - سيدي احمد بن بلقاسم
٥٦ - سيدي احمد بن محمد الدويمالني
٥٧ - الاديب سيدي محمد الكثري
٥٨ - صنوه احمد

الرسموكيون

- ٥٩ - العلامة علي بن الطاهر
٦٠ - اخوه عبد الوهاب
٦١ - الفقيه سيدي صالح الزعنوني
٦٢ - سيدي احمد بن محمد الزعنوني
٦٣ - الأستاذ ابراهيم التازيلاني

السملاليون

- ٦٤ - سيدي احمد الاعضياوي
٦٥ - الاديب محمد بن سعيد الاعضياوي
٦٦ - سيدي احمد بن محمد الورحماني
٦٧ - الصالح سيدي احمد التازيمامي
٦٨ - الفقيه عبد الله المافاماني
٦٩ - الحسن بن عبد الله
٧٠ - الفقيه سيدي محمد التيقبي
٧١ - العابد محمد بن محمد من ايت الحاج
٧٢ - الفرضي سيدي الطيب بن محمد الكوسالي
٧٣ - سيدي عبد الله بن محمد الورحماني
٧٤ - سيدي الحسين بن ابراهيم الاخصاصي

الباعقلينون

- ٧٥ - الاستاذ سيدى ابراهيم القاسمى
- ٧٦ - سيدى على الباعقيل القاسمى
- ٧٧ - الاديب سيدى احمد بن سعيد الاكمارى
- ٧٨ - السيد الحاج الاحسن الباعقيلى ثم البيضاوى
- ٧٩ - احمد بن صالح الايفيرموسى
- ٨٠ - النجيب سيدى ابراهيم بن الطيب
- ٨١ - الفقيه سيدى محمد بن احمد بن محمد الخياطى

المجاطيون

- ٨٢ - الاستاذ الكبير بلقاسم التاجارموتى
- ٨٣ - الاديب سيدى احمد بن محمد الاهريسي
- ٨٤ - سيدى جامع بن همو الازونيفى المجاطى الشهيد

الافرائيون

- ٨٥ - العلامة الشاعر سيدى الطاهر بن محمد
- ٨٦ - الاستاذ محمد بن الحاج الاديب الشهر
- ٨٧ - صنوه سيدى الحسن بن الحاج
- ٨٨ - الاستاذ احمد بن صالح من بنى عدى
- ٨٩ - سيدى احمد بن صالح الشكوكى
- ٩٠ - الاديب سيدى الطاهر الناصرى
- ٩١ - الاديب سيدى البشير صنوه
- ٩٢ - النجيب ابنه المهدي
- ٩٣ - سيدى محمد السلامى التاغونيتى
- ٩٤ - مولاي صالح التانكرتى
- ٩٥ - الفقيه سيدى الحسين التيمولائى
- ٩٦ - صنوه احمد بن محمد

الاخصاصيون

- ٩٧ - الاديب الكبير مولاي عبد الرحمان البوزاكارنى
- ٩٨ - الفقيه سيدى الحسين التاطاروستى
- ٩٩ - سيدى محمد بن احمد بن ابراهيم
- ١٠٠ - سيدى محمد السلامى المقدم التاكانتى

- ١٠١ - صنوه سيدى على
- ١٠٢ - سيدى محمد بن على اوبالوش
- ١٠٣ - صنوه سيدى عمر
- ١٠٤ - محمد بن ابراهيم المانوزى الاخصاصى
- ١٠٥ - سيدى محمد بن مبارك الاكيسلى
- ١٠٦ - الاستاذ والده سيدى مبارك

الباعمرانيون والساحليون

- ١٠٧ - القاضى سيدى محمد بن عبد الله اوبالوش
- ١٠٨ - سيدى الحسن اخوه
- ١٠٩ - سيدى عبد الله بن الحسين الموساكنواوى
- ١١٠ - سيدى محمد بن الحسن الموساكنواوى
- ١١١ - الاديب محمد بن الحسين بوكرع
- ١١٢ - سيدى محمد بوشوارين الساحلى
- ١١٣ - النجيب صنوه سيدى احمد

الازغاريون وما وراءهم

- ١١٤ - سيدى محمد المرسى المعدرى
- ١١٥ - سيدى محمد بن محمد بن الحسن الماسى

التاغيجيتيون

- ١١٦ - سيدى ادريس بن الحسن
- ١١٧ - سيدى محمد بن مبارك الموش
- ١١٨ - سيدى ابراهيم بن محمد
- ١١٩ - صنوه سيدى احمد بن محمد
- ١٢٠ - القائد الحاج احمد اضارصور

التاماناريون

- ١٢١ - سيدى اليزيد الخلاسى
- ١٢٢ - الحاج عبد الله اليزيدى
- ١٢٣ - سيدى الطيب اوباحو
- ١٢٤ - سيدى الحسين بن بلقاسم الايموكوديرى
- ١٢٥ - سيدى ابراهيم بن محمد العنترى
- ١٢٦ - سيدى سعيد بن على العنترى

الساموكنيون

١٢٨ - الاستاذ سيدى العربى الساموكنى الشهير

١٢٩ - الفقيه محمد بن محمد بووازي

١٣٠ - سيدى الحسين بن احمد

١٣١ - سيدى محمد بن احمد الحافظ

١٣٢ - سيدى محمد بن الحاج عبد الرحمان

هؤلاء من امكن لنا ان نعرفهم اليوم ، ولا بد ان يغلت من احصائنا هذا بعض نجباء آخرين ، ولكننا فى الغالب قد استقصينا غاية الاستقصاء ثم انتقلنا الى نجباء من غيرهم على شرطنا الذى ذكرناه ، فبقى بعد الانتحال فى ايدينا بعد ذلك من رايتهام امامك الآن ، ولا شك ان النجابة تتمطط الى حيث يشاء الانسان ولكننا توسعنا فيها ، وادرجنا فى ضمنها ما يقصد اليوم بالثقافة العلمية ، فكل من يقدر ان يكتب ما فى ضميره باحسن عبارة ، ويتلو ما كتبه غيره اقوم تلاوة وان لم يكن ذلك المتفوق الزاخر ، فانه لاشك نجيب مثقف ، وهذا ما جعلناه محور هؤلاء الذين انتخبناهم من مئات سواهم ، فادناهم من يقدر ان يعبر عما فى ضميره باللغة العربية كتابة ونطقا بغير لحن كثير ، وقد اشرف على الفنون التى اخدها وكانت له يد متمكنة فى بعضها . واما المتفوقون فهم الفطاحل العلماء الاجلة وهم فى هؤلاء نحو الثلث ، وسترى ان شاء الله وتتم مرادنا فى ترجمة كل مقدار خطواته فى الميدان ، فانظر فانا معك منتظرون ومن افلتوا من هذه القائمة ثم عرفناهم بعد اليوم ، فسنضيفهم الى اخوانهم يوم نصل الباب الذى يترجم فيه لكل واحد واحد والله الموفق

الآن ايها القارىء ادركت بلا شك مقدار استاذية صاحب الترجمة فقد برهن لك ما تراه امامك من المتخرجين تحت يده عن تلك المكانة السامية التى تنزلها استاذيته ، وتجول فيها تربيته ؛ على انك لا تدرك ذلك غاية الادراك حتى تضع ان شاء الله بين عينيك حياة كل واحد من هؤلاء ، فتكون اذن على حق اليقين فيما كنت فيه اليوم على علم اليقين (واذ قال ابراهيم رب انى كيف تحى الموتى ، قال اولم تومن قال بلى ولكن ليطمئن قلبى)

ايام الاستاذ الاخيرة

كان للاستاذ تلك الخطوة العظيمة فى علمه وفى رئاسته وفى قضائه فى كل ماتمسه يده ، فكان فى مقام يغبط فيه ، وفى منزلة تتطادونها الهامات وقد انتشر له من التلاميذ من نشروا من محاسنه ومن مفاخره ما ترك ذكره كالكباء

القائح فى كل ارجاء سوس ، ينشقه القريب والبعيد ، ويقر بمقامه العظيم مكاسره ومكاشره خلقا وفضلا وعلما وادبا ؛ واشادة للحق وهذا للباطل ؛ وحكما مسمطا فى النوازل وغيره تنافح عن جزولة مع المكافحين منافحة الاساد دون اخياسها ، وهو رحمه الله يتزايد فى هذه الخصال التى كملها بمائدة ممدودة وسماط ما يفلق دونه الباب ولا يسأل دونه عن السواد المقبل ، فقد سمعت اخى احمد رحمه الله ، وكان ممن يعجب بصاحب الترجمة ، فكان هو على الحقيقة من ارانى عنه ما كنت اجهله فى تلك الشهور التى قضيتها معه اثر نفسي من العجاء قبل ان يلتحق بربه فذكرنى بعض ما كادت تنسينيه هذه السنوات العشر التى قضيتها منذ غادرت الخ للاخذ منذ عام ١٣٣٦ هـ فكان يقول عنه رحمه الله معا : ان الاستاذ هو آخر من يتقبل فى الخ اى ضيف جاء ولا يكاد يعجب بابه دون اى احدهاء ثم انطلت هذه الخلقة بعده حتى لم يبق لنا شئ فى الخ كرم لاحقيقة ولا مجازا ، وهذه الشهادة من الاخ تتضمن زيادة على الاشادة بالحق لاهله انصافا اعتاده انا من الاخ ، فقد عرف كل الناس ان غالب الاقارب الذين لا يعدون فى المعناد ان يكونوا بينهم كالعقارب ، قلما يشهد بعضهم لبعض شهادة مثل هذه ، ولكن نحائز الالفين التى حافظ فيها الابناء على ما عوده الآباء لا تزال مسترسلة - كما ترى - بعدما مضى زمن كادت فيه الخ تاتى عليها فعلة سماوية ادت باحد اولاد المترجم فجيلت وراءها جولة غير محمودة ، ثم وقى الله الخ شرها فالتامت القلوب وانطقات الحزازات ، وتركت تلك الفظيعة وكل ما جرته ملاحس البقر اولادها ؛ فبعد ان رزى الاستاذ بغزة كبده ؛ وبعد ان جودبت الحبال فترة من الزمان مع اناس من بينهم الاخ احمد ومن اليه ، غلبت طباع التسامح حتى رايته يشيد بالاستاذ ، وحتى رمى الاستاذ نفسه كل عقابيل تلك الجريرة دبراذنه ، فعاد الالفيون ثانيا وقد نزع من قلوبهم الغل ، فيجلسون على سرر متقابلين فهذا هو الاستاذ الكريم الذى لا تغلو داره من علماء يزيديين او افرائيين او صحراويين او سملايين او اخصاصيين او بعقلين او تملين او صوابيين او تامانارتيين ، ولا يكاد يودع وفدا منهم حتى يتلقى وفدا اخر ومن اريحته ان يتلقى النازلين بقصيدة ، ثم يودعهم باخرى ، كما يربى على ذلك تلاميذه ليتصرفوا على الانشاء ، وعلى الاخذ والرد فى ميادين الادباء وخصوصا ان جاء الوفد الافرائى الذى يتركب غالبا من الاستاذ شيخنا الطاهر بن محمد ، ومن الاستاذ العربى قبل ان يتوفى عام ١٣٢٩ ومن الاستاذ البشير بن المدنى الناصرى وصنوه الاديب الطاهر بن المدنى ، قبل ان يتوفى عام ١٣٣٦ هـ ومن الاستاذ الافرائى احمد بن صالح زيادة على من يقعدون عنده غالبا كالفقيه المكي اليزيدى والفقيه الحاج احمد بن محمد اليزيدى واخيه عبد الرحمن والفقيه او الشلح الايسى والنوازل الحاج احمد من آل بريك الوفاوى ، وربما كان معهم الاستاذ شيخنا محمد بن الطاهر النابغة الجديد فى الادب اذذاك ، والعلامة ابو زيد البوزاكارى شيخنا الكبير ، والاستاذ احمد بن الحاج محمد اليزيدى ، والاديب محمد بابه

الصهراني ، فيسابقون جميعا في القصاد لم نألي حلبة اخرى من الالفين
 كالاستاذ عبد الله بن محمد والاديبين ابني الاستاذ المترجم : محمد وصنوه
 التابعة المدني ، والاستاذين عبدالله بن مسعود التسيوتي وعبد الله بن ابراهيم
 الالفى وادباء المدرسة الالفية ، فتتلاطم امواج القريض في دار الاستاذ وفي
 دار الالفين ، وفي دار الوالد حين كان لا يزال حيا الى مختتم عام ١٣٢٨ هـ
 فمضى الاستاذ صاحب الترجمة بين ذلك المحفل هو الذي يسبق ويتقدم الى
 الصدارة ، بعد ان توفى السوالد لان الوالد كساد يتصدر وحده ، لسنه
 ولكانه ولكون الجميع اخذوا عنه ، ومن بعد وفاته كان الاستاذ منفردا بتلك
 الصدارة بجدارة واستحقاق ، ويتصدر على الكل لان هؤلاء كلهم من تلاميذه
 وفي كتابنا (جوف القرا) ترى غالب هذه القوائد التي
 تستغرق عشرات فصحيات من الصفحات مما لم يمكن لنا كتبه في هذا الكتاب
 هذه كلها خلال الاستاذ التي صاحبتها الى آخر حياته ، التي ابتلى فيها
 بتلك الرئاسة التي صار يتململ منها اخيرا ، وقد عاين بعين البصيرة تلاعب
 الناس بالدين ، وخلو نفوسهم من الغيرة عليه ، وفساد النيات واختلال الاحوال
 ونكاثر الاهوال والمراء لا يخرج من شديد منها الا الى ما هو اشد ، فعزم عزمنا
 اكيدا ان ينزوي في داره وأن يطلق هذه المجامع وكأنه شاهد الصخرة قد
 تدهرجت من قنة راس الجبل في منحدرها وقد شاهد كيف ذلك المنحدر فيقن
 ان الصخرة لا يبردها راد حتى تصل الى قعر الوادي ، هذا ما كان خطر له يوما
 رحمه الله ، ولكن الاعاصير لم تدره في انزوائه فهبت عليه مرة اخرى عاصفة من
 عواصف تلك الايام المقلقة بين اعاصير الكفاح ، كان ابتداء من بنى عمران
 فخرجت كل امامها فكان الاستاذ مما جرفته مرغما فلاقى الحملة ملاقت في
 قبيلة آيت عبلا وقد وقفها الزكريون ، وهم الذين كانوا سبب هذا الزحف لامور
 كثيرة ذكرناها في غير هذا المحل ثم لم تلبث هذه العاصفة ان تضاعفت تضاعفا
 مخجلا كساكل من كان فيها حياء فيما بينه وبين نفسه ، فضلا عن وسط الرامقين
 وقد ظهرت السرائر واقتضح المراءون وظهر ان لا غيرة ولا ايمان ، ولا قصد حسنا
 وان كل ذلك انما هو من اجل دراهم معدودة يتوصل بها بعض المفرضين كالقائد
 المدني وامثاله ، ثم لم يزلوا الزكريين قلامة ظفر ، ولا وطأهم كما زعموا فقال
 الاستاذ : واأسفا على نقض عزيمة وعلى ان راجعت هذا الهرج من جديد فرجع
 من ذلك الزحف الذي كان بعد عام ١٣٤٣ هـ ثم لم تلبث طلائع مسغبة - ١٣٤٥ هـ
 ١٣٤٦ هـ ان طلعت على اهل هذه الجهة ، فحركت الناس عركا ولاقوا منها عرق
 القرية ، وقد نال الاستاذ منها بعض جهد لكثرة عياله ، ولكثرة اضيافه ولعظم
 نفقات مجده - ومعلوم ما للمجد من نفقات باهظة - وقد خلت الاهراء ونفدت
 الدخائر ، واعوز المعينون ، وقد اصيب الاستاذ عام ١٣٣٧ هـ بخروج املاك ايش
 من يده وهي التي كانت تملأه بثمر كثير ، وغلل اخرى غير قليلة ، فاضطر في
 هذه المسغبة ان يشتري من الجبوب مثل الناس ما يزيد الى مدخر عنده لا يزال

موجودا ، ولكنه قليل ، والاحتياط دائما كان من حزم امثال الاستاذ من الالفين
 اخبرني الاخ احمد قال : حرت الناس عام ١٣٤٦ هـ فكان الاستاذ يغير
 المزارع الجيدة فاقتصر عليها ولم يتجاوزها الى الارض الهشة فنزل مطر قليل
 فلم يقد الا الاراضي الهشة ، فصار الاستاذ في مقيم مقعد ، فاجتمعت معه في دار
 انسان فجالت اطراف كلامه حول هذه السنة الشهباء ، حتى ظهر لنا تأثيره
 فقال : ماذا يلقى الالفيون من هذه السنة العجفاء ؟ ثم قال : ان يريدون ان تستهم
 لنظرم من هو المنحوس فينا ؟ - قال ذلك تواضعا وهضما للنفس - ثم قال : ولكن
 واحياءه ، ربما يقع السهم على جانبي وما يدريني ؟ افلا اخاف ان اكون مثل
 يونس ، حين ساهم فكان من المدحضين ، فالتقمة الحوت وهم ملين ؟ فصارت
 عبراته تنتشر على لحيته البيضاء الطويلة ، وقد خنفته العبرة - وكان ذلك منه
 يؤثر غاية التأثير - ثم صار يقول : ان الحوادث قد وعظتنا مرات فما انعلمنا
 وجاءتنا المثالات تترى فما ارعويها وزلزلتنا النذر ونحن في اعمالنا القبيحة
 سادرون ، قال الاخ : فحصلت لنا منه رحمة الله موعظة اثرت فينا غاية التأثير
 ثم خرجنا فامالنا الى داره ، فمد سماطا يزخر سمنا وعسلا وملتوت لوز ولحم
 مزعفرا ، ثم ما فارقنا حتى اضحكنا بكرمه بعدما ابكانا بمواعظه قلل الاخ : كذلك
 كان الاستاذ اذا اطلق وعظه كثيرا ما يهضم نفسه ، ويتعظ بكلامه قبل ان يتعظ
 به الناس ، حتى انه في مثل ذلك الموقف ليصرح عن نفسه بما لا يقدر اي انسان
 اخر ان يصرح به عن نفسه انصافا منه وتواضعا

الاستاذ يلفظ نفسه الاخيرة

ذلك هو الاستاذ وهذه مجالسه وهذا هو كرمه الحق حتى في المسابغ
 وتلك همته التي تستحوذ على جلسيه ، حتى يبقى دائما لهجا به في كل حين
 كذكرى مستطرفة بين المتسامرين

مر عام ١٣٤٦ هـ ودخل العام الذي بعده وقد ارتاش الناس ، وضمت المسغبة
 المشهورة اذذاك اذيائها ، ففي يوم عاشوراء من العام الجديد اجتمع الناس صباحا
 على العادة ، فقام فيهم الاستاذ خطيبا ، فبشر واندروا والى المواعظ المبكية ثم حمل
 على الحاضرين في سكوتهم على العادات المستهجنة التي ترتكب ليلة ذلك العيد
 من مناداته الذئب والثعلب ، ومن اجتماعات تكتظ بالرجال والنساء في الملاعب
 ثم قال : ماذا صنع لنا الذئب والثعلب ؟ وهل هما اللذان اخرجانا عن الصراط
 المستقيم وهل هما اللذان ساقا محارمنا وشبابنا حتى خلطوا بينهم في الملعب ؟
 فمالنا ايها الناس لانعتبر ؟ ومالنا لانقف فيما بيننا وبين أنفسنا حتى نعرف
 من اين اتينا ؟ فيالله صائب ويا للرزية ، فقد صبت علينا الكسوات من كل
 جانب ، بسبب اجتراحاتنا الكثيرة واغراقنا في الذنوب التي تسدر في غلوائها

غير مباليين ، فصار رحمه الله يعظ على هذا المنوال في كلام كهذا ، وعبراته تنهل إلى لحيته البيضاء وزفراته متوالية في وجوه الحاضرين ، حتى غلب على نفسه ولم يمكن له بعدان يجلس بين الناس تأثرا وتدقق عبرات ، فانصرف من غير أن يدعوا للناس على العادة فترك كل من حضر بين ذى قلب ذائب وذى نفس متطايبة فبقى له ذلك الموقف يذكر كلما عن ذكر الاستاذ ومواقفه في الوعظ، فيفهم عليه المحدثون سجلا من الشئ :

وانما المرء حديث بعده فكن حديثا حسنا لمن وعى

طرقه مرضه في ربيع الاول ، فكان ربما يخف عنه وربما يجهد وقد كان ولده الاستاذ سيدى المدنى اذذاك في المدرسة يتولى الدراسة فيها ، قال الاستاذ سيدى الطاهر : فقال لي ابي يوم السبت اليوم الاخير من ربيع الاول: الا تزالون في موالاة الدروس ؟ اتركوا ما انتم فيه ، وافرغوا لي حتى تودعوني هكذا بهذا اللفظ يقول ذلك بكل تثبت ورباطة جاش وهمته هي هي في كل شيء حتى انه وجد بعض قوة يوم الاربعاء الرابع من ربيع الثاني ، فزار ضيعته بتالات ليتعيس ثم جمع اليه اولاده كلهم قال الاستاذ الطاهر: فصار يوصينا ويقول: ان المدنى للمدرسة وان محمدا والحبيب لادارة شئون الاسرة ، والآخرين يواظبون على دراستهم ، قال : ثم حثنا على ملاينة الناس والتخلق لهم بالخلق الحسن ، وقال : لاتظموا ان تكونوا والناس كما كنت انا واياهم فانا في عصر وفي ناس وانتم في عصر اخر وفي ناس اخرين ، قال : ثم حثنا على المتابعة وان لانزبل الستر عن دارنا ، فقال : ان قدر الله ان تقسموا ما بيديكم فلا تظلمن احد على ما عندكم ، ولا تتجاوزوا سيدى الطاهر الافرانى وحده ، ثم تقاطرت الوفود من كل جهة حين سمعوا بمرض الاستاذ ، فحضر الاستاذ سيدى الطاهر الافرانى والرئيس احمد بن ابراهيم الايشانى وسيدى سعيد الاعضياوى والعلماء والرؤساء القريبون من البلد ، ثم في عشية الخميس ازداد مرضه وفي يوم الجمعة دخل عليه الزائرون والطلبة فاستداروا به وقد اشتد عليه ما يجده ففتح سيدى الطاهر صورة يس ، فما ختموها حتى ختمت حياة الاستاذ ، فسكت غالب من حضر عن اتمام السورة وقد خنقهم البكاء ، ولكن المتجلدين صابروا حتى اتموها

هكذا انقضت حياة هذا العالم الجليل ، وهكذا طويت صفحة هذا الاستاذ العلامة الاديب المفتى القاضى المدرس الرئيس الكريم طيا لانتشار له في هذا العالم وذلك في بهرة حلقة هؤلاء العلماء والطلبة الذين امضى معهم كل عمره ، ثم هيس لسفرته الاخيرة ، فصلى عليه شيخنا الافرانى في نحو سبعمائة من جيران الخ فدفن الى جانب ابيه واخيه الاستاذ سيدى محمد في وسط القبة التى تتداعى اركانها كان تداعيا من هبة هؤلاء الاساتذة العظام ، الذين لاتسع لحضراتهم اركانها

مراثيها

عظمت المصيبة بموت الاستاذ ، ورزى اهله وتلاميذه منه برز ، وقع عليهم بفجيعته الهائلة قال ابنته سيدى محمد بن علي : فمرت شهور ولم تظهر مربية له كان الخ الادبية غير الخ بل كان الارض بدلت غير الارض او كان الوفاء الذى تدل عليه المراثى عاد بلقايابا ينق في اليوم ، فنبتت الاستاذ الاديب الطاهر الافرانى بلبل الشعر الصداح ، وصدى الادب الذى لا يكاد يفرغ من قصيدة الغية ، حتى تفتتح اخرى ، فقلت له ماهذا السكوت ؟ وهل يمضى الاستاذ الوالد بلامرئية ؟ قال فاجابنى بان ما يقال له في هذا الموضوع يقال لكل ادب القسى ثم كان ذلك سببا على ان القى الاستاذ الافرانى هذه القصيدة الرائية الالية كما قال ايضا في الموضوع الاديب الكثرى ، ثم بعد ذلك قفاهما قاضى اقا سيدى محمد الهاشمى القاسى بقطعتين هذا كل ما كان حظ هذا الاستاذ من المراثى ، مع انه كان يليق ان تتبعه عشرات من قصائد طنانة الغية ، ولكن تانى حرفة الادب الا ان تدرك صاحبها في الحياة ان لم تجد منعة من همة فولاذية كهمة الاستاذ ، او بعد الوفاة وقد انطوت تلك الهمة التحفازة وقل الوافون وكثرت الاعتذارات الواهية الباردة ، قال الاستاذ الافرانى :

امن حادث بكر جرى منه ما جرى حرى دمعك القانى فقرح محجرا
فبت بلبل نابغى مسامرا كواكب عاقتها الدجا ان تسيرا
وضافك هم طارق نحر الاسى له كبدا حرى وقلبا تفترا
وجاشت نكايات الزمان فلم تجد لصبرى عزما ايذا فتكسرا
وخانك ماعدوت من جلد سوى مدامع تهوى او زفيرا تسعرا
ولا مسعد الا فؤاد موله تحير لا يدري اماما ولا ورا
نعم ثار ليث الدهر يفترس الالى هم زينة الدنيا وهم صفوة الورى
هم الغيث فى محل هم الاسد فى الوغى

هم القوث فى ازل هم الشهب فى السرى
فذكرنى بيتا لحسان حاج من جوى وعديا القلب ان يتذكرا (١)
رايت خيسار المومنين تساردوا شعوب وقد خلفت فيمن تاخرا
الم تر ما غال العقول وارمض النـ سفوس ، واقلدى كل عين واسهرا
مصاب ينسى كل صاب مرارة ورزء اهان المرزيات وحقرا
 وفاة امام الدين والعلم الذى به يهتدى باغى الهدى حيثما سرى
ابى الحسن القرم الرضا خير من اضا بانواره افق العلوم ونورا
خضم بامواج المعارف يرتضى وروض بازهار المعارف نورا

(١) غدياه : قصصاها وهو بالتصغير

همام له في المجد همه سيد
كريم له عند المكسار همه
يفيض بانواع المعارف والندى
على بابه في كل يوم تراحم
ومن علمه او كفه يقبس الغنى
فكم من عم في مهمة الغنى حائر
وكم طالب يبغي المعارف امة
هو الشيخ كل العصر معترف له
هو الشمس انى كنت شمت ضياءه
هو البحر من اى النواحي اتيته
هو البدر اشراقا هو الدهر همه
هو الملجأ الاحمى هو الناقع الظما
هو الصارم المسلول ان صال اوسطا
لدا ذكره اسرى من الشهب والصابا
فكم طرقت اخباره سمع راغب
لقد افعم الارحاء اضواء بره
فمن ظن ان العصر ضم نظيره
فقل لحسود ظل ينكر فضله
وللمدعى هيات ويك افى الندى
تجمع فيه كل فضل مفرق
فكم مجتد اجدى وكم حائر هدى
وكم موقف ضحك لدى حومة الوغى
وحممت الجرد الجياد وضرجت
وجالدت الابطال واشتجر القنا
وصنمت بصوت المرعدات مسامع
وسيت ظنون واصطككن فرائص

بصير اذا ما اورد الامر اصدر (١)
كما شمت برقاً في الغمامة امطرا
على كل عاف رائحا او مبكرا
كما يعم الحجاج جمعا ومشعرا
عن المزريين الجهل والفقر من عرا
راى سره البادى السنا فتبصرا
فاصدره عن علمه متبحرا
بمن سواء من تربى ومن قسرا
بغير حجاب منجدا ام مقورا
انالك درا دون من وجوهرا
هو البحر معروفاهو الليث مجترى
هو العلم الاسمى لمن ضل في عرا
لدى الحرب ابصرت الهزبر الفضل
ومن مثل والليل والظيف فى الكرى
فجا فرأى من لم يخله فكبرا (٢)
وعطر ربا علمه المدن والقرى
فقد ظن اخت الشمس خاب من اقترى
اذا كنت ذاعنين فانظر لكى ترى
تجاريه ام فى العلم؟ فارعو واقصرا
على غيره كالصيد ضمنه الفرا
وكم جائر اردى وكم مفتر فرى
وقد صار فيه اليوم ادكن اغبرا
دما الى ان تحسب الجون اشقرا
وظن الجبان اليوم يوما مقدرا
وافحم بالدعر اللسان فبربرا
ودارت عيون خيفة وتحيرا

(١) قال النابغة الجعدي :

ولاخير فى جهل اذا لم يكن له حليم اذا ما اورد الناس اصدر
ولاخير فى حلم اذا لم تكن له بوادى تحمى صفوه ان يكدر

(٢) هذا ينظر الى قول المتنبي :

كبرت حول ديارهم لما بدت منها الشمس وليس فيها المشرق

وقارعت البيض الذكور وعقدت
فلا تبصر العينان الامضرجا
جلا فيه كرب الدين لله دره
له وثبات ، او ثبات كانما
يرى الكفر ان العز بالله لا بما
وان جموع الكافرين وان طغت
فيض وجه الدين بالجد ناصرا
وقاتل اعداء الهدى بشهامة
وجاهدهم فى الله حق جهاده
الى ان دعاه الله بالفوز والسرضا
فخلف صيتا طائرا ومفاخرا

(١) البيض بفتح الباء : جمع بيضة وهى المغفر ، والذكور السيوف قال المهلهل
فلولا الريح أسمع من بحجر صليل البيض تفرع بالذكور
والشطرنج الثانى ينظر الى قول المتنبي :

عقدت سنابكها عليه عثرا فلو ابتغت عنقا عليه لامكنا
(٢) ينظر هذا الفصل من هذه القصيدة الى ما جاء فى قصيدة لابرهم السكتاني
السوسي فى الامير محمد العالم ابن الملك مولاى اسماعيل

واعظم مقدام اذا اشتجر القنا وماج بحر الحرب جعفله المجبر
به يتقى فى معمعان الوطيس ان تمعرت الشجعان وانقصف الصبر
وقد قامت الهيجا حق قيامها ودارت رحاها والتظى وسطها الجمر
وقد صابر الشجعان حتى لوى بهم الى العجز رغما مطعن الاسل المر
وقد فلت الاسياف واندقت القنا وكدست الموتى وضاق بها البسر
وجف من اوساط الحلوق لعابها وقد ضاقت الاضلاع وانتفخ السحر
وقد قام ميزان الهزيمة فانشى عن الوالد الحانى ابنه المستحى البر
هنالك مولانا يضى جبينه جبورا كان طافت براحتة الخمر
يقاوم فردا ثابت الجأش مقدما كما خر نحو السفح من قنة صخر
يشايه العزم الوطيد وقائم من المشرفيات البواتر والمهر
الى ان يرد الجيش اديارهم وقد تقسمهم حد المهند والاسر
والجميع مستقى من قول المتنبي :

وقفت وما فى الموت شك لواقف كأنك فى جفن الردى وهو نائم
تمر بك الابطال كلمى هزيمة ووجهك وضاح وثغرك باسم
(٣) حكى لى القائد التاجم ان ميتا من المسلمين سقط فى نحر العدو فى واقعة
ولم يقدر احد ان يشق لميتا بشلوه الا الفقيه سيدى على بن عبد الله . فقد
غامر بلا مبالاة حتى أتى به ورجع والرماس يتطاير حواليه .

الا انما تلك المكارم لا الالى
واعقبنا حزنا يزيد وعسيرة
ولكننا نلقى المقادير بالرضا
مضى شيخنا الحامي الدمار مطهرا
سابكه ما ناح الحمام هديله
وتندبه عين اليراع معى وان
وتبكيه عين المزن فى الروض اذ حكت
وانى اعزى المجد فيه فانه
واندبه للعلم والدين والندى
واندبه للمشكلات يحلها
واندبه للدرس فى الدست اذ غدا
وللوعظ تهوى العين من رقة به
واندبه للطالب العلم يجتنى
وللمعتدين الظالمين يكفهم
والدين والدنيا وللفضل والعللا
وللسادة الابناء ابناؤه ومن
وللجلا الاخوان والجيرة الالى
فصبرا جميلا يابنيه وكلنا
فلارز الا دون رزكم فلا
ولاتهنوا للحادث النكر انه
فى الله للعبد النيب كفاية
لما جزعى؟ والموت حتم وانما
اما زار طيف الموت كل منبا
فلا ملك تحميه عدته ولا
فاين ذوو التيجان من كل امسة
واين الكرام الشم من برمك؟ اما
دعا الكل داع لايرد لمصرع
فلم تخلق الدنيا ليعمرها الفتى
فتبا لها لم تصف الا تكدرت
وطوبى لمن لم ينخدع بغرورها
وجد حبال السوف اذ جد جده
وبادر قبل الفوت اعداد طاعة

يعدونها شيزى وقعبا مقورا (١)
تفيض ووجدا لايزال مسعرا
وتسليم امر كان حتما مسطرا
مبرا ما يخفى وما كان اظهرا
وان كان يبيكه بكاء مزورا
جرى دمعا احوى ودمعى احمر
شمائله الازهار طيبا ومخبرا
ابوه الذى يحميه ان يتهورا
وخابط ليل جائعا متحيرا
ببرهان صدق بادها او مفكرا
يقلده من فيه عقدا مجوهرا
اذا قام فيه مغريا ومحلرا
من ادايه او ماله متخييرا
عن الظلم كفا يردع المتكبيرا
وللبشر والترحيب بالضيف ان طرا
اضيف له معنى فحاز التصديرا
حووا منه بالقربى وبالقرب مفخرا
بنوه فعجز الحر ان يتفجرا
يكن حظكم فى الصبر ادنى واقصرا
اذا جل رزء كان بالصبر اجدرا
تقيه اذا ابدى الزمان التكبيرا
مدى كل حى ان يموت فيقبرا
كريم وزار المصطفى المتخيرا؟
عليم ينجيه من الموت مادري
الم يستبح كسرى الملوك وقيصرا؟
تصدى ليحيا حين غفر جعفرا؟
يلازمه حتى يوافى محشرا
وان عاش احقبا ولكن ليعبرا
ولم يحل فيها العيش الا تمررا
اذا هو بالزهد ارتدى وتازرا
لزاد معاد فاتقى وتبررا
تسر اذا لاقى تكبرا ومنكرا

(١) القعب بالفتح : اناء اللبن والشيزى : عود تصنع منه القصاص

قال الشاعر : تلك المكارم لاقعبان من لبن شيبا بماء فعادا بعد ابوالا
وقيل فى اصحاب قليب بدر : وكم ذاقى القليب قليب بدر من الشيزى تكلل بالسنام

= ٣٨٠ =

قيارب لبنتنا وتب واهد واعف عن
وجد بالرضا واغفر كما انت اهله
وان الرجا فى جنب عفوك شافع
ومنه لك اللهم للشيخ رحمة
وان تتلقاه برضوانك الذى
بجاء رسول الله من جنبه حمى
عليه صلاة الله قدر كماله
واصحابه والتابعين ومن تلا

مساوى جلت ان تكت تكثرا (١)
فانك اهل ان تجود وتغفرا
كريم ، وحسن الظن من اوثق العرا
تقدسه روحا وذاتا ومحضرا
يبيح له مشوى كريما ومنظرا
حصين يجير الملتجى وان اجترى
على عد ذرات الوجود واكثر
ومن نصر الدين الحنيف وعزرا

انتهت مرثية الشاعر الافرانى ، وقد تتبع فيها شمائل الاستاذ باطناب
ثم ضم الى ذلك ما يالف الشعراء ان يزجوه بين اوصاف تحمد دائما من الحماسة
التي تخاض بها المعامع ، وان لم يكن غالب علماء الغ الامثال علماء كل هذا
العصر الذين لا يطبقون ان يسمعوا وصف معمة كما هى ، فضلا عن ان يخوضوها
لانهم لم يتربوا تربية الجند ، ورحم الله استاذنا سيدى سعيدا التتاني الذى
يقول : اننى وامثالى يحرم فى حقنا ان نقرب المعامع ، لاننا لانجر على الناس الا
الهزيمة لاننا سرعان ما نكشف فى المعامع ، ولبعض اساتذتنا وقد انهزم فى
معمة حكاية نظويها الآن ، على ان للمترجم مواقف جلى بين الرصاص تذكر
عنه ، كموقعة يوم وجان حين ولج القرية المحاصرة ليلا مع سيدى الطاهر ،
وكامثالها من المواقف التي اشتهرت عنه فى ايت واد ريم وغيرها

وقال الاديب محمد بن محمد الكثرى :

الدهر بعد تعرف يتنكر فسلامة من باسه تتعذر
ما فتر عن اسنانه الا بدا متجهما عن نابيه يتكشر
فاذا تذلل لامرى يوما غدا من بعد اى تذلل يتنمر
واذا اتى عفوا واصفى موردا عما قليل صفوه يتكدر
كم خانه من بعد ما قد صانه ورزية تمرى ضروع مدامع
عمت وخصت كل ذى ادب فما تلقاه الا حائرا يتفجر
يا عاذل ومؤنبى فى عبرتى ان الرزايا فى الاكابر تكبر
هل بعد فقدك يافقيه العصر من عيش يرجى او منى تتذكر؟
طم المصاب وعم ابنا الورى فتحيروا من وقعه وتحسروا
من للمخابر والمنابر والعللا والضيف فى ذيل الطوى يتعثر
من للمجالس والمجالس يبتغى كشف الخفايا لبسها لايقتر
كم من غوامض قد جلاها فكره لولا ثقوب شعوره لاتشعر

(١) لا يكت : لا يعد

نشر العلوم الفادة واجادة واشادة عن همة لا تقدر
من للحمى يحميه من لعوارف ومعارف وصراخ من يستنصر ؟
من للعزائم والعزائم ازمئت من للهدى من للوغى اذ تسعر ؟
ناداك داعى الله ياروح العلا فاجبت لا مستنكفا تستكبر
وكذاك دأبك فى امتثال اوامر فلقيت رحمة ربنا تستبشر
فاذا ترحمنا عليك فرحمة الله مولى تعالى جده تستغفر

وأما مرثيتا الاستاذ الاقاوى فأولاهما :

موت العليم مصيبة لن تجبرا لاسيما من فاق فى العصر الورى
اعلى احزنت القلوب واعيننا ابكيتها ومنعتها ذوق الكرى
الناس ما حيت سيادتكم على خير ولما ان قبرت تقهقرا
لو كان عهدا ان شخصا يفتدى اشياخه من موتهم لن تقبرا
قمر الزمان قبرتم ، ماكنت قد سط حبت ان البدر يقبر فى الثرى
غبت فاشخصنا العيون الى السما أشخاص من سلب القوى متجبرا

وثانيتها :

لنبتك فما فى الارض من كان اغيرا على العلم والاسلام مثلك فى الورى
لنبتك على موت الذى الدين زعزعت بفقدانه اركانه فتقطرا
لنبتك على فقد المحلى بكل ما يزين الفتى حلما وعلمنا منورا
ابى الحسن الالفى شيخ زمانه ومن فاق كل من غدا متجبرا
همام يفيد المرء فى جلسة من ال سمعارف ما لا يستفيده اعصرا
عليم كريم لا يمل جلسيه اذا جئته يغنيك بالعلم والقرى
ترى حاتما منه على خلق احنف وعلم الغزالي فى لسان القبعثرى
فماذا عسى ابدية من وصفه وان غدا لى وجه الارض اجمع اسطرا
ابا حسن ابكيت اعيننا كما اذبت بنا كل القلوب تحسرا
اجود بدمعى قائلا ومؤرخا : (مواتك يا خير الزمان معفرا)

هاتان هما مرثيتا الاستاذ الاقاوى تثبتهما كما وجدنا هما على اختلاف
نسخهما فقد حاول حفظه الله ان يرثى الاستاذ بما هو اهله ، ولكنه رأى الرقعة
فسيحة واوصاف الاستاذ المحموده كثيرة فالقى هاتين القطعتين ثم اكتفى بهما
وهو على كل حال افضل من ادبائنا الكثيرين الذين طوقوا بعدم رثاء استاذ الادب
بما طوقوا به آخر الدهر ، حين اعرضوا عن الواجب ، ولم يتلفظوا ولو بقطعة
اوقعتين كالاستاذ الاقاوى جزاه الله خيرا ، وقد سمعت ان سيدى عبد الله
السملالى كان ايضا من الراثين ، ولكن لم اعثر على مرثيته

ثم اننى وقفت على رسالة لشيخنا الاستاذ الافرانى ارسلها بعد سنة من وفاة
الاستاذ يدل بها اولاد المرحوم على الصراط السوى ، فاحببت ان الحقها بالمرائى

وهى :

«سادتنا الاجلة ، بدور المعارف ونجوم الملة؛ اولاد شيخنا المقدس بكرم
الله سيدى ومولاي ابى الحسن الالفى ، الاخ الفقيه المدرس النفاة السامى
بحكم السعادة ان شاء الله فيما يزيد ارتفاعه ، سيدى المدنى ، والاخ اللطيف
الشماثل ؛ والكريم الذى هو لاكتساب المجد مائل ، الاديب الاربى ، سيدى محمد
والنجيب الحبيب ؛ سيدى الحبيب ؛ والفقيه المرشح للمكارم ، المهذب الطبع
تهذيب الصارم ، سيدى الطاهر ، وبقية السادة المرجو رشدهم ؛ المرموق بعدهم
سيدى الحسن وسيدى عبد الله ، حفظ الله جمعهم السالم من التكسير واعل
مجدهم الذى يرجع عنه بصر الخاسد خاسئا وهو حسير ، وسلام عليهم وعلى
من بالحضرة من السادة الاعمام والاقارب والجيرة ، ورحمة الله هذا وعليكم بتقوى
الله والعمل بما يرضيه تعالى ويقر عين السلف الصالح رحمهم الله ، فجدوا فى
العمل على السنن المعهودة ، والزموا قدر الطاقة عادة الاكارم من الآباء والجدود
وجاروا الزمان على حسب مقتضى الحال من غير افراط ولا تفريط ، واصبروا
وصابروا وربطوا واتقوا الله لعلمكم تفلحون ، وكونوا خير اخوة من غير الله
البعض من البعض او نخوة فيد الله مع الجماعة ، ولا تنازعوا فتفشلوا الاية
واعذرونى والسلام ١٤ بذي الحجة ١٣٤٨ هـ»

هذا وقد حدثنى الاستاذ سيدى الطاهر على ان الشيخ الافرانى المذكور كان
كتب اليهم اثروفاة والدهم رسالة ضمنها الرسالة الصغرى التى كتب بها
القاضى الفاضل الى اولاد صلاح الدين يوم مات والدهم ، وهى معروفة فى
التاريخ

قوله الاستاذ الرفاكي فى صاحب الترجمة

الشيخ الهمام ، الحافظ الامام ؛ ذوالنائل العالية ، والمفاخر الصمدانية .
الكاتب المجيد البارع ، الواقف فى فن البلاغة بكل المشارع . وفدنتعت اليه اللطائف
من عذيب المعانى والاجارع ، البليغ المصيب ، والفاتر من الاجادة باى نصيب . ابو
الحسن سيدى على بن الحاج عبد الله ، بتحت الحصن ، من ذرية سيدى عبد الله
بن سعيد الساموكنى - كما فى الحضيكى - التجانى الطريقة المحمدى الحقيقة
قرأ فى بلده عن اخيه العلامة سيدى محمد صاحب القبة ثمة ، وهو الذى بنى
المدرسة ودرس فيها ، واحيا فيها السنة ، وتلاميذهما رحمهما الله كثيرون
شنتنتهم كتب الادب واللغة فيها يتسامرون ، وعليها يتكلمون ، وهو فى نفسه
قوى العارضة . لا يطمع الفتح ان يعارضه ، اقلت اليه الرئاسة يدالطوع ، وامنت
بالقلامه من الروح ، له شعر يشهد له بالدراية ؛ وان له فى ميدان الراية ؛ وقد

البت له ما لبهره شعرا : وتجدد عند الاختبار شعرا . وعند الانتشاق شعرا : (١)
فمن ذك قوله يخاطبني :

عليك اماما اعجز اللسن في اللسن واروى بغاة العلم عذبا بلا اسن
ومن قل شكوى عن عوائد بره ومن قاذود الفضل نحوى بالرسن
ومن لم يزل دهرى يبين فضله ويتلى على ارائه : حسن بسن
سلام كورد فاح اذ رشه الندى واحل بعيد الجهد والكد من وسن
وذلك جواب لقولى فيه :

سلام يخوت (٢) ملخص (٣) الى القسن

الى قدم الشيخ الهمام ابى الحسن
سلام خديم لايريم مع النوى على العهد والحنين شوقا الى الطعن
فتى خصه المولى بعلم وحكمة ويمن حيا بشر ثوى ذلك الوطن
ابى المجد الا ان تكون سريه نقيبا وان يتلى عليك : حسن بسن
الى غير ذاك من معال تجمعت لديك وعددها لدى من المعن
الى سيدى خود تفوح ليومها غير مديح اشهى للصبى من وسن (٤)
وذلك فى جمادى الاولى عام ١٣٤٤ هـ

وكتبت اليه ايضا من جملة رسالة :

على السميع من زرت مآثره بروتق البدر بل بروتق الشجر
ابى على مرعف اليراع اذا ما ارتج القوم فهو السن البشر
عليه من خادم اركى السلام على عد الرمال وعد الرمل والدرر
فاجاب رحمه الله فقال :

مولاي من قد زرت بطلعة القمر طلعة ماخطه نحوى من السمر
وزان عقد كمالات له نظمت لبة مجد فاضحى خير مفتخر
ويا اماما غدا من اقدر البشر على نظام حوى لطافة السحر
بعثتلى من بنات الفكر ما لم اكن (٥) اهلا لهن وما العيان كالخبر
جزيت عن حسن عهد قد جيلت على احياء ميتة يا اكمل البشر
عليك منى سلام الله ما طلعت شمس وما زين عين العين بالخور

(١) المراد بالشجر شجر عمان وهو ساحل البحر بين عمان وعدن ، وقد جرت عادة الادباء ان ينسبوا ما استحسنوه من الروائع الى عنبر هذا المكان وهو المعروف عندهم بالعنبر الشجرى ، وذلك هو مراد مؤرخنا هذا

(٢) خات العقاب يخوت خواتنا : كان لجناحه دوى

(٣) ملخص : من الحضيض ، على لغة بلخارث بن كعب

(٤) «اشهى» هكذا بخطه نفسه ، مع انها غير موزونة

(٥) كذا من خط المؤرخ : وكثيرا ما يقع مثل هذا فى البسيط حتى لشيخنا الافرانى

توفى رحمه الله فى ٦ ربيع الثانى عام ١٣٤٧ هـ

هذا ما ترجم به الاستاذ الرفاكي صاحب الترجمة ، وقد اتت القواله كلها على اختصارها اجمالا لما بيناه نحن واسهبنا فيه بعض اسهاب والحمد لله ، ولم يزد على ما قلنا الا انه تيجانى المشرب ، وقد كان صنوه الاستاذ سيدى محمد بن عبد الله تلقنها من شيخها بسوس سيدى الحاج الحسين الافرانى ، ثم صار يلقيها للناس فتلقنها والده الحاج عبد الله ثم سائر اهله ، ثم جميع تلاميذهم فانتشر الفرع التيجانى الالقى على يد هؤلاء الاساتذة انتشارا ، ولا يزال ينتشر ولكن هذا الفرع اقرب فروع التيجانية الى الاعتدال وما نعرف عن اصحابه التعصب الذى يشاهد فى الفروع الاخرى وكفى فى ذلك ان هذا الفرع جاور الطريقة الدرقاوية التى حمل الوالد رايتها ، كما ان الاستاذ صاحب الترجمة صاهر رئيس الطريقة الناصرية سيدى المدنى الافرانى ، واستطاع الكل ان يتمشى جنباً لجنب مع مصافاة واخوة تامة وحسن ظن . والمترجم تلقن التيجانية من مراکش .

قوله المؤرخ علي بن الحبيب فيه

ومتهم اللوذعى الكامل العارف بالله الواصل ، الفقيه البركة العلامة ذو القلب السليم ، والفضل العميم ، صاحب القلم السيل ابو الحسن سيدى علي بن عبد الله الالقى ، احد الخاصة من احباب والدنا المقدس بكرم الله ومن خاصة اصحاب الشيخ التيجانى رضى الله عنه وارضاه بالاذن المطلق ، قائما فى ذلك احسن قيام ، الى ما انضاف الى شعر يشهد له بالدراية وهو فيه يمين قبيله حامل راية ، وله يخاطب بعض علماء عصره :

عليك اماما اعجز اللسن فى اللسن واروى بغاة العلم عذبا بلا اسن

الى «اخرها» وقد تقدمت فى ترجمة الرفاكي له

ومما كتب به الى والدى : «علم الاعلام وامام معتقلى الاقلام ، ومن له بكل فن سوا قول الاحقاد اى المام السيد السند والصدر الاوحد ، مقيم الاود الشريف الحبيب ، سيدى الحبيب السكراتى ، السلام والرحمة والبركة على تلك الاخلاق الزكية والاحوال المسكية ، وبعد فلا باس ولله الحمد ، نسأل الله لنا ولكم التوفيق لما يرضى ، واللفظ الجميل فيما قضى ، وقد وصل الرسول ومعه من الاشعار بسلامتكم والعلم نحو جلالكم ، ماتضمن كل سؤل ، فحمدنا الله على ذلك وشكرناه على حق المنن هنالك ، ومعه ايضا رسالتك الغراء المهدية لجنابتنا كل سرا

حيث فاحيت هنالك ساكنى القسبة واسترجعت اعظما بالشوق مفتضبة

(١) كذا من خطه

قاله يبيك ويبيك ويربيك ، ومن بحر غناية نبيه يسقيك ويرويك ، ويجزيك عن حسن العهد خيرا ، ويجعلنا ممن يديم لحضرته سيرا ، وهذه ايات جادت بها القريحة القريحة ، وهي بهامن بعض الشوق واعبائه مستريحة ، وعلمت في ذلك اننى والله كمن جلب التمر الى هجر ؛ اوهدي فهجر ؛ لكن الحجر من يد الحبيب تفاح :

فتشبهوا ان لم تكونوا مثلهم ان التشبه بالكرام رباح نصها :

مولاي انى وان شطت بى الدار وحكمت بالتثاني عنك اقدار وجار بالصرف عن لقياك وهى منى قلبى صروف لها للشمت اقدار وكسرت حنقا جمع سلامتينا واثارت قلها فى العيث اثار وغيبت ذلك الوجه الصبيح فما لصبغ وصلك منذ الدهر اسفار باق على ذلك الود الصميم وهل يدك شم الجبال الشم اعصار ؟ انى وحقك ابقى ما بقيت على عهد يجلى له فى القلب اضممار ينمى نموك فى الخيرات شوقى ما لغيل ودى فى السلوان مضمار لازلت بدر كمال فى سماء مجا دة تتاح له بالعز انوار لك السعادة والاعلون سادتنا الـ سانباء دارته والكل ابرار خصوصا النذب مولانا الامام على سىا من له لحضور الخير احضار منى عليكم سلام الله ما طلعت شمس وما هاجت الاشواق اشعار

فهى من بنات افكارى احد عشر كوكبا ، وعندك الشمس والقمر ، ويسجد الكل للسن لسانك ، وسلطان احسانك ، وسلم على الاحبة عموما والسلام» وبالجمله فصاحب الترجمة موصوف بطهارة الازرار والذيل ، وبصفاء الجيب وقلبه لا ينطوى على نكر ومكر :

له شرف قد جل عن ان يناله غوائل ايدي الحادثات قدام يلوح سنا برق الهنا ببروجه كبرق بدا بين السحاب يشام مطافا لارباب العلا وفصائل فمنهم جثوم حوله وقيام

اخذ العلم عن اخيه الشقيق الفقيه العلامة سيدى محمد بن عبد الله ، وهو الذى بنى المدرسة ، وتسبب فيها للخير ، ونصب فيها نفسه للتدريس واحيا السنة فى تلك الجبال القبلية وطلبته كثيرة دابهم الادب واللغة ، فيهما يمارسون وقد شهد العصر بسمو تقدير صاحب الترجمة وتقديمه ، واجمعت الجماعة على تقديره وتعظيمه ؛ اذ اذكر المجد فهو المرتدى بردائه ، او الكرم فهو العامر لفنائه ، او العلم فهو الحامل للوائه ، او جميل الفعل فهو صاحب ارضه وسمائه ، وله فصائد خاطب بهادباء الوقت لوجمعت لاستقر بها سفر ، (ثم ذكر وفاته وبعض

مراثيه) الى ان قال : ولصاحب الترجمة يهجو ال (فصك) : دشرة من مدارج جزولة قوله :

اتيت لامر حافر (فصك) وهى بك سدة قد خلت من كل حسن واحسان فالفيتهم قوما برابر يدعون ان انهم فى العرب من غير برهان وليس مفيدا ان يروا عربا اذا صنائعهم ليست صنائع عربان اما اتوا الندى فاقبروه واحيوا الـ مناكر فهى العرف من غير تكران فلا الجود فيهم لا ولا فى نسائهم حياء ، ولا فيهم غيات للهان ولم از مثل حالهم فى خشونة الـ معاش وفى اديانهم منذ الزمان

وقد خلف اولادا اجلة فقهاء مذكورين اتعبوا انفسهم فى تحصيل العلم عند والدهم الى ان حصلوا منه كفايتهم ، وفاقوا به رهطهم وعشيرتهم وجازوا فخرهم ومكانتهم ، لا يطمع فيهم طامع ولا يقرع لهم العصا قارع كما قال الشاعر :

اعاذلتى على اتعاب نفسى ورعى فى الدجا روض السهاد اذا شام الفتى برق المعالى فاهون فانت طيب الرقاد

اولاد الاستاذ

كان صاحب الترجمة عقب صنوه العلامة سيدى محمد بن عبد الله على حليلته عمتنا مريم عام ١٣٠٤ هـ فولدت له من الذكور الذين ادركوا مدارج الرجال :

الاديب سيدى محمد وستقرا ترجمته ان شاء الله

واحمد ، شاب حفظ القرآن حفظا جيدا والم ببعض الروايات وكان والده يقول له اننى اريد منك انت بين اخوتك ان تستفرغ جهدك فى تحصيل الروايات وان تكون ممن حصل ذلك تحصيلا تاما ، وذلك لما يراه الاستاذ من عدم هذا النوع من المعرفة عند الالفين ، فيقنع الكثير منهم بورش الذى جرت العادة بالقراءة به ، وقلمما يتعدى الى حرف المكى او قالون الا عند البعض منهم ثم لا يلبث ان ينساه فاراد من ولده هذا ان يحيى ذلك المجد الآخر على يديه ، الا ان الاقدار قد تعاكس امانى المتمنين فقد كان أحمد هذا رجلا مغامرا باسلا ، برزت منه غريزة الشجيرة وفطنتها باجل مظاهرها ، وقدر الله ان كان يختلف الى قرية دوو كادير لقضاء اغراض ، فكان يلتقى هناك بثلاثة رجال من كسيمة وهشتوكة كانوا عندنا فى الدار ، حين رجع الاخ سيدى محمد من قبيلة اداوزيكى اول عام ١٣٣١ هـ فكان يجاذبهم الجبال ، يتحكك بهم ويتحكون به وفى ليلة - لسبب من الاسباب - ثاور بعضهم بعضا اواسط الليالى فى ازمة القرية ، فسقط برصاصة احدهم فكانت فتنة مشتعلة خلعت الله من نارها مرابطينا ، بعد ان اذلغت اليهم اذلال

الطيب الى الهشيم ، فرضى حكم احمد الهيبه في القضية ، فعكم ان يقتل من ثبت عليه القتل قصاصا فاخذ اثنان منهم مع ان الرصاصة التي اصابته انها هي واحدة ، فاعتقلا على يد الاعراب ، فدفعوا لاولياء الدم ثم تغلت احدهما وهو مبارك الكسيمي والمعجيب انه انما ظلم لانه لم يحضر مع صاحبه تلك الليلة ففكه الله ولا يظلم ربك احدا ، واما الآخر محمد الهشتوكي وهو القاتل حقا ، دون القاضي ابو عشرين الذي كان اذذاك معه ، فقد قتل ازاء تافكاغت فانجلت العقدة بذلك وكفى المرابطون شرها والحمد لله ، وكان هذا - اخال - حوالي عام ١٣٣٣ هـ رحمه الله وهذا ما اخبرت به عن القضية من الذين يتحرون الصدق ، لانني لم احضر اذذاك فيها ، فهكذا ذهب احمد اثر تهوره سامحه الله وغفر له ، فقد العق والده علقما بهذا ، وكادت الغ ينهار بناؤها من اجله

ثم ان الاستاذ اقترن ايضا بالسيدة نفيسة بنت الشيخ سيدي المدني الناصري ، بعدما وقع بينهما وبين الاستاذ سيدي الحاج ياسين عليها نزاع وذلك ان الحاج ياسين كان خطبها لولده اولامن اخيها الاكبر سيدي احمد بن المدني فعقد له عليها بغير اذنها واما اخواه الاديبان سيدي البشير وسيدي الطاهر فقد اخطبا فيها صاحب الترجمة ، وبعد نزاع مستطير ، ذهب وفد من الغ فيه الحاج محمد اليزيدي والحاج ابراهيم الايفشاني وآخرون - كما حدث بذلك العم ابراهيم (وانظر هل كان هذا اليزيدي اذذاك حيا) - فخابروا الحاج ياسين ، وقالوا له ان اولى من يتبع الحق لانت ، فهذا العقد انت اول من يحكم بفساده ، والذي تقتضيه مروءتك الابتعاد عن مثل هذا ، لانك عالم كبير ، ولاتؤد بهذه الاسرة الى التفاقم فيما بين افرادها - والمقصود بين اولاد سيدي المدني - فتبع رحمه الله رأيهم فسلم في الامر ، فتم تزويجها من الاستاذ ، وهي سيدة عالية المقام مهيبة من كل ناحية وبينها وبين والدتي مؤاخاة مع انهما لم تترايا قط ، وقد اخبرت ان عقدها كتبه الاستاذ شيخنا سيدي الطاهر ، فكان يطفح بالبلاغة ، وطالما حثت بعض اولادها ان ياتي به لتنسخه للتاريخ ، ولكن ذلك لم يتيسر ثم ولدت للاستاذ من الذكور : العلامة سيدي المدني والاستاذ سيدي الطاهر والنقيب سيدي الحسن ، وسترى تراجم الكل فيما سيأتي ان شاء الله ، والحبيب والحسين وعبدالله وهذا اصغرهم ، وهو الآن ١٣٥٨ هـ ما زال يتلقى ، وقد برقت منه بركة نجابة فلئن تابر ليكونن بين اخوته اولئك نجما ثاقبا ، فهؤلاء اولاد الاستاذ الذكور ، واما الاناث فصيفة وحبيبة من السيدة نفيسة ، ماتت عند ابني الفقيه سيدي سعيد الاكماري الاديب سيدي احمد واخيه سيدي محمد ، وخديجة عند ابن عمها سيدي عمر وقد ولدت له الآن ١٣٥٨ هـ اولادا ، وفاطمة وهي اكبر اولاد السيدة نفيسة عانس في الدار الى الآن (ثم ماتت خديجة فتزوج سيدي عمر فاطمة اختها العانس) واما اللاتي من السيدة مريم ، فتعزى ، ماتت عند شيخنا سيدي محمد بن الطاهر الافراني ، وقد خلفت ولدها النقيب سيدي

المدني وغيره ، ورقية عند سيدي احمد بن الحسين الاعفياوي ، ولا تزال ١٣٥٨ هـ حية ولها اولاد من جملتهم بنت تزوجها ابراهيم بن الرئيس احمد الايفشاني ثم ماتت فهذا ما اعلمه عن اولاد الاستاذ حفظهم الله وكلاهم وادام بيننا وبينهم ما بيننا والدينا قبل ، فرحم الله الاستاذ وجعل البركة في عقبه انه سميع مجيب

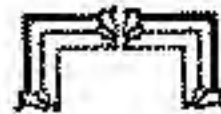
انتهى الجزء الاول من (المعسول)

في منفاى بالغ في واسط عام ١٣٥٨ هـ

ثم زيدت فيه زيادات بعد ذلك

ويليه الجزء الثاني في بقية ابناء عبد الله بن سعيد

من اهل (الفصل الاول) ثم يليه (الفصل الثاني)



الفهارس خمسة :

[١] فهرس المترجمين في هذا الجزء

[٢] الفهرس العام

(٣) فهرس القوافي

(٤) » الرسائل

(٥) » الفاظ الشلحة المضبوطة

الفهرس الاول

في أسماء المترجمين في هذا الجزء

- ٨٠ سيدي عبد الله بن سعيد التاهالي
١١٧ سيدي احمد بن عبد الله بن سعيد الالفي
١٢١ سيدي محمد بن عبد الله بن سعيد
١٢٢ سيدي علي بن احمد بن عبد الله
١٢٥ سيدي عبد الله بن احمد بن عبد الله
١٢٧ سيدي حسين بن عبد الله بن احمد
١٢٨ سيدي احمد بن علي بن احمد
١٣١ سيدي عبد الله بن موسى بن محمد الاوخي
١٣٢ سيدي ابراهيم بن بلقاسم بن محمد التاكانزي
١٣٤ سيدي بلقاسم بن علي بن احمد التيبوتي
١٣٦ سيدي احمد بن بلقاسم التيبوتي
١٣٨ سيدي سليمان بن محمد أول فقيه في المرابطين
١٤١ سيدي ابراهيم بن سليمان الفقيه
١٤٤ سيدي احمد بن صالح بن عبد الله الزاوي
١٤٥ سيدي صالح بن عبد الله الزاوي
١٤٧ سيدي محمد بن احمد السعيد
١٤٨ سيدي محمد بن بلقاسم التيبوتي
١٥٤ الحاج علي التيبوتي
١٥٦ الحاج عبلا بن صالح الالفي
١٦٠ الاستاذ سيدي محمد بن عبد الله الالفي
١٨٤ الشيخ سيدي الحاج علي الدرقاوي
٣٢٥ العلامة سيدي علي بن عبد الله الالفي

الفهرس الثاني

الفهرس العام

مقدمة بين الامس والغد

ح بيان (يتعلق بضبط الكلمات الشلحية)

١٢ خطبة الكتاب

١٥ تحية الخ بقصيدة بائية كبرى

٢٣ اسم الكتاب التام

٢٥ وصف الخ الجغرافي

٢٨ قرى الخ كلها

٢٩ بعض العادات الالغية

٣٠ عاشوراء

٣١ ليلة المولد

٣٢ العرس

٣٣ العقيقة

٣٤ الحداقة - العواشر - الختان

٣٥ الحصاد - والدارس وما اليهما - الجنائز

٣٦ الحرف والصنائع - الحداقة

٣٧ التجارة - الدباغة والحداقة - الاكافة

٣٨ الحباله - الشباكة - نساجة الصوف

٣٩ الخياطة

٤٠ الرفاة - الخزافة - الحجامة

٤١ معدن النحاس - العلم والتدين والاخلاق العامة

٤٢ اطعمة الالغيين ووجبات اكلمهم

٤٦ قصائد في بعض اطعمتهم

٥٢ المشروبات الالغية

٥٣ رجز في تشجير الاتاي

٥٤ المعتاد في اول السنة الفلاحية - الالبسة

٥٥ الفرش - المعتاد في المساجد

٥٧ المعتاد في المدرسة الالغية

٥٨ دور المرأة الالغية

٥٩ الامثال الالغية

٦٠ الالعب الالغية - ذكر فيها ١٤ نوعا

٦٣ ما قيل في وصف الخ من الاشعار

٧٦ تقسيم الكتاب

٧٨ (الفصل الاول) من (القسم الاول)

٧٨ اسماء المذكورين في (الفصل الاول)

٨٠ الشيخ سيدي عبد الله بن سعيد التهالي

٨١ النطقيات التي اسسها في القفار وهي ١٢

٨٢ وثائق واقوال المؤرخين (حواله)

٩٠ استنتاجات ترجمة الشيخ من كل ذلك - وهو فصل طويل لابد ان يقرأ

ليعرف الشيخ حق المعرفة

١١٢ بقية الوثائق المتعلقة بشال الشيخ بعده

١١٥ قصيدة للمؤلف يوم زار هذا الشيخ

١١٧ سيدي احمد بن عبد الله اول نزيل في الخ من ايمور احداولاد الشيخ

١٢١ سيدي محمد بن عبد الله - الولد الثاني للشيخ

١٢٢ سيدي علي بن احمد بن عبد الله بن سعيد

١٢٥ سيدي عبد الله بن احمد - اخو من قبله

١٢٧ سيدي الحسين بن عبد الله بن احمد - ولد من قبله

١٢٨ سيدي احمد بن علي بن احمد بن عبد الله بن سعيد

١٣١ سيدي عبد الله بن موسى بن محمد بن عبد الله بن سعيد الاوخييري

١٣٢ سيدي ابراهيم بن بلقاسم بن محمد بن عبد الله بن سعيد

١٣٤ سيدي بلقاسم بن علي بن احمد بن عبد الله بن سعيد

١٣٦ سيدي احمد بن بلقاسم ولد من قبله

١٣٨ سيدي سليمان بن محمد بن احمد بن عبد الله بن سعيد - اول فقيه في

الشيخ عبد الله بن سعيد

١٤١ سيدي ابراهيم بن سليمان - الفقيه ولد من قبله

١٤٤ سيدي احمد بن صالح بن عبد الله بن احمد بن عبد الله بن سعيد - الفقيه

١٤٥ سيدي صالح بن عبد الله بن صالح بن عبد الله بن احمد بن عبد الله بن سعيد

١٤٧ سيدي محمد بن احمد بن محمد بن سعيد بن محمد بن احمد بن عبد الله

بن سعيد

١٤٨ العلامة سيدي محمد بن بلقاسم بن محمد بن بلقاسم بن علي بن احمد بن

عبد الله بن سعيد

١٥٤ سيدي الحاج علي التيبويي ابن عمه لحا - الفقيه

١٥٦ سيدي الحاج عبلا بن صالح بن عبد الله بن صالح بن عبد الله بن احمد

ابن عبد الله بن سعيد ابو الاعلام

١٥٩ قصيدة في رثائه

١٦٠ العلامة مؤسس المدرسة سيدي محمد بن عبد الله - ابن من قبله

١٦١ مبتداه

١٦٢ في مدرسة تانكوت

١٦٢ في مسجد قريته (مدرس)

- ١٦٣ في المدرسة البومروانية
١٦٤ المدرسة الالفية تؤسس
١٦٥ قوام المدرسة
١٦٦ الاستاذ في مدرسته الجديدة
١٦٦ كيف دراسة الاستاذ
١٦٨ العشرة الاولى
١٦٩ الاستاذ وطلبته في وادي اقران
١٧٠ الاستاذ يعاود ادارة الدروس بنفسه
١٧٠ الاستاذ يتصل بالسلطان
١٧١ الاستاذ يلتحق بالرفيق الاعلى
١٧٢ قصيدة في التعزية . فيه
١٧٣ تجاليد الاستاذ تنقل الى الخ
١٧٣ اخلاق الاستاذ مع رجز حولها
١٧٥ اثاره . نظما ونثرا
١٨٠ الاجذون عنه
١٨٢ مرانيه
١٨٣ قولة على بن الحبيب فيه
١٨٤ الشيخ سيدي الحاج علي الدرقاوي
١٨٥ موضع ولادته
١٨٦ في المكتب
١٨٧ في مدرسة تانالت
١٨٧ في مدرسة المولود
١٨٧ في مدرسة تازاروالت
١٨٨ في مدرسة تانكرت
١٨٩ ملاقاته للشيخ سيدي سعيد المعدي
١٩٠ مايدل على ذلك من رحلته ومن بعض رسائله
١٩١ في مصاحبة شيخه المعدي
١٩٣ محاوره لطيفة (بينه وبين ابيه وقد رده من عند الفقراء الى القراءة)
١٩٤ في مدرسة ادوز
١٩٦ في فض النوازل وقسم التركات
١٩٧ في التجارة
١٩٨ في مدرسة فوكوض معلما
١٩٩ في المدرسة البومروانية
١٩٩ العزم على المشاركة في المدرسة الوقفاوية
١٩٩ الطريقة تنفض عليه ثانيا فتطير به

١٦٩ العشرة الثانية

الفهرس الثالث

في القوافي

يذكر فيه القائل • مع الشطر الاول • ان دل اخره على قافية القصيدة • والا فتذكر الكلمة الاخيرة ايضا لتدل على القافية • وقد رتبت القوافي على حروف المعجم على عادة المشاركة

الهمزة

٦٣ الشاعر الافرائي	بانت فبان جميل الصبر اسماء
٦٦ الحسن بن علي الالفي	اهل بوفد الخصب وفد سماء
٦٧ المؤلف	ماذا رأى من لم يكن بالرامي
٢٧٨ محمد بن مسعود	باكر بها لمرايح الزهراء
٢٧٩ محمد بن الطاهر	لاحت فاعشت اعين البصراء

الباء

١٥ المؤلف	اليكم بنى امي ائيب ركائبى
٢٨١ محمد بن مسعود	اسادتنا صحب الامام الرضا القطب
٢٩٥ موسى بن الطيب الالفي	الانزه العينين في خير ماقبة
٢٩٨ الشيخ الالفي	وما اسم ثلاثي الى العز ينسب
٢٩٩ الشاعر الافرائي	وما اسم تراه كلما سار يركب
٢٩٩ الاستاذ علي الالفي	قلم البليغ يبين لغز منبثا - الاتق
٣٠٠ الشيخ الالفي	بعد سيوف الذكر فاقطع رقابها
٣٤٨ بعض الالفيين	اكفكف من مداليراعة مرغما - واجبا

التاء

٧١ المؤلف	الخ المعارف والاداب بلدتهم - الامارات
١٥٥ المؤلف	الفجر بالنور وزهر الربا - الذكيات
١٧٢ لبعض الالفيين	نعزيك لانا جهلنا مقام من - الموت
١٧٩ الاستاذ محمد الالفي	اذا اودع الله الانامل حكمة - جلت
٢٧٦ محمد بن مسعود	متى كان حكم الروح في الجسم لم يكن - البشرية
٢٩٣ الشيخ الالفي	وفيت بما تهوى جزيت جزاء من - قرته
٢٩٩ الشيخ الالفي	سعد الفقير وساعدت اوقاته

الحاء

٦٥ بعض الالفيين	ابواب الخ لكل عات تفتح
١٧٨ الاستاذ محمد الالفي	اذا ماهب من افرا نريح

٢٩٩ بعض منظومات لث بها الشيخ

٣٠١ غيرته الدينية امام الاحتلال

٣١٠ بعض دعواته واذكاره الخاصة

٣١١ مؤلفاته

٣١٢ وفاة الشيخ

٣١٤ مراتي الشيخ والتعزيات فيه

٣٢٤ اولاده

٣٢٤ الكتب المؤلفة في الشيخ

٣٢٥ العلامة سيدي علي بن عبد الله الالفي

٣٢٦ خطوته الاولى

٣٢٦ في دراسة العلم

٣٢٧ في الاستعداد لقيادة المدرسة

٣٢٧ استاذ المدرسة

٣٢٨ قوله الشيخ الوالد فيه

٣٢٩ بولي القضاء من حضرة السلطان

٣٣٠ في رئاسة اخوانه المرابطين

٣٣١ مراسيم رسمية حوالية

٣٣٣ في كلامة الله بين الزعازع

٣٣٨ في شبه غربة بعد دفن رفيقه الشيخ الالفي

٣٤٠ بين قضاة تزيت في عهد الهيبة

٣٤١ بين رؤساء قبائل هذه الجبال في الكفاح

٣٤٤ الاستاذ ومدرسته اخيرا

٣٤٥ نظرة عامة على اخلاقه

٣٤٩ اثار قلم الاستاذ من النشر

٣٥٠ نموذج من رسائله وبعض اشعار منه واليه

٣٦١ نتف من قوافيه

٣٦٦ الاخذون عن الاستاذ

٣٧٢ ايام الاستاذ الاخيرة

٣٧٥ الاستاذ يلفظ نفسه الاخير

٣٧٧ مراتيه

٣٨٣ قوله الرفاكي فيه

٣٨٥ قوله ابن الحبيب فيه

٣٨٧ اولاد الاستاذ

٢٨١ محمد بن مسعود

٣٣٤ بعض الالغيين

المدال

٦٦ محمد بابة

٢٣٨ محمد بن مسعود

٢٩٠ الحسن الركني

٢٩٠ الحسن الركني

٢٩٦ الطاهر الناصري

٣٠٠ الشيخ الالغي

٣١٧ الاستاذ على الالغي

٣١٨ محمد بن الطاهر

٣٥٠ الاستاذ على الالغي

٣٥١ الاستاذ على الالغي

٣٥٢ الشاعر الافراني

الراء

٦٤ محمد بن الحاج

٦٦ المؤلف

٧٠ المؤلف

٧٤ المؤلف

١١٥ المؤلف

١٧٦ الاستاذ محمد الالغي

١٧٩ الاستاذ محمد الالغي

١٨٠ الاستاذ محمد الالغي

٢٩٣ الاستاذ على الالغي

٢٩٦ محمد بن مسعود

٣٢٠ موسى بن الطيب

٣٢٢ احمد بن محمد اليزيدي

٣٢٣ الحبيب البوسليمانى

٣٤٦ بعض الالغيين

٣٦١ الاستاذ على الالغي

٣٦٢ الشاعر الافراني

٣٨٤ المؤرخ الاكراري

٣٨٤ الاستاذ على الالغي

٣٨٦ الاستاذ على الالغي

ياسيندا من لورده الوضاح

اذا انسد باب من امير فان لي - مفتاح

عرج تحت الحصن يامن سادا

ليهنا الوري طرا بابلالك السعد

ابو حسن نجم به السار يهتدى

الابلغ الشيخ المربي بورده

الى بيت اهل الجود والفضل والرشد

ولى مذهب فى العشق منفردا به - ولافقد

هينا ملكنا المال عفوا ما الذى - وتفقد

قالوا قضى العلم الامام السيد

لنحوك ما اخفى من الشوق او ابدى

بقيت سليما لا تقابل بالردى

ياعجبا كيف يخشى النحس مسعود

اياساكنا ارضا هي الارض وحدها - والبصر

ما الخ غير شعوره فى شعره

نعمه الالغي فتح - داره

يقولون صبرا انه بك احدر

لله رحلتنا الى امور

بدت لي احبتنا عبرة - يعتبر

ياسبعة من سعد سبعة جمعهم - الامر

سلام كما المسك والعنبر

عليك سلام يا كريم معبر

لله سيدنا الشيخ الامام وما - البصر

مضى الاخيار وانقضت الدهور

قد استوى الله على عرشه - امره

قضى امام الدين من لا يرى

اذا انت لم تكبح رفيقك مرة - لاتدرى

شنف باسماع من احيا اذا ذكروا

هذى نجوم الدجا ام هذه درر

على السמידع من زرت ماثره - الشجر

مولاي من قدزرت بطلعة القمر

مولاي اني وان شطت بى الدار

٣٦٣ الاستاذ على الالغي

٣٦٤ الاستاذ على الالغي

٣٦٥ الاستاذ على الالغي

٣٧٧ الشاعر الافراني

٣٧٩ ابراهيم السكتاني

٣٨١ محمد الكثيرى

٣٨٢ الاقاوى القاضى

٣٨٢ الاقاوى القاضى

الزاي

٢٩٩ الشاعر الافراني

السين

٤٦ مساجلة

٧٥ المؤلف

٤٥ لبعض الالغيين

العين

١٥٩ الشاعر الافراني

١٨٠ الاستاذ محمد الالغي

٢٨٩ محمد بن مسعود

٣١٧ الشاعر الافراني

٣٢١ احمد اليزيدي

٢٩٤ الشيخ الالغي

٢٩٤ الشاعر الافراني

٣٦٣ الاستاذ على الالغي

العين

٦٣ الشاعر الافراني

٧١ المؤلف

٢٨٢ محمد بن مسعود

٢٨٣ محمد بن مسعود

٢٨٣ الشيخ الالغي

الفاء

٦٤ محمد بن مسعود

ياواردا عمت الدنيا مفاخره

وصالك هذا ام بداصبح اسفار

جزى الله اخوان الصفاء بكل ما - العشر

امن جادت بكرجرى منه ما جرى

واعظم مقدام اذا اشتحر القنا - الحجر

الدهر بعد تعرف يتنكر

موت العليم مصيبة لن تجبرا

لتبك فما فى الارض من كل اغيرا

تاملت لغزا اتعب القلب حله - اللوز

بسييسك يازهره خير بسييس

الايت شعري هل ابيتن ليلة - سكسو

فكه مصاحبك الالغي ما الفت - قاس

على مثل هذا الحادث الفادح الوقع

اذا رمتم نظما مقفى مجبرا - الوسع

سلام كما ازدانت بصوب مرابع

امن حادث بكر الم فاجزعا

الدهر يفجع والصدور توجع

بشير وطاهر ونجل لطيب

انفج نسيم الروض والروض ناصع

يحق على للمبشر انكم - خلع

نسيم الصباهبى بنشر ربا الغ

اذا احتفلت ااداب من كان فى الغ

نسمات الرضا وروح سلام - الغ

اقول لمن قد شفه الوجد ماتبغى

اياطالبا سر المعارف فى الغ

يااهل تحت الحصن انتم فوقه - يشرف

٦٤ محمد بن الحاج
٦٥ الهولعمانى
١٨٢ الشيخ الالغى
٢٨٤ محمد بن مسعود

القاف

٨٤ المؤلف
٢٨٢ محمد بن مسعود
٧١ المؤلف
١٧٩ الاستاذ محمد الالغى
٢٩٢ الشيخ الالغى
٢٩٢ الاستاذ على الالغى
٢٩٥ لبعضهم
٣٦١ الاستاذ على الالغى

الكاف

٣٤٠ لبعض الالغيين

اللام

٣٦ لبعض الالغيين
٦٨ المؤلف
٧٣ المؤلف
١٦٩ الاستاذ محمد الالغى
٢١٣ بعض الالغيين
٢٢٤ الاستاذ على الالغى
٢٩٣ الشاعر الافرانى
٢٩٨ الشيخ الالغى
٢٩٨ الشاعر الافرانى
٢٩٩ الشيخ الالغى
٣٠٠ الشيخ الالغى
٣١٨ سيدى عبد الله الالغى
٣٥٠ الاستاذ على الالغى
٣٦٢ الاستاذ على الالغى
٣٦٣ الاستاذ على الالغى
٣٦٤ الاستاذ على الالغى
٣٦٤ الاستاذ على الالغى
٣٦٤ الاستاذ على الالغى

بالغت فى الارشاد يامن ينصف
لله ماقد هاج ذاك الموقف
فمن للعلا والمحاسن والوفا
ذق من كؤوس ودادهم فتصافى

لمن جفنة قد اقبلت تتألق
ليهنكم ياء ال الخ مفاخر - شرق
الخ فرد وس لمن منيته - رائق
فتارة ذو سرقة
ابا حسن زرنا على عجل ومن - فرق
اجيب بجثمانى وقلبي لديكم - فرق
هذه (كيزة) الضيوف الرشيقة
لله يوم خميس جادلى بلقا

وان اخاك الحق من كان مثنيا - فوقكا

وكم عانس بكرتخطت زواجها - الاعل
الغيت فى مارس بعد - الجميل
حنانيك الخ المكان الجميل
ايا ابن القطب احيا الدين جهرا - جهلا
وما مخبر عن الفتى مثل نفسه - الوصل
بيت اتبع الخير من وجهاته - القالى
هنيئا لقلبي والهنا على مثلى
فما اسم رباعى الحروف ترى الذى - اول
اتنى فحلت من عقال الردى عقل
تاملت هذا اللغز يا ايها الخل
لله دركم يامن لهم دول
قد انقضى الخير وجاد الكمال
فتبا لهذا الدهر لا يعرف البذلا
اهلا بمن رجل العنا بنزوله
ياقادما فضله فى العلم والعمل
ان لم تكن كابن مقلة
تبدي فحلت البدر فى الافق ينجلي
لله درك من امام عادل

٢٦٤ الاستاذ على الالغى

الميم

٦٥ ابن العتيق
٦٩ المؤلف
١٨٠ الاستاذ محمد الالغى
٢٩٢ الاستاذ محمد الالغى
٢٩٧ الشاعر الافرانى
٣٠٠ الشيخ الالغى
٣٥٤ المؤلف
٣٦٢ محمد بن الطاهر

النون

٤٧ الشاعر الافرانى
٢٨٣ محمد بن مسعود
٧٠ المؤلف
١٧٩ الاستاذ محمد الالغى
٢١٦ محمد بن مسعود
٢٧٤ محمد بن مسعود
٢٨٠ محمد بن مسعود
٢٨٢ محمد بن مسعود
٢٨٣ محمد بن مسعود
٢٨٣ محمد بن مسعود
٢٨٩ محمد بن مسعود
٢٩٠ الحاج عبد الحميد
٢٩١ محمد بن المحفوظ
٢٩٢ الاستاذ على الالغى
٢٩٩ الشاعر الافرانى
٣٠٠ الشيخ الالغى
٣٦٤ الاستاذ على الالغى
٣٦٤ المؤرخ الاكرارى
٣٨٧ الاستاذ على الالغى

الهاء

١٥ المؤلف
٢٨٢ محمد بن مسعود
٢٨٣ محمد بن مسعود

اريد من خير اخواني وصلو لهم - العيلة

يا اهل تحت الحصن ان يقع النوى - زعيم
يا طيب الخ فى الربيع فما - نسيم
انشئوا يا خير قوم
اباحسن منى سلام عليكم - سلام
اتيتك حبوا للزيارة عندما
جزاك اله العرش خير جزائه - جزما
اعاطى اكؤوس السلوى نديمى
شعر زرى بالعقد حسن نظامه

ان الموائد انت من شجعانها

حي ربع الرباب من تحت حصن

الخ بسيط بلقع مقفر - عين

سلام عليك يا على الشقيق والبنى - الغصن

وراهم شيخ بزواية وقد - الاركان

مالى سواك وسيلة لله ثم - الصمدانى

قفا بالمطى فى اراكة نعمان

سقى الله احمى من تحت الحصن

ياسادتى الغر العظام الشان

ان فاتك القطب ذاك الشاذلى فلذ - ابي الحسن

وافت توصل الهائم الحيران

الا ابلغ الشيخ الامام ابا الحسن

انت خير الشيوخ فى الاقران

ابا حسن تم مسرة عيدنا

خليلى دلانى على شاحذ الذهن

ادخل مبارك حضرة الرحمان

عليك اماما اعجز اللسان فى اللسان

سلام يخوت ملحضيض الى القنن

اتيت لامرحافز (فصك) وهى بلدة - احسان

لى همة عالية فذة - منتهى

تلك شمس القلوب بانث فتاهوا

ياسيدا اطلمت بالسوس طلعتة - تيهها

٦٩ المؤلف لله الخ ومروءا ومحيها
٣٠٠ الشيخ الالغى
٢٩٧ الشاعر الافرانى
تأرفت لما شمت برقاً حجازيا

الالف المقصورة

٢٩٣ الشاعر الافرانى
٣٦٤ الاستاذ على الالغى
ابا حسن هذا غداء جميعكم - الضحى
ان حسن الخط زين للفتى

الاراجيز

٤٦ لبعض الالغيين
٥٣ الشاعر الافرانى
٦٩ لبعض الالغيين
١٧٣ الشيخ الالغى من رحلته
١٩٠ منها
٢٠٨ منها
قطع منها فى رقم ٣٠١ كما فى رقم ٣٢٨ كما من ٢٣٨ الى ٢٥٧
١٨٠ الاستاذ محمد الالغى
١٨٠ الاستاذ محمد الالغى
املوا علينا من حديث املو
هذا وانى قد رايت رجزا
اوصاف الخ متنافيات
متبعاً شقيقه محمداً
قد كنت فى غياهب الغباوة
تركت ما سوى الاله جهرا
تعبت فى تملك التصريح
تكلف الاسفار للاوطار

الفهرس الرابع

فى الرسائل والوثائق والظواهر والمراسيم الرسمية

سيدى عبدالله بن سعيد اليموى
وثائق وظواهر من ٨٣ - الى ٩٠ ثم من ١١٢ - الى ١١٥
سيدى محمد بن عبد الله العلامة الالغى
رسائل فى هذه الارقام - ١٧٦ - ١٧٦ - ١٧٧ - ١٧٩
سيدى على بن عبد الله العلامة الاديب
رسائل فى هذه الارقام ٣١٦ - ٣٥٠ - ٣٥١ - ٣٥٢ - ٣٥٤ - ٣٥٦
ظواهر ٢٩ - ٣ - ٣٣٠

الشيخ الالغى

رسائل فى هذه الارقام ١٧٩ - ١٩٠ - ١٩٥ - ٢١٣ - ٢١٦ - ٢٢٥ - ٣٠٧ - ٣٠٩ - ٣٠٩

غير الالغيين :

سيدى الحسين الزرهونى ٣١٥
سيدى محمد بن على التادلى ٣١٤
محمد بن عبد السلام الورزازى ٣١٤
سيدى السزير البعمرانى ٣١٥
سيدى عبد العزيز الادوزى ٣٢٣
محمد بن المحفوظ التازيمامتى ٢٩١
سيدى الحبيب البوسليمانى ٣٢٣

الفهرس الخامس

فى الالفاظ الشلحية التى وقع فيها حرف مشددة

إِذْ بَنِيَانُ	إِغْرَمُ	تَأْفُكَاغَتْ
أَسَاكَا وَأَصْبَانُ	إِسَافُنْ	تَاطَارُوسَتْ
أَسِيفُ مَقُورُنْ	إِيشَادُنْ	تَيْسَا
أَسْكَوْرُ	إِسْقَالُ	تِيْنُضْفُوِيْنِ يِيْهْ يِيْنِ
أَضَارُ أَوْ كَلِيدُ	إِيْخْفُ وَيَنْتُكُونَا	تِيِيْنُوتُ
أَفْلَا أَوْ كَنْسُ	أَيْتُ أَوْ مِرَى	تِيْزَرَا إِيْفُوْلُوسُنْ
أَكْرَامُ	أَوْبَا حُو	حُوْكََا
أَكْنِي إِيْعْدَانُ	أَوْبَا لُوشُ	ذَرَا وُوغُ
أَمْلَنُ	تَارُ مَوْرَتُ	دُوْكَادِيرُ
أَمْتَضِي	تَالَاتُ غَزِيْفُنْ	دُوْ تَمْرُوتُ
أَنْشِدُ نَقُومَلِيْلِيْنِ	تَارُ كَانْشُصْلِمَاطُ	دُوْنِمَلَانُ
أَوْجُوْ	تَامُوْدِيْرَتُ	الرَّكَادَةُ
إِيْغْدُ إِيْفِي	تَابُوْرِيْشَتْ	مَامَانُ
إِيْغْشَانُ	تَاغْشُوْنَتْ	حَيْدَةُ بِنِ مَائِنَسُ

فهرس الخطأ والصواب

صفحة	السطر	خطأ	صواب
٢	هكذا هذه الايات الثلاثة لا كما فى الاصل		
١٧	١١	وبعض ماسكو	وبعض ما سكوا
٢١	٦	انخت العيش	انخت العيس
٢١	٧	فى الحاشية - صوا	صوى
٣٤	١	حفنة عصيدة	حفنة
٤٥	٢٠	اغدا يقى	اغدا يقى
٥١	٣	فى جانبى الحوض	فى جانب
٥٢	٢	فى الحاشية - الباديين	البادين
٥٢	٥	فى الحاشية - شطته	شاطته
٥٢	١٣	فى الحاشية الضفاديع	الضفادع
٦٠	٧	يتساوون	يتساوون فيه
٦٧	١٠	يشعشعها	يشعشعها
٧٠	٢٣	رشف الكؤوس	رشف لكؤوس
٧٠	١	فى الحاشية - الجرج	الجرز
٧٧	٢	وخزرتة	وحزرتة
٨١	١٣	التطفيات	التطفيات
٩٢	١٩	بعضها ولكن	بعضها لكن
٩٣	١٧	يرونها	يروونها
٩٦	٣٢	ولا يعرف	ولا يعترف
١٠٤	٢٤	فى واد ساموكن	فى وادى ساموكن
١٠٥	١٨	الاعلى	الاصل
١١٧	٢٢	شاور	ثاور
١٤٥	١	سيلى	سيد
١٤٥	١١	فكان ممن يحرق	فكان يحرق
١٤٥	١٦	عن مجاط	عن مجاطى

صفحة	السطر	خطأ	صواب
١٤٧		نحو ١٢١٥ ٤ ١٢١٦ هـ	قبل ١٢١٠ هـ = ١٢٩٦ هـ
١٤٧	٩	أتقن - اشتهر	أتقنوا - اشتهروا
١٥٩	١٩	القادح	القادح
١٦١	٢٠	ممن سار	ممن ساروا
١٦٦	٤٤	دعائم مراسية	راسية
١٧٩	١٤	لقد كان لك	لقد كان لكم
١٧٩	٣٠	فتحوا	فتحوا
١٨٣	٧	عصاية	عصامية
١٩١	٢١	منهم الوقوف	منهم من الوقوف
١٩٢	١٧	ان يكون	أن يكونوا
٢٠٦	٢٢	وينفطر	وينفطر
٢١١	١٥	لم تمضى	لم تمض
٢١٧	٥	احتجت	احتجتم
٢٢٠	٢٩	كمن اخبره	عمن اخبره
٢٢٠	٢٨	وما رأى كمن سمع	وما رأى كمن سمع
٢٢١	١١	فى كثر القال	فى كثرة القال
٢٢٢	٢٩	فى ناحية المترجم	فى ناحية والمترجم
٢٢٣	١١	لما ستراه	كما ستراه
٢٢٤	٢٧	اذاك	اذ ذاك
٢٢٦	٧	ولو بداهم	ولو بداهم
٢٢٧	١	كبير	كثير
٢٢٧	٧	الشيخ	الشيخ
٢٢٧	٣٢	يتبعججوا	يتبعججوا
٢٢٧	٢٢	ظهرا نهم	ظهرا نهم
٢٣٢	٤	سيخلفه	يستخلفه
٢٣٦	٢٥	فى فايلى او كادير	فى ايمى او كادير
٢٤٠	١٣	الجسارى	الجار
٢٤٣	١٠	فابتدورا	فابتدروا
٢٤٤	١٦	ووليت	رووليت
٢٤٨	٢٦	يدرى	يدر
٢٥٢	٤	ليس	ليست
٢٥٤	١	أن يزيره	أن يزيره
٢٦٤	١٤	القواد	وكذلك القواد

الادوزى	٣٣	٢٥٠	التازيمامتى
يخفف	٥	٢٦٨	يخف
يصون	٥	٢٧٢	يحصون
من غير	٣	٢٨١	من خير
بلا مزج	٢٣	٢٨١	بلا مزج
له - طب	٢٨	٢٨٢	لاه - طب
غراما	١٦	٢٨٤	مزافا
السارى	١٦	٢٩٠	السار
الانراضى	٢	٢٩٤	السكرادى
الله فى كل	٢٠	٢٩٥	الله كل
حتى خرجت	١٩	٣٠٣	حتى خربت
ويجد	٥	٣١٤	ويجدون
ضلعا	١٠	٣١٨	ظلمعا
ذك	٤٢	٣٢٣	ذك
اخبار كثيرة	٢٠	٣٢٥	اخبارا
ومتى لامثالهم	١٦	٣٤٠	ومتى كان لامثالهم
ان يغمر	٣	٣٤٥	ان يغمر
اوتى	١٢	٣٤٥	اتى
يكر	١٧	٣٤٥	يسكر
الى الاخلاق	١١	٣٤٧	الى الاخلاف
فى الحاشية	١	٣٤٧	تينجدا
ففيما مضى	١٨	٣٥٣	فيما مضى
والاجلة انصارى	١٢	٣٦٥	مع اجلة انصار
جوف القرا	٧	٣٦٦	جوف القرا
التامانارتيون، سيسى اليزيدى	٢٤	٣٧١	سيسى اليزيدى، التامانارتيون
بغلة	١٩	٣٧٣	بغلة

هذه هي الاغلاط التى وقفنا عليها • وقد يكون هناك اخرى • فالتقارى، النبىه
لاتخفى عنه

